موسوعة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية
من قورش إلى الإسكندر

تأليف
بيير بريانت



ترجمة
مجموعة من المترجمين

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلى الإسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: 2015م - 1436هـ

978-614-424-173-8 (7 مجلدات)

978-614-424-174-5 (المجلد الأول)

الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان

ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961

هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البـريـد الإلـكـتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلى الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

بيروت

(حتى لـو لم يكـن حقيقيًّـا، فأنـت بحاجـة لأن تـؤمن بالتاريخ القديم)

لوي فيري

(مـن الصـعب معرفـة مـا إذا كـان تفسـير معـين يُعَـدُّ صحيحًا، إن التفسير السَّيِّئَ أسهل كثيراً للتمييز)

أومبيرتو ايكو

مقدمة الترجمة الإنجليزية

إن نص الكتاب المقدَّم هنا للقراء الناطقين بالإنجليزية يختلف كثيراً عن النسخة الفرنسية التي نشرت بواسطة دار فايار (Fayard) في يونيه (1996)، ومع ذلك، وخلال المرحلة الأولى من عملية الترجمة - أواخر 1996 وأوائل 1997- تمنيت أن أجري التعديلات والإضافات المنظمة المنطبقة على النص الأصلي في شكل يأخذ في الحُسْبان الإصدارات التي ظهرت بعد التنقيح الأخير للمخطوطة الفرنسية في سبتمبر 1995[1]، ولقد تسبب تكرار التأخير في إعداد الترجمة الأمريكية في جعلي أعدل عن القيام بهذا المشروع، وهنا أود أن أشرح سبب اتخاذي هذا القرار إلى قرائي[2] .

لقد اخترت عرض تحديثات وتقييمات مفصلة للغاية للبحث في شكل آخر، وهو «نشرة عن التاريخ الأخميني (BHAch) »، وهو منظم

([1]) أود أن أشير إلى أنَّ كلًا من أورسولا فيبر، وجوزيف ويسهوفير قد قاما بتوفير ببليوجرافيا شاملة هائلة للتاريخ الأخميني موصوفًا بدقة.

([2]) تمَّ إدراج إضافة مهمة في جزء من الفصل التاسع المخصص للعادات والتغيير، وقد قدمت وثيقة استثنائية تتناول العادات في مصر بالاعتماد على أهم المعارض، واستنتاجات الدراسة التي قمت بها أنا وديسكات، ولقد قررت التوقف عن إدخال مواد أو مناقشات جديدة.

بطريقة بحيث يتبع الهيكل الموضوعي لكتابي، ويتمثل هدفه في إعطاء الفرص الدورية للعلماء، وذلك ليس فقط للتعرف على المراجع الحديثة، وإنما أيضًا للحصول على التحليل النقدي، ولقد اتخذ أول نشر شكل مقالة طويلة نشرت في الملحق رقم (1) لمجلة توبوي (Toboy)، (127-5, 1997) [1] وفيها قمت بتحليل حوالي 450 عنوانًا لكتب ومقالات نشرت في الفترة ما بين أكتوبر 1995 وأكتوبر 1997، أما النشرة الثانية في عام 2001 فقد ظهرت في شكل كتاب[2] باتباع الخطة نفسها، فقد حلّلت أكثر من 800 عنوان نشرت في الفترة ما بين أكتوبر 1997 وأكتوبر 2000 ، ولجعلها أسهل استعمالاً زودت النشرة الثانية بالفهارس التي تشمل أيضًا مواد في النشرة الأولى، ويُمكّن أحد هذه الفهارس (327-30) للقراء العثور على الصفحة في كتابي الذي نشر في عام 1996، والتي تحتاج إلى مراجعة في ضوء المنشورات الجديدة. وعلاوة على ذلك، فقد تم مؤخرًا إنشاء موقع على شبكة الإنترنت مخصص للبحث الأخميني (www.achemenet.com) ، كما يسمح للعلماء الوصول إلى الوثائق والموارد الببليوجرافية بشكل مستمر[3].

([1]) الملحق (1) توبوي (وزع بواسطة بوكارد في باريس)، ويشمل أوراقًا من اجتماع المنظمة في (31 مارس- 1 أبريل من عام 1997)، ولقد استجاب ما يقرب من عشرين زميلاً من مختلف البلدان لدعوة من السيد جان-ماري فارنكويس ساليس وفارنكويس بوساك لمناقشة كتابي الذي نشر حديثًا في ذلك الوقت بواسطة فاراد.

([2]) النشرة الثانية (انظر: www.thotmeditions.com/editions/bhachII02.htm) ، يفتتح هذا المجلد سلسلة جديدة بالتعاون مع كلية فرنسا college de France .

([3]) يستجيب إنشاء هذا الموقع أيضًا لاغراض محددة للإطار العام للتاريخ الأخميني، أي بهدف إلى تحويل ما تم فعليًا في الأوساط العلمية إلى المجتمع العلمي فعليًا: انظر كتابي «دعوة للتعاون»، متاح للتحميل على شبكة الإنترنت www.achement.com/pdf) call.pdf/)، فضلاً عن وقائع الندوة التي نظمت في كلية فرنسا college de France التاريخ الأخميني وقواعد البيانات على الإنترنت: تقييم التقدم في العمل وآفاق =

وقد ناقشت إحدى الأسئلة المنهجية التي آثارها التحديث المنهجي، وهي مسألة لا تقتصر على الدراسات الأخمينية، في «محاضرة نوروز» التي ألقيتها في مؤسسة «الدراسات الإيرانية» (واشنطن، 23 مارس 2001) تحت عنوان: «الاتجاهات الجديدة في التاريخ الأخميني»[1] .

وهناك، وبالإشارة إلى التجديدات في النشرة الأولى والثانية، قلت: عندما نسعى إلى متابعة وتقييم البحوث والنشرات بشكل دوري وبطريقة شاملة، نستطيع تطوير العادة الدائمة للاستجابة المعرفية للنتائج الحقيقية للبحث، ويصعب حلُّ هذه المسألة خاصة في العلوم الإنسانية، حيث يَحِلُّ أحيانًا تراكم سعة الاطلاع والحشو البيليوجرافي محلَّ الأدلة المقبولة، ولكنها تكون مُضلِّلة للإبداع العلمي. وللتحدث بشكل صريح نستطيع أن نتساءل: ما الجديد فيما نشر مؤخرًا؟ وفي مجالنا، ما الدلائل التي تسمح لنا بالقول: إن علامات الدراسة هذه أو تلك تتقدم في طلب المعرفة؟ إن الإجابة قد تبدو سهلة طالما نتناول الوثائق والإصدارات، ولكن هذه المسألة تختلف تمامًا عندما يأخذ المرء في الحسبان المنشورات التفسيرية، وحتى بين إصدارات الوثائق يستطيع المرء أن يقوم بالمقارنات؛ فبعضهم يضيف وثيقة واحدة فقط لم تنشر في سلسلة معروفة، وذلك بدون تعديل الكثير من المعنى العام، ومن ناحية أخرى فقد لفتُّ الانتباه إلى هذه الوثائق، وهذا في حد ذاته قد يوحي بوجود اتجاهات جديدة للتفسير .

= المستقبل»، متاح على الشبكة العالمية (www.achement.com/pdf/colloque/ resumes.pdf)، وذلك بالتعاون مع المحرر توباي، ويمكنك الحصول على النص كاملاً من خلال شبكة الإنترنت. (www.achement.com/bibiolgraphies/bhach1.htm)

(1) النسخة الإنجليزية متاحة على شبكة الإنترنت (www..fis.iran.org/achemenid .htm)، كما أن النسخة الفرنسية متاحة أيضًا (www.achement.com/ressources/ enligne/jasr01/htm) .

وبعـد عـرض نتـائج الحفريـات في عـين مانـاوير في مصر، خلصـت إلى أن الاكتشافات والإصدارات التـي تتحـدث عـن مصر الأخمينيـة، والتـي عرضـتها بإيجـاز ليست أخيرة، ولكنها حقًّا جديدة، كما فتحت الآفاق لنموٍّ جذريٍّ جديـدٍ في المسـتقبل القريب .

ووجهة نظري هي أنه لا يمكن أن يتحقق التحديث الشـامل بطريقـة مرضـية فقط من خلال مئات الإضافات الببليوجرافية المكَدَّسة، وعنـدما تـتراكم الإصـدارات يزداد خطر تحميـل الـنص والملاحظـات الببليوجرافيـة بالتحـديثات المتراكمـة، مـما يجعل النص أكثر صعوبة بدلاً من الاستفادة منه، علاوة على ذلك، وفي هذه الحالـة يعتبر ظهور الشمولية وهمًا كبيراً وذلك لسببين: - أولاً: إن أي كتاب يقوم بتحـديث الببليوجرافيا قد يكون خاضعًا لبعض الأخطاء الببليوجرافية[1] - عـلاوة عـلى ذلـك - كما أشرت- فإن العديد من المراجـع الإضـافية لا تضـيف شـيئًا جديـدًا؛ ولـذا فمـن الضروري إدخال تمييز هرمـي بـين «القـديم» و«الجديـد»، وتبريـر معـايير الاختيـار بالتفصيل، وهذا ما حاولت فعله في نشرات عام 1997 و2001 .

ومع كل هذا، فإنني أعترف وبصراحة أنه مراعاة المنشورات التـي ظهـرت بـين 1995 و2000 من شأنها أن تعدل الكثير مـن التفصـيل والمناقشـة في هـذا الكتـاب وإثراء التوثيق التخطيطي. ومع ذلك، فإذا اخترت أن أقدم هذه النسـخة الأمريكيـة الأولى بشكل الكتاب الفرنسي نفسه، فلأنني قـررت -سـواء اعتقـد القـارئ أن ذلـك صحيح أم خاطئ- أن الصورة العامة للإمبراطورية الأخمينيـة والتـي قـد شرحتهـا في عام 1996 لم تُعدَّل أساسًا .

(1) فعلى سبيل المثال، هل لي أن أذكر وأنا أكتب هذا التمهيد، في أوائل يوليـو 2001 تشـمل القائمة الببليوجرافية المؤقتة للنشرة الثالثة (التي ينوى أن تظهر في عـام 2003) عـلى أكـثر من 150 عنوانًا، منها بعض الكتب والمقالات المهمة.

وهناك مثال مهمّ في الفصل (16)، حيث أقدم فيه تحليلاً إقليميًّا للإمبراطورية، ومحاولة لتفسير العلاقة بين السلطةالمركزية والمحيط في شكل محتمل التقييم (693). إن وجهة النظر التي تبنيتها ودافعت عنها هناك هي أن الوثائق المكتشفة حوالي عام 1970 و1995 تلقي بالكثير من الشك على الفرضية الإحصائية «المزيفة» للحضور الفارسي الضئيل، واحتلال الإمبراطورية؛ وذلك استنادًا إلى أدلة قديمة أو متعلِّقة بمنظور إقليمي معين (764)، ولهذا الغرض، قدمت في ملاحظات الوثائق المطابقة (1029-1031) تقييمًا للاكتشافات الأخيرة حسب المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الباب ينبغي أن يكتب، وتدرج فيه العديد من الاكتشافات الجديدة منذ عام 1995، إذا ظلَّت بعض الاكتشافات التي عولجت في نسخة 1996 قيد المناقشة[1]، فإني أعتقد أن مجمل الوثائق المنشورة بين عامي 1995 و2000 تميل أكثر إلى تأكيد التفسير التاريخي الذي قدمته في هذا الكتاب، سواء فيما يتعلق بالحفاظ على العلاقات العضوية بين السلطة المر كزية والمحافظات[2]، فيما يتصل بالسياسة التي أَنْتَهِجُها تجاه المعابد المحلية أو القومية، أو فيما يتصل بنشر

---

(1) على سبيل المثال: فيما يتعلق بتفسير الألواح الإيلامية الموجودة في أرمينيا (النسخة الفرنسية 962-63، 938)، انظر: العلاجات التي نوقشت في النشرة 1 و25 والنشرة الثانية 44، ولم يغلق باب المناقشة بعد.

(2) مثال ذلك، اكتشاف المستوطنات ومئات الوثائق مؤرخة إلى عهد أرتاكسركسيس الأول والثاني ودارا (Darius) في موقع عين مانـاوير، بالإضافة إلى وصف العمل بقلم ميشيل ووتمانن على شبكة الإنترنت (www.achement.com/recherche/sites/aynmanawir/aynmanawir.htm)، وملاحظاتي في (النشرة الأولى، 32-34 و 88-90، والنشرة الثانية 62 و1006-1008)، وتتجه الاكتشافات الجديدة إلى تأييد موقفي بشأن الحفاظ على الروابط بين المركز والإقليم المصري طوال القرن الخامس قبل الميلاد.

وتكييف الصورة الفارسية في مختلف البلدان[1]، أو حتى فيما يتصل بالظروف الاقتصادية للإمبراطورية عند وصول الإسكندر Alexander [2] .

في الوقت نفسه فإنه كلما أثار تفسير أو آخر التحفظات والمناظرات استطاع القارئ استيعابها بسهولة من خلال النشرة الأولى والثانية وفهارس النشرة الثانية[3] .

باختصار، لكي تصبح المراجعة كاملة وفعالة فلا بد أن تتم المراجعة بناءً على استراتيجية تأخذ الطابع الانتقائي والتركيبي. إلا أن ذلك لا ينطوي إلا على كتابة كتاب جديد، أو على الأقل تغيير جذري في كتاب آخر[4]، وليس هذا هو الغرض من الترجمة الأمريكية المتاحة اليوم، وإنما الغرض من ذلك هو أن نعرض للقراء الناطقين باللغة الإنجليزية كتابًا صدر بالفرنسية منذ خمس سنوات، ويمثل كتابي لعام 1996 حالة من التساؤل عن الأعمال التي نفذها العديد من العلماء،

(1) حول هذه الموضوعات، فقد رجعت إلى نقاط مختلفة في هذا الكتاب، انظر: المعالجة المحددة في النشرة الأولى، 94-97، والنشرة الثانية، 176-184 (على السياسة الدينية) والنشرة الأولى، 98-104، والنشرة الثانية 911-206 (على نشر الصور).

(2) يسهم اكتشاف شبكة من قنوات في عين ماناوير أيضًا في المناقشة حول العلاقة بين فرض الجزية والاستثمارات في الإنتاج، أي نحو الترشيد الاقتصادي للنظام الإمبراطوري الأخميني، انظر: الدراسات التي جمعها بيار بريانت.

(3) انظر: النشرة الثانية، 327-31.

(4) هذا هو الاعتبار الذي أقنعني بإدخال الصور والوثائق المهمة التي يمكن ملاحظتها في النسخ طبق الأصل والتعليقات في النشرة الأولى (11، 16، 18، 21، 26، 34، 41، 67، 69، 74، 101)، والنشرة الثانية (34، 36، 40، 45، 47، 58، 64، 69، 76، 110، 116، 192، 195، 202، 205، 601)، يشمل التصحيح الرئيس الذي لا غنى عنه في الإيضاحات في المنشور الفرنسي إضافة إلى قائمة الإيضاحات من دليل مصدر الرسوم، وهو للأسف قد أهمل إدراج براهين النسخة الفرنسية عام (1996) في الصفحة.

فضلاً عن الانعكاسات التاريخية الخاصة بي. ويستطيع قراء النسخة الفرنسية والأمريكية الاستفادة بسهولة من العديد من الاستعراضات التي نشرت منذ ظهور كتاب تاريخ الإمبراطورية الفارسية في عام 1996[1]. وإذا كانوا يريدون معرفة تطور الفكر البلاغي للمؤلف يمكنهم أيضًا مراجعة الأدوات الببليوجرافية المتاحة، وكذلك التجديدات والتعديلات التي نشرت لي، سواء حول الوثائق الأولية[2] أم حول مشكلات التخطيط التاريخي والأساليب[3] .

وبلا شكّ سيتمكن القراء من تفنيد أطروحات وتفسيرات هذا الكتاب اعتمادًا على تفكيرهم الخاص، وأيضًا في ضوء الإصدارات الأخيرة، وأحيانًا الجديدة.

---

(1) يمكن الاطلاع على القائمة في النشرة الثانية، 8-9، بينما يعرض الآخرون نظرة عميقة للتاريخ الأخميني اليوم.

(2) فقد نشرت بعض التنقيحات الجذرية للنقوش اليونانية ذات الصلة بالتاريخ الأخميني، وتحديدًا نقوش دروفرنيس نقوش زانثوس المكتوبة بثلاث لغات، منها مقالتان نشرتا في عام (1998)، ورسالة إلى دارا (Darius) إلى جاداتاس في دراسة أجريت في الصحافة (متاحة للنشر على شبكة الإنترنت /www.achement.com/ressources/souspresse manuscrits01.htm)، وفي المادة الأخيرة خلصت إلى أن الوثيقة هي تزوير للتاريخ الروماني؛ ولذا أقترح أن تتم إزالتها من مناقشات التاريخ الأخميني، وبالنظر إلى أن هذه الوثيقة هي أحد أهم الوثائق في التاريخ الأخميني، وانها أيضًا أحد النصوص التي قد استشهدت بها كثيرًا في كتابي، فإن هذا يوضح مدى صعوبه محاولة ترقيع وإعادة بناء النص الأصلي بطريقة مرضية.

(3) فعلى سبيل المثال: «الإمبراطورية الأخمينية» في ك. رافلاوب ون.روزتشتين، «مجتمع الجنود والحرب في العالم القديم والعصور الوسطى» (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، (1998)، 28-105).

مقدمة المترجم

إن ما يظهر أمام القارئ هو نسخة شبه مطابقة للطبعة الفرنسية التي صدرت عام 1996. وطبقًا للمخطط الأصلي لهذا الإصدار؛ فإن هذا لم يكن ليحدث؛ حيث إنه كان من المفترض أن تشتمل الطبعة الأمريكية على تصحيحات المؤلف، والتنقيحات والإضافات التي تعكس البحث اللاحق في التاريخ الأخميني، ولكن المؤلف لم يتمكن من الحصول على موادّ إضافية باستثناء مادة واحدة فقط (وذلك للأسباب التي وصفها المؤلف بالأعلى). ويتمثل هذا الاستثناء في الوثيقة التي تم اكتشافها في& 146؛مصر والتي تناقش العادات الآرامية والتي تمَّ الحديث عنها في الفصل 3/9 (385-387). ولقد تم تمييز المقاطع التي أضافها المؤلف بين قوسين في ملاحظات البحث، والتي كان سيتم تنقيحها في النص، تم تمييزها باستخدام ((الأقواس المزدوجة)). ولقد كانت الأشكال والخرائط مرقمة بشكل عشوائي بعض الشيء في النسخة الأصلية؛ لذلك فهي تختلف هنا.

وهذا لا يعني أن هناك أيَّ فارق، فقد تمّ تصحيح مئات المراجع الكلاسيكية، كما يمكن أيضًا إدراج العديد من التصحيحات على الاستشهادات التي تمت من الأدب المعاصر، وذلك من أجل تجنب المخاطر غير المباشرة بقدر الإمكان، وقد تم أخذ الاقتباسات من المصادر القديمة من الترجمات التي صدرت باللغة الإنجليزية (وتظهر هذه

العلامة (*) لكل فقرة من هذا النوع) وذلك بدلاً من ترجمة نسخة المؤلف الفرنسي (لم تكن أشكال الأسماء في الترجمات المنشورة منظمة)، وفي حالات قليلة فقط عندما تكون النسختان متناقضتين تمامًا أو عندما لا يتطابق الاستشهاد مع الترجمات المنشورة؛ فإنه تترجم نسخة المؤلف .

المصادر المستخدمة هي كما يلي:

المصادر الكلاسيكية:

* إيليان (Aelian) ، المزيج التاريخي، ترجمة: ويلسون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1997).

* أرسطو (Aristotle) ، الأعمال الكاملة، تم تنقيح «الترجمات الخاصة بأكسفورد» بواسطة جوناثان بارنز (الطبعة متعددة اللغات 1984).

* أريان (Arrian) ، الزحف العسكري للإسكندر وإندكا، ترجمة: بلونت (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1976: 83).

* أثينيوس (Athenaeus) ، الديبنوسوفيستس، ترجمة: تشارلز بورتون جوليك (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928: 33).

* ديموسثينيس، ترجمة غير معروفة، تحقيق: جون هارينغتون (كل رجل، 1954).

* ديودورس (Diodorus) سيكولوس، مكتبة التاريخ، ترجمة: ولدفاثير، تشارلز شيرمان، برادفورد وليس، روسل ألجير، والتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1933: 67).

* هيرودوت (Herodotus) ، التواريخ، ترجمة: أوبري دي سيلينكوورت (بنغوين، 1954، مراجعة جون مارينكولا 1996).

* إسوقراط (Isocrates) ، ترجمة: جورج نورتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928).

* جوزيفوس، «الحياة : ضد أبيون»، ترجمة: ثاكراي، الحرب اليهودية، ترجمة: ثاكراي، الآثار اليهودية، ترجمة: ثاكراي وآخرين (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1926-65، جزء «13») نيبوس، ترجمة: جون رولف (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1984).

* باوسانيوس، وصف اليونان، ترجمة: جونز، أورميريد (تنقيح) ويشيرليي، (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1918-35 «5» أجزاء).

* أفلاطون Plato ، الأعمال الكاملة، المترجمون مختلفون، جون كوبر، (نسخة هاكيت، 1997).

* بلوتارك (Plutarch) ، الحياة، ترجمة: جون درايدن، مراجعة: أرثروس هيو كلاو (المكتبة الحديثة، 1864)، الأخلاقيات، ترجمة: كول بابيت، (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1931-36، الأجزاء «3-4») .

* بوليانوس (Polyaenus) ، تكتيكات الحروب، ترجمة: شيبارد (شيكاغو، أريس، 1974) .

* بلويبيوس (Polibius) والتواريخ، ترجمة: باتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1922-27 «6 أجزاء»).

* كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) ، تاريخ الإسكندر (Alexander) ، ترجمة: رولف (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1946).

* سترابو (Strabo) والجغرافيا، ترجمة: هوراس ليونارد جونز (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928-30 «الأجزاء 5-7»).

* ثيوسيديدس (Thucydides) ، الحرب البلوبونيزية، ترجمة: كرولي (المكتبة الحديثة، 1951).

* زينوفـون Xenophon ، هيلينيكـا والزحـف العسـكري، ترجمـة: كـارلتون برونسو، أوكونيميكوس وسكريبتا مينورا ترجمة اي. سي. مارشانت، كل ما هـو عـن قورش ترجمة والتر ميلر [بعض الاستشهادات ترجمة اتش. جي. داكنز (كـل رجـل، اصـدار عـام 1992 والـذي هـو إعـادة طبـع لنسـخة عـام 1914)] (مكتبـة لويـب الكلاسيكية، 1914-25).

لقـد أتيحـت لي المصـادر القديمـة الرئيسـة التـي لم تطبـع بالإنجليزيـة وهـي ستيسياس (Ctesias) وجوستين (Justin) .

المصادر الشرقية:

* الآراميـة مـن مصر: ايـه. كـاولى، أوراق الـبردي الآراميـة التـي تعـود للقـرن الخامس قبل الميلاد (1923)، جي. آر. درايفر، وثـائق آراميـة للقـرن الخـامس قبـل الميلاد (1957)، إيميل جي كارلكين، أوراق

* البردي الآرامية لمتحف بروكلين (1953) .

* بيروسوس: بروستين، بابل في عهد بيروسوس (1978) .

* اللغة الفارسية القديمـة، رونالـد كينـت، الفارسـية القديمـة: معجـم نصـوص النحوية (1953) .

الكتاب المقدس:

الكتاب المقدس الخاص بالقدس .

وأود أن أعرب عن امتناني لـ «لاريسـا بونفـانتي»، أسـتاذ الكتابـات الكلاسـيكية بجامعـة نيويـورك، التـي قـدمت لي العديـد مـن الطبعـات المدرجـة أعـلاه، وأيضًـا إلى مـورين جـالوري كوفاكس، وماثيو ستولبر للمساعدة التي قدموها فيما يتعلق بالمصطلحات التقنيـة، وخاصـة في

جمع القطع النقدية والميداليات والمخطوطات القديمة، والاقتصاد القديم، والمجتمع على التوالي، وإلى العديد من المساهمين في المجموعة الإخبارية sci.lang لمناقشتهم معى بعض المصطلحات الفرنسية الغامضة، ولقد حافظت بدقة على تمييز المؤلِّف بين البلدة والمدينة (انظر ص.377)، وبين الهيكل والمعبد .

كما أشعر بامتنان خاص لصديقي الناشر جيم أيزنبراون لتنفيذه هذا المشروع في يوليو 1996، بعد موافقة الناشر الفرنسي على النموذج المقدم، ولقد بدأت الترجمة في نهاية ذلك العام، واستمرت تقريبًا «خلال النصف الأول من الأعوام 1997 و1998 و2000 و2001، ولقد أدخل «جيم» وموظفو التحرير الكثير من التحسينات في أسلوب النسخة الإنجليزية والفرنسية، ولقد استطاع «جيم» بحكم كونه مُصمِّم الكتاب أن يبتكر مظهرًا أنيقًا وعمليًّا في آن واحد .

وبعد صفحات قليلة، سوف يكتشف القارئ أن هذا الكتاب ليس سردًا روائيًّا متصلاً لتاريخ الإمبراطورية الفارسية. علاوة على ذلك، فإنه يتوقع أن يكون القارئ على علم بتسلسل التاريخ الأخميني وبأعمال الإسكندر (Alexander) الأكبر، ومجمل الكتابات اليونانية واللاتينية التي اعتمدت عليها مثل هذه الروايات عن التاريخ الأخميني منذ ذلك الحين وحتى الآن. وقد يجد القارئ أنه من المفيد العودة أولاً لكتاب جوزيف ويسهوفر «بلاد فارس القديمة» (النسخة الإنجليزية، 1996، 1-101)؛ وذلك للحصول على لمحة عامة مشابهة كثيرًا لهذا الكتاب من حيث الموضوع والأسلوب، وللمخطط الزمني الموجود فيه لتسلسل الأحداث بقدر ما يمكن تحديدها. عندها فقط أعتقد أنه يمكننا الاستفادة من هذا الكتاب الذي يهدف إلى توضيح كيف أن المؤرخ يجب أن يقوم بتقييم المصادر المتاحة والاستقراء منها، وهو الهدف الذي تمّ تحقيقه بشكل مثير للإعجاب .

وبشكل واضح فإنّ هذا العمل الضخم يمثل النُّصب الأول عـلى طـول الطريـق السريع الجديد الذي يمر عبر مفترق طرق العالم القديم.

بيتر. ت. دانيلز

نيويورك، مارس 2002

تعقب الإمبراطورية

1- هل كان هناك إمبراطورية أخمينية؟

الإمبراطورية الأخمينية نشأت عن طريق الفتوحات التي قام بها قورش (ca 559-530) (Cyrus) وقمبيز (530-522) (Cambyses) على الأنقاض والأراضي الخصبة التي خلفتها الممالك المختلفة في الشرق الأدنى، ثم قام دارا (Darius) الأول (522-486) بتوسيعها وإعادة تنظيمها. ولمدة تجاوزت القرنين من الزمان، امتدت هذه الإمبراطورية من وادي نهر الهندوس وحتى بحر إيجه، ومن سيرداريا إلى الخليج الفارسي والشلال الأول للنيل؛ واستمر ذلك حتى لقي دارا (Darius) الثالث حتفه جراء مؤامرة، عندما أكمل عدوه اللدود الإسكندر (Alexander) غزوه (عام 330 ق.م) .

إن كلمة الإمبراطورية العادية هذه -كما هو معروف- لا يوجد لها مرادف في أية لغة قديمة؛ حيث تشير نقوش الملك الأكبر إلى كل من الأرض: هي بالفارسية القديمة «بومي»، والشعوب: هي بالفارسية القديمة «داهيو/ داهيافا»، ولقد تحدث المؤلفون اليونانيون عن «الأراضي الملكية» (خورا بازيليوس)، و«سلطة» الملك الأكبر ومرزباناته (أرخى)، وأيضًا عن الملوك، والأسر الحاكمة والمدن

والشعوب». ويدل مصطلح الإمبراطورية على وجـود سـلطة إقليميـة، وفي الحقيقـة فإن هذه هي المشكلة الأساسية التي يثيرها أصـل ونشـأة الإمبراطوريـة الأخمينيـة. ونظرًا للتنوع الثقافي والعرقي فوق المعتـاد وتلـك المجموعـة المتنوعـة مـن أشـكال التنظيم المحـلِّي الـذي تتميـز بهـما هـذه الإمبراطوريـة؛ فهنـاك تفسـيران: أحـدهما يعتبرها كنوع من الاتحاد غير المحكم للبلـدانِ المسـتقلة ذاتيًّـا والـذي يقـوم الملـك الأكبر برعايته من بعيد، ويتمثل الدليل الوحيـد عـلى وجـود مثـل هـذا الاتحـاد في تحصيل الجزية والتجنيد العسكري لأبناء هـذه البلـدان، أمـا الآخـر فإنـه بـدون أن يرفض الأدلة الموجودة على التنوع يؤكد على الدينامية التنظيمية للأنـواع المتعـددة من التدخل من قبل السلطة المركزية والعمليات المكثفـة لـنشر الثقافـة والعـادات الفارسية في تلك البلدان. ويمكن أن يتعرف القارىء على رأيي الشـخصي مـن خـلال صياغتي هذه للمشكلة، فسوف أقوم بتفسير سبب اعتقادي هذا على مدار فصـول الكتاب المختلفة. وهذا بإيجاز هو هدف هذا الكتاب والذي أعرضه الآن على القراء ليقوموا بتقييمه .

2- مِنْ قورش (Cyrus) إلى الإسكندر (Alexander) والعودة مرة أخرى: أجزاء من التاريخ الذاتي للأفراد:

لقد تمّ الإعلان عن هذا الكتـاب في أحـد المقـالات في عـام 1979، ولكـن تمـت كتابته بين ربيع عام 1990 وربيع عام 1993. ولقد قمت بعمـل بعـض التنقيحـات المحدودة للنص وراجعت قدرًا كبيراً من ملاحظات البحـث في عـامي 1994، 1995. ولكن التفكير في هذا الكتاب ولو بشكل تمهيـدي وتحضـيري فقـط، فإنـه يرجـع إلى خمسة عشر عامًا على الأقل. حيث إنه كان تقريبًا في عام 1983/1982 عندما بدأت بتدوين المسـودات الأوليـة، والرسـوم التخطيطيـة والمخططـات التـي تحولـت الآن

إلى ملفات ميتة. وعن طريق الإسهام في هذا الجنس الأدبي العصري - على الأقل في فرنسا - والذي أقصد به التاريخ الذاتي للأفراد، بداية من المقدمة التي كتبتها لمجموعة مقالتي في عام 1982؛ فإني أودّ أن أشرح أصول هذا الكتاب بطريقتي الخاصة .

لم يكن هناك ما يدفعني لتكريس الجزء الأكبر من حياتي للبحث وتدريس التاريخ الأخميني، فعندما كنت مؤرخًا تحت التدريب أثاري التاريخ القديم وذلك أثناء دراستي في بوتيرس؛ ولقد حدث ذلك تقريبًا بالصدفة أو لأكون دقيقًا أكثر بسبب أحد التعليقات لبينجستون، فبدأت أهتم بأحد خلفاء الإسكندر (Alexander) وهو مرزبان فريجيا الكبرى السابق أنتيجوناس الأعور (Antigonus) . ولقد اتخذ هذا الاهتمام شكل أطروحة أعدت تحت إشراف «بيير ليفيك». وهناك عبارة مشهورة في كتاب «حياة يومينيس» (5,9-10) تدور حول المكائد التي كان يدبرها أعداء أنتيجوناس الأعور (Antigonus) في المناطق المحيطة بسيليناي عاصمة فريجيا الكبرى، وهذا ما دفعني لطرح الأسئلة حول وضع الأرض والفلاحين في بداية العصر اليوناني، وهي الأسئلة التي قمت بمناقشتها في مقالة حول هؤلاء الفلاحين (لااووي) في آسيا الصغرى (1972). ولقد كانت هذه هي الخطوة الأولى؛ حيث وقع اختياري في النهاية على الشرق الأدنى أو آسيا -كما أطلقت عليها حينها- وذلك اتباعًا للمؤلفين اليونانيين، ولكنه كان الشرق الأدنى الذي زارته مرة أخرى الجيوش المقدونية/اليونانية وكتّاب التاريخ القدماء والاستعماريون .

وسرعان ما أقنعني إعداد إحدى المقالات المطولة عن «يومينيس حاكم كاريا» (1972-1973) والكتاب الصغير الذي يدور عن الإسكندر (Alexander) الطبعة الأولى، 1974) - بالحاجة للرجوع أبعد من ذلك في الماضي. فما هي تلك الإمبراطورية الأخمينية والتي تمَّ اتهامها دائمًا

بالتدهور بـدون وضعها في سياقها التـاريخي؟ ودائمًـا مـا لفـت نظـري حقيقـة أن «إيبـوجنيس» المـتحمس جـدًّا - والـذي تبعًـا لدرويسـن (كـان يسـتحقّ حـواريين «تابعين» أقل في الناحية العقائديـة) - أصر وبشـكل قـاطع وواضـح عـلى أن الغـزو المقدوني قام بإحداث تغيير جذري في البنى السياسة الاقتصادية والثقافيـة «لآسـيا» من القمة إلى القاع؛ لكن في الوقت نفسه فإنـه لم ينظـر لمـا حـدث قبـل الإسـكندر (Alexander) سوى على أنه مظهر لما جاء بعده. ولقد قادتني تلـك الاستفسـارات إلى أنْ جعـل هـدفي الأول دراسـة شـعوب جبـال زاجـروس، التـي قـدمها المؤلفـون القدماء في صورة قطّاع طـرق لا نهـتم بالزراعـة ولـذلك فهـي عدائيـة «بـالفطرة» (1976). ولقد أدركت باقتناع أكبر وأكبر أن نظرتنا للإمبراطورية الأخمينية وشعوبها قد تعرضت للإفساد بالكامل بسبب تلك التشويهات التي قام بها مؤرخو الإسـكندر (Alexander) . وفي الوقت نفسه فإنه يبـدو لي بالدرجـة نفسـها مـن الوضـوح أن المؤرخين لا يستطيعون تجنب العودة إلى نفس هذه المصادر. ولقد بحثـت في هـذا المجال لسنوات عديدة، وإلى حد ما يعتبر هذا الكتاب إسهامًا في الإجابة عن سـؤال قديم وهو: لماذا سقطت الإمبراطورية الأخمينية على يد العدوان المقدوني؟

ولكن هذا العنوان الذي تم اختياره لا يمثل انعكاسًـا لهـذا الهـاجس الحقيقـي أو، إذا كان بإمكاني قول ذلك، «لذلك البحث عن الكأس المقدّسةِ». ويقصد من هذا أيضًا التعبير عن تلك القناعة طويلة الأمد والتـي تمـت تغـذيتها لفـترة طويلـة بـأن الإسكندر (Alexander) وخلفاءه قد اسـتعاروا قـدرًا كبـيرًا مـن النظـام الأخمينـي، وهي النتيجة التي غالبًا ما عبرت عنها بالصيغة التاليـة «الإسـكندر (Alexander) ، آخر الأخمينيـين». ومثلهـا مثـل أيـة صيغة أخـرى، فهـذه الصـيغة لهـا محـدّداتها، وتحتوي على تناقضاتها الخاصة، وبرغم ما قيـل وحـدث، فإنـه يبـدو لي أن التعبـير عـن الاسـتمرارية منقطعـة النظـير والتـي تميـز تـاريخ الشرق الأدنى بـين فتوحـات

قورش (Cyrus) ووفاة الإسكندر (Alexander) سواء. ولقد استخدم هاينز كرايسج والـذي تعلمـت منـه كثـيرًا، عبـارة «الـدول اليونانيـة الشرقيـة» لوصـف هـذه الاسـتمرارية. ولقـد كانـت المملكـة السيلويسـية في نظـره مثـال واضـح عـلى تلـك «الاستمرارية». ولايجب أن تكون هذه الكلمة مضللة؛ فهـي لا& 146؛تعنـي إنكـار الملاءمة والتكيف الذي أحدثته الفتوحات المقدونية، ولكن وفي الوقت نفسه، فلقد جعلت الأبحاث الأخيرة من الواضـح بدرجـة أكـبر أن الإمبراطوريـة السيلويسـية في أصلها وعناصرها التأسيسـية كانـت عبـارة عـن فـرع تـمّ تطعيمـه في جـذع شـجرة الإمبراطورية الأخمينية .

وخـلال فـترة السـبعينيات وحتـى أوائـل الثمانينيـات، أدركـت بشـكل أوضـح وأوضح أنه على الرغم من أن المصادر الكلاسيكية لا غنى عنهـا إلا أنهـا لا تسـتطيع بمفردها الإجابة عن الأسئلة التي قمت بطرحها. ولقـد كنـت بحاجـة إلى النفـاذ إلى جوهر الإمبراطورية الأخمينية، وهي المهمة التي لم أكن مستعدًّا لها عـلى الإطـلاق. ولحسن الحظ فلقـد أجريـت بعـض المقـابلات الحاسـمة: - أولاً: رومـان غرشـمان، والذي قام بتشجيعي في حوالي عام 1972 للقيام باستكشاف الحقـل الأخمينـي، ولا يمكن أن أنسى أبدًا اهتمامه الزائد بي والذي استمر بدون انقطاع حتى وفاته في عام 1979. وتقريبًـا في عـام 1977 -إذا كنـت أتـذكر بشـكل صـحيح- قمـت بالاتصـال بـ«كلاريسه هيرينشميت» والتي -إن كان بإمكاني قول ذلـك- «أدخلتنـي» إلى عـالم النقوش الملكية الأخمينية. ولقد قمت أيضًا خلال فترة السبعينيات بإجراء اتصـالات تواصلت بدون انقطاع منذ ذلك الوقت مع المجموعة الإيطالية التي يقودها ماريو ليفيراني والذي استعنت بعمله وعمل تلاميذه: ماريو فاليس، لوتشيو ميلانو، وكارلو زاكجنينــي، الـذين اشـتركت ومـا زلـت أشـترك معهـم في الاهتمامـات الموضـوعية والمنظورات التصورية، ولقـد سـاعدتني المحادثـات التـي واصـلت إجراءهـا معهـم كانت حية ومتكررة على وضع الحالة الأخمينيـة في السـياق الأوسـع للألفيـة الأولى

من تاريخ الشرق الأدنى، وهكذا فلقد ساعدتني بشكل أفضل على الأخذ في الاعتبار الدورَ الذي لعبه التراث الأشوري البابلي في بنية الإمبراطورية الأخمينية .

وخلال (1978/1977)، قام جان كلود جاردان، الذي كان في ذلك الوقت يقود بعض الأعمال الاستكشافية حول مدينة «آي خانوم» الهلينية بأفغانستان، قام بدعوتي للانضمام إلى فريق عمله، ولقد دعاني للاشتراك في مناقشاتهم كمؤرخ ولمقارنة السجل النِّصّيّ والسجلّ الأثريّ. وعلى الرغم من أنني لم يكن بمقدوري الاشتراك في العمل الميداني - والذي توقف لأسباب يعرفها الجميع- فلقد علمت بالمساهمة الضخمة التي قدمتها الاكتشافات الأثرية وأيضًا بالتحديات التفسيرية التي مثلتها هذه الاكتشافات بالنسبة للمؤرخ الأكثر معرفة بنص المؤلف: «أريان» أكثر من معرفته بعلبة قمامة مليئة بكسر أثرية من الآنية الفخارية. ولقد قادني هذا التعاون إلى نشر كتاب في عام 1984 حول العلاقة بين آسيا الوسطى وممالك الشرق الأدنى، والذي كان يقع أولاً وقبل كل شيء في سياق التاريخ الأخميني. لقد كانت المناقشة التي تمكنت من متابعتها منذ ذلك الوقت غنية للغاية من حيث النقاشات التي تشعبت منها. وسوف يلاحظ القارئ في الوقت المناسب استمرار الخلافات بيننا. وتظل المشكلة المتعلقة بالطريقة هي: كيف يمكن التوفيق بين الصورة الأثرية والنَّصيَّة، اللتين أدَّيتا إلى خلق تصورين مختلفين حول الإمبراطورية الأخمينية؟ ويمكن أيضًا ملاحظة أن تلك المناظرة لا تقتصر فقط على الإطار المحلّي لإقليم باكتريا.

وخلال النصف الثاني من السبعينيات، عندما انتهيت من دراستي عن «قطاع الطرق» بجبال زاجروس القديمة، قمت أيضًا بإجراء بعض التبادلات بشكل متكرر مع علماء الأنثروبولوجيا الذين تخصصوا في دراسة الحياة البدوية الرَّعَوِيَّة، وبالتحديد مع جان بيير ديجار، حيث إن

شعب الباختريين الذي تحدث عنه كان مشابهًا وقريبًا من شعب الأوكسيين الذي تحدثت عنه، ولقد أدى هذا التعاون الذي امتد لعدة سنوات إلى وضع كتاب حول أجناس وتاريخ الشعوب الرَّعوية في الشرق الأدنى 1982 (b) .ولقد تعرض هذا الكتاب لمشكلة العلاقات بين السلطة المركزية والأقاليم المحيطية في كل من الإمبراطورية الأخمينية وإمبراطوريتَيْ آشور وبابل السابقتين لها، والإمبراطورية الهلينية التي تلتها .

ويَتَّسم عام 1983 في تاريخي الفكري بسطوع نجم ذهبي؛ حيث شاركت للمرة الأولى في ورشة عمل أخمينية في جرونينجن بدعوة من هيلين سانسيسي، وويردنبرج، بعد أن انضمت إليه مؤخرًا إميلي كوهرت أصدر سلسلة استمرت حتى عام 1990 في آن أربور (وهناك بالتعاون مع مارجريت روت). ولأول مرة شعرت بأنني لم أكن أعمل بمفردي، ولم أعلم نفسي بنفسي حول الموضوع الرئيسي الذي أهدف إلى الكتابة حوله. والآن أستطيع الانضمام إلى «المجتمع الأخميني» والذي رغم صغر عدده إلا أنه مَنَحَنِي ميزةً لا يمكن تقديرها تتمثل في عالميته وارتباط أفراده بروابط الصداقة. ومن ثم أستطيع مواصلة المناقشات بشكل أكثر انتظامًا حول إحدى المشاكل التاريخية التي طرحها المنظمون بوضوح، واعتمادًا على مجموعة الأدلة يتميز بنفس القدر من التنوع الذي تتميز به مكونات الإمبراطورية. ولقد كانت العلاقات العديدة التي تمكنت من تكوينها أثناء وخارج تلك الاجتماعات مهمة بالنسبة لي، ولقد أعطت مبادرة هيلين سانسيسي- ويردنبرج وإميلي كوهرت بشكل جذري قوة دفع جديدة للبحث في التاريخ الأخميني. وعلى غرار ورش العمل الأخمينية، قمت أنا وكلاريس هيرنشميت بتنظيم مؤتمر حول الجِزْية في عهد الإمبراطورية الفارسية. ولقد قام كل من بيير ديبور، وريمون ديكا وإدارة مركز جورج راديه في بوردو بعقد اجتماعين، أحدهما يدور حول آسيا الصغرى،

والآخر حول المشكلات النقدية. وقد نظم جين كيلينز حلقة دراسية في Liege خصصت للديانة الفارسية. كما نظم كل من جوزيت إلايي وجان سابان ثلاثة اجتماعات حول سوريا وفلسطين تحت سيطرة الملوك العظماء لبلاد فارس. كما نظمت مؤتمرًا في تولوز حول كتاب «الزحف العسكري» لزينوفون Xenophon ، ولقد تم نشر مداولاته ومجرياته 1995 (b) . وباختصار فلقد أطلقت مبادرة جرونينج نشاطًا فكريًّا مكثفًا ونتج عنها قدر كبير من المقالات التاريخية من الطراز الأول؛ وأدى نشرها بانتظام في سلسلة التاريخ الأخميني وفي العديد من الصحف إلى تحفيز ودعم المناقشات والمناظرات بشكل دوري؛ لدرجة أن النمو المتزايد للكتب والمراجع قد تسبب في بعض الأوقات بإصابتي بالعجز والإحباط. وبقدر ما يعتبر هذا الكتاب عملاً شخصيًّا، إلا أنه يعكس أيضًا أو يراد منه أن يعكس ثراءً وغزارة إنتاج مجال البحث هذا، والذي ظلّ مهملاً لمدة طويلة؛ ولا أقصد باستخدامي لهذا التعبير التقليل من أهمية أو حجم العمل والجهد الذي تمّ بذله لدراسة تاريخ إيران القديم على مدى فترة طويلة من الوقت والذي أخذته في الحسبان، ما أريد قوله ببساطه هو أنه حتى مع تناول تاريخ الإمبراطورية الأخمينية من منظور شامل وعدم الاقتصار على دراسة بعض المواقع الرئيسة مثل صوصا، برسيبولس، باسارجاداي، وبالرغم من المحاولة التي قام بها أولمستيد في عام 1948 لإعادة بناء تاريخ هذه الإمبراطورية والتي لا تزال تنال احترامنا؛ فقد ظل تاريخ الإمبراطورية الأخمينية أحد حقول المعرفة التي لم تكتشف بعد، ولقد أهمله كل من المتخصصين بتاريخ الآشوريين (والذي بالنسبة لهم مثل سقوط بابل في يد قورش (Cyrus) في عام 539 نهاية التاريخ الآشوري)، وأيضًا بواسطة المؤرخين الكلاسيكيين (الذين «اختطفوا» تاريخ الشرق الأدنى ابتداءً مِنْ نزول الإسكندر (Alexander) في آسيا عام 334). وبطريقة ما فإنه نتيجة لأن التاريخ الأخميني قد تم

إقحامه بين «اليونان الأبدي» و«المشرق الألفي»، ونتيجة لأنه تمّ تقاذفه بين الكُتّاب الذين يركزون على التاريخ اليوناني (من إسشيلوس (Aeschylus) وحتـى الإسـكندر (Alexander))، وبـين الكُتّـاب الـذين يركـزون عـلى التاريـخ اليهـودي (ولقـد انكسرت صورة قورش (Cyrus) خلال منشور العودة مـن المنفـى)، ونتيجـة لـذلك كله فإن التاريخ الأخميني لم يتواجد كمجال دراسي منفصل. وهكـذا فلقـد أعـادت مبادرة كل من هيلين سانسيسى وويردنبرج وإمـيلي كـوهرت الدراسـات الأخمينيـة بصورة قوية إلى مجال التاريخ، ولقد قابلهم في سبيل تحقيـق ذلـك بعـض المشـاكل التي تمكنْتُ من التعرف عـلى عناصرهـا وأعمـدتها بسـهولة كبـيرة لأننـي بـدأت في محاولة تعريفها بمفردي .

ويظل هناك جانب واحد لكتابي هذا عن تاريخ الأشخاص، والذي أودّ التطـرق إليه بصراحة، كما فعلت في العديد من المناسبات الآن وفي السنوات القليلة الماضية خلال الإصدارات والمحادثات الخاصة مع الزملاء والطلاب. ويمكننا أن نجد المصـادر المكتوبة التي تتناول التـاريخ الأخمينـي مطبوعـة بمجموعـة متنوعـة مـن اللغـات: الفارسـية القديمـة، الإيلاميـة، البابليـة، المصريـة، الآراميـة، العبريـة، الفينيقيـة، اليونانية، واللاتينية، وهذا دون أن نذكر اللغة الليدية والليسية، الفريجية، الكارية، أو أية لغة أخرى لم نـتمكن مـن ترجمتهـا. ويجـب أن أصرح مـن البدايـة بـأنني لست بأيِّ حال من الأحوال متخصصًا في أي مـن تلـك اللغـات، فبالكـاد يمكننـي فهم اللغة اليونانية واللاتينية، وقد يعتبر هذا الأمر عائقًا منيعًا. وعلى الرغم مـن أن المصطلح «عائق» يعبر عن حقيقة غير قابلة للنقاش فإنني أعتقد أنه لا يجب أخذ الصـفة «منيـع» بمعناهـا الحـرفي. لتبريـر هـذا الموقـف، فأنـا بحاجـة لشرح طريقة عملي. وأولاً وقبل كـل شيء فهنـاك تـرجمات للنصـوص الأساسـية يسـهل الوصول إليها سواء كانت للنقوش الملكية، أم لبعض الألواح الإيلامية المختارة، أم

للوثائق الآرامية من مصر أو أيّ مكان آخر، أم لعدد معيَّن مـن الألـواح البابليـة، أم النقوش الهيروغليفية؛ وهذا لإعطاء عينة فقط من المصادر المتاحة. ولكـن لا يكفـي استخدام النصوص المترجمة. فمن الضروري العودة إلى النصوص الأصلية، على الأقل مع النصوص الأكثر أهمية. ويمكن تطبيق ذلك على العديـد مـن الوثـائق التـي تـم كتابتها بحروف لغةٍ أخرى. فهناك مؤرخ ذاتي التعليم والذي يستطيع التعـرف عـلى ما أطلق عليه الكلمات البارزة، أو الكلمات الرئيسة التي تعطي للنص معناه، وعند تلك النقطة يجب العودة إلى الدراسة الشاملة للأدب المقارن، وذلك على الرغم من مدى صعوبة ذلك، وهذا ما حاولت فعلـه بشـكل منـتظم بقـدر المسـتطاع؛ ولهـذا السبب سمحت لنفسي هنـا وهنـاك بـالخوض في نقاشـات ومنـاظرات قـد يمنعنـي جهلي باللغات وتاريخها من الاقتراب منهـا. وأعتقـد مـن وقـت لآخـر أن مقترحـات المؤرخ قد تتيح التأكيد المستقل للتفسير اللغوي المقـارن؛ ومـن ثـم، فعنـدما تظهـر إحدى المشاكل التي لا أستطيع حلها فغالبًا ما أستعين بالنصيحة ومشورة الأصـدقاء والزملاء الذين لم يبخلوا عـليّ بحكمـتهم. مـا هـو عـدد الرسـائل الإلكترونيـة التـي تبادلتها مع «مات ستولبر» -على سـبيل المثـال- حـول الألـواح البابليـة التـي تعـود للعصر الأخميني؟ ويجب أن يفهم بشكل واضح أنني لا أجيز الجهل، ولست أعجـز عن التعرف على حدود التعليم الذاتي. فستكون معجزة أن أمتلـك تـدريب المـؤرخ وأكون قادرًا الوقت نفسـه الوقـت عـلى فهـم وإدراك جميـع لغـات الإمبراطوريـة. ولسوء الحظ -وعلى حد علمي- فإنه لا يوجد طائر بمثل هذه المواصفات، وعلى أيّ حال فإنه لا تغريدي ولا ريشي يمكناني من ادِّعاء مثل هذا التميز.

وعلى الرغم من كل الاحتياطات التـي قمـت باتخاذهـا، فـما زلـت أدرك المخاطر التي افترضت أنها سـتواجهني في محـاولتي لتقـديم هـذا الكتـاب الـذي يـدَّعي شـموليته سـواء بشـكل شرعـي أم لا. ونتيجـة

لإخفاقاتي، ولعدم تمكني من الحصول على الوثـائق جميعهـا، وأيضًـا نتيجـة للعـدد المتزايد من المناظرات المُلِحَّة، أو حتى كنتيجة للتقدم غير المتسـاوي عـلى صـعيدَي الدراسات الموضوعية والدراسات الإقليمية؛ فإن اسـتخدام كلمـة «شـامل» قـد يثـير الارتباك أو حتى الضحك. وتتمثل المشكلة في أنني منـذ لحظـة بـدئي لهـذا المشروع تعرضت لنوع ما من الموسوعية مع جميع المخـاطر والأوهـام التـي تصـاحب هـذا المنظور فلم أملك حريـة تجنـب بعـض المناقشـات أو غيرهـا، وذلـك إعـتمادًا عـلى إهتمامي بهذا السؤال أو ذاك أو معرفتي بهذا المجال أو ذاك، ويتطلب هذا النـوع من التأليف -بالضرورة- أن يعالج المؤلف كل سِمَة ومُكوِّن، سـواءَ كـان سياسـيًّا، أم أيديولوجيًّا، أم اجتماعيًّا، أم اقتصاديًّا، أم دينيًّا، أم ثقافيًّا ... إلخ، ومحال دمجهم معًا إلا بقدر المستطاع في تفسير عام؛ ولهـذا يجـب أن أسـتعين بجميـع ملفـات الأدلـة، ولكني أيضًا لم أستطع استكشافها بشكل كامل، وفي بعـض المجـالات لم يـؤدِّ اتسـاع وتعقد المناقشات، بالإضافة إلى ما بها من تناقضات بين المتخصصين في هـذا المجـال أو ذاك - إلى عروض محددة جيدًا من جانبي (أتذكر من بين أمور أخرى، النزاعـات التفسيرية والتاريخية حول عزرا (Ezra) ونهيميا (Nehemia))، ومن جهة أخـرى، سوف يجد القارئ على الأقل في ملاحظات البحث «طريقة» أي أنه ليسـت الكتـب والمراجع فقط هـي السـبب وإنما هنـاك أسـباب أخـرى للتفسـيرات المختلفـة. وفي الحالات الأخرى اتخذت موقفًا أقوى وقدمت تفسـيراتي الخاصـة، وأتمنـى أن يـؤدي هذا الكتاب إلى ظهور تحقيقات جديدة متخصصة، بـدون شـك سـوف تعيـد فـتح باب المناقشة حول العديد من التفسـيرات التـي قـدمتُها غالبًـا في شـكل مقترحـات بديلة صريحة .

3- المؤرخ ودلائله:

من أحد الخواص البارزة للتاريخ الأخميني أن الفرس على خلاف معظم الغزاة لم يتركوا شهادات مكتوبة حول تاريخهم بالمعنى القصصي للكلمة، ومن الواضح أنه على عكس الملوك الآشوريين لم يكن لدى أباطرة الفرس سجلات تاريخية لحفظ وتمجيد ذكرى أعمالهم العظيمة في ميدان المعركة أو خلال رحلات الصيد؛ فلا نملك عرضًا تاريخيًّا لتسلسل الأحداث أعده علماء البلاط الملكي بأمر من أحد أباطرة الفرس. ووفقًا لـ«ديودورس (Diodorus) » (4.32 II)، فإن ستيسياس (Ctesias)- وهو الطبيب اليوناني الذي كان في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، ومؤلف كتاب « Persica » (بلاد فارس)- كان يتباهى بأنه تمكن من الوصول إلى «السجلات الملكية (باسيليكاي دفتراي) والتي يحتفظ فيها الفرس -بموجب قانون معين (نوموس) خاص بهم- بروايات تسجل شؤونهم القديمة»، ولكن، لا يوجد أي دليل آخر - ولو بسيط جدًّا - على وجود مثل هذه السجلات التاريخية الفارسية، وذلك باستثناء التقليد المشكوك فيه الذي ظهر مؤخرًا والذي يعزو تدميره إلى الإسكندر (Alexander) ، وعلى سبيل المثال فإن السجلات التي أشار إليها محرر كتاب عزرا (Ezra) (6: 1-2) هي سجلات إدارية، وكانت تحفظ في دور المحفوظات المرزبانية الملكية تلك (باسيليكاي جرافاي، كارامارو سا ساري) توثق القرارات المهمة مثل: منح الأرض أو إعادة تخصيصها، وأيضًا الوثائق المالية، ويحتمل أن هيرودوت (Herodotus) قد استعان بمثل هذه الوثائق (والتي كانت توجد في العديد من العواصم الإمبراطورية والمرزبانية) في إعداده لقائمة الجِزْية المعروفة الخاصة به، ولكن قيام هيرودوت، ذلك المؤرخ الذي ينتمي إلى هاليكارناسوس (Halicarnassus) بجمع بياناته الإدارية بنفسه من خلال إجرائه مقابلات مع أشخاص من تلك الأقاليم التي وقعت فيها الأحداث التاريخية الهامة

وهي الطريقة التي أشار اليها في أماكن عدة من مؤلفه - هـو مـن الأمـور التـي لا اخـتلاف عليهـا، ومـن المحتمـل بدرجـة أكـبر أنـه عـلى الأقـل في كتـاب « » اعتمـد ستيسياس (Ctesias) على شهادات شفوية، كما أوضـح فوتيـوس (Photius) الـذي قام بتلخيص ذلك المؤلف (Persica ، فقرة 1)، وهذه بالتأكيد هي الطريقـة التـي سمع بها كل من هيرودوت (Herodotus) ، ستيسياس (Ctesias) ، والعديـد مـن المؤلفين اليونانيين الآخرين حول الروايات المختلفة للأساطير التي تـم نسـجها حـول مؤسس الإمبراطورية «قورش» (Cyrus) قاموا بعدها بإعادة نقل ما سمعوه. ولقـد تم نشر تلك الحكايات التهذيبية حول الفضائل الملكية في جميع أجزاء الإمبراطورية من وجهة نظـر «الأشـخاص المثقفـين»؛ وهنـا تكمـن الأهميـة التـي يـتم إعطاؤهـا للروايات الأخمينية على سبيل المثال التي رواها أحد المؤلفين المتأخرين وهو إيليان (Aelian) ، ومن الواضح أنه استمد معلوماته من هـيرودوت (Herodotus) ذاتـه أو من أحد أعضاء البلاط أمثال ستيسياس (Ctesias) ، ومن وجهة النظر هذه، فإن المثال الأكثر بروزاً هو تلك الفقرة التي ينقل لنا فيها بوليبيوس (X.28) (Polybius) في صورة كتابية إحدى المعلومات الإدارية الأخمينية الهامـة للغايـة والتـي حفظهـا الفلاحون الهيروكانيون في ذاكرتهم عبر الأجيال، وعـن طريـق سلسـلة مـن الصُّـدَف منقطعة النظير، كان الشخص المسؤول عن حفظ السجلات الملكية موجـودًا عنـدما قام رؤساء المجتمعات الهيروكانية بنـاءً عـلى طلـب مـن أنتيوخـوس (Antiochus) الثالث بسرد الامتيازات التي تمتعوا بها منذ ذلك الوقت «الذي كان فيه الفرس هم سادة آسيا»؛ ولكن يجب التأكيد على أن المعلومات كـان يمكـن أن تفقـد كليًّـا لـولا أنها كانت ذات أهميـة مبـاشرة أثنـاء الحملـة العسـكرية التـي قادهـا ذلـك الملـك السيلويسي في وسط آسيا، ولقد وجد بوليبيوس (Polybius) هـذا التقريـر في أحـد المؤلفات هو مفقود الآن .

نحـن لا نجـرؤ عـلى التقليـل مـن أهميـة نقـل الروايـات بصـورة شـفوية في

أراضي الشرق الأدنى خلال الأغاني والقصص، التي أعدها المجوس «سادة الحقيقة»، حيث قام الفرس أنفسهم بنقل أعمال ملوكهم وذكرى الأبطال الأسطوريين من جيل إلى جيل، وأصبح الصغار بدورهم المُسْتَوْدَع الذي يحتوي على كل تلك التقاليد الشفوية، وفي المخيلة الجماعية للشعب الفارسي. وفي التصريحات الملكية تم خلط التاريخ مع التعبيرات الأسطورية وتسلسل السلالة الملكية، وذلك جزئيًّا باستثناء النقش التذكاري ثلاثي اللغة الذي حفره دارا (Darius) على ذلك المنحدر في بيهيستون. ولا تعتبر النقوش الملكية روايات قصصية، فلا توجد فيها إشارة واحدة مباشرة عن الفتوحات أو الحملات العسكرية، بدلاً من ذلك نجدها تحتفي بطلاقة قدرة الإله العظيم أهورا-مازدا، الدوام التاريخي لمبدأ أحقية السلطة الملكية في تولي السلطة والتألق الذي لا& 146؛يُضَاهَى للفضائل الملكية؛ ويأتي في إطار هذه النقوش أيضًا كتاب «المحسنون» الذي يشير إليه كل من هيرودوت (Herodotus) الكتاب الثالث، فقرة 140؛ الكتاب الثامن، فقرات 85-86 ومؤلف كتاب « Esther » (الكتاب السادس، فقرة 1)؛ حيث يحتوي على حصر بأسماء الأشخاص الذين قدموا خدمات جليلة للملك الأكب؛ يحق لهم بسبب ذلك الحصول على جائزة من الملك، ولذلك فإن له دوره في إعلاء وتمجيد سلطة الملك، ولم يكن الهدف من وراء الفن الذي تمّ إنتاجه في البلاط الأخميني قصصيًّا في حد ذاته. كان يتم تصوير كل من السلطة والملك في صورة اتجاهات غير مرتبطة بزمان معين، فلا يتم تصوير ملك معين في موقف تاريخي ما، وهذا ينطبق على الصور الملكية الموجودة على الأحجار، والعملات المعدنية بالإضافة إلى الأختام، وتم كتابة تاريخ الفرس في الوقت الثابت واللانهائي للملك، ولذلك فإنه لا& 146؛يمكن تحديده أبدًا باستخدام الوقت الذي كان يقيس به الفرس أنفسهم التاريخ .

وهكذا فلقد ترك الأباطرة والمواطنون الفرس مهمة مراقبة ذاكرة

تاريخهم إلى الآخرين، وهنا نتعرض لحالة استثنائية؛ حيث يجب علينا إعادة بناء الخيط القصصي للتاريخ الأخميني من خلال الكتابات التي أنتجها مواطنوهم وأعدائهم؛ وهنا تكمن السلطة والقوة التي تم نسبتها ولمدة طويلة إلى المؤلفين اليونانيين، ومن المفهوم أن أغلبهم ألف كتبًا خصصت لإحياء ذكرى اليونانيين، وفي أثينا خلال القرن الرابع والخامس، تمّت تلك الكتابات المخلدة لذكرى الأثينيين على أسس معدة بشكل جيد لتخليد ذكرى المواجهات التي دارت بينهم وبين الفرس والانتصارات التي حققوها على «البرابرة الآسيويين»، ومن بين هؤلاء المؤلفين، هناك مؤلف يحمل مكانة خاصة وبارزة، هو هيرودوت (Herodotus) ، الذي على عكس أغلب معاصريه لم يظهر أي أدلة على عداء منتظم للفرس؛ ونتيجة لذلك قام بلوتارك (Plutarch) بتوجيه إتهام إليه بأنه «صديق للبربر» (فيلو بارباروس)، ويتمثل هدف روايته التاريخية في فهم وشرح جذور الحروب الفارسية ضد بلاد اليونان على الرغم من قدمها، وهذا يعطينا ميزة الحديث بشكل مطول يأخذ شكل الرجوع إلى الماضي حول مؤسسات وتاريخ العديد من شعوب وممالك الشرق الأدنى، وبالتحديد مصر، وأيضًا يعطينا ميزة الفصول المثيرة حول أحداث تاريخ الفرس: فتوحات قورش (Cyrus) ، واستيلاء قمبيز (Cambyses) على مصر، واعتلاء دارا (Darius) العرش، والإصلاحات التي أدخلها حول تنظيم الجِزْية، بالإضافة إلى الحديث بشكل مطول حول التنظيم الداخلي لشعوب الفرس وعاداتهم الاجتماعية الرئيسة، وبالطبع بعض الروايات الطويلة للغاية حول الثورة الأيونية (493-500)، وحروب الفرس (479-490)؛ وعلى الرغم من فجواتها وعيوبها، تركت الانفراد غير المتوقع لروايات هيرودوت في عام 479 مؤرخ التاريخ الأخميني كاليتيم، ويُعَدّ ثيوسيديدس (Thucydides) من الكُتَّاب الذين خلفوا هيرودوت (Herodotus) في الحديث عن

الإمبراطورية الأخمينية، ولكنه لم يكن مهتمًّا بها سوى بشكل سطحي للغاية، وبالنسبة لزينوفون (Xenophon) وديودورس سيكيولس (Diodorus Siculus) ، يميل مَنْظُورهم غير المتوازن إلى إعطاء أهمية لذلك الجزء من الإمبراطورية، الذي يقع على البحر المتوسط لا تتناسب مع حجمه. وفيما عدا كتاب «الزحف العسكري» لزينوفون (Xenophon) ، لم يقم المؤرخون القدماء بالتوغل في عمق الأراضي الإمبراطورية حتى وقت الحملة التي قادها الإسكندر (Alexander) ضد بلاد فارس، حيث قاموا بتتبع خُطَى ذلك الفاتح .

وأخيراً، فلقد خَصَّص العديد من المؤلفين القدماء مؤلفات تتناول بلاد فارس التي كانت تسمى (Persicas) ، ضاع أغلبها، ولقد سمعنا عنها فقط من خلال أجزاء منها (مقتطفات اقتبسها المؤلفون اللاحقون)، ويتمثل أطول هذه الأجزاء التي ما زالت باقية في الملخص الذي كتبه الأب فوتيوس (Photius) لكتاب «بلاد فارس» الذي ألفه ستيسياس (Ctesias) ، والذي يحزنك عند قراءته، أنَّ ذلك المؤلف الذي عاش حوالي خمسة عشر عامًا في البلاط الملكي لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني لم يقدم شيئًا سوى وجهة نظر متحيزة غلبت عليها المكائد الملتوية للأميرات الشريرات والمؤامرات المظلمة للخصيان المُحتالين؛ وبلا شك فإنه أحد المذنبين الرئيسيين في نجاح هذا المنظور الناقص للغاية والذي يمثل أيديولوجية معينة عن العالم الأخميني، فوَصْفُه لبلاد فارس يحتوي على بعض الإشارات إلى «العادات والآداب الشرقية» في الفترة الحديثة، ولقد قام بتحليل قصور ملوك الشرق الأدنى من خلال سلسلة معقدة من القراءات ممّا أثار كثيرًا من الجدل، غالبًا ما نفذت إليها ملاحظات عن تذمر النساء وتدخلاتهم وانحلال السلاطين. أما بالنسبة إلى زينوفون (Xenophon) فقد كتب تاريخًا رومانسيًّا طويلاً تسمّى (Cyropaedia) ، ولقد خصصه -كما يشير العنوان- إلى التعليم

الذي تلقاه قورش (Cyrus) عندما كان صغيراً، ومـن المـؤكـد أن شخصيــة قــورش (Cyrus) التـي عرضهـا لـم تكـن شخصيـة قــورش (Cyrus) التاريخيـة وإنمـا كـان نوعًا من التجسـيد النمـوذجي للفضـائل الملكيـة، ومـن ثـم فمـن الضروري في كـل خطوة، التمييز بين لب الحقائق الأخمينية وبين وجهة نظر اليونـانيين، وهـذا لـيس سهلاً دائمًا، ولا يوجد ما يثير الدهشة في أن المؤلفين اليونانيين بوجه عام قاموا بنقل رواية متحيزة بدرجة كبيرة للثقافة اليونانية عن تاريخ وعـادات الفـرس، تمامًـا كـما هـو الحـال في بعـض كتـب التـوراة، مثـل: نهيمـيا (Nehemiah) ، عـزرا ((Ezra، Esther)) ، وجوديث (Judith) ، والتي قدمت تاريخ الفـرس مـن منظـور يهـودي مُوَحَّد؛ ولكن لا يستطيع المؤرخون اختيار مصادرهم؛ فبالنظر إلى الأدلة المتوافرة، لا نجد أمامنا خيارًا آخر سـوى الاعـتماد الشـديد عـلى الكتابـات التاريخيـة اليونانيـة لإعادة بناء الخيط القصصي، ولكن كثيراً ما يخرج المؤرخ عن مساره، أو حتى يصاب بالإحباط نتيجة طبيعة تلك المؤلفات التاريخية، ويصبح الموقف في غايـة الصـعوبة إذا قـرر المـؤرخ الاستغنـاء عـنهم! ولقـد قـام بعـض المـؤلفين المتـأخرين (أثينيـوس (Athenaeus) ، إيليان (Aelian)) بحفظ قدر هائل من المعلومات حـول شـخص الملك الأكبر، وحياة البلاط الملكي، والتـي بمجـرد حـل شـفرتها تتـيح للمـؤرخين حـل شفرة ما كان من علامات لإمبراطورية (راجع فصل 5-7)، ومن خـلال وجهـة النظـر التي تعتمد على طريقة الإعداد فإن هـذا الكتـاب والتفسـيرات التـي بداخلـه هـي نتيجة لتفكيك وهدم النصوص الكلاسيكية، وهي العملية التي حاولتُ مـن خلالهـا توضيح أنه مهما كان النص اليوناني يتسم بكونه مؤيِّدًا لحزب معـين ولأيديولوجيـة معينة، وعندما نضعه في إطار شبكة النصوص الأخرى المرتبطة بـه يمكـن أن يـؤدي إلى قراءة مثيرة للتـاريخ الأخمينـي، وعـلاوة عـلى ذلـك، تتطلـب الحالـة التاريخيـة للتصريحات والصور الملكية المنظور نفسه تمامًا .

ولحسن الحظ، لدينا أيضًا سجلات من السلطة المركزية؛ حيث تعكس النقوش الملكيــة بصــورة صــادقة نظــرة أبــاطرة الفــرس إلى ســلطتهم، وفضــائلهم، وحــدود إمبراطوريتهم كما أنها تقدم أيضًا معلومات مهمة للغاية حول أنشطتهم الإنشـائية، لكن وبدون شك، فـإن الاكتشـاف الأكـثر أهميـة هـو تلـك المجموعـة الكبـيرة مـن المحفوظات المنقوشة على الطمي والمعروفة بـألواح برسـيبولس، والمكتوبـة بشـكل مسماري باللغة الإيلامية التي تحتوي أيضًا على بعـض الكلـمات الفارسـية، وتقـدم هــذه الألــواح صــورة بيروقراطيــة مختلطــة الأوراق لــلإدارة الإمبراطوريــة والتــي لا نستطيع الحصول عليها من خلال المصادر اليونانية، ولكن هـذه الصـورة لـن تعتـبر مفاجأة نظرًا لأن الفرس هم ورثة التقاليد الآشورية-البابلية، وهــي الصـورة نفسـها التي ينقلها العديد من الوثائق الآرامية التي وجـدت في مصر، ولقـد عرفنـا بـبعض المراسيم الملكية والمرزبانية من خلال ترجمتهـا إلى اللغـات المختلفـة للإمبراطوريـة، وهذا ينطبق على رسالة تم عمل نسخة منها باللغة اليونانية وجهها دارا (Darius) إلى جاداتاس (Gadatas) ، أحد مدرائه في آسيا الصـغرى، وأيضًـا الرسـائل المكتوبـة باللغــة الديموطيقيــة بــين فارانــداتيس (Pharandates) مرزبــان مصر، والكهنــة المسؤولين عن إدارة معبد الإله خنـوم في جزيـرة فيلـة؛ وبوجـه عـام، توضـح هـذه الوثائق الأشكال العديدة لتدخل السلطة المركزية في الشؤون الداخلية بالإضـافة إلى التعدد اللغوي الواضح الذي اتسمت به الإمبراطورية والذي تمّ التلطيف من حدته عن طريق استخدام اللغة الآرامية على نطاق واسع. ويجب أن يضاف لتلك الوثائق المكتوبة القدر الضخم من الأدلة الذي نحصل عليه من الاكتشافات الأثرية والصور والأيقونات ودراسة القطع النقدية والأوسمة من بحر إيجه حتى نهر الإندوس .

وعندما تضاف الأدلة التي تأخذ شكل صور وأيقونات، سواء كانت عبارة عن آثـار تذكاريـة أو فنـون بسـيطة في القصـور الملكيـة أو مـن

الأقاليم إلى المصادر المكتوبة (النقوش الملكية، الألـواح الإيلاميـة والبابليـة، النقـوش المكتوبة باللغات الفينيقية، الآرامية، المصرية، الليديـة، الليسـية، أو المكتوبـة بـأكثر من لغة واحـدة، أوراق الـبردي الآراميـة، المؤلفـون الكلاسـيكيون ... الـخ)، فحينئـذٍ يستطيع المؤرخ الحصول على قدر من الوثـائق المتنوعـة والمثـيرة، لكـن مـع تجمُّـع هذه المجموعات المتنوعة معًا فإنها تعاني من إعاقـة مزدوجـة؛ حيـث إنهـا موزعـة بتفاوت كبير من حيث الزمان والمكـان. وتخلـو بعـض أجـزاء الإمبراطوريـة وخاصـة المرزبانيات التي تقع على الهضبة الإيرانية وفي آسيا الوسـطى ووادي نهـر الإنـدوس (الهندوس) - مـن أيـة وثـائق مكتوبـة تقريبًـا، ولا نجـد حتـى فتوحـات الإسـكندر (Alexander) أدنى قدر من المعلومـات الأدبيـة عنهـا؛ ومـن هنـا تنبـع الأهميـة الكبيرة للأدلة الأثرية والتـي تشـتمل عـلى قـدر كبـير مـن الصـعوبات التفسـيرية الخاصة بها، ومن جهة أخرى، فهناك وثائق تغطي الأحداث التي وقعت في بعض المناطق الأخرى بشكل منقطع النظير؛ فبالإضافة إلى بـلاد فـارس نفسـها (الألـواح الإيلامية)، يمكننا أن نذكر تحديدًا: سوسيانا (حيث تتوافر كل مـن الأدلـة النصـية والأثرية التي توثق المشروعات التشـييدية الملكيـة)، مصر (الوثـائق الآراميـة مـن فيلة وسقارة، أوراق البردي المكتوبة باللغة الديموطيقية، النقـوش الهيروغليفيـة)، وإقليم بابل (آلاف من الألواح)، وبشكل واضـح آسـيا الصـغرى، لـيس فقـط مـن خلال المؤرخين اليونانيين، وإنما أيضًا من خلال الأدلـة المتـأخرة المكتوبـة باللغـات اليونانية، الآرامية، أو التـي كتبهـا الفـرس المنـتشرون في الأناضـول بـاللغتين معًـا، وعلاوة على ذلك، فإن بعض المعلومات التي تم الحصول عليها من بعض المواقـع الإقليمية - لها أهمية بالغة، وينطبق هذا عـلى مدينـة زانثـوس في إقلـيم ليسـيا، حيث استمر الأمراء هناك في بناء نوع مختلف من النُّصب التذكارية التـي تظهـر عليها نقوشٌ كتبـت باللغـة الليسـية واليونانيـة، هـذا بالإضـافة إلى مشـاهد مـن

البلاط الملكي تشهد ما بها من صور على التأثير الأخميني، ولقد تم في عام 1973 اكتشاف أحد الوثائق المكتوبة ذات أهمية بالغة: وتتمثل تلك الوثيقة في بلاطة حجرية منقوش عليها نص بثلاث لغات - الآرامية، والليسية، واليونانية - واكتسبت على الفور شهرة واسعة النطاق، ولقد تم تحديد تاريخ كتابتها بشكل قاطع بأنه كان في السنة الأولى من حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الرابع (336-338)، وهو الإمبراطور الفارسي الذي لم نكن نعرف عنه شيئًا حتى اكتشاف تلك الوثيقة باستثناء اسم أرسيس (Arses) التي كانت تسميه به المصادر الكلاسيكية بشكل منتظم («أرسو» باللغة البابلية)، ولكلِّ هذه الأسباب سوف أتوقف كثيراً عند زانثوس (Xanthus) ، التي تبدو للمؤرخ كنموذج مصغر يمثل السلطة الفارسية في التقسيمات الإقليمية الفرعية للإمبراطورية وهو النموذج الذي ظل سائدًا من عهد قورش (Cyrus) وحتى مجيء الإسكندر (Alexander) ، وفي الوقت نفسه، يشير هذا المثال إلى الصعوبات التفسيرية التي تنجم عن غلبة المصادر التي تأخذ شكل اكتشافات أثرية وأيقونات وصور .

وهذه الأدلة موزعة بشكل متفاوت من حيث الزمان بقدر ما هي موزعة بدرجة متفاوتة من حيث المكان؛ حيث تتركز الوثائق الخاصة بالسلطة المركزية بدرجة واضحة في الفترة من فتح قورش (Cyrus) لبابل وحتى منتصف القرن الخامس ق.م، أي منذ تاريخ آخر الوثائق التي توجد في برسيبولس، بالكاد يمكننا أن نستنتج تاريخًا كاملاً من الأدلة التي تقدمها لنا هذه الفترة بمفردها، ولقد تم توثيق فترتي حكم كل من أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول (424 /425-465) ودارا (Darius) الثاني (359/358-405/404) بشكل جيد نسبيًا، وهذا بفضل الوثائق المتأخرة التي وجدت في برسيبولس، وسجلات موراسو في إقليم بابل، بالإضافة إلى الوثائق الآرامية الموجودة في مصر. ولكن بدايةً من عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني (405/404-359/358)، يجب

علـى المـؤرخ اللجـوء إلى تقـارير المـؤرخين اليونـانيين عـلى الأقـل لمعرفـة الحقـائق الأساسية، وكما ذكرنا سابقًا، فقد تركز اهـتمامهم عـلى السـاحل الإيجـي، والشـؤون العسكرية-الدبلوماسية، ومؤامرات البلاط الملكي، واسـتمر هـذا الوضـع حتـى عهـد دارا (Darius) الثالث (330-335) والذي نجد قدرًا كبيراً من الوثـائق التـي تغطـي الأحداث التي وقعت فيه، تحديدًا تلك التي أنتجها مؤرخو الإسكندر (Alexander) والتي تمثل مصدرًا ذا أهميـة استثنائية للتـاريخ الأخمينـي بمجـرّد أن نـتمكن مـن تفسير معانيها، كما سوف نرى في (الفصول من 16-18) .

4- المكان والزمان:

تُظْهِر الملاحظات السابقة الصعوبات البالغـة التـي سـتواجه أي شـخص ينـوي كتابة مؤلف تحليلي عن تاريخ الإمبراطورية الأخمينية، حيث إنـه يجـب أن يتبنـى منظورًا بعديًّا ينظر للأحداث بعد وقوعها، ورؤية متزامنة مع الأحداث، والامتيازات الإقليمية في آن واحد، ومع أن الإمبراطورية كانت كيانًا واحدًا، فقـد كـان لهـا صـور متعددة بسبب طول عمرها، وبسبب التشكيلة الكبيرة من الـبلاد والثقافـات التـي كانت تشتمل عليها؛ وهنا تظهر أهمية الوثائق مرة أخرى، فكيـف يسـتطيع الفـرد تأليف تاريخ عالمي عن العصر الطويل لأحد الإمبراطوريات في الوقت الذي لاتوجـد عندنا أدلة سوى عن عقود وأماكن قليلة؟

وللأسباب نفسها: أين؟ وكيف؟ وبأيّ مبرر نستطيع إنشاء أقسام تاريخية تعـبر عن تطور داخـلي قابـل للتحقيـق والإثبـات؟ فـلا يوجـد سـبب يـدعونا لإهـمال تلـك الفترات التي تفصل بين موت أحد الملوك واعتلاء خليفته للعـرش، ولكننـا لا نسـتطيع أن ننسب إليهم قيمة توضيحية تحديدية؛ لأنه مهما كانت المكانة المركزية التـي كـان يحتلها الملك الأكبر فإن الأحداث التي يشـتمل عليهـا تـاريخ الإمبراطوريـة لا يمكـن أن

يتم اختزالها إلى مجرد الحوادث المرتبطة بتاريخ أفراد الأسرة المالكة؛ ولذلك فإنه من الضروري مقاطعة خيط تسلسل الأحداث بفصول موضوعية .

وعلى الرغم من التوزيع السيئ للأدلة، فلقد جازفت بكتابة تاريخ عام في جميع الجوانب التي قمت بسردها، وينطوي مصطلح «المجازفة» على بعض الادِّعاء، لأنني قمت بتعريف أجزاء عديدة من الكتاب وفقًا لتوزيع الأنواع المختلفة من الأدلة زمانيًّا ومكانيًّا، وما أحاول قوله هنا هو أنني حاولت إعادة الأهمية الكاملة للقرن الرابع، الذي غالبًا ما يساء فهم تطوره، أو تتم معالجته بشكل سطحي على حساب استسلام قوة الذاكرة للمجادلين اليونانيين، وبهذا جعل نهاية القصة غير واضحة، إنني لا أدَّعي أن التاريخ في الفصول التالية (وبالتحديد الفصل 15) هو بشكل أساسي تاريخ سياسي، وعسكري ودبلوماسي، وقد تكون قراءتها صعبة أو حتى مملَّة، ولكن سأعبر عن الصيغة التي سوف أقوم بإعادتها مرارًا وتكرارًا وهي أن المؤرخ لا يستطيع اختيار المصادر، ومن جهة أخرى، فقد اعتبرت كما يفعل المؤرخون الآخرون بأنه لا توجد هناك أنواع فرعية من التاريخ؛ فإنه للحديث عن تاريخ الدولة التي بنيت ودمرت عن طريق الغزو والفتوحات، سوف يكون من غير المعقول ألاّ نُكرِّس قدرًا ثابتًا من الاهتمام إلى الجيوش والحملات العسكرية، وفي النهاية، فإن دراسة الحرب لا يمكن أن يتم اختزالها في صورة الرسوم الكاريكاتيرية التي يتم رسمها حول الحرب، والتي يتم إعطاؤها ذلك الوصف الازدرائي «تاريخ المعركة»، وتكشف الحرب بوجه خاص عن أعمال الدولة، حتى لو كشفت فقط عن مدى تعبئة وسائل الإنتاج البشرية، والمادية والتقنية .

ومن أجل التأكيد على التنمية المعاصرة بشكل أكثر وضوحًا، فقد قمت يشكل دوري بإعطاء فكرة عامة عن الإمبراطورية بالنظر إلى مكوناتها

الإقليمية أو حتى الإقليمية الفرعية (الفصول 13/6-7، 14/8، 15/7)، وقمت أيضًا بوضع المزيد من التقييمات العامة عند ثلاث نقاط رئيسة؛ أولها: وفاة قمبيز (Cambyses) (عام 522)، وذلك للتمييز بين ما هو منسوب إلى الملكين الأولين وما يجب أن ينسب إلى دارا (Darius) (الفصل 12)، وقمت أيضًا بعمل تقييم قصدت منه أن يكون شاملاً في نهاية عهد دارا (Darius) ، وربما سوف تثير بعض الفصول الطويلة (6-12) بعض الانتقادات بسبب استخدام المصادر المتأخرة للحديث عن الأحداث التي وقعت في أوائل القرن الخامس، ولكنني حاولت توضيح أسباب اختياري في العديد من الأماكن، ويظهر التقييم العام الثالث في بداية عهد دارا (Darius) الثالث، ويشتمل على تقييم للقرن الرابع بأكمله، ويتمثل الهدف في تقديم تقييم للوضع قبل مجيء الإسكندر (Alexander) مباشرةً، ولتحديد الأسباب التي قادتنا إلى تلك العادة السيئة والتي تتمثل في تسمية هذه الفترة بفترة «التدهور الأخميني»، وسوف يجد القارئ هناك نظرة عامة حول شعوب وبلدان الإمبراطورية التي حاولت جعلها كاملة بقدر المستطاع، ولا أزعم أني قد عالجت الموضوع بشكل شامل، ولا يقتصر هذا التقييم على تحليل التنظيم الإداري لهذه الشعوب، فلقد خصصت الفقرات الأطول لتحليل العلاقات المتبادلة بين الثقافات (الفصل 16)، ويَعُدّ هذا التقييم بتحليل ديناميكي للجهاز المركزي للدولة (الفصل 17)، وللأسباب التي سوف أعرضها في الوقت المناسب، في مقدمة الجزء الرابع، فإن مثل هذا التقييم سوف يسمح لنا بالاقتراب من المرحلة الأخيرة للتاريخ الأخميني على أرض صلبة. ولكي أكون دقيقًا فإن الفصل الأخير (18) لا يدور حول فتوحات الإسكندر (Alexander) ، وإنما يدور حول الحروب التي شنها دارا (Darius) والإمبراطورية لمواجهة العدوان المقدوني، وأيضًا تدور حول رد فعل طبقة النبلاء في جميع أرجاء الإمبراطورية على التحدي الذي مثله الغزو

المقدوني، ويكشف كل من الغزو، والمقاومة، والانشقاقات التـي حـدثت عـن حالـة الإمبراطورية عندما توفي دارا (Darius) الثالث نتيجة لمؤامرة في صيف عام 330 .

إلى القارئ:

ومهما كان مصدر وطبيعة الأدلة التي في متناولنا، فإن التـاريخ يعتـبر تفسـيريًّا وتأويليًّا في آن واحد؛ لذا فإنه من الملائم إخطار القارئ بالمصادر التي تبرر الاختيـار التفسيري للمؤلف، وكدليل في كلِّ خطوة على الطريق، فلقـد حاولـتُ تـوفير قائمـة «بالمصادر والمشكلات»، ولأسـباب الوضـوح والصرامـة نفسـها، فقـد قمـت بتقـديم مقتطفات متكررة وأحيانًا طويلة من النصوص القديمـة، ولقـد قمـت أيضًـا بـإدراج بعض الأدلة الأثرية وبعض الصور والأيقونـات بهـدف تقـديم الـدعم للتفسـيرات والحجج، وبهذه الطريقة أتمنى أن يتضح أمام القراء الطريق الذي سوف أسـلكه، والأدلة التي تبرر وتدعم الحجج التي قدمتها، والقيمة التي أعطيهـا لكـل تفسـير من التفسيرات، فسوف يجد القراء أمام أعينهم جميع العناصر التي تسـمح لهـم بتصـور أو اقـتراح الحلـول البديلـة. وعـلى الـرغم مـن العـبء الـذي تمثلـه تلـك الإشارات المتكررة إلى المصادر القديمة على النص الرئيسي، فإنني وجدت أنه مـن الضروري تقديمها بين أقواس؛ لكي يستطيع القراء العودة إلى تلك المصادر مباشرة إذا أرادوا فحصها أو تحقيقها أو التشكيك فيها على الفور، وقمت أيضًـا بتـوفير العديد من العناوين الفرعية التي أتمنى أن تكون غنية بالمعلومات وذلك حتى يتمكن القراء من إيجاد طريقهم بسـهولة خـلال هـذا المجلـد الكبـير، وأخـيرًا، فلقد تعمدت إبعاد الإشارات والملاحظـات التفسـيرية إلى آخـر الكتـاب، لـيس فقط لأن بعضها طويل جدًّا ومفصل، وإنما أيضًا لأنني أردت بهذه الطريقـة أن يصبح الكتاب في متناول الطلاب وغير المتخصصين والذين قد يعـوقهم العـرض المفصل الذي يحتوي على كثير من المعلومات، أمـا الـذين يهتمـون بالموضـوع

أكثر فلديهم كامل الحرية في العودة إلى ملحق البحث، مثلهم مثل المتخصصين .

الشكر:

أولاً يجب أن أعبرُ عن بالغ امتناني لكلٍّ من قدموا لي الدعم والتشجيع خلال تلك السنوات، ولمن قاموا برفع معنوياتي عندما كنت أشعر بالإحباط، لا أعرف إذا ما كان باستطاعتي البدء بدون تشجيعهم، أو إذا كان باستطاعتي المواظبة لإكمال مثل هذا المشروع الطموح .

أتقدم بجزيل الشكر إلى كلٍّ من قدم لي نسخًا للمخطوطات، والتي كانت أثناء النشر، ولا يمكن أن أنسى كل من بيرنار ديلافول (Bernard Delavault) وألبون دوسو (Alban Dussau) على التوالي، وهما المسؤولان عن المكتبات السامية والآشورية بكلية فرنسا Colle)ge de France لسماحهم لي بشكل استثنائي بالحصول على الكتب الموجودة في تلك المكتبات، وأتذكر أن المجلس العلمي لجامعتي قد منحني تفرغًا لمدة سنة لهذا العمل، كما أودّ أن أرفع القبعة احترامًا لجميع الطلاب في جامعة تولوز الذين استمعوا ولسنوات عديدة إلى تفكيري بصوت عالٍ أمامهم والذين ساعدتني أسئلتهم كثيرًا لتوضيح أفكاري، وأتقدم أيضًا بجزيل الشكر إلى كل من ساندرا بيريه (جامعة تولوز) وفوتير هينكيلمان (جامعة أوترخت)، اللَّذَيْن قدما لي مساعدة لا يمكن وصفها في تحضير الفهارس، وقد اعتنيت بفهرس الموضوع وبالتنسيق العام؛ وبشكل واضح فأنا من يتحمل المسؤولية الأخيرة عنها؛ لأنني تحملت مسؤوليتها جميعًا .

وأتقدم بالشكر من أعماق قلبي إلى أصدقائي : إيميلي كوهرت (Amelie Kuhrt) (لندن)، هيلين سانسيسي- ويردنبرج -Heleen Sancisi) Weerdenburg) (أوتريخت)، مات ستولبر (Matt Stolper) (شيكاغو)،

وكارلو زاكجنيني Carlo (نابلس)، والذين قرأوا جزءًا من نص الكتاب، وقدموا له نقدًا أفادني كثيراً.

وأدين بالشكر الخاص إلى هيلين سانسيسي- ويردنبرج (Heleen Sancisi-Weerdenburg) ابتداءً من أول اجتماع لنا في جرونينجين في عام 1983، حيث إنها عندما أبدى كل الناشرين الفرنسيين الذين اتصلت بهم عدم استعدادهم لنشر هذا الكتاب، فإنها عرضت عليَّ نشر كتابي في شكل السلسلة التي أسستها وأشرفت عليها مع إيميلي كوهرت، وعندما أَبْدَتْ دارُ فايارد للنشر ومديرو التحرير بها عن رغبتهم في نشر كتابي، والذي كان في ذلك الوقت لا يزال يخضع لعملية المراجعة النصية في أوترخت، تحت رعاية الآنسة فان روسمالين، قبلت هيلين سانسيسي- ويردنبرج (Heleen Sancisi-Weerdenburg) ، ومدراء معهد هولندا للشرق الأدنى، هذا الاقتراح عن طيب خاطر؛ وهو الشيء الذي يجعلني بشكل خاص مدينًا لهم بجزيل الشكر والامتنان .

تولوز، أكتوبر 1995

الفرس قبل الإمبراطورية

1- لماذا قورش (Cyrus) ؟

التوثيق المتقطع والتاريخ الطويل للإمبراطورية:

يسمى أحيانًا الانهيار العنيف للإمبراطورية الآشورية العظيمة بعد سقوط مدينة نينيفا في عام 612 في يد تحالف من الميديين والبابليين بـ«فضيحة التاريخ»، فالظهور المفاجئ للفرس في تاريخ الشرق الأدنى والحملات الخاطفة لقورش (Cyrus) الثاني (الأكبر) تثير مجموعة من الأسئلة أمام المؤرخ، والتي تعد مهمة نتيجة لمدى اتساعها وتعقيدها. وخلال عقدين من الزمان (530-550)، فتحت الجيوش الفارسية بقيادة قورش (Cyrus) الثاني ممالك ميديا، وليديا، والمملكة البابلية الجديدة على التوالي، ومهدت الطريق لسيطرة الفرس على الهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى، فكيف يمكن لنا تفسير هذا البروز التاريخي المفاجئ لأناس ودولة كانت مجهولة حتى ذلك الوقت؟ كيف يمكننا توضيح الطريقة التي تمكن بها هؤلاء الناس ليس فقط من تشكيل القوات العسكرية الكافية لتحقيق مثل هذه الفتوحات التي كانت باهرة بقدر ما كانت سريعة، وإنما أيضًا من امتلاك تلك المقدرة التكنولوجية والفكرية في ذلك الوقت المبكر الذي يعود إلى عهد قورش (Cyrus) مكنتهم من تخطيط وإنشاء باسارجاداي؟

إن المؤرخ الذي يعمل على تحليل التاريخ الطويل لأحد الإمبراطوريات يدرك جيدًا أن فترات الحكم المليئة بالإنجازات الباهرة والأحداث الحاسمة تتوافق فقط مع التاريخ الذي تعود جذوره إلى ماضي عميق مليء بالإنجازات، ويعتبر المؤرخ اليوناني بوليبيوس (Polybius) على دراية كاملة بهذا الأمر عندما شرح لقرائه في مقدمة تاريخه الحاجة إلى الرجوع للماضي؛ وذلك لفهم كيف أن «الدولة الرومانية تمكنت في إنجاز غير مسبوق ببسط سيطرتها على جميع العالم المأهول بالسكان تقريبًا، وذلك في أقل من ثلاثة وخمسين عامًا»، ثم استطرد قائلاً: «وبهذه الطريقة، عندما نأتي إلى لُبِّ موضوعي، نجد صعوبة في فهم كيف وضع الرومان خططهم؛ وما الوسائل العسكرية والمصادر المادية التي كانت متاحة لهم عندما انخرطوا في تحقيق هذا المشروع الذي سمح لهم بفرض قانونهم على البحر بالإضافة إلى البر وفي جميع المناطق؟».

وينطبق هذا أيضًا على بدايات التاريخ الفارسي: فمن المتفق عليه أنه لا يمكن تصور تمكن قورش (Cyrus) من تحقيق كل هذه الانتصارات بدون الوجود المسبق لدولة ذات بِنى وتنظيمات، وجيش مُنظَّم ومُدرَّب، وسلطة ملكية راسخة، ووجود اتصالات عديدة بين هذه الدولة وبلاد ما بين النهرين والممالك الإيجية، ولا يمكن شرح أسباب تلك الانتصارات العظيمة ببساطة من خلال الإصرار أحادي الجانب على انحطاط وتدهور أوضاع تلك الدول التي فتحها قورش (Cyrus) ، وهو «التدهور» الذي يعد من الملائم عدم تحديد وتيرته وأشكاله، وكذلك أيضًا فإنه لا يمكن شرحه من خلال اللجوء إلى ذلك الافتراض الذي على الرغم من كونه مناسبًا فإنه يرجع أسباب هذه الانتصارات فقط إلى التفوق الفطري للشعوب البدوية على الشعوب المستقرة، وباختصار، يقودنا أيّ تأمل تاريخي نقوم به إلى القول بأن اعتلاء قورش (Cyrus) الثاني للعرش لا يمثل فقط نقطة الانطلاق

للإمبراطورية الإقليمية الأولى التي وحدت المنطقة الشاسعة من بحـر إيجـة وحتـى نهر الإندوس، ولكنها في الوقت نفسه كانت نتيجة للعملية الطويلة، التـي لا توجـد لدينا حولها سوى معلومات مُجَزَّأة ومتقطعة .

التاريخ الفارسي والتمثيلات اليونانية:

في الحقيقة، لم تتم معالجة التاريخ الفارسي في العصر القديم من قِبَل مؤرخ له مكانـة وحجـم المـؤرخ اليونـاني بوليبيـوس (Polybius) ، فلقـد كانـت «النمـوذج النظري» الذي قدمـه المؤلفـون اليونـانيون حـول تـاريخ بـلاد فـارس يتسـم بكونـه تخطيطيًّا وفقيراً للغاية، وبوجـه عـام، فلقـد اكتفـوا بالتأكيـد عـلى أن الإمبراطوريـة الفارسية لم تكن سوى امتداد لمملكـة ميـديا التـي غزاهـا قـورش (Cyrus) في عـام (550)، وبالنظر إلى حالة سترابو (Strabo) نجد أنه لم يكتف بـذكر أن إكباتانـا قـد احتفظت بمكانتها كما هي بعد الانتصار الذي حققه قورش (XI.13.5) (Cyrus)، ولقد صرح بالاستعانة ببعض الحُجَج المشكوك في صحتها إلى حد بعيد مـن مِثْـل أنَّ الفرس قد قاموا باستعارة بعض الأشياء من الميديين .

فقـد كـان زيهـم «الفـارسي» -كـما يطلقـون عليـه الآن- وحماسـهم للرمايـة والفروسية وتوددهم إلى ملوكهم، وتبجيل المواطنين للملـوك بدرجـة تصـل إلى حـد التقديس، يبدو أن عادات الشعب الذي قاموا بغزوه بدت لهم ملائمة وتتماشى مـع مظاهر الأبهة والعظمة الملكية مما جعلهم يتحولون إلى ارتداء تلك الملابس الأنثوية وأن يقوموا بتغطية جميع أجزاء جسمهم بالملابس بدلاً من التعري أو ارتـداء قـدر ضئيل من الملابس، (* XI.13.9).

ولقد أشار أيضًا إلى وجهات نظر بعـض المـؤلفين الآخـرين: «فـالبعض قال إن الملكة ميديا قد استحدثت هذا النوع من الـرداء، عنـدما حكمـت تلك المنطقة هي وجاسون» (* XI.13.10)، فكيف مزج التاريخ بالأساطير هنا؟ ويذكر فيما بعد (* XI. 13.11) أن عادات الميديين مماثلـة لعـادات

الفرس «بسبب غزو الفرس لمملكة ميديا»، ولقد اختتم حديثه قائلاً: «سوف أناقش هذا الأمر في حديثي عن الفرس» (XV. 3.20)، وهو يلاحظ أن عادات الفرس مماثلة لعادات الميديين ولعادات شعوب أخرى .

ويجب أن أؤكد دائمًا على أنه باستثناء عدم الدقة في تحديد تواريخ وقوع الأحداث، وهو الأمر الذي تتسم به مناقشات سترابو (Strabo) ، فقد بنيت على أساس سلسلة الأفكار الثقافية الشائعة والتي نجدها أيضًا عند العديد من المؤلفين اليونانيين الذين ادَّعوا بشكل يَنُمّ عن الفروسية أنهم يقومون بإعادة سرد تاريخ الشعب الفارسي، فقد جلبت الفتوحات الفارسية الثروة والترف اللذين كانت تتميز بهما مملكة ميديا إلى الفاتحين، ويتمثلان بوجه خاص في الملابس التي توضح في حد ذاتها «أنوثة» مُحْدِثي النعمة، وبالمثل فلقد اقتبس الفرس من الميديين المراسم المتبعة في البلاط الملكي بالكامل، ويمكن تفسير سبب قيام الفرس بغزو تلك الممالك بـ«الإغراء الذي كان يشكله ما لديها من ثروات»، ويعد هذا أيضًا هو الأساس الذي تقوم عليه رواية أفلاطون (Plato) في كتابه المعنون بـ«القوانين» (694 a 695- c)، «ولقد فسر «التدهور الفارسي» بداية من عهد قمبيز (Cambyses) بالحقيقة المتمثلة في أن: «أبناء قورش (Cyrus) قد تم تعليمهم على الطريقة الميدية، وهو التعليم الذي أفسده ما يسمى بالسهولة، حيث إن أبناء قورش كانوا يتلقون هذا التعليم على أيدي النساء والخصيان»، ولقد لجأ هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 126) إلى نفس هذا النوع من التفسير؛ ليوضح لقرائه لماذا تطوع الفرس بأعداد هائلة للقتال تحت راية قورش (Cyrus) : حيث إنه نتيجة لكون هؤلاء الفرس كانوا يعيشون في فقر مُدْقِع فلقد كانت تُحَرِّكُهم الرغبة في وضع أيديهم على ثروات الميديين .

وتماشيًا مع المنطق الخاطئ للنموذج «النظري»، فإنه لا يمكن تفسير تطور المجتمع بأيّ طريقة أخرى سوى المُحَفِّزات والتحديات الخارجية؛

لذا لا يمكن وصف المنتصرين (الفرس) سوى بأنهم كانوا أقل الشعوب تطورًا وأنهم تعلموا كل شيء من الشعوب التي غزوها، فلم يكن أمامهم أي بديل آخر سوى تبني العادات، والمؤسسات التي وجدوها في الممالك السابقة التي قاموا بالاستيلاء عليها، وباختصار، لم يكن هناك تاريخ للفرس قبل مجيء قورش (Cyrus) ، وبمعنى آخر يفترض المؤلفون بانتظام بصورة مسبقة المشكلة التي تُحَيِّر ويَختلِف عليها المؤرخون المعاصرون، وبشكل أكثر دقة، لم يكن يعلم كل من هيرودوت (Herodotus) ، أو زينوفون (Xenophon) أو سترابو (Strabo) أن طريقة عرضهم هذه لتاريخ الفرس سوف تثير مثل هذه المشكلة .

2- الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس:

وخلال فترة ما قبل قورش (Cyrus) ، كانت المصادر الكلاسيكية عديمة القيمة، على الأقل لهؤلاء الذين يعيدون بناء المراحل الرئيسة في تشكيل المملكة الفارسية، وبالإضافة إلى إعادة سرد الحملات العسكرية، فقد كرس هيرودوت (Herodotus) إحدى الفقرات الطويلة (I.107-130) للحديث عن أصول الشعب الفارسي، وذلك في سياق حديثه عن انتصار قورش (Cyrus) على ملك الميديين أستياجيس (Astyages) ، ولقد برر بنفسه هذا الملحق الطويل بتلك الكلمات: «أنه يتحدث عن قصة ميلاد ونشأة قورش (Cyrus) ، وكيفية استيلائه على العرش» (* I.130).

ولقد تم تقديم قورش (Cyrus) الثاني في هذا الملحق على أنه ابن قمبيز (Cambyses) الذي هو ابن قورش (Cyrus) الأول- والأميرة ماندانى (Mandane) - ابنة - حيث لإبلاغه ببعض النبوءات التي تحذره وتنبئه بمصير غير عادي للطفل الذي ستلده ابنته، أراد الملك آستياجيس (Astyages) أن يختار زوجًا لابنته» بحيث يكون رجلاً من أسرة طيبة وذا

شخصية حسنة ولكنه يجب أن يكون شخصًا ذا منزلة أدنى من الميديين أو حتى ذو شخصية متوسطة»، ولقد أقنعه حلم آخر وتفسير الكهنة المجوس له بأن ذلك الطفل الذي على وشك أن يولد «سوف يصبح ملكًا على عرشه»؛ وعلى الرغم من أنه كان «مسنًا ولا يوجد له أبناء ذكور»، فإنه قرر التخلص من حفيده، وقد عهد بتلك المهمة إلى هارباجوس (Harpagus) ، والذي كان «أحد أقاربه، حيث إنه كان الميدي الأكثر ولاءً وإخلاصًا له، وكان يأتمنه أيضًا على كل أسراره»، ولأن هارباجوس (Harpagus) كان قلقًا بعض الشيء من الظهور في نهاية الأمر كقاتل، فقد كلّف شخصًا آخر بتلك المهمة، وهو ميثراداتس (Mithradates) -أحد الرعاة الملكيين-» والذي كان يرعى قطعانه في المراعي حيث كان المكان مناسبًا جدًّا لتنفيذ خطته، أو في الجبال التي كانت تَعجّ بالحيوانات البريَّة». ولقد قرر ميثراداتس (Mithradates) بدوره عدم تعريض ذلك الطفل الرضيع للحيوانات المتوحشة على الإطلاق، وبدلاً من ذلك قام بتربيته كابن له، حيث كانت زوجته لا تزال حزينة على طفلهما الذي ولد ميتًا، ولتضليل الشرطة الملكية «فقد وضع جثمان الطفل الميت في السلة مكان الطفل الآخر، وزينه بالحلي والزخارف التي كانت تزين الطفل الذي أخذه ثم وضعه على جبل مهجور»، ولقد نُفِّذت الحيلة بنجاح، ومنذ تلك اللحظة، «قامت زوجة الراعي بتربية وتَبَنِّي من صار يعرف فيما بعد باسم قورش (Cyrus) .

ثم أخبرنا هيرودوت (Herodotus) بعد ذلك كيف أن قورش (Cyrus) كان يتمتع وهو لا يزال في سن العاشرة بمكانة كبيرة بين زملائه، حيث كانوا يختارونه دائمًا للعب دور الملك في ألعابهم، ولقد لعب قورش (Cyrus) دوره ببراعة، حيث عاقب بشدة «ابن أرتمبارس (Artembares) - أحد الرجال المحترمين في المجتمع الميدي»، ولقد تعرض كل من قورش (Cyrus) وميثراداتس (Mithradates) إلى إدانة كبيرة من قبل والد أرتمبارس

(Artembares) ، وأحضرهم للمثول أمام الملك أستياجيس (Astyages) الذي أدرك على الفور بأن ابن ميثراداتس (Mithradates) ما هو إلا حفيده، وقد قام بمعاقبة هارباجوس (Harpagus) بقسوة حيث قدم له لحم ابنه ممزوجًا بلحم خروف على مأدبة الطعام، ثم وبعد أن طمأنه المجوس، قام أستياجيس (Astyages) بإرسال قورش (Cyrus) إلى بلاد فارس، حيث انضم مرة أخرى إلى عائلته. ولقد أخبرنا هيرودوت (Herodotus) كيف أن قورش (Cyrus) نتيجة لكونه شب على الرجولة، استطاع خلع أستياجيس (Astyages) من منصبه وإعطاء السلطة للفرس، وذلك بمساعدة من هارباجوس (I. 123-130) (Harbagus).

وادَّعى هيرودوت (I.95 *) (Herodotus) حصوله على هذه القصة من أشخاص من الفرس «من هؤلاء الذين يبدو أنهم كانوا يخبروني عن حقيقته بدون أية مبالغة في وصف أعماله البطولية»، ولقد أضاف قائلاً بأنه يعرف ثلاث روايات أخرى حول أصول قورش (Cyrus) ؛ إحداها: رواها جوستين (I.4.10) (Justin)، حيث إن ذلك الطفل الرضيع الذي تركه الراعي في الغابات، «قد أنقذت حياته أنثى كلب، حيث أرضعته، وقامت بحمايته من الوحوش البرية والطيور الجارحة»، أما القصة الثالثة، فقد رواها نيكولاس (Nicolaus) الدمشقي، الذي حصل عليها وبدون شك من ستيسياس (Ctesias) ، حيث تذكر أن والد قورش (Cyrus) كان يسمى أتراداتيس (Atradates) وكان أحد أفراد قبيلة الماردين وهي إحدى أحط قبائل الشعب الفارسي، وكان والده قاطع طريق، أما والدته وتدعى أرجوستي (Argoste) فكانت ترعى الماعز، ووفقًا «لإحدى العادات الميدية»، فلقد تم إعطاء قورش (Cyrus) الصغير لرجل غني ذي شخصية بارزة ويدعى أرتمبارس (Artempares) حتى يرعاه، ولقد كان أرتمبارس (Artempares) يعمل كأحد السقاة الملكيين في بلاط أستياجيس (Astyages) وهي الوظيفة التي كان يحسده عليها الجميع، وعندما تقدم

به العمر وأصابه الوهن نقل أرتمبارس (Artempares) لقبه إلى قورش (Cyrus) الذي كان قد قام بتبنيه، وذلك طبعًا بعد موافقة الملك، ولقد استدعى قورش (Cyrus) والديه إلى البلاط الملكي، ونتيجة لتعاظم سلطته جعل أترداداتيس (Atradates) «مرزبانًا على الفرس»، وجعل والدته أغنى النساء في بلاد فارس .

ثم جاءت الثورة.. .

ما الحقائق التي يمكن للمؤرخين استخلاصها من هذه القصص؟ توضح هوية بعض الموضوعات الفولكلورية المعينة، مثل تلك الموضوعات الموجودة في أسطورة سارجون (Sargon) ملك أكاديا، بالشكل الذي يمكننا به إعادة بنائها من خلال الألواح البابلية- أن الروايات المختلفة قد تمّ بناؤها في إطار قديم جدًّا من الشرق الأدنى يمتلىء بالأفكار المستلهمة من رواة القصص الشعبية، وبأهداف الدعاية السياسية (راجع ديودورس) (Diodorus) الكتاب الثاني 4.3)، وبلا شك فإن هذه الأسطورة تتضمن أيضًا بعض الملامح النموذجية الإيرانية، حيث تهدف كل هذه الحكايات أساسًا إلى تمجيد ذكرى المؤسس ذي الشخصية الكاريزمية، ذلك الرجل الذي اتسم منذ مولده بعلامات تنبئ بأنه سيكون له مصير غير عادي؛ ولهذا السبب، فلقد تم نقلها بشكل واسع إلى أبناء الفرس من جيل إلى جيل، وتضع كل من هذه الروايات المتعددة أصول قورش (Cyrus) في سياق العلاقات بين الميديين وخدمهم من الفرس، ويُجْمِعُون كلهم على قيام الفرس بالإطاحة بسلطة الميديين، ولكن على الرغم من أن الروايات المختلفة قد جعلت من قورش (Cyrus) مؤسس المملكة الفارسية التي سطع نجمها في مواجهة إكباتانا، فإن هذه الروايات المختلفة حول أساطير المؤسس تصبح عديمة الفائدة عند مناقشة تاريخ بلاد فارس قبل قورش (Cyrus) .

3 - ملوك آنسان:

لم يترك الفرس أي سجل أدبي لتاريخهم. والشكل الوحيد من أشكال السجلات التاريخية الرسمية في هذه الفترة تمثل في شجرة النسب الملكية التي كان يسجلها الملوك أنفسهم، ولقد قدم دارا (Darius) في نقشه الشهير المنحوت على صخور بهيستون بتقديم تفاصيل حول أصله الأخميني: «أنا دارا (Darius) ، الملك الأكبر، ملك الملوك، ملك بلاد فارس، وملك البلدان، ابن هستاسبيس (Hystaspes) ، حفيد أرساميس (Arsames) الأخميني، أنا سيث دارا (Darius) الملك: والدي هو هستاسبيس (Hystaspes) ، ابن أرساميس (Arsames) ، ابن أريارامنيس (Ariaramnes) ، ابن تيسبيس (Teispes) ، ابن أخمينيس (Achaemenes) ، أنا سيث دارا (Darius) الملك: لهذا السبب فإننا نسمي الأخمينيين، ونحن نبلاء منذ وقت طويل، ومنذ وقت طويل كانت أسرتنا من الملوك، أنا سيث دارا (Darius) الملك: ولقد سبقني ثمانية أشخاص في تسلسل أسرتنا والذين كانوا من الملوك، أنا التاسع، التاسع في التسلسل، ولقد كنا ملوكًا (DBI. 1-40) .

ومن حيث المبدأ، يسمح لنا سِجِلٌ نسبٍ من هذا النوع بالرجوع إلى وقت بعيد في الماضي، إلى بدايات التاريخ الأخميني، عندما كان الفرس لا يزالون في بلاد فارس، ويمكن أن نضيف أن هيرودوت (Herodotus) قد قدم لنا سِجِلَّ نسبٍ ملكي لا يتطابق بشكل تام مع سجل النسب الذي ذكره دارا (Darius) حيث إن كسركسيس (Xerxes) قد قدَّم التسلسل الملكي بهذه الطريقة: أخمينيس (Achaemenes) - تيسبيس (Teispes) - قمبيز (Cambyses) - قورش (Cyrus) - تيسبيس (Teispes) - أريارامنيس (Ariaramnes) - أرساميس (Arsames) - هستاسبيس (Hystaspes) - دارا (Darius) .

ولدينا نقشان آخران تم إعداداهما باسم كل من أريارامنيس

(Ariaramnes) وأرسـاميس (Arsames) ، والـذين يُقَـدِّمُهم دارا (Darius) عـلى أنهم جـده وأبـو جـده عـلى التـوالي، ويحتـوي هـذان النقشـان عـلى الـنص التـالي: «أريارامنيس [(Ariaramnes) أرساميس (Arsames)]، الملك الأكبر، ملك الملـوك، ملك الفرس، إن بلاد فارس التـي تخضـع لسـيطرتي، والتـي تمتلـك الخيـول الجيـدة، والرجال الجيدين، حيث منحني إياهم الإله العظيم أهورا - مازدا....»، ولكن هـذه الوثائق تعتبر شيئًا غير مؤكد، فمن جهة توجد شـكوك جديـة حـول مـدى صـحتها، ومن جهة أخرى، فإن تأكيدات دارا (Darius) في حد ذاتهـا هـي مثـار شـك، لـيس لأنه يمكن الشك ولو للحظة في أصالتها، ولكن ببسـاطة لأن الغـرض الأسـاسي لهـذه النصـوص هـو تبريـر كـل أفعـال دارا (Darius) بعـد وفـاة قمبيـز (Cambyses) ، ولإثبات ما يؤكد على أنه حق لأسرته، ذلك الادِّعاء المريب -كـما سـنرى- ولا يسـمح الماضي الذي قام دارا (Darius) بمراجعتـه وتنقيحـه للمـؤرخين بتعميـق معـرفتهم بعصر الملوك الأوائل .

ولفعل ذلك فإنه سيكون من الأفضل كثيراً الاعـتماد عـلى أحـد النصـوص البابليـة المسمى بأسطوانة قـورش (Cyrus) ، حيـث إنـه يحتـوي عـلى أقـدم سـجل للأنسـاب، ويسمى قورش (Cyrus) في هذا السجل «ملك آنسان»، ولقـد تـمّ فيـه تقـديم شـجرة العائلة على النحو التالي: «ابن قمبيز (Cambyses) ، الملك الأكبر، ملك آنسان العظيم، ابن حفيد (أو المنحدر من نسل) تيسبيس (Teispes) ، الملك الأكبر، ملك آنسـان، مـن العائلة التي كان أفرادها ملوكًا على الدوام»، وهكذا فلقد تمَّ تقديم التسلسل الملكي في الشـكل التـالي: تيسـبيس (Teispes) - قـورش (Cyrus) الأول- قمبيـز (Cambyses) الأول - قورش (Cyrus) الثاني. أما بالنسبة للبلاد التي كان يحكمها هؤلاء الملـوك، فقـد تألفت من آنسان، كما يتضح ذلك من ختم محفور عليه الأسطورة «كوراس» (Kuras) ملـك آنسـان، «ابـن تيسـبيس» (PFS 93 *) (Teispes)، وهـو الشـخص الـذي كـان

يقال عادة: إنه هو قورش (Cyrus) الأول (شكل 7)، ولقد تم تحديد هذه البلدة الآن بشكل مؤكد؛ فهي مارف داشت في فارس، وهكذا ففي هذه المنطقة التي سوف تأخذ فيما بعد اسم (Persis) تم تأسيس أول مملكة فارسية .

4- آنسان وصوصا:

من المستحيل النظر إلى البلاد التي غزاها الفرس واستعمروها على أنها كانت ساحة خلفية لهم، وفي أوائل الألفية الثانية، كان الملوك الإيلاميون يحملون لقب «ملك آنسان وصوصا»، وهكذا فقد احتلت مملكة إيلام كل من السهل (صوصا) والمنطقة المرتفعة (آنسان)؛ ولقد تمّ اكتشاف ألواح إيلامية تعود إلى نهاية الألفية الثانية في الموقع الذي كانت توجد فيه آنسان نفسها (والمسمى «تل المليان»)، وتشهد هذه النصوص على وجود إدارة إيلامية في هذه المنطقة، وتشهد الأنشطة الإنشائية الكبيرة (المعابد والقصور) على سلطة «ملوك آنسان وصوصا» في جنوب جبال زاجروس خلال الألفية الثانية .

وفيما بعد، أصيبت المملكة الإيلامية في تلك المرحلة الزمنية المسماة بالمملكة الإيلامية الجديدة الثانية، بالضعف الشديد، ولقد هلكت الأسرة الحاكمة بسبب الصراعات الداخلية المستمرة، ومن المحتمل أنه كان يوجد عدة «ملوك» في وقت واحد منذ بداية القرن السابع، وفي ذلك التاريخ لم يعد مركز ثقل المملكة يقع في المرتفعات، ولكن في السهول، حيث تكشف النصوص التي تمَّ اكتشافها هناك عن وجود ثلاث «مدن ملكية» هناك وهي: صوصا، ماداكتو (وهي المعقل الذي يقع على نهر الدوايريج)، وهيدالو (التي تقع على أول تلال جبال زاجروس)، وفي عام 691، شنت الجيوش الإيلامية والبابلية حربًا وحشية ضد القوات الآشورية، وهي الحرب التي زعم فيها كلا الطرفين تحقيق الانتصار .

ويبدو أن اعتماد آنسان على صوصا قد أصبح بعيدًا بشكل متزايد وأصبح مجرد اعتماد شكلي؛ حيث لم يستطع ملوك مملكة إيلام الجديدة فرض سلطتهم هناك بأية طريقة ملموسة، حيث تَوَجَّب عليهم وبشكل خاص محاربة ملوك المملكة الآشورية الجديدة مرات عديدة، والذين قاموا بإرسال حملات عسكرية متكررة لمحاربة مملكة إيلام، والتي اضْطُرَّ الملك الايلامي إلى «الفرار إلى الجبال»، ولقد حاولت إيلام من جانبها عدة مرات دعم الثورات البابلية ضد مملكة آشور، ولكن دون تحقيق نجاح يذكر، ولم تكن معركة هالولي (691) سوى مهلة، ففي عام (646)، شن آشوربانيبال (Assurbanipal) هجومًا واسع النطاق، كُلِّل بالانتصار وأسفر عن الاستيلاء على مدينة صوصا ونهبها والاختفاء (المؤقت) لمملكة إيلام، وربما في هذا السياق لقب تيسبيس (Teispes) - أبو جد قورش (Cyrus) الثاني- نفسه بـ«ملك آنسان»؛ ومن ثم أعلن نفسه خليفة لملوك إيلام في المرتفعات التي كانت تأخذ اسم بلاد فارس (Persis) .

وتعد مشكلة التسلسل الزمني المطلق هي الأكثر صعوبة، فهناك نقش للملك الآشوري آشوربانيبال (669-630) (Assurbanipal) يشير إلى استسلام كوراس (Kuras) -ملك بارسوماس- الذي قام مباشرة بعد عام (646) بإرسال الجزية إلى نينيفا، كما أرسل ابنه الأكبر أروكّو (Arukku) كرهينة عند الملك الآشوري، ومن المتعارف عليه لفترة طويلة أن كوراس (Kuras) لا يختلف عن قورش (Cyrus) الأول، ملك الفرس القديمة (بارسوماس)، لكن هذا التفسير هو الآن موضع لكثير من التساؤلات، فالمقابلة المقترحة بين بارسوماس وبلاد فارس هي من الأمور غير المؤكدة، ومن المحتمل أن بارسوماس تختلف عن آنسان (رغم أن هذه النقطة ما زالت قيد المناقشة)، ونتيجة لأنه قد تمَّ تحديد تاريخ فترة حكم قورش (Cyrus) الثاني بشكل قاطع (530-559)، فسيكون من الضروري في ظل هذه الفرضية تقليل التواريخ التي تحدد

فترة حكم الملوك الفرس الأوائل، والذين ستصبح التواريخ التقريبية لفترات حكمهم هي: تيسبيس (ca 610-635) (Teispes)، قورش (Cyrus) الأول (585 610- ca)، قمبيز (Cambyses) الأول (585-559 ca)، وعلاوة على ذلك، فمن المؤكد أن الشعوب الإيرانية قد استقرت في منطقة آنسان قبل ذلك بكثير، ومن المتفق عليه عمومًا أنهم وفدوا من شمال جبال زاجروس، وليس مباشرة من الهضبة الإيرانية، وأنهم قاموا بالتحرك تدريجيًا نحو آنسان مع حلول نهاية الألفية الثانية .

5- المجتمع الفارسي قبل الفتوحات: هيرودوت (Herodotus) والاكتشافات الأثرية:

هيرودوت (Herodotus) والمجتمع الفارسي:

لا نعلم شيئًا، أو إن صح القول لا نعلم شيئًا تقريبًا، عن مملكة آنسان قبل الهجوم الذي شنه قورش (Cyrus) الثاني ضد الميديين في أواخر العقد الخامس من القرن السادس ق.م؛ وفي إطار حديثه عن الثورة التي قام بها قورش (Cyrus) ضد الميديين، أشار هيرودوت (Herodotus) إلى أن الملك الشاب قد قام بجمع شعبه، ووصف تنظيمهم في العبارات التالية:

إن الأمة الفارسية تحتوي على عدد من القبائل (جينيا)، والقبائل التي تمكن قورش (Cyrus) من جمعها وإقناعها بالثورة هي قبائل باسارجاداي، مارافي، ماسبي، حيث كانت جميع القبائل الأخرى تعتمد عليها، فقد كانت قبيلة باسارجاداي هي الأكثر تميزًا (أرستوي)، وكانت تشتمل على عشيرة (فريتري) الأخمينيين التي انحدر منها الملوك الفرس، أما القبائل الأخرى، وهي بانثيالايي، وديروسيايي، وجيرماني، فكانت كلها مرتبطة بالأرض (أروتيريس)، وبالنسبة لباقي القبائل فكانت بدوية مثل داي، وماردى، دوربيكي، ساجارتي (* I. 125).

إن المجتمع الفارسي -كما يفهمه هيرودوت (Herodotus) - كان مجتمعًا قبليًّا، ولقد استخدم هيرودوت (Herodotus) المصطلحات اليونانية لتسمية المجموعات والمجموعات الفرعية، ولكنْ أتمَّ مقارنة التقسيم الاجتماعي الذي يمكن أن يوجد هناك بالمفردات الإيرانية، ويتمثل المستوى الأساسي للتنظيم في الأسرة (تعني باللغة الفارسية القديمة «مانا») التي تنحدر من جهة الأب، وكل مجموعة من الأسر كانت تشكل عشيرة (تعني باللغة الفارسية القديمة «فيث»)، وتندرج كل مجموعة من العشائر في إطار قبيلة معينة (تعني باللغة الفارسية القديمة «زانتو»)، وتمثل كل قبيلة في الوقت نفسه حقيقتين متزامنتين هما النسب والمكان، حيث إن كلًّا من مارافي وباسارجاداي عبارة عن وحدات جغرافية وعرقية، فلكل قبيلة أوعشيرة إقليم خاص بها، ويقود القبيلة زعيم قبلي (زانتوباتي)، ولقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الفترة الأخمينية، كما يتضح من مثال أوركسينيس الذي وصفه كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) بهذه الصورة في عهد الإسكندر (Alexander) : «من هناك جاؤوا إلى باسارجاداي -التي هي أحد الأجناس الفارسية- ولقد كان أورسينس (Orsines) هو الزعيم القبلي البارز بين جميع البربر بسبب شرف نسبه وثروته، كان ينحدر من نسل قورش (Cyrus) ملك الفرس سابقًا، وكان يملك ثروة كبيرة، سواء التي ورثها عن أجداده أو التي جمعها بنفسه خلال فترة السيادة الطويلة (X.I .22-23).

ولقد ميز هيرودوت (Herodotus) فيما بين القبائل، بين المزارعين والبدو الرُّحَل، وتوجد هذه المقارنة عند جميع المؤلفين الكلاسيكيين الذين قاموا بالحديث عن الشعوب «البربرية»، وتقوم على افتراض يعامل البدو غالبًا كما لو كانوا مجموعة من اللصوص، وينظر إليهم على أنهم شعوب متخلفة -بنفس الطريقة التي يتم بها النظر إلى المزارعين وخاصة بالنسبة لليونان على أنهم يمثلون مستوى أعلى من

التحضر، فعلى سبيل المثال: رأينا كيف أن ستيسياس (Ctesias) كـان يـرى أن والـد قورش (Cyrus) كان أحد المارديين الـذين يمارسـون السرقـة وقطـع الطريـق، بيـنما كانت والدته ترعى الماعز، وعلى مر التاريخ ظل المارديون مشـهورين بـأنهم شـعب وحشيّ، أما بالنسبة للساجارتيين، فلقد وصفهم هيرودوت (Herodotus) في مكـان آخر بأنهم «إحـدى القبائـل البدويـة..... وبـأنهم أنـاس يتحـدثون اللغـة الفارسـية، ويرتدون ملابسهم على نحو شبه فارسي»، وعلى الرغم من أنه قد تـم دمجهـم مـع الفرس في جيش كسركسيس Xerxes ، فإنهم احتفظـوا بالأسـلحة وأسـاليب القتـال الخاصة بهم (VII .85).

يرتبط هذا التمييز بين البدو والمزارعين باختلاف آخـر وهـو الاخـتلاف السـياسي، ولقد نسب هيرودوت (Herodotus) مكانة خاصـة إلى كـل مـن قبائـل باسـارجاداي، ومـارافي، وماسـبي، «حيـث يخضـع لهـم سـائر الفـرس»، وتـدل تلـك العبـارة التـي اسـتخدمها هـيرودوت (Herodotus) عـلى وجـود علاقـة تبعيـة تـرتبط منـذ القـدم بقبائـل معينـة، ويعتـبر أفـراد قبيلـة باسـارجاداي هـم «الأسـمي» ضـمن المجموعـة المهيمنة، ويتولد لدى المرء الإحساس بأنه كانـت توجـد هنـاك صراعـات شـديدة بـين زعماء القبائل؛ ولقد ذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (Cyrus) دعـا إلى عقـد «اجتماع (أليي) يضم قادة الفرس»، مما يدل على أنـه مـن أجـل إعـلان الحـرب عـلى ملك الميديين كـان يتوجـب عـلى قـورش القيـام بأخـذ المشـورة مـن مشـايخ القبائـل، وخصوصًا من زعماء قبائل باسارجاداي ومارافي وماسبي، وعـلى أسـاس هـذه الإشـارة؛ أميل إلى الاعتقاد بأنه في الجيش كان يحتفظ كل زعيم قبلي بقيادة فرقتـه العسـكرية تحت السلطة العليا للملك والذي كان يعتبر قائد (تعني باليونانيـة كـارانوس) الجنـد (تعني باللغة الفارسية القديمة كارا)، وعلى أية حال، تتفق كـل الـدلائل عـلى أن أحـد المبررات الأيديولوجية التي كانت تعطـي الملـك الأخمينـي الشرعيـة كانـت تتمثـل في

استعداده لخوض الحرب وقيادة الجيوش، لكن الظروف التي أدت إلى تفـوق هـذه القبائل الثلاث، أو كيف أصبح أفـراد قبيلـة باسـارجاداي أنفسـهم (أريسـتوي)، أو كيف ومتى حصلت العشيرة الأخمينية - ضـمن قبيلـة باسـارجاداي- عـلى السـلطة الملكية لنفسها كل ذلك من الأمور التي يسـتحيل تحديـدها، وكـل مـا نسـتطيع أن نفعله هو أن نلاحظ أن هيرودوت (Herodotus) بدأ في الكتابة في حوالي منتصف القرن الخامس، في وقت أصبح فيه قدم وشرعية الحقوق الأخمينية في تَوَلِّي السلطة هي الرواية الرسمية، ولكننا سنرى كيف أن هذه النسخة المشكوك فيها إلى حـد مـا تـدين بـالكثير لـدارا (Darius) الأول، وبعبـارة أخـرى، لـيس هنـاك مـا يثبـت أن الأخمينيين (بمعنى العشـيرة) كانـت لهـم أيـة مكانـة خاصـة ذات أصـول قديمـة في المجتمع الفارسي .

القيود المفروضة على استخدام المصادر الكلاسيكية:

بطريقة أعـم، ينبغـي أن يكـون هنـاك بعـض القيـود عـلى اسـتعمال المعلومـات المقدمة من هيرودوت (Herodotus) وغـيره مـن المـؤلفين الكلاسـيكيين، ومـن خـلال القراءة بشكل غير ناقـد؛ فإننـا نميـل إلى اسـتنتاج أن فتوحـات قـورش (Cyrus) يمكـن مقارنتهـا بالغـارات التـي كـان يشـنها «البـدو الرحـل» بحثًـا عـن الغنـائم في الممالـك المستقرة، ومن الواضح أن هذا ليس كذلك، فسرعان ما يُبَيِّن قورش (Cyrus) أنـه كانـت له أهداف أكثر طموحًا، وأنه لا يقصد مجرد شن الغارات وإنما تحقيق الانتصـار الـدائم، وتشير هذه الملاحظة إلى أن جيش قورش (Cyrus) كان أكثر من مجرد تجمُّع خاصّ مـن الفرق العسكرية القبلية التي تحارب بشكل غير منظم، حيث يحتفظ كل منها بأسـلوبه الخاص في القتال؛ وبدلاً مـن ذلـك يجـب أن نفـترض أنـه قبـل بـدء الحـرب كـان الملـك الفارسي قد أعدّ جيشًا لا ينقصه السلاح أو التدريب بالمقارنة مع تلك الجيوش التي شُـنَّ

الهجوم عليها، ومن المُرَجَّح أيضًا أنـه عنـدما قـاد قـورش (Cyrus) جيشـه لمحاربـة الميديين، كان أكبر بكثير من مجرد الزعيم القبلي الأكثر أهمية (بريمـوس إنتربـارس)، ومن المرجح جدًّا أنه منذ أن حصل أسلافه على اللقـب الملـكي تمكنـوا مـن ممارسـة سلطتهم، وهذا ما يشير إليه انتظام تعاقـب أفـراد الأسرة المالكـة في تَـوَلِّي السـلطة، على الأقل كما أبلغنا به قورش (Cyrus) نفسه في إعلانه البابلي في عام (539) .

صحيح أن زينوفون (Xenophon) نسب إصلاحات عسكرية واسعة إلى قورش (Cyrus) والتي كما وصفها تتمثل في: تعديل التسلح الفارسي (من خـلال اسـتخدام الـدرع الصـدري، الـدروع الواقيـة والسـيوف والفـؤوس الحربيـة بـدلاً مـن الرمـاح والأقواس (Cyropaedia II . 1.9-10؛ 16-17)، وتنظـيم التسلسـل القيـادي تبعًـا للنظام العشري (II . 1.22-24)، وإنشـاء سـلاح الفرسـان (VI . 1.27-30؛ 5-54)، ولكن -كما في أماكن أخرى- يجب أن نقرأ تقـارير زينوفـون (Xenophon) بحـذر، ومع ذلك، وعـلى الـرغم مـن اخـتلاف إلهـام هـيرودوت (Herodotus) عـن إلهـام زينوفـون (Xenophon) ، فـإنهما يتفقـان عـلى أن قـورش (Cyrus) هـو مؤسـس الدولة الفارسية، وعلى الرغم مما ادَّعـاه زينوفـون (Xenophon) (I . 3.3)، فمـن الصعب تصديق أن الفرس قبل اتصالهم بالميديين لم يقوموا بتربية الخيل أو ركوبها، ومهما كانت سمعة الميديين في تربية الخيول أو فيما يتعلق بتفوق سـلاح الفرسـان لديهم، والانتصارات التي حققها قورش (Cyrus) تشير إلى أنه في ذلك التاريخ كـان يمتلك بالفعل سلاح فرسان قوي، فكيف يمكن إنكار أن الجيش الذي جمعه قـورش (Cyrus) لمحاربة أستياجس (Astyages) كان يتشكل من قوات قـادرة تمامًـا عـلى مواجهة جيش الميـديين؟ وفـوق كـل شيء، ألا يظهـر خـتم كـوراس (Kuras) ملـك آنسان أحد المحاربين الذي يمتطي جواده والذي يقوم بدهس أعدائه تحـت قـدمي جواده (شكل 7)؟

إن انتصارات قورش (Cyrus) على الميديين لم تكن صدفة أو حظًّا، فلا يمكن أن تفسر فقط من حيث خيانة المقربين إلى أستياجس (Astyages) ، وهو الافتراض الذي أكد عليه هيرودوت (Herodotus) .

نتائج الاكتشافات الأثرية:

إنه لمن الصحيح أيضًا أن نتائج الاكتشافات الأثرية الأخيرة تتوافق مع ما رواه هيرودوت (Herodotus) ، حيث إنه كنتيجة لأعمال المسح الأثري التي تمَّ إجراؤها في مارف داشت وهو السهل الذي تقع فيه برسيبولس، فقد أمكن تحديد أن عدد المواقع السكنية قد تناقص بشدة بداية من نهاية الألفية الثانية (أو قبل ذلك)، ولم تعاود المواقع السكنية الهامة الدائمة الظهور حتى بداية عهد قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) ، حيث ظهرت مرة أخرى في باسارجاداي وعلى سهل برسيبولس، ومن هذه الملاحظات نستطيع أن نستنتج بشكل عام أن خسارة المستوطنات السكنية في المنطقة يجب أن يكون متصلاً بطريقة مباشرة بالتطور الداخلي للسكان الإيلاميين في النصف الثاني من الألفية الثانية وحتى وصول السكان الإيرانيين في بداية الألفية الأولى، والذين سينحدر منهم من نطلق عليهم اسم الفرس؛ وهكذا وخلال النصف الأول من الألفية الأولى، أصبحت البلد مأهولة أساسًا بقبائل البدو الرحل، والذين من تعريفهم، لا يتركون وراءهم بقايا أثرية .

ومع ذلك، لا تزال هناك إشكالية حول مسألة إعادة الإعمار هذه، أولاً، إذا كَرَّس الفرس معظم وقتهم لأنشطة تتصل بالحياة البدوية وتربية المواشي فمن الصعب أن نفهم لماذا تشير أسماء شهورهم إلى وجود تقويم نُظِّمَ أساسًا حول الأنشطة الزراعية، علاوة على ذلك، فإن الاتفاق بين الاكتشافات الأثرية وهيرودوت (Herodotus) يبدو واضحًا أكثر من كونه حقيقيًّا، فلقد كان هيرودوت (Herodotus) يكتب في القرن الخامس

اعتمادًا على مصادر مجهولة، كما سبق أن أكدت أنه لا يوجد سبب لافتراض أن معلوماته تنطبق تحديدًا أو حصرًا على فارس الوسطى في النصف الأول من الألفية الأولى، ومرة أخرى، يظل تحليله للمجتمع الفارسي يتسم بالعمومية، وأحد الأسباب التي تدعو للشك هي أن المجتمع الفارسي في ذلك الوقت كان لا يزال يتشكل من العشائر والقبائل (راجع 167 . IV)، كما أنه يتيح لنا أيضًا أن نخلص إلى أنه حتى في ذلك الوقت مارست القبائل الفارسية الحياة البدوية (مهما كان الواقع المتغير والمتنوع الكامن وراء هذا المصطلح)، وتؤكد الاكتشافات الأثرية على هذا الأمر، حيث إنه في عهد كلٍّ من دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، ظل عدد من المواقع الحضرية منخفضًا جدًّا.

وبالنسبة إلى النتائج الأثرية في حدّ ذاتها، دعونا أولاً نلاحظ أنها أتت من الاكتشافات التي أجريت في منطقة واحدة في فارس، وهي بالتأكيد المنطقة الوسطى، حيث إن هذه المنطقة هي المكان الذي أسست فيه المملكة الفارسية الأولى، ومازالت الإجابة على السؤال حول أين وكيف عاش أجداد الفرس في القرون الأولى من الألفية الأولى غير معروفة تمامًا، علاوة على ذلك، تثير قضية إعادة البناء مشكلة أساسية، فمنذ وقت وصولهم لفارس، والفرس يعيشون في اتصال دائم، بل في تعايش مع السكان الإيلاميين، ويشهد الدور الذي لعبه التراث الإيلامي في تشكيل الحضارة الأخمينية بداية من عهد قورش (Cyrus) فصاعدًا على اتساع وعمق عمليات التمازج الثقافي التي حدثت بين الفريقين، ويمكن أن نرى بالفعل تأثير إيلام في ختم ينسب إلى قورش (Cyrus) الأول، ويمكن أن نستنتج من أسلوب هذا الختم أنه ينتمي إلى النوع الإيلامي الجديد، عندما نضع في اعتبارنا أيضًا أن هذا الختم كان لا يزال يستخدم في برسيبولس خلال السنوات الأخيرة من القرن السادس (501-503)، فإن هذا يعبر بوضوح عن دوام وفوائد التأثير الإيلامي

في الحضارة الأخمينية، بل إن هناك علاقة واضحة بين ألواح صوصا وألواح برسيبولس؛ لذا يجب الاعتراف بأن الانفصال بينهما لم يكن كاملاً، وأن التي تمت في فارس الوسطى تقدم تفسيراً جزئيًا فقط .

ولعل الخطأ يكمن في القول بأن جميع أجداد قورش (Cyrus) عاشوا حياة بدوية في مارف داشت، حيث إن الصورة التي حصلنا عليها من الاكتشافات الأثرية في قطاعات عديدة في سهول شرق خوزستان مختلفة إلى حدٍّ ما، وفي الواقع، يمكننا هناك ملاحظة استمرار الاستيطان الحضري، فقد اكتشف قبر مشيد في أرجان، وهو يبعد حوالي 10 كم من بهبيهان (والتي ربما تمثل هيدالو)، وهو يتيح لنا بإدراك أنه كانت هناك عمليات تمازج ثقافي واسعة كبيرة تتم بين التقاليد الإيلامية والإيرانية والآشورية-البابلية، وتشهد الألواح الإيلامية الجديدة على وجود إيرانيين في هيدالو خلال القرن السابع، وتعتبر بعض هذه الألواح جزءًا من مجموعة تسمى بـ «ألواح الأكروبولس»، والتي تمثل جزءًا من السجلات الإدارية لقصر صوصا في الفترة التي تسمى الآن بالإيلامية الجديدة الثالثة B (قرابة النصف الأول من القرن السادس عشر ق.م، لكن التاريخ غير مؤكد)، وبصفة عامة، تشير هذه النصوص إلى حصول القصر على مجموعة كبيرة جدًا من المنتجات: الصوف، والمنسوجات، والملابس الملونة المختلفة، والخشب، والأثاث، والأدوات، والأسلحة، ....الخ، ويمكن التعرف على عُشر الأسماء المذكورة في هذه النصوص بأنها كانت أسماء إيرانية، أما البقية الأخرى فهي إيلامية، ويوجد بين الرجال الحرفيين رجال ذوو أسماء إيرانية، وأحيانًا يلقبون بـ«الفرس»، ويعتبر كورلوس (Kurlus) أحد موردي الملابس، الذي لديه ابن يدعى بارسيرّا (Parsirra) وهو اسم فارسي، وأحد سادة القصر (راب إكالي) هو شخص يدعى هارينا (Harina) (والصورة الإيرانية لهذا الاسم هي أريباينا (Aryaina))، ويوجد شخص ما يحمل الاسم نفسه، وهو ابن

ماردونوس (Mardunus) والصورة الإيرانية له هي (ماردونيوس) (Mardonius) ، ... إلخ، كما تشير الألواح إلى إدراج المصطلحات الإيرانية في المفردات التقنية، خاصة في مجال المنسوجات والأسلحة، وأحد الألبسة يسمى ساربي، وهي الكلمة التي تذكرنا بالسرابي اليونانية، والتي يصنفها النحاة القدماء (بولوكس، هيسيشيوس يستشهدان بستسياس) على أنها كلمة ميدية، وأحيانًا فارسية، كما تحمل بعض الأسلحة (الرماح والكنانات) أسماء فارسية .

وعمومًا، يتيح هذا الدليل للمؤرخ أن يستكمل ذلك التحليل المختصر لهيرودوت (Herodotus) ، وتنقيح وتعديل الصورة الأثرية المستمدة من الاكتشافات الأثرية التي تمت في وسط فارس. وبتكرار ملاحظة غيرشمان (Ghirshmann) : «يجب أن يعاد النظر في تلك الفكرة القديمة والتي تصور (الفرس) على أنهم بدو يتنقلون مع قطعانهم بحثًا عن المراعي»، وعلى أي حال ومن خلال الاتصال مع الإيلاميين، وخاصةً في خوزستان، حصل الفرس على التكنولوجيا والمهارات التقنية، والتي يمكن ملاحظتها خاصةً في صناعة الأدوات المعدنية والتي أكملت التقاليد الإيرانية، وفي أماكن أخرى، تولى الفرس وظائف مهمة في القصور الملكية لآخر الحكام الإيلاميين، ولقد تم إعطاء بعضهم «أراضي» (إرماتام) في عدة مناطق في السهول والهضبة الإيرانية، ولو أضيف إلى ذلك أن يمكننا ملاحظة وجود الإيرانيين والفرس في بابل منذ بداية القرن السادس عشر سيكون من الصحيح استنتاج أن مملكة قورش (Cyrus) لم تكن مملكة هامشية، معزولة وغارقة في أسلوب الحياة «القديمة»، بل على العكس، فإذا كان الفرس في عهد قورش (Cyrus) قد تمكنوا من فرض هيمنتهم فإن ذلك يرجع إلى أنهم كانوا قادرين تمامًا على جني ثمار التعاون الوثيق وأشكال الاتصالات المختلفة والممتدة مع الإيلاميين، الميديين، والبابليين .

6- آنسان وإكباتانا، وبابل، وصوصا:

نتائج سقوط الإمبراطورية الآشورية:

لحسن الحظ، قد تم التغلب على مشكلة غياب المصادر المكتوبة التي تتحدث حول آنسان، فمن خلال السجلات التاريخية البابلية التي تتيح لنا إعادة بناء السياق الدولي الذي برزت فيه المملكة الفارسية الأولى وفرضت سلطتها، ويمثل سقوط الإمبراطورية الآشورية الحدث الحاسم في هذا السياق، وهو أيضًا الحدث الذي استفاد منه المنتصرون وهم الممالك الميدية والبابلية الجديدة، ولقد بلغت المملكة الآشورية أوج عظمتها في عهد آشوربانيبال (Assurbanipal) (630 ca -669)، ولكنها انهارت بعد وفاته، وجاءت الهزائم العسكرية في مقدمة مشكلات الملوك الذين خلفوه، وفي عام (626) تمَّ الاعتراف بـ«نابوبولاسار» (Nabopolassar) كملك على بابل، وكانت تلك بداية المملكة البابلية الجديدة، التي دامت حتى غزو قورش (Cyrus) في عام (539)، ولقد شنَّ الميديون هجمات ضد الأراضي الآشورية من الشمال والشرق، واستولوا على مقاطعة أرافا في عام (615)، وفي عام (614) قام ملك الميديين «كياكسارس» (Cyaxares) بالاستيلاء على آشور ونهبها، وتلا هذا الإنجاز عقد تحالف بين الميديين والبابليين، وبعد عامين، استولت جيوش الميديين والبابليين المتحالفة على مدينة نينيفا، وفشلت محاولات المقاومة الآشورية وقتها (610-612)، وذلك على الرغم من الهجوم على المواقع البابلية بقيادة الفرعون نيخو (Necho) ،

وانهارت الإمبراطورية الآشورية أمام تلك العاصفة، وعندما عبر الباقون على قيد الحياة المنطقة بعد مرور قرنين من الزمان، وصف زينوفون (Xenophon) العواصم الآشورية كالا ونينيفا (تحت اسم لاريسا وميسبيلا)، بأنها قد صارت مدنًا مهجورة، حيث لم يبقَ شيء سوى البقايا البائسة (Anab ، الكتاب الثالث فقرات 6، 4-12) .

ولا ندري بالتأكيد كيف قَسَّم المنتصران غنائم الإمبراطورية الآشورية، ففي حين احتفظ البابليون بالسيطرة على موقع حران الاستراتيجي، فإنه من المؤكد أن الميديين لم يقوموا فقط بالاستيلاء على الكثير من الأرض الآشورية، ولكنهم واصلوا أيضًا فتوحاتهم في اتجاهات أخرى، وفي عام (585)، وقَّع الملك أستياجس (Astyages) ، الذي جاء خلفًا لـ«كياكسارس» (Cyaxares) ، على معاهدة مع ملك الليديين، الذي يدعى ألياتس (Alyattes) ، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) (1.74) فلقد تمَّ التوصل إلى هذه المعاهدة من خلال وساطة الملوك الكيليكيين والبابليين الجدد، وتعهد كل من أستياجس (Astyages) وألياتس (Alyattes) باحترام الحدود على نهر The Halys ، وأُكِّدت المعاهدة بالزيجات الملكية، التي جعلت ألياتس (Alyattes) صهرًا لأستياجس (Astyages) ، ومن المحتمل أيضًا أن تاريخ سيطرة الميديين على العديد من شعوب آسيا الوسطى يرجع إلى هذه الفترة، ولكن هذه السيطرة أخذت شكل تحالف مع زعماء القبائل المحليين أكثر من كونها إمبراطورية بما تحمله الكلمة من معنى .

لقد خلَّفت الهزيمة الآشورية قوتين عظميين وجهًا لوجه: الميديون والمملكة البابلية الجديدة، وأثناء عهد نبوخذ نصر الثاني (-562) (Nebuchadnezzar 604) وخلفائه، استعادت المملكة البابلية الجديدة الإرث الآشوري في سورية وفلسطين، وضمت جزءًا من كيليكيا، وعلى أية حال، مُنِيَت الحملات ضد مصر بالهزيمة، وهناك منطقة أخرى نجت من السيادة البابلية الجديدة ولو بشكل جزئي على الأقل، وهي إيلام التي اختفت من الساحة بعد تعرضها للهزيمة على يد آشوربانيبال (Assurbanipal) ، ويبدو واضحًا أن صوصا لم يتم تدميرها بشكل كامل (عام 646) مثلما تدعي السجلات الآشورية، وتشير سلسلة من المؤشرات إلى أنه في عام (625) -على أبعد تقدير- أعيد بناء المملكة

الإيلامية حول صوصا، وذلك حتى لو احتفظت المملكة البابلية في قبضتها بواحدة أو أكثر من إمارات إيلام، ولقد امتدت هذه المملكة الإيلامية الجديدة شرقًا إلى التلال الواقعة عند سفح جبال زاجروس، والتي أصبحت هكذا تشكل المنطقة الحدودية الفاصلة بين ملوك الإيلاميين في صوصا وملكهم القديم «آنسان»، التي انتقلت ملكيتها منذ ذلك الوقت إلى قورش (Cyrus) ، وليس هناك ما يدل على أن المملكة الإيلامية بصوصا قد اضطرت إلى الاعتراف بالهيمنة الميدية في مطلع القرن السادس عشر .

وتظل الحقيقة هي أن الموقف الدولى السائد في بداية عهد قورش (Cyrus) (حوالي 559) يعتبر مختلفًا تمامًا عن السياق الذي ظهر فيه أول «ملوك آنسان» قبل ذلك بقرن، وفي عام (559)، انقسم الشرق الأدنى إلى عدة ممالك متنافسة، ميديا (إكباتانا/أستياجس (Astyages))، ليديا (سارديس (Sardis)/ كريوسوس (Croesus))، بابل (بابل/نابونيدوس (Nabonidus))، إيلام (صوصا/أومانيس)، ومصر (سيس/أماسيس (Amasis))، ولقد تواجهت قوتان وهما: (1) المملكة البابلية الجديدة، والتي استمرت في تحقيق الفتوحات في الغرب إلى درجة الهيمنة على كامل الهلال الخصيب بدءًا بانتصار نبوخد نصر (Nebuchadnezzar) في كارشميش (Carchemish) على نهر الفرات في عام (605) وحتى سنوات قليلة بعد اعتلاء قورش (Cyrus) الحكم (559)، ولقد أصبح لنابونيدوس (Nabonidus) الكلمة العليا في بابل (556)، و(2) المملكة الميدية، التي فرضت هيمنتها على الغرب حتى نهر The Halys تحت إشراف أستياجس (Astyages) (الملك منذ 585-584)، ويبدو أنها نجحت في فرض سيطرتها على عدة أمراء محليين في الهضبة الإيرانية -فيما يبدو- حتى إقليم باكتريا.

آنسان على المسرح العالمي:

من جهة أخرى، فنحن لا نعلم شيئًا عن ملوك آنسان أثناء هذه الفترة الطويلة من الزمن، أو عن نتائج عملياتهم العسكرية، هل كان ملوك آنسان قادرين على المشاركة بشكل مباشر في العلاقات الدولية منذ ذلك الحين؟ وسيكون الأمر أكثر متعة إذا تمكنا من تقييم الأهمية التي اكتسبتها المملكة في عهد جدّ قورش (Cyrus) الثاني ووالده، ويجب أن نعترف بأنه من المستحيل معرفة ذلك؛ نظرًا لأنه قبل عام (553) لم تشر أي من المصادر البابلية صراحة إلى قادة آنسان .

ويجب أن نظهر قدرًا كبيرًا من الحذر عند تعاملنا مع النصوص الكلاسيكية التي تتناول سقوط الإمبراطورية الآشورية، ووفقًا لستيسياس (Ctesias) (مستخدمة من قبل ديودورس (Diodorus) (II . 23-28)، فإن «الانحطاط الأخلاقي» الذي ظهر على ساردانابالوس (Sardanapalus) (Assurbanipal) (آشوربانيبال) هو الذي دفع أرباسيس الميدي (Arbaces) لرفع راية الثورة، وتنظيم التحالف الرباعيّ القوى، الذي كان يضم إلى جانب الميديين والبابليين (بقيادة بليسيس (Belesys))، ليس فقط ملك العرب (سكان أعالي النهرين)، وإنما أيضًا الفرس، «الذين استدعاهم من أجل الحرية»، وبغضّ النظر عن كون أرباسيس (Arbaces) شخصًا مجهولاً، فيجب أن نبرز الطبيعة المفاجئة للإعلان الذي أدلى به حاكم إكباتانا، والذي تجمع كل المصادر على أنه فرض سيطرته على الفرس، وهنا وعلى العكس من ذلك نجد الفرس مثلهم مثل الميديين والبابليين وعرب (ما بين النهرين) يخضعون لنير الاستعباد الآشوري الذي لا يمكن تحمله! وربما كانت هذه المصادر نفسها مسؤولة عن تقرير المؤلف اليوناني، أمينتاس (Amyntas) (الذي استشهد به أثينيوس (Athenaeus) ، الكتاب الثاني عشر 529 هـ - و)، والذي طبقًا له فإن أسوار نينيفا التي (ينسب بناؤها إلى ساردانابالوس (Sardanapalus)) قد هدمها قورش

(Cyrus) أثناء الحصار، وتشير تلك الحكايات حول الهزيمة الآشورية إلى رؤية تعتمد بشكل أساسي على وجهة نظر الميديين (الدور الرائد لأرباسيس (Arbaces)) وأيضًا على وجهة نظر الفرس (دور الفرس وقورش (Cyrus))؛ والتي يضطر المؤرخ في مواجهتها إلى إبداء تحفظات قوية في المبدأ، ومن ناحية أخرى، فإنه من الأمور المشكوك فيها أيضًا تصور أنه بناءً على طلب من الميديين، قام الفرس بإرسال فرقة عسكرية إلى الجيش الميدي- البابلي، وأنهم اتحدوا بعد ذلك ضد الجيوش الآشورية .

السيادة الميدية:

وبعد هذه الملاحظة، فإننا يجب أن نعود مرة أخرى إلى مسألة خضوع الفرس إلى الميديين، وطبقًا لرواية هيرودوت (Herodotus) بشأن ثورة قورش (Cyrus) «فقد استاء الفرس لمدة طويلة من خضوعهم لسيطرة الميديين» (I . 127*)، ومع ذلك، يجب أن نعترف بأننا لا نعلم شيئًا عن أصل أو طبيعة إخضاع الميديين للفرس، وينسب هيرودوت (Herodotus) غزو الميديين للفرس إلى الملك فرورتيس (Phraortes) : «فقد نقل عملياته العسكرية إلى ميدان أبعد، وأول بلد هاجمها وأخضعها لسيطرته كانت بلاد فارس، ومن خلال الجمع بين هذين الشعبين القويين، شرع في عملية غزو منظم لأراضي آسيا، وأخيراً هاجم الآشوريين» (I . 102*)، ونظرًا لاتخاذ رواية هيرودوت (Herodotus) في الفصول التي تتناول تاريخ الميديين في شكل إطار تاريخي يعتمد على الحوليات والسجلات الميدية، نستطيع أن نؤرخ عهد فرورتيس (Phroartes) بأنه كان في الفترة ما بين (647/646-625/624)، وإذا قمنا بتبني التسلسل التاريخي للملوك المقترح لبلاد فارس، فحينئذ يجب أن يكون هذا الإخضاع للفرس قد حدث في عهد تيسبيس (Teispes) (أي في الفترة ما بين عامي 635-610)، وعلى الرغم من أن هذا الإخضاع ربما يكون قد حدث، فإنه يجب أن يكون قد حدث في نطاق موجه أوسع من الغزوات، والتي بلا شك سمحت

لفرورتيس (Phroartes) وخلفائه بالاستيلاء على العديد من الإمارات الأخرى التي كانت تسيطر على سلسلة جبال زاجروس، ولكننا ببساطة غير قادرين على مواصلة تحليل هذا الموقف الذي يتعذر علينا معرفة الطبيعة الحقيقية له، باستثناء اقتراح بعض الافتراضات المعقولة، ولكنها تتسم ببعض الغموض لتفسير سبب قيام الفرس كغيرهم من الشعوب الخاضعة للميديين بإرسال الجزية والجنود إلى إكباتانا.

الزيجات بين أفراد الأسر المالكة:

رغب المؤلفون القدامى في التأكيد على الاستمرارية بين مملكتي ميديا وفارس، ولقد اعتبر كل من هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 107)، وجوستين (Justin) (I .4.4)، وزينوفون (Xenophon) (I .2.1) أن قورش (Cyrus) هو ابن قمبيز (Cambyses) الأول والأميرة ماندانى (Mandane) ، كما أنهم صوروا ماندانى (Mandane) على أنها ابنة الملك أستياجس (Astyages) والأميرة الليدية التي تدعى «أريينيس» (Aryenis) ، والتي كانت ابنة الملك ألياتس (Alyattes) ، وبالتالي تصبح شقيقة (أو أخت غير شقيقة) لكريوسوس (Croesus) ، وفي هذا السيناريو، يمثل قورش (Cyrus) الجيل الثاني من أبناء الزيجات الدبلوماسية التي تم عقدها في (عام 585) بين ملوك ميديا وليديا، تحت رعاية سينيسيس (Syennesis) مَلِك كيليكيا، بالإضافة إلى مَلِك المملكة البابلية الجديدة، وبالفعل، انتشرت الزيجات بين أفراد الأسر الملكية في الشرق الأدنى القديم حتى العصر اليوناني، وبطريقة ما، فإن هذا يبرر أهمية ملاحظة هيرودوت (Herodotus) حول تلك الزيجة الميدية-الليدية في عام (585)، «علمًا بأنه نادرًا ما تظل تلك المعاهدات على حالها دون أن تخرق إذا لم تكن هناك عقوبات رادعة» (الكتاب الأول، فقرة 74)، ولكن من المتفق عليه أن أية معلومات يتم تقديمها في كتب المؤلفين الكلاسيكيين يكون مشكوكًا في صحتها، علاوة

على ذلك، فإنها لا تتفق فيما بينها على تقليد الزيجات المتبادلة فيما بين الفرس- والميديين، ويؤكد ستيسياس (Ctesias ، فقرة 2) بشكل مباشر على أن «قورش (Cyrus) لا يملك أدنى درجة قرابة مع أستياجس (Astyages) »، ووفقًا لقوله، فقد تزوجت أميتيس (Amytis) في (550) من سبيتاماس (Spitamas) الميدي، وأنها قد تزوجت في وقت لاحق من قورش (Cyrus) بعد إعدام زوجها، ولقد صرح بيروسوس (Berossus) بأنه بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية، قام أستياجس (Astyages) بتزويج ابنته أميتيس (Amytis) إلى نبوخذ نصر ابن نابوبولاسار- وهي كلها مزاعم لا يمكن فهمها في ضوء التسلسل التاريخي، ولقد أدى هذا التضارب بين الأدلة إلى إثارة الشكوك حول حقيقة زواج قمبيز (Cambyses) - والد قورش (Cyrus) - بتلك الملكة الميدية- وحول ما يمكن أن يوفره ذلك من تبرير أيديولوجي مناسب لسلطة قورش (Cyrus) في ميديا وحتى في ليديا، وهذه هي الفكرة التي نجدها عند هيرودوت (Herodotus) ، حيث إستخدمها لشرح الاتصالات الأولى التي جرت بين قورش (Cyrus) وأماسيس فرعون مصر، ثم الفتوحات التي قادها قمبيز (Cambyses) (الكتاب الثالث، فقرات 1-3)، ويبدو واضحًا أن هذا المبرر الناتج عن كون الفاتح ينحدر من نسل أحد أفراد الأسرة المالكة قد تم اختلاقه في معظم الحالات بعد أن وقع الفتح فعلاً .

7- من الميديين إلى الفرس:

الاستعارة والإرث:

اعتمادًا على التقارير اليونانية -ولو على الأقل بشكل جزئي- يعتقد عمومًا، وإن كان الإجماع على ذلك يقل يومًا بعد يوم- إن التأثير الميدي قد لعب دورًا حاسمًا في إقامة وتنظيم المملكة الفارسية، ولقد قادت دراسة المفردات المستخدمة في الإدارة الأخمينية وفي القصر الملكي بعض

المؤرخين إلى استنتاج أن الكلمات الميدية المستعارة كانت تستخدم بشكل متكرر على وجه خاص في الألقاب الملكية والإدارات الحكومية، ويقوم هذا التفسير على الاعتقاد بأنه كانت توجد لغة ميدية تختلف عن اللغة الفارسية القديمة، وفي الوقت نفسه، فهو يقوم -بشكل معلن أو ضمني- على فرضية أن الفرس أنفسهم لم يكن لهم تقاليد ملكية خاصة بهم، وأن المملكة الميدية هي النموذج الوحيد المتاح أمامهم، حتى إن الميديين أيضًا قاموا بطريقة غير مباشرة بنقل التقاليد الآشورية-البابلية وتقاليد الأورارتيين إلى الفرس في هذه المجالات، وبالمثل فإن هذا التفسير يقوم أيضًا على الملاحظة القائلة بأنه بعد غزو إكباتانا، كان اليونانيون وشعوب الشرق الأدنى يشيرون بشكل متكرر إلى الفرس مستخدمين اسم الميديين (ومن هنا، وعلى سبيل المثال، جاء المصطلح الفرنسي «الحروب الميدية Guerres Mediques » والذي يعني باللغة الإنجليزية «الحروب الفارسية Persian Wars »، أو الوصف اليوناني القديم للتعاون السياسي مع الإمبراطورية الأخمينية وممثليها بـ «التميد»)، وهذا يدل على أن قورش (Cyrus) قد اقتبس التقاليد الميدية بالكامل، هذا بالإضافة إلى أن مملكة ميديا كان لها تأثير قويّ بالفعل على فارس خلال فترة السيادة السياسية لإكباتانا.

ويثير هذا النوع من التفسير سلسلة من المشكلات التاريخية، التي يجب أن نحدد تفاصيلها، ولا يمكن إنكار الارتباط الثقافي والعرقي بين الميديين والفرس؛ فكلاهما شعوب إيرانية، حيث ينبعان من الأصول الهندية-الإيرانية نفسها ولو مع وجود فوارق كبيرة بينهما، ولكن هذه الملاحظة غير محددة في حد ذاتها؛ ولهذا السبب لا تزال نظرية الاستعارة اللغوية محل خلاف، حيث إنها تنطلق من افتراض ضمني بأن الكلمات الغريبة الموجودة في النقوش المكتوبة باللغة الفارسية القديمة قد تمّ إستعارتها من اللغة الميدية، وتكمن المشكلة في أننا لا نعرف شيئًا

تقريبًا عن اللغة الميدية، ويرجع ذلك إلى سبب واضح وبسيط، وهـو أننـا لا يوجـد لدينا نقش واحد مكتوب بتلك اللّغة، وانطلاقًا من هذا المنطق الذي يمكـن اعتبـاره دائريًّا أعيد بناء اللّغة الميدية على أساس المفردات المسـتعارة الموجـودة في النقـوش الفارسية والتي قد خضعت هي نفسها لعملية إعادة بناء، وفي ضوء هذه الحقيقـة، وبدون وجود حجج قوية، يعد وجود اللّغة الميدية نفسها موضع شـك، وقـد يـزعم الـبعض بـدلاً مـن ذلـك أن لغـة النقـوش الأخمينيـة هـي لغـة مشـتركة (كـويني) يستخدمها كل من الميديون والفرس، ووفقًا لهذه الفرضية، تعتـبر نظريـة الاسـتعارة اللغوية ضعيفة إلى حد كبير، وغـير مدعومـة بالتفسـيرات التاريخيـة التـي اقترحهـا المؤلفون الكلاسيكيون .

تركيبة المملكة الميدية:

إنـه لمـن المؤكـد أن التفنيـد المحتمـل لنظريـة قيـام اللغـة الفارسـية القديمـة باستعارة المصطلحات السياسية والأيديولوجيـة مـن الـلـهجة الميديـة التـي كانـت تتحدث بها المملكة الميدية السابقة يشتمل نفسه على استدلالات تاريخية ضخمة للغاية، وفي الواقع، وعلى أساس هذه الاستعارات المفترضة، قـد أعيـد - ولـو بشـكل جزئي على الأقل- بناء صورة عن مملكة ميدية موحدة تدار بـنفس الأسـلوب الـذي كانت تدار به جاراتها من الممالـك الأورارتيـة والآشـورية-البابليـة، حتـى بـأن هـذا التفسير هو أكثر إغراءً؛ حيث يبدو وللوهلة الأولى أنه يتوافق مـع النقـاش الطويـل الـذي قدمـه هـيرودوت (Herodotus) في حديثـه في (Medikos Logos) (الكتـاب الأول، فقرات 95-106) عن أصل وتاريخ المملكة الميدية، وينسـب الـدور الأسـاسي في تلك الرواية إلى ديوسيس (Deioces) بن فروتيس (Phraotes) الأول، الـذي اسـتطاع من خلال سلسلة من التدابير التي كانت وحشية بقدر ما كانت فَعَّالـة تحويـل ذلـك المجتمع القَبَلي إلى دولة مُوَحَّدة يسيطر عليها الملـك، ولـه كامـل السـلطات، ويتضـح تعزيـز السـلطة الملكيـة وترسُّـخها مـن خـلال إنشـاء مدينـة ملكيـة، هـي إكباتانـا

وإنشاء فرقة «الحرس الملكي»، وإقامة نظام صارم للغاية للمراسم المتبعة في القصر الملكي، بطريقة جعلت زعماء العائلات الميدية العريقة - والذين قد جردهم من سلطتهم- «ينظرون إليه على أنه ذو طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعتهم»، وعلاوة على ذلك، ولممارسة سلطته، أطلق ديوسيس (Deioces) جواسيس للمراقبة والتنصت في كل جزء من أجزاء ملكه» (101-95. I)، ولقد ورث خليفته فرورتيس (Phraotes) الثاني هذه القدرة، حيث استطاع إخضاع الفرس وبدء الحرب ضد آشور، لكنه لقي مصرعه في هذه الحرب (102. I)، وبعد وفاته، واصل ابنه سياكساريس (Cyaxares) مسيرة الغزو، وتحقيقًا لهذه الغاية أعاد تنظيم جيشه، في محاولة لتوحيد الفرق المتنوعة، كما هاجم نينيفا، ولكن صدته فِرَقٌ من السكيثيين، ولقد استعاد السلطة مرة أخرى بعد مرور ثمانية وعشرين سنة من الحكم المتبادل بينه وبين السكيثيين: «حيث استعاد الميديون سلطتهم وملكهم السابق، واستولوا على نينيفا»، بعد ذلك بوقت قصير، ثم استخلف ابنه أستياجس (Astyages) ، وهذه بالضبط أسطورة أصل قورش (Cyrus) .

ولكن، ولأسباب عديدة تصبح رواية هيرودوت (Herodotus) عن الميديين أنفسهم موضع شك كبير، ومما لا شك فيه، أنه يصعب إنكار الصفة التاريخية للملوك، وليس هناك سبب مقنع للشك في التسلسل الزمني، ولكننا نجد أن قصة الإصلاحات التي قام بها ديوسيس (Deioces) تشبه النموذج الحالي «الأب المؤسس»، وذلك لكي نضع الثقة العمياء فيها. وعلاوة على ذلك، فإن المؤسسات التي أنشأها ديوسيس (Deioces) (العاصمة، الحرس الشخصي، مراسم البلاط، عيون وآذان الملوك) تتشابه مع المؤسسات الأخمينية التي كثيرًا ما يصفها المؤلفون اليونانيون، لدرجة أننا نميل إلى الاعتقاد بأن هيرودوت (Herodotus) (مثله مثل سترابو (Strabo) كما سنرى في وقت لاحق، (. XI

13.9) يقوم بتطبيق (أو يمكن أن يطبق) ما يعرفه عن ممارسات البلاط الفارسي من تلقاء نفسه، ويبقى السؤال: هل ميديا في عهد أستياجس (Astyages) تعتبر دولة ملكية كاملة قوية، بحيث يمكن أن يقتبس قورش (Cyrus) نسخة منها في بلاد فارس؟

ونعرف أيضًا عن الميديين من السجلات الآشورية، إلى درجة أنه، في بداية القرن التاسع بوجه خاص، حاول الملوك الآشوريون فرض سيطرتهم على الإمارات التي تسيطر على جبال زاجروس، ولكن من مقارنة أوجه الشبه بين مصادر هيرودوت (Herodotus) والآشوريين فهي تعتبر مصادر افتراضية، فمن الواضح -على سبيل المثال- أن التطابق المقترح بين الأسماء الشخصية التي ذكرها هيردوت ونظيراتها الموجودة في السجلات الآشورية لا يمكن أن ينظر إليها على أنها لها قيمة إثباتية والتي كثيرًا ما تنسب إليهم، وعلاوة على ذلك، وفي وقت المواجهة الأولى (835)، تم وصف الميديين الذين واجهوا سالمانيسر (Salmaneser) الثالث بأنهم مجتمع مقسم، حيث كان يمارس سبعة وعشرين ملكًا الحكم بشكل مستقل عن بعضهم البعض، ولا يوجد ما يشير إلى أن الشعب الميدي قبل القرن السابع تطور بشكل سريع في اتجاه توحيد صفوف القبائل حول رئيس أعلى واحد، والذي يمكن أن يطلق عليه ملك الميديين .

ولكن يجب تناول نتائج الاستكشافات الأثرية دائمًا بحذر، فلا يمكن أن يطلق على أية تحفة يدوية اسم «ميدية» على الإطلاق، ويصبح مدى ملاءمة مصطلح «الفن الميدي» للتعبير عن الأعمال التي أبدعوها من الأمور المشكوك فيها، ولقد تم التنقيب في ثلاثة مواقع في إقليم ميديا وهي: جودين طيبة، ونوسي جان طيبة، بابايان، ولقد تمت إماطة اللثام عن أطلال المباني السكنية التي تم اكتشافها هناك، ومن بينها (القاعات مرفوعة السقف على أعمدة)، والتي تعتبر عمومًا من سمات العمارة

الأخمينية، ولكن تحديد التاريخ الدقيق الذي تعود إليه هذه المباني لا يزال موضع شك، ولقد قام هيرودوت (Herodotus) بوصف تاريخ العلاقات بين هذه المنشآت وبين الأنشطة التي قام بها الملوك الميديون .

تقييم المناقشة:

تعتبر خاتمة المناقشة مخيِّبة للآمال بعض الشيء، ولكنها تعكس مجموعة من الأدلة تثبت أن المؤرخين لا يستطيعون اختيار مصادرهم، وأثناء تناولهم للتاريخ الميدي، يواجه المؤرخون حالة مشابهة للحالة التي تواجههم في تناول التاريخ الفارسي قبل عهد قورش (Cyrus) ، ولقد أدى غياب النقوش والسجلات الأثرية الدامغة إلى مناقشات مطولة حول مدى مصداقية هيرودوت (Herodotus) ، بينما ومن ناحية أخرى، يجب في الوقت نفسه أن يكون لذلك انعكاساته على النموذج النظري لتطور الدول القبلية، ويتمثل الفرق في أنه كثيراً ما يظهر الميديين في سجلات ممالك مابين النهرين: في كل من السجلات الآشورية، والبابلية الجديدة، ولكن إلى أيٍّ تشير هذه النصوص؟ وهل يجب بالضرورة أن ملوك الميديين ديوسيس (Deioces) ، فرورتيس (Phraortes) ، سياكساريس (Cyaxares) ، وأستياجس (Astyages) ؟ فالأمر ليس مؤكدًا على الإطلاق .

كل ما يمكننا قوله هو: أن تدخل الميديين في العلاقات الدولية ومشاركتهم المباشرة في سقوط الإمبراطورية الآشورية يشير ضمنًا إلى أن «ملوك ميديا» بداية من الثلث الأخير من القرن السابع قد نجحوا في جمع جيش جدير بهذا الاسم، وبالتالي كانت لديهم موارد كبيرة، واستطاعوا فرض الجزية على الشعوب المجاورة والربح من خلال التجارة طويلة المدى مع آسيا الوسطى، فإن الإشارات التي قدمها هيرودوت (Herodotus) حول الإصلاحات العسكرية التي قام بها سياكساريس (Cyaxares) مازالت مناسبة لتقييم مساهمة كل من الميديين والبابليين في إسقاط المملكة الآشورية، ومن المؤكد أنه وعلى الرغم من

ادعاءات ستيسياس (Ctesias) بأن مشاركة الميديين (والفرس!) يبـدو أنـه كـان لهـا تأثير أصغر إلى حد ما مقارنة بالجيوش البابلية، ويبدو من المشكوك فيـه أن يكـون هذا الانطباع قد نتج من إعادة كتابة التاريخ بواسطة المـؤلفين البـابليين الحريصـين على تأكيد الدور الحاسم للجيوش البابلية .

ورغم عدم وجود أدلة دامغـة، ففـي النهايـة يجـب أن نؤكـد عـلى محدوديـة الحجة المستندة على الروابط الأثنيـة-الثقافيـة بـين، وفي الواقـع، فعـلى الـرغم مـن الأصل المشترك لكل من الفرس والميديين (جبال زاجروس)، فإن الشعبين قـد خضـعا إلى تطورات متنوعة ومتمايزة، وبعد الوصول إلى إقليم فارس، تعرض هـؤلاء الـذين نطلق عليهم اسم الفرس بدرجة كبيرة للتأثير الإيلامي، لدرجة أننا نميل إلى الاعتقـاد بأن هؤلاء الفرس الذين تواجدوا في عهد قورش (Cyrus) يضمون فيما بينهم الكثير من السكان المنحدرين من مزيج من الإيرانيين والإيلاميين، والأهـم مـن ذلـك فقـد استمرت استعارة المفـردات والعـادات الإيلاميـة في كـل جوانـب الحيـاة السياسـية، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بـأن تنظـيم مملكـة قـورش (Cyrus) وخلفائـه يـدين بأشياء كثيرة إلى التراث الإيلامي، والتي يمكن تحديدها بدقة، بينما يصـعب تحديـد الاستعارات الميدية، وتقودنا بعض المؤشرات إلى افتراض أنه بـدلاً مـن كـون مملكـة قورش (Cyrus) مملكة «بدوية وبدائية»، استنادًا إلى النمـوذج الإيلامـي، فقـد تـم تزويدها بالتنظيمات الإدارية التي تعتبر منظمة تعمـل بالكامـل في فـارس في عهـد دارا (Darius) .

8- الخاتمة:

أما الآن فإن السـؤال المطـروح في بدايـة هـذا الفصـل: لمـاذا قـورش (Cyrus) ؟ لم نجد له جوابًا مرضيًا، وكل ما نستطيع أن نفعله هو جمـع

المعلومات المتفرقة والمتعارضة، ورسم انطباع، مع الأخذ في الاعتبار أنه يمكن أن يكون هناك أكثر من احتمال، ومن المؤكد أن دراسة مراحل الغزو التي قام بها قورش (Cyrus) ستتمكننا من إلقاء بعض الضوء من جديد. وتبعًا لديودورس سيكيولس (Diodorus) : «فلقد كان قورش (Cyrus) -ابن قمبيز (Cambyses) - ومانداني (Mandane) -ابنة أستياجس (Astyages) - الذي كان ملك الميديين، متميزًا بين الرجال في وقته بالشجاعة والحكمة وسائر الفضائل، حيث ربَّاه والده على آداب الملوك، وقد جعله متحمِّسًا لمحاكاة أعظم الإنجازات، وكان من الواضح أنه سيكون له شأن عظيم (22. IX*).

الآن، ودون الرغبة في المضي قدمًا مع القصة، فإننا يجب أن نضع دائمًا نصب أعيننا أنه ليست لدينا أية فكرة محددة عن خطط قورش (Cyrus) ، فإننا لا نعرف شيئًا عن عهده حتى اللحظة التي واجه فيها أستياجس (Astyages) ، أي بعد عشر سنوات من توليه السلطة، هل كان يتحكم في الأحداث؟ لا يمكننا بالتأكيد قول ذلك، فلقد أشارت وصرحت عدة وثائق -على العكس من ذلك- بأن المبادرة جاءت من أستياجس (Astyages) في آواخر عام (550)، ومن كريوسوس (Croesus) بعد بضع سنوات، هل كانت غزواته ناضجة وقائمة على خطة شاملة؟ أم هل كانت تتم في مراحل متعاقبة واحدة تلو الأخرى اعتمادًا على نتائج المعارك الأولى وموافقة زعماء القبائل الآخرين؟ هذه المشكلة لا يمكن حلها تمامًا، وكما هو معترف به، فإن أولئك المؤرخين المجهزين بالأدوات اللازمة للتعامل مع الأدلة يهتمون بأصول وأهداف فتوحات الإسكندر (Alexander) ، أو بمراحل تطور الإمبراطورية الرومانية.

الجزء الأول

بناة الإمبراطورية

من عهد قورش (Cyrus) إلى دارا (Darius)

الفصل الأول

جامعو الأراضي

قورش (Cyrus) الأكبر وقمبيز (Cambyses) (550- 553)

الأعمال العدائية بين الفرس والميديين

1- هزيمة أستياجس (Astyages) وسقوط إكباتانا (550-553)

المصادر والمشكلات:

باستثناء بعض العناصر الحقيقية في الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس والتي تم تسجيلها في مؤلفات كل من هيرودوت (Herodotus) وستيسياس (Ctesias) (من خلال نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي)، وبعض الفقرات المُنفصلة في مؤلفات ديودورس (Diodorus) وجوستن (Justin) ، فإن المعلومات الوحيدة المتوفرة لنا حول المعارك التي دارت بين الميديين والفرس تأتي من السجلات البابلية التي تمت كتابتها في عهد نابونيدوس (556-539) (Nabonidus)، ويزعم الملك البابلي الجديد أنه خلال العام الأول من حكمه، أكد له الإله ماردوك (Marduk) في حلم شاهده أن التهديد الميدي (في منطقة حران) سوف يتم القضاء عليه سريعًا: «وفي الحقيقة، وبحلول العام الثالث (553)، فإن ماردوك (Marduk) عمل على رعاية وتربية قورش (Cyrus) ، ملك آنسان، وخادمه الصغير (أردو)، ونجح قورش (Cyrus) في هزيمة وتشتيت جيوش عمان-ماندا العظيمة بواسطة جيشه الصغير، وقبض على أستياجيس (Astyages) -ملك الميديين- واقتاده أسيرًا إلى بلده .

ويوجد نص بابلي آخر، «تاريخ نابونيدوس» (II .1-4) (Nabonidus)، يشير مباشرة إلى انتصار قورش (Cyrus) ، وتتضمن الفقرة التي تسبق مقدم عام نابونيدوس (Nabonidus) السابع (549) ما يلي: «حشد أستياجيس (Astyages) جيشه وزحف لملاقاة قورش (Cyrus) -ملك آنسان- وغزو بلاده ...... وتمرد قادة الجيش ضد أستياجيس (Astyages) ، وأسروه، وسلموه إلى قورش (Cyrus) ، واتجه قورش (Cyrus) نحو إكباتانا، المدينة الملكية، واستولى على ما بها من فضة وذهب وسلع وممتلكات، ونقلها كغنيمة من إكباتانا إلى آنسان».

تدعم هذه النصوص بعض النقاط، وتوضح نقاطًا أخرى في المادة التي وفرها لنا الكتاب الكلاسيكيون، وأحد الأسئلة التي تواجه المؤرخ تتمثل في ما إذا كانت العمليات العسكرية التي شنها قورش (Cyrus) ضد أستياجس (Astyages) تمثل جزءًا من استراتيجية كلية والتي كانت تهدف منذ البداية إلى مواجهة الميديين والليديين والبابليين على التوالي: لخلق إمبراطورية موحدة من نوع جديد لم يألفه الشرق الأدنى، وهذا هو الانطباع الذي يحصل عليه القارئ من النصوص الكلاسيكية التي تكتب عن الأعمال الفذة التي قام بها قورش (Cyrus) ، ولكن كقاعدة عامة لا بد أن يتحدى المرء التفسيرات التي تختزل التاريخ إلى مجرد قَدَر وظروف، وعلى الرغم من أن هيرودوت (Herodotus) قدم مسألة الزحف باتجاه إكباتانا على أساس أنها كانت مبادرة مقصودة من قورش (Cyrus) وحده، فإن أحد النصوص البابلية وهو «تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) » يقول عكس ذلك تمامًا، بأن أستياجيس (Astyages) كان من بدأ بالهجوم.

والأكثر من ذلك، أن «الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس» التي يصفها هيرودوت (Herodotus) بالتفصيل (I .95-130) تتحدث بوجه الخصوص عن خديعة بعض النبلاء لأستياجيس (Astyages) ، ولدى وصول الأخبار عن اقتراب الجيش الفارسي الذي أعده قورش (Cyrus) ،

يقال: إن أستياجيس (Astyages) وضع الجيش الميدي تحت قيادة وسيطرة هارباجوس (Harpagus) وهو الشخص نفسه الذي أسيئت معاملته، وعوقب بقسوة بسبب إنقاذه لحياة قورش (Cyrus) وهو طفل صغير، وقد اتصل هارباجوس (Harpagus) سريعًا بقورش (Cyrus) الذي عاد إلى بلاد فارس مع والده قمبيز (Cambyses) الأول، وشجعه على الثورة ضد الميديين، وجمع أيضًا حوله مجموعة من النبلاء الميديين الذين شعروا بالضيق من حدة أستياجيس (Astyages) ، «وقد عمل هارباجوس (Harpagus) على إقناعهم بتولية قورش (Cyrus) مقاليد الحكم، والتخلص من أستياجيس (Astyages) « (I .123)، وكان التفاهم المبدئي الذي تم التوصل إليه بين هارباجوس (Harpagus) وقورش (Cyrus) كان يصب بدرجة كبيرة في مصلحة المخططات الفارسية، «نزل الميديون إلى ميدان القتال واشتكبوا مع الجيش الفارسي، ولكنهم كانوا قلة ممن لم يشتركوا في المؤامرة، وقاموا بواجبهم، ولكن بالنسبة إلى البقية، فإن البعض هربوا إلى الفُرْس، وتوقف العدد الأكبر عن القتال عمدًا وفروا، وانهار الجيش الميدي بشكل مشين»، وهكذا حل الفُرْس محل الميديين، وتم اعتبارهم سادة آسيا (I .130).

ولكن عن طريق اختزال الحرب الميدية-الفارسية كمجرد حرب انتصر الفُرْس فيها بالحظ، ومن خلال تقديم فتح ميديا على أنه كان أمرًا رغب فيه الميديون أنفسهم، يبدو لنا بوضوح أن هيرودوت (Herodotus) يبسط من هذا الأمر بشكل كبير. وتقترح النصوص البابلية أن الحرب الحاسمة والاستيلاء على إكباتانا كان مجرد ذروة الحرب المعلنة التي استمرت على الأقل لمدة ثلاث سنوات (553-550)، وفي الواقع، فإن تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) يؤكد على أن «الجيش ثار ضد أستياجيس (Astyages) وقام بأسره»، ولكنه يقر أيضًا -كما شاهدنا- بأن أستياجيس (Astyages) نفسه هو الذي بدأ بالهجوم، ربما لإحباط الثورة الفارسية التي

هددت المواقع الاستراتيجية ووسعت من خطط منافسه الرئيسي الملك البابلي الجديد «نابونيدوس (Nabonidus) »، وعلى الجانب الآخر، فإنه من غير المؤكد أن نابونيدوس (Nabonidus) ، دون أن يكون قد وصل إلى حدّ الدخول في حلف رسمي مع قورش (Cyrus) ، لم يقم بفعل شيء لإحباط محاولات الملك الفارسي للاستيلاء على المملكة الميدية، وفي الواقع، وفي العام نفسه (553)، ترك نابونيدوس (Nabonidus) بابل ليسكن في واحة تاماء في شبه الجزيرة العربية، وقبل مغادرته توجب عليه أن يؤكد على أسس سلطة ابنه بلشازار (Belshazzar) ، الذي تركه ليتولى مقاليد الحكم في بابل .

الهجمات، والهجمات المضادة:

يؤكد العديد من المؤلفين الكلاسيكيين أن نصر قورش (Cyrus) كان نصرًا صعبًا، واستلزمه وقتًا طويلاً، ولم تؤدِّ الخيانة التي لا تنكر قام بها هارباجوس إلى تحويل دفة الحرب مباشرةً لصالح الفُرْس، ووفقًا لستيسياس (Ctesias) «وهي الرواية التي استشهد بها ديودورس (IX .23) (Diodorus) فلقد قام أستياجيس (Astyages) بعد ذلك باتخاذ إجراءات وحشية: فعزل قادة الجيش، وعين مكانهم رجالاً يثق بهم، باختصار، فلقد حكم بالإرهاب، ويذكر جوستن (Justin) -ربما اعتمادًا على المصدر نفسه- أنه عقب الهزيمة وخديعة هارباجوس (Harpagus) ، قاد أستياجيس (Astyages) الجيش بنفسه هجم على الفرس (الكتاب الأول، فقرات 8.6-17)، أكد كل من نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي وبوليانوس Polyaenus) VII 6-9.) على أن قتالاً عنيفًا قد دار في فارس نفسها، بالقرب من موقع «باسارجاداي»، ويكتب بوليانوس (VII .1.6): «لقد قام قورش (Cyrus) بخوض ثلاث معارك ضد الميديين، وتعرض للهزيمة عدة مرات، وكانت هناك معركة رابعة في باسارجاداي، حيث كانت توجد نساء وأطفال الفرس، ولقد فر الفُرْس مرة أخرى أمام

الميديين، ولكنهم عاودوا الهجوم، وانقضوا على الميـديين الـذين كـانوا قـد تفرقـوا في مطاردتهم للفرس الفارين، وحققوا نصرًا كاملاً عليهم لدرجة أن قـورش (Cyrus) لم يحتج للقتال مرة أخرى .

حتى إنه يذكر أنه عقب الهزائم الأولية: «انشقّ العديد مـن الفـرس وانضـموا إلى الميديين»، ولقد ركز نيقولاس (Nicolaus) الدمشـقي عـلى العنـف والاضـطراب الذي كانت تتسم أعمال القتال التـي دارت في بـلاد فـارس، ولقـد احتفـى كـل مـن بوليانوس (Polyaenus) ونيقولاس (Nicolaus) بالسلوك الباسل للنساء اللاتي لجأن إلى الأماكن العالية، وشرعن في حض آبائهن وإخوانهن وأزواجهن على القتال ورفـض الهزيمة، ولهذا السبب كان الملك الأكبر يقوم في كل مرة يزور فيها بـلاد فـارس بمـنح النساء الهبات (نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي)، وعند إتمام النصر، استأنف قورش (Cyrus) الهجـوم عـلى مملكـة ميـديا واسـتولى عـلى إكباتانـا، حيـث لجـأ إليهـا أستياجيس (Astyages) ، وربما نتصور أن أستياجيس (Astyages) كان يعتمد على تحصينات المدينة للمقاومـة لفـترة طويلـة: ووفقًـا لستيسـياس (Ctesias) فلقـد أُسِرَ أستياجيس (Astyages) بينما كان مختبئًا في الغرفـة العلويـة مـن الـقصر الملـكي مـع ابنتـه وزوجهـا سـبيتاماس (Spitamas) ، ووفقًـا لنيقـولاس (Nicolaus) الدمشـقي، تمكن أستياجيس (Astyages) بالفعل من الفرار وأنه أُسِرَ فقط نتيجة لمعركة أخرى .

سيد إكباتانا الجديد:

والآن وبعد أن أصبح قورش (Cyrus) سيد إكباتانا، أظهر قورش بمجموعـة مـن الرمزيـة والشكلية أن السيادة قد انتقلت إلى الفرس، الذين أصبحوا «سـادة الميـديين عـلى الـرغم مـن أنهم كـانوا عبيـدًا لهـم في السـابق» (هـيرودوت (Herodotus) (الكتـاب الأول، فقـرة 129)، وفي احتفـال رسـمي، دخـل قـورش (Cyrus) الخيمـة الملكيـة لأسـتياجيس (Astyages) ،

وجلس على العرش الملكي للملك المهزوم، ومسك صولجانه، وقام مساعده أويباراس (Oibaras) بوضع العمامة المستقيمة (كيداريس) على رأس قورش (Cyrus) ، وكانت رمز الملك في مملكة ميديا، وهي أيضًا علامة على سلطته الجديدة، ولقد مثل الاستيلاء على الكنوز الملكية الميدية علامة واضحة على سلطته المكتسبة حديثًا. وعهد قورش (Cyrus) إلى أويباراس (Oibaras) بمهمة نقل هذه الكنوز إلى فارس، ومن المؤكد أن هذه الغنيمة كانت لها أهمية عملية كبيرة، حيث إنه وللمرة الأولى، أصبح متوفرًا لدى قورش (Cyrus) مصادر لا تنفد للإنفاق على حملاته القادمة .

وفي الوقت نفسه، اهتمَّ قورش (Cyrus) بالظهور كخليفة لأستياجيس (Astyages) ، حيث أبقى على حياته، ووفر له حياة كالأمراء، وتزوج قورش (Cyrus) من ابنة أستياجيس (Astyages) المسماة أميتيس (Amytis) ، وذلك وفقًا لما أخبرنا به ستيسياس (Ctesias) وزينوفون (Xenophon) ، ووفقًا لنيقولاس (Nicolaus) المدشقي، فلقد قدم العديد من شعوب آسيا الوسطى (البارثيين، والساكيين، والباكتريين) إلى خليفة أستياجيس (Astyages) ليقدموا له فروض الولاء والطاعة، ووفقًا لستيسياس (Ctesias) ، فإن سكان باكتريا الذين ثاروا مؤخرًا «خضعوا من تلقاء أنفسهم إلى أميتيس (Amytis) وقورش (Cyrus) »، وذلك عندما علموا أن «أستياجيس (Astyages) قد أصبح والد قورش (Cyrus) وأميتيس (Amytis) - زوجته»، وهذا التقليد مشكوك فيه حيث إنه يلبي رغبة قورش (Cyrus) في الظهور بمظهر الفاتح «الشهم» الذي خضعت لسلطته الشعوب المهزومة بمحض إرادتها، ومن الواضح أن النبلاء الميديين بالكامل لم يتقبلوا ببساطة أن يتم حرمانهم من الفوائد التي كانت تعود عليهم من كون أستياجس (Astyages) هو الملك، ولكن في الوقت نفسه، ينص التقليد على أن السيد الجديد لمملكة ميديا كان راغبًا في ربط نفسه بالأسرة

الحاكمة التي قد أطاح بها للتوّ، ونتيجة لكون إكباتانا مركزًا استراتيجيًّا ذا أهمية كبرى لأي ملك يرغب في السيطرة على آسيا الوسطى - فقد ظلت واحدة من المساكن المنتظمة لأباطرة الفرس. ألم تكن إكباتانا نفسها هي المكان الذي تم العثور فيه في عهد دارا (Darius) على نسخة من مرسوم قورش (Cyrus) الخاص الذي يأمر فيه بعودة العبرانيين إلى القدس. وقد قامت أسرة إيجيبي البابلية على الأقل منذ عام (537) بممارسة بعض الأعمال التجارية في عاصمة ميديا، التي كان يقيم فيها قورش (Cyrus) بلاطه الملكي لوقت طويل يصل إلى عدة شهور في العام، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من المؤكد أنه عندما أدرك النبلاء الميديون أن الهزيمة أصبحت حقيقة مؤكدة، وافق بعضهم على التعاون مع الملك الجديد .

2- الموقف العالمي الجديد ومشروعات قورش (Cyrus)

الميراث الميدي الإقليمي والدبلوماسي:

للأسباب سالفة الذكر، يجب ألا يتم اختزال الفتح الأولي لقورش (Cyrus) على الغلاف الميدي الذي أعطته له المصادر الكلاسيكية، ومن الواضح أن تمكن الفرس من فرض سيادتهم على إكباتانا قد أحدث تحولاً عميقًا في الوضع الجغرافي والسياسي في الشرق الأدنى بأكمله، حيث إن تقديم قورش (Cyrus) نَفْسَهُ بوصفه وريث أستياجيس (Astyages) ، وموافقة أستياجيس (Astyages) على ذلك، تعني في الواقع أن السيد الجديد قد تَبَنَّى أيضًا المطامع الإقليمية نفسها التي كانت لسلفه، ولقد كانت هذه الاستمرارية تعني أن يتصادم قورش (Cyrus) إن عاجلاً أو آجلاً مع القوى العظيمة التي تمثلها مملكة ليديا والمملكة البابلية الجديدة، وعندما كتب هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 130) أنه عقب سقوط أستياجيس (Astyages) ، أصبح الفرس «سادة آسيا»، فهو يؤكد على هدف مبرمج أكثر من كونه يحلل إنجازًا اكتمل تحقيقه، وحتى إذا كان

نابونيـدوس (Nabonidus) لم يـر عـدا المنـافع في الصراع الـذي دار بـين الفـرس والميـديين، فـإن نصر قـورش (Cyrus) أقحمـه في موقـف مـليء بالمخـاطر، حيـث أصبحت كل مـن المملكـة الفارسـية-الميديـة، والمملكـة البابليـة الجديـدة في وضـع يجعل منهم متنافسين وليس حلفاء.

ولقد تسبب الحصول على هذا الإرث الميـدي لقـورش (Cyrus) بمشـكلة عـلى الجبهـة الغربيـة أيضًـا، فمنـذ عـام (585) كانـت هنـاك معاهـدة بـين أسـتياجيس (Astyages) والملك ألياتس (Alyattes) ، والتي وفقًا لهـا يعتـبر نهـر The Halys هو الحد الفاصل بين أراضي مملكتي ميـديا وليـديا، وفي وقـت سـقوط أسـتياجيس (Astyages) ، كان ملك ليديا -كريوسوس (Croesus) - مشـهورًا عـبر الشرق الأدنى واليونان بضخامة ثروته وبقوته العسكرية الكبيرة، وقد فـرض سـيطرته عـلى المـدن الساحلية اليونانية، التي أرسلت له الجِزْية، وكان يسيطر أيضًا على هضبة الأناضول بأكملها، عدا أقاليم ليسيا، وكيليكيا، وطابال (كابادوكيا) .

المشكلات الناتجـة عـن تحديـد تـواريخ وقـوع الأحـداث واسـتراتيجية قـورش (Cyrus) :

يتطلب تحليل اسـتراتيجية قـورش (Cyrus) -عـلى الأقـل- معرفـة مراحلهـا، وعلى العكس، فإن تحديد تاريخ فترة حكم قـورش (Cyrus) لا يـزال غـير مؤكـد، وإذا وضعنا في اعتبارنا أن تاريخ الاستيلاء على إكباتانـا ظـل محـيرًا خـلال عـام أو اثنين، نجـد أنّ هنـاك حـدثين فقـط تـم تحديـد تـاريخ حـدوثهما بشـكل دقيـق: الاستيلاء على بابل (539)، ووفـاة قـورش (Cyrus) في آسـيا الوسـطى (530)، ولم يتم بعد تحديد تاريخ الاستيلاء على سـارديس (Sardis) . وفي تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) ، توجد فقرة مؤرخة بالعام التاسـع (546-547)، والتـي تحـدثت لأول مرة عن وفاة والده في دوركاراسو» والتي تقع على ضفاف نهر الفرات أعـلى سـيبار»، وكـان يقـول تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) . في شـهر مـايو مـن

العام نفسه، جمع قورش (Cyrus) جيشه وعبر نهر دجلة أسفل أربيل، وكانت هناك حملة أخرى قادها قورش (Cyrus) ضد بلدة لم نتمكن من قراءة اسمها، وهي مذكورة بعد ذلك: «لقد قام قورش (Cyrus) بقتل ملكها، واستولى على ممتلكاته، ووضع حاميته الخاصة هناك، ولقد ظل الملك والحامية هناك».

وعلى عكس ما هو معتقد، فإن هذا النص لا يشير إلى حملة قورش (Cyrus) ضد ليديا، وهكذا فإن الاستيلاء على سارديس (Sardis) يرجع إما إلى عام (546) أو إلى (524-541)، ويفترض التاريخ الأول أن الحرب الفارسية-الليدية جاءت مباشرة بعد المعارك الميدية-الفارسية، والتاريخ الثاني ينتج عن افتراض أن قورش (Cyrus) قاد سلسلة من الحملات في آسيا الوسطى وعلى الهضبة الإيرانية في الفترة بين الاستيلاء على إكباتانا وساردیس (Sardis) ، وتتمثل المشكلة في التواريخ المذكورة في مؤلف هيرودوت (Herodotus) في أنها غير مؤكدة إلى درجة كبيرة، وسوف نعتمد هنا على الاقتراح الأول الذي تفضله الأغلبية، مع الاتفاق على أنه بين عامي (540، 546)، قام قورش (Cyrus) بعمليات في آسيا الوسطى، وأن العمليات ضد المواقع البابلية ربما بدأت قبل عام (540) .

وبالإضافة إلى ذلك، يذكر هيرودوت (Herodotus) أن المبادرة لم تكن مبادرة قورش (Cyrus) على الإطلاق، ويستنتج من القصة بأكملها أن كريوسوس على العكس من ذلك هو من حَرَّض على الحرب، حيث كان قلقًا من قيام قورش (Cyrus) «بتدمير إمبراطورية أستياجيس (Astyages) ، ومن تعاظم نفوذ الفرس» (الكتاب الأول، فقرة 46)؛ ولأنه كان راغبًا في توسيع ملكه باتجاه الشرق سيرًا على خُطَى من سبقوه، ولقد نجح كريوسوس (Croesus) في عرض العمليات التي تلت ذلك كحملة تهدف للثأر مما حدث لزوج أخته: «حيث كان يتوق كريوسوس (Croesus) إلى

توسيع أراضيه، وأعد حملة في كبادوكيا وكان واثقًا من نجاحه في إسقاط قورش (Cyrus) والفرس» (I. 71؛ I. 73 *)، وباختصار، فلقد أراد كريوسوس (Croesus) الاستفادة من الموقف العالمى الجديد عن طريق إبطال معاهدة عام (585)، والتي جعلت The Halys حدًّا للتوسع الليديّ.

3- هزيمة كريوسوس (Croesus) وتأسيس جبهة البحر الأبيض المتوسط:

الهجوم المعاكس الناجح الذي قام به قورش (547-546) (Cyrus):

أيًّا كانت النوايا الاستراتيجية لقورش (Cyrus) ، فإن هجوم كريوسوس (Croesus) لم يدع له خيارًا، ولقد وجد نفسه الآن على رأس جيش دعمته بشدة القوات التي حشدها من إقليم ميديا، وبالفِرَق العسكرية التي أحضرها زعماء قبائل آسيا الوسطى التي استسلمت بعد سقوط إكباتانا، وخلال تقدمه تمكن بنجاح من حشد رجال المناطق التي كان يمر بها لدرجة أنه -وفقًا لما ذكره هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 77)- كان يتمتع هذا الفاتح الفارسي بتفوق عددي لا يمكن إنكاره على جيش كريوسوس (Croesus) ، وبالمثل كانت لديه آلات حصار قوية والتي خدمته كثيرًا في سارديس (Sardis) وفي أماكن أخرى، وقد انتوى تسوية تلك النزاعات القائمة بين مملكتي ميديا وليديا بشكل نهائي، وكما أخبرنا ديودورس (Diodorus) الصقلي (الكتاب التاسع، فقرة 32-3)، فعقب وصول قورش إلى إقليم كبادوكيا قام بإرسال مبعوث إلى كريوسوس (Croesus) ليعلمه أنه يمكنه أن يظل في ليديا، ولكنه لن يكون أكثر من مرزبان على هذه المنطقة، وقد كان في الواقع يقترح أن يقوم خصمه بالاعتراف بالسيادة الفارسية من دون قتال، ويمكننا أن نتخيل كيف كان رد فعل سيد سارديس (Sardis) .

من الواضح أن كريوسوس (Croesus) كان واثقًا جدًّا من فوزه على قورش (Cyrus) ، حيث كان قد عقد «معاهدة للضيافة والتحالف» مع إسبرطة، وبهذا كان يمكنه الاعتماد على مزيد من الدعم؛ وقد أرسل العديد من السفراء والهدايا الفخمة إلى معبد ديلفى، وكالمعتاد عندما سئل الكاهن عن رده أجاب بغموض، كما روى هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 53): «ولو هاجم كريوسوس (Croesus) الفرس فسوف يقوم بتدمير إمبراطورية عظيمة»، وقد أوضح التاريخ لكريوسوس (Croesus) أن المملكة الليدية هي التي سوف تنتهي، وفي أماكن أخرى، كان كريوسوس (Croesus) قد عقد معاهدات مع المملكة البابلية الجديدة، ومع الفرعون المصري أماسيس، ويبدو أن الأخير أرسل قوات إلى ليديا، لعبت دورًا مهمًّا في المعارك المتعددة التي دارت ضد الفرس، وعلى الجانب الآخر، لم تتدخل بابل، وربما نتخيل أن نابونيدوس (Nabonidus) الذي كان لا يزال في بلاد العرب وبلشازار (Belshazzar) ابنه والوصي على العرش في بابل كان سعيدًا بالصراع بين هذين الخصمين الأساسيين، وقد حاول قورش (Cyrus) أن يحرض حلفاء خصمه على الانشقاق عنه: حيث إنه عندما قام كريوسوس (Croesus) بإخطاره بالهجوم «وقبل أن يبدأ أرسل ممثليه إلى الأيونيين في محاولة لإبعادهم عن كريوسوس (Croesus) دون أن يلقى ذلك أي نجاح» (هيرودوت (Herodotus) I 76.*) ، وسرعان ما سيدفع الأيونيون ثمنًا باهظًا نتيجة لسوء تقديرهم.

وقد اصطدم ذلك الهجوم المتهور الذي قام به كريوسوس (Croesus) فيما وراء نهر The Halys بالجيش الفارسي، ولقد كانت المعركة التي نشبت في كابادوكيا في بتريا (بوغازكوى؟) غير حاسمة، وسرعان ما قرر كريوسوس (Croesus) الانسحاب واستغلال فصل الشتاء ليجمع جيشًا قويًّا، وذلك بالاعتماد على دعم حلفائه المعلنين، ولقد قام بتسريح

الجيش الذي قام بقيادته في كبادوكيا ليتوجه إلى مقره الشتوي، وقام قورش (Cyrus) في خطوة غير حذرة ولكنها أيضًا غير متوقعة ببدء الهجوم في وسط فصل الشتاء، وفاجأ جيش ليديا، عندما كان على وشك أن يتم تسريحه .

وكان هذا الهجوم الجريء نتيجة لتحليل سياسي لوجستيكي ثاقب، فقد كان قورش (Cyrus) يخشى مواجهة جيش ليديا بعد وصول التعزيزات إليه، والذي أثنى هيرودوت (Herodotus) على شجاعته وبسالته (I .79-80)، ولقد أعطت قرارات كريوسوس (Croesus) عقب معركة بتريا الفرصة لقورش (Cyrus) للتغلب على عدو كان يعد الأقوى نظريًا، وقد أدرك الملك الفارسي أيضًا وبشكل جيد أن تعرضه للهزيمة كان سيثير آمال الشعوب التي كان قد هزمها للتو في الإطاحة بحكمه والذي كان لا يزال هشًا بقدر ما كان حديثًا، ولم يكن غافلاً أيضًا عن حقيقة أن أراضي آسيا الوسطى في ذلك الوقت كانت غير مستقرة، وأخيرًا، فقد رغب في الاستفادة على الفور من الصراعات التي أثارتها الهزائم الجزئية لكريوسوس (Croesus) في المدن اليونانية التي تقع على الساحل الأناضولي، ومن المرجح أيضًا أن اليونانيين لم يرسلوا أي تدعيمات إلى ساردیس بعد أن تأكد وصول قورش (Cyrus) إلى ليديا، وعقب هزيمة بتريا، قامت مدينة ملطية وهي المدينة التي كانت تميل تقليديًا إلى تأييد الميديين، بإعلام قورش (Cyrus) بأنها مستعدة للتوصل لاتفاق معه، وفي العديد من المدن الإغريقية الأخرى، اشتعلت الصراعات بين الأحزاب التي تؤيد الإنضمام إلى الميديين وتلك التي تؤيد الإنضمام إلى الليديين، حيث كان يأمل الفريق الأول في الاستفادة من النصر الذي تمنى أن يحققه قورش (Cyrus) ، ولقد انشق يورىباتيس (Eurybates) الذي كلفه كريوسوس (Croesus) بتجنيد مرتزقة من شبه جزيرة البلوبونيز للقتال لحسابه وانضم إلى قورش (Cyrus) ، ولم تكن قصته هي المثال الوحيد على

ذلك: حيث إنه من المحتمل أن بيثاركوس (Pytharcus) حاكم سيزيكوس قد تلقى في هذا السياق إيرادات المدن السبع في آسيا الصغرى من قورش (Cyrus) .

وحيث إن قورش (Cyrus) كان سيعد قد ارتكب خطأ سياسيًا واستراتيجيًا فادحًا إذا أعطى لكريوسوس (Croesus) الوقت الكافي لاستعادة السيطرة الكاملة على يوناني آسيا الصغرى، فقد أثبتت الحسابات الفارسية مدى دقتها، وفي مواجهة هذا الموقف التكتيكي الذي لم يكن في صالحه تمامًا، خاض قورش (Cyrus) المعركة بالقرب من سارديس (Sardis) ، مما أجبر كريوسوس (Croesus) على اللجوء إلى القلعة التي اعتقد بأنها محصنة، كما أرسل الملك الليدي مناشدات يائسة إلى حلفائه، ولكن كنتيجة لحيلة حربية بارعة سقطت المدينة في اليوم الرابع عشر من الحصار، ووصلت الأخبار إلى إسبرطة في الوقت الذي كانت قوات النجدة تبحر متجهة إلى آسيا الصغرى، وأدى سقوط ساردیس (Sardis) إلى إصابة الشرق الأدنى بصدمة كانت بنفس ضخامة الصدمة التي أصابته عقب سقوط نينيفا في عام (612).

السيطرة على المملكة الليدية:

وهكذا، استطاع قورش (Cyrus) دخول ساردیس (Sardis) ، حيث استسلم كريوسوس (Croesus) ، وظل منذ ذلك الوقت في حاشية قورش (Cyrus) الذي أعطاه إحدى المدن الميدية كمنحة، ولقد سمحت العائدات التي حصل عليها الملك المهزوم من هذه المدينة بالحفاظ على أسلوب حياته المعتاد، وتم إرسال محتويات الخزائن إلى قورش (Cyrus) ، وقام بنقلها إلى مركز إمبراطوريته التي كانت لا تزال في طور الإنشاء، وتم ترك حامية في مدينة ساردیس (Sardis) عهد بقيادتها إلى تابالوس، الفارسيّ الأصل.

ومع ذلك لم يؤدِّ الاستيلاء على ساردیس (Sardis) إلى حل

المشكلة، حيث كان يجب إخضاع مدن آسيا الصغرى وملوكها؛ بالإضافة إلى مدينة واحدة ملطية كانت قد استسلمت قبل سقوط سارديس (Sardis) ، وحصلت على الشروط نفسها من قورش (Cyrus) التي كانت قد حصلت عليها من كريوسوس (Croesus) (الكتاب الأول، فقرة141)، والذي حماها من الهجوم الفارسي (الكتاب الأول، فقرة 143): «فقد استمتعت بالهدوء» (الكتاب الأول، فقرة 169)، وفقًا لهيرودوت (141. I) (Herodotus*)، «فإن الأيونيين والأيوليين قاموا على الفور بإرسال ممثلين عنهم إلى قورش (Cyrus) في ساردیس عقب الفتح الفارسي لمملكة ليديا، وذلك في محاولة للحصول منه على الشروط نفسها التي حصلوا عليها من كريوسوس (Croesus) »، ولقد رفض الملك؛ وأصر على استسلام المدن الإغريقية بدون شروط، وهكذا كان عليهم الاختيار بين الخضوع لإرادة قورش (Cyrus) أو تنظيم المقاومة، وقد اختاروا الحل الثاني، وبدأوا في «تشييد الدفاعات» (الكتاب الأول، فقرة 141)، وأرسلوا أيضًا سفيرًا إلى إسبرطة طلبًا للدعم ضد الفرس، وقد رفض الإسبرطيون تلبية مطلب الأيونيين، ولكنهم أرسلوا مراقبين، وعندما تلقى قورش (Cyrus) الإسبرطيين في ساردیس (Sardis) ، ظنوا أن في إمكانهم منع الملك من «تدمير ولو مدينة واحدة على الأراضي اليونانية»، ولم يكن هذا مطلبًا واقعيًا، فقد رفضه قورش (Cyrus) بغطرسة وبإزدراء (الكتاب الأول، فقرات 152-153)، وهكذا واجهت المدن اليونانية الفاتح الفارسي بمفردها.

وعلى الرغم من عزلتها، ومن هزيمة ليديا، فربما كان قادة المدن اليونانية يعتمدون على عنصر واحد لصالحهم، حيث يذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (153. I) (Cyrus*) «زحف بنفسه شرقًا نحو إكباتانا وبسرعة فائقة»، ولم يكن يعتقد أن الأيونيين مهمين بما فيه الكفاية ليكونوا هدفًا أساسيًا؛ وذلك لأن تفكيره كان منصبًا على البابليين والباكتريين،

والساكين، والمصريين، وكان عازمًا على القيام بغزوهم بنفسه، وترك أحد قواده ليُخضع الأيونيين؛ فمع بداية ربيع عام (546)، توجب على قورش (Cyrus) القيام بعمليات عسكرية على جبهات عديدة في الوقت نفسه .

ثورة باكتييس (Pactyes) :

بمجرد مغادرة قورش (Cyrus) ، «ثار الليديون، وذلك عندما وجدوا الملك مشغولاً بحروب أخرى»، وهذا وفقًا لما ذكره جوستن (Justin) (الكتاب الأول فقرات 7-11)، ومن الواضح أن هذا المؤلف يشير إلى الثورة التي قادها باكتييس (Pactyes) الليدي الذي أوكل إليه قورش (Cyrus) مهمة جمع الجِزْية، ومع وجود مثل هذه الموارد، فقد قام باكتييس (Pactyes) بتشجيع الليديين على القيام بالثورة ضد الحاكم الفارسي، وتمكن من النزول إلى الساحل الذهب الذي كان قد جمعه من سارديس، واستخدمه لاستئجار الجنود، وإقناع رجال المناطق الساحلية بالاشتراك في الثورة، ثم زحف بعد ذلك نحو ساردیس (Sardis) وقام بحصار تابالوس (Tabalus) ، وحاصره في حصن المدينة الداخلي (هيرودوت Herodotus ، I .154)*)، وهكذا نشأ تحالف خطير جدًّا ضد الفرس بين الليديين الذين لم يقبلوا الهزيمة، وبين المدن الإغريقية التي رفضت الخضوع إلى قورش (Cyrus) . ولتفسير كيفية نجاح الفرس، فإن هذا يعني - ولو بشكل جزئي- معرفة الطرق التي استخدمها الفرس لترسيخ سيادتهم في البلاد التي فتحوها.

وبعد تلقي النصح حول الثورة التي حدثت في ليديا وهو في طريقه إلى إكباتانا، أرسل قورش (Cyrus) مازاریس (Mazares) الميدي إلى ليديا مرة أخرى، وعهد إليه ببعض من قواته، وأصدر إليه أمرًا «ببيع كل من اشترك في ذلك الهجوم الليدي على ساردیس (Sardis) في سوق العبيد، وأن يتم أسر باكتييس (Pactyes) حيًّا وإحضاره للمثول أمام الملك» ولقد اختار باكتييس (Pactyes) مغادرة ساردیس (Sardis) ولجأ إلى مدينة

سايمي، وهي مدينة يونانية في إقليم أيوليا، نتيجة لإلحاح مازاريس (Mazares) عليهم ليسلموه ذلك المتمرد، قام السايميون باستشارة الكاهن المسؤول عن إدارة الهيكل الموجود بالقرب من ملطية، ونصح هذا الكاهن سكان جزيرة سايمي مرتين بإطاعة الأمر الفارسي، ولتجنب انتقام الملك الفارسي، قام سكان جزيرة سايمي بإرسال باكتييس (Pactyes) بعيدًا إلى مدينة ميتيلين في جزيرة لسبوس، ثم عندما علموا أن سكان مدينة ميتيلين كانوا يتفاوضون مع الفرس على سعر هذه الرهينة، قاموا بإرسال هذا المتمرد إلى كيوس، وسلمه سكان كيوس إلى الفرس مقابل منحهم قطعة من الأرض على البر الرئيسي في أتارنيوس .

وتستنبط بعض التعليقات من هذه الحادثة، فعلى الرغم من أن خلفية باكتييس (Pactyes) لا تزال مجهولة تمامًا، فإنه من الواضح أنه كان رجلاً مهمًّا في عهد كريوسوس (Croesus) ، ولهذا فإنه يبدو أن قورش (Cyrus) لم يتردد في الاستعانة بالموظفين المحليين في سارديس (Sardis) لتحقيق الاستقرار في تلك الفترة الانتقالية، ولقد كان لهذا الأمر مخاطره، كما اتضح ذلك بمرارة بعد وقت قصير، وبالمثل فإن إحدى المهام الأخرى التي عهد قورش (Cyrus) بتنفيذها إلى مازاريس (Mazares) كانت تتمثل في تفريق وتشتيت جميع الليديين بطريقة تمنع نشوء أي ثورة مسلحة جديدة ضد السيادة الفارسية، ولا بد أن نفهم أن هذه اللغة التصويرية تعني أنه كان ينوي وضع الجيش بأكمله تحت قيادة الميديين والفرس، وبالإضافة إلى ذلك، فإن رد فعل المدن اليونانية على مطالب مازاريس (Mazares) كان له مبرراته، حيث إن أحد هذه المدن وهي سايمي رفضت الانضمام إلى المقاومة المسلحة لأن سكانها «لن يتمكنوا من النجاة إذا فرض عليهم الحصار»، وإذا كانت مدينتا ميتيلين وكيوس قد وافقتا على إيواء الهارب، فإن هذا يرجع إلى أنهما كانتا من المدن البعيدة عن الشاطئ، والتي وفقًا لما قاله هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 143) «لم يكن

عندها ما تخشاه»؛ لأن الفرس لم يكن لديهم أسطول مدرب، بينما كان يمتلك الأيونيون قوة بحرية عظيمة»، علاوة على ذلك، لم يرغب أي من سكان كيوس أو ميتيلين في اختبار أنفسهم ضد الفرس، وبدلاً من ذلك سعوا إلى الحصول على ميزة تجارية من الموقف، بمعنى آخر، لم يكن هناك تعاون، ولا توافق في الاهتمامات بين المدن التي تقع على الجزر والمدن القارية حول معارضة الفاتحين الفرس .

ومن المهم أيضًا أن نركز على رد فعل الكاهن المسؤول عن إدارة المعبد، الذي ألح مرارًا وتكرارًا على الساميين للقيام بإطاعة مازاريس (Mazares) ، وعمل هذا الكاهن في هيكل أبولو في ديديما بالقرب من ملطية، والذي قام هيرودوت (Herodotus) بذكر لقب أسرته وهو (البرانشيداى)، وكانوا تقليديًّا المسؤولين عن إدارة المعبد والحفاظ عليه، وهناك شواهد كثيرة على العلاقة الجيدة التي كانت تربط المعبد وكهنته بكريوسوس (Croesus) من خلال الهدايا التي قدمها الملك الليدي في مناسبات عديدة للمعبد، ويبدو أن قورش (Cyrus) قام بالأمر نفسه، والذي نتج عنه وبدون شك تدخل الكاهن في شأن مازاريس (Mazares) ، وتتضح العلاقة الجيدة بين قورش (Cyrus) وهيكل آخر لأبوللو، وهو هيكل أولاي الذي يقع بالقرب من ماجنسيا على نهر The Meander ، من وثيقة تعود إلى عهد دارا (Darius) الذي سجل إحسان أسلافه إلى المعبد، وقد حافظ قورش (Cyrus) أيضًا على هيكل أبوللو في كلاروس بالقرب من إيفيسوس، وتشير هذه الأمثلة إلى أنه، ومنذ البداية شعر قورش (Cyrus) بالحاجة إلى اكتساب رضى الهياكل المحلية، وهي سياسة اتبعها في بابل فيما بعد وعمل خلفاؤه على تطبيقها في جميع أجزاء الإمبراطورية .

هارباجوس (Harpagus) في آسيا الصغرى:

بعد أسر باكتييس (Pactyes) ، بدأ مازاريس (Mazares) في إخضاع

المدن التي تعاونت مع المتمرد واحدة تلو الأخرى؛ ونُهِبَ ودُمِّر كل من براين وماجنيسيا، وعقب وفاة مازاريس (Mazares) ، أرسل قورش (Cyrus) ميديًّا آخر -هارباجوس (Harpagus) - وهو الرجل نفسه الذي تخلى عن أستياجيس (Astyages) لصالح قورش (Cyrus) إلى آسيا الصغرى، ولقد منحه ديودورس (Diodorus) لقب «القائد البحري»، ومن المؤكد أنه كان يرأس باقي القادة: هستاسبيس (Hystaspes) ، وأدوسيوس (Adousios) ، والذين قام زينوفون بذكر أسمائهم (قورش، الكتاب السابع، فقرة 4.1-7، الكتاب الثامن فقرات 7.6)؛ ولإدراكها بأنها غير قادرة على مقاومة الحصار؛ اختارت العديد من المجتمعات في آسيا الصغرى (فوقيا، تيوس) اللجوء إلى المنفى، وتم غزو بقية المدن الواحدة تلو الأخرى، وتمركزت الحاميات الفارسية في هذه المدن، وكان لزامًا على الأيونيين القيام بتقديم الفرق العسكرية إلى هارباجوس (Harpagus) الذي اتجه نحو كاريا وليسيا: «لقد قام هارباجوس (Harpagus) بتحويل الكاريين إلى عبيد، وفي خلال الصراع الذي دار في هذه المنطقة، لم يظهر الكاريّون أو اليونانيون الذين عاشوا في هذة المنطقة أي تميز أو تفوق» (هيرودوت (Herodotus) (I .174*)، وبالنسبة إلى سكان مدينتي زانثوس وكونوس في إقليم ليسيا، فقد فضلوا الموت على الخضوع (على الأقل طبقًا للرواية النمطية التي سجلها لنا مؤرخ هاليكارناسوس، هيرودوت (Herodotus) (I .175-76).

وعلى الرغم من الانطباع الذي حصلنا عليه من قصة هيرودوت (Herodotus) ، لم تكن الفتوحات الفارسية سريعة ولا سهلة؛ حيث استغرق قادة قورش (Cyrus) مدة لا تقل عن 4 سنوات للتفوق على يونانيِّي آسيا الصغرى»، وبهذه الطريقة، تم إخضاع إقليم أيونيا مرة أخرى، وذلك وفقًا لما استنتجه هيرودوت (I) (Herodotus .169*)، مشيرًا إلى خضوعهم في السابق لليديا، وما زال يجب علينا توضيح أنه

علـى العكـس مـما اقترحـه هـيرودوت ذلـك المـؤرخ الـذي ينتمـي إلى مدينـة هاليكارناسوس، فقد ظل الأيونيون الذين يقطنون الجزر بعيدًا عن متناول التوسـع الأخميني .

4- قورش (Cyrus) في آسيا الوسطى:

«وبينما كان هارباجوس (Harpagus) يتحرك جيئة وذهابًا في الأجزاء الغربيـة والجنوبية من آسيا، كان قورش (Cyrus) يخوض المعـارك عـلى الجبهـات الشـمالية والشرقية، وخضعت له كل الأمم بلا استثناء»، كما كتب هيرودوت (Herodotus) (177. I)*)، ولقد شاهدنا كيف أنه في ربيع عام (546)، غادر الملـك آسـيا الصـغرى عائدًا إلى مركز إمبراطوريته بسبب الخطر الملِح الذي كان يُشَكِّله كل مـن البـابليين، والساكين، والباكتريين، والمصريين، وذلك وفقًا لهيرودوت (153. I) (Herodotus)، لكن لسوء الحظ، فإن ما نعرفه عن تاريخ، وتوقيت، وطـرق الحمـلات العسـكرية التـي تم شَنُّها على آسيا الوسطى محدود وضئيل للغاية، والسبب الأسـاسي في ذلـك يتمثـل في أن هيرودوت (Herodotus) لم يقل كلمـة واحـدة عـن الحمـلات التـي تـم شـنها عـلى الساكين والباكتريين (الكتاب الأول، فقرات 178-200)، حيـث انتقـل مبـاشرةً للحـديث عن الهجوم النهائي ضد بابل الذي وقع في بداية عام (540)، ثم إلى الحرب التـي خاضـها الملك ضد شعب الماسـاجيتاي Massagetae والتـي لقـي قـورش (Cyrus) حتفـه فيهـا في عـام (530) (الكتـاب الأول، فقـرات 206-207)، ومـع ذلـك لم يُخْـفِ هـيردوت أنـه قام بالاختيار المتعمد من المعلومات المتاحة له: «لن أذكر شيئًا عن أغلـب فتوحاتـه غـير الهامـة، ولكننـي سـأذكر فقـط الحمـلات التـي تسـببت لـه في مشـاكل كبـيرة، والتـي تتميز بأنها مثيرة للغاية في حد ذاتها»، وكنتيجة لمعايير الانتقاء الـذي لا تتفـق بـالضرورة مـع معيارنـا نفسـها، فقـد فضـل هـيرودوت (Herodotus) تخصـيص فقـرات طويلـة

لوصف بابل وعاداتها (الكتاب الأول، فقـرات 178-188، فقـرات 192-200)، وعـادات وأساليب شعب الماساجيتاي في آسيا الوسطى (الكتاب الأول، فقرات 201-204، فقرات 215-216)، وذلك بدلاً من أن يقدم لقُرَّائه رواية متصلة من حيث التسلسل التاريخي لحملات قورش (Cyrus) ، وفي ظل غياب هـيرودوت (Herodotus) سـيتوجب علينـا الرجوع إلى مصادر متـأخرة جزئيـة؛ مثـل روايـة ستيسـياس (Ctesias) (التـي لخصـها فوتيوس (Photius)) وروايات مؤرخي بلاط الإسـكندر (Alexander) ، الـذين كـانوا يميلون إلى النظـر إلى إنجـازات قـورش (Cyrus) عـلى أنهـا أقـل مـن إنجـازات الفـاتح المقدوني، وباختصار؛ لا تسمح الموارد المتاحة بتحديد تواريخ الحملات الفارسية في آسيا الوسطى بشكل قاطع، كما أنها لم تقل شيئًا عن الحدوث المحتمل لعمليـات عسـكرية متزامنة على كل من جبهات بابل وآسيا الوسطى .

وتوضح إشارة هيرودوت (Herodotus) إلى أن الساكيين والباكتريين كانوا مـن ضمن المخاطر التي واجهت قورش (Cyrus) عقب الاستيلاء على سـارديس (Sardis) ، كما توضح أن خضوع شعوب آسيا الوسطى لقورش (Cyrus) (الهركانيين، البـارثيين، الساكيين، الباكتريين) بعد سقوط إكباتانا لم يكن سوى خضوع شـكلي وظـرفي، ويؤكـد جوستن على ذلك بقوله (الكتاب الأول، فقـرة 7-2): «عنـدما تغـيرت مـوازين القـوى، تغير أيضًا موقف المدن التي كانت لا تزال تابعة للميديين حتى ذلـك الوقـت، وثـاروا على قورش (Cyrus) ، وهذا الانشقاق كان بالنسبة إلى قورش (Cyrus) سبب خـوض العديد من الحروب»، ولفرض سلطته عليهم، لم يكن كافيًا بالنسبة إلى هذا الأخمينـي أن يربط وينسب نفسه إلى أستياجيس (Astyages) ، ولكن كـان عليـه أن يـواجههم شخصيًّا على رأس جيوشه .

إن ما لدينا من معلومات عن الأوضـاع السياسـة والجغرافيـة لبلـدان الهضبة الإيرانية وآسيا الوسـطى في الفـترة التـي سـبقت الفـتح الأخمينـي

(الجزء الأول من الألفية الأولى) هو ضـئيل للغايـة؛ ويرجـع ذلـك أساسًـا إلى غيـاب المصادر المكتوبة المؤكدة والموثوق في مصداقيتها، ولقد كانت باكتريا بمعناها الموسع -من سلسلة جبال هندوكوش إلى سيرداريا- تمثل المركز الأكثر أهمية لهذه المنطقـة، ولكن وعلى الرغم من ذلك فلا يمكننا تحديد الشكل الـذي كانـت تأخـذه هياكلهـا السياسية بشكل قاطع، وعلى أي حال فلقد اشتهرت هذه المنطقـة بأكملهـا، والتـي تقع في شمال أفغانستان، بثقافتها المادية وإنجازاتها الفنيـة التـي تعـود إلى الألفيـة الثالثة والذي من وجهة نظرنا كان يعادل تلك الإنجازات والإبداعات التـي أنتجتهـا مراكز بلاد ما بين النهرين، ولقد كان هناك دائمًـا عمليـات تبـادل مثمـرة بـين آسـيا الوسطى وبلاد ما بين النهرين عـبر الطـرق الكبـيرة المؤديـة شـمالاً وجنوبًـا، صـارت تعرف بـ «طريق خوراسان» فيما بعد، وسافر عبرها الرجال والسلع وخاصة أحجـار اللازورد النفيسة التـي كـان يـتم نقلهـا مـن باداخشـان في باكتريـا إلى بـلاد مـا بـين النهرين حيث كـانوا يقـدرونها للغايـة، ولقـد اسـتفادت الـثروة الزراعيـة للواحـات الكبرى في باكتريا في مرحلة ما قبل الفتح الأخميني من مشروعـات الـري العملاقـة، والتي كشفت عنها المسوحات التي جرت في حوض الأوكسوس الأعلى، ولقـد كانـت باكتريا أيضًا قوة عسكرية حيث كان بإمكانها حشد جيوش تشتهر بقوة سلاح الفرسان بها الذين وفقًا لما ذكـره كوينتـوس كورتيـوس (Quintus Curtius) (الكتـاب السـابع فقرات 4.30)، كان يصل عـددهم في عهـد دارا (Darius) الثالـث إلى 30 ألـف فـارس، ولقد كان شعب باكتريا على اتصـال وثيـق بشـعب السـاكا الـذي كـان يتحـدث اللغـة الإيرانية، -هذا الاسم «الساكا» في اللغة الفارسية القديمة كان يقابله اسم «السيكيثيين» في اللغة اليونانية- ولقد كان بعض أفراد هذا الشعب من البـدو الرحـل، وكـان يعـيش الـبعض الآخـر لـيس فقـط عـلى تربيـة الماشـية، ولكـن أيضًـا عـلى الزراعـة والتجـارة

فيما وراء سرداريا ووصولاً إلى سيبيريا؛ وكانوا يمثلون شعبًا قويًا في حد ذاتهم، ووكانوا منظمين في صورة قبائل، وعشائر، وممالك، ولقد تمَّ التعبير عن مدى تميز ومهارة رماة وفرسان هذا الشعب بأسلوب واضح من خلال الإبداعات الفنية التصويرية التي أنتجها فن السهول، ومن خلال المكانة التي احتلوها في الجيوش الأخمينية وفي قصص رفاق الإسكندر (Alexander) ؛ لقد جعلت العلاقات الوثيقة بين الساكيين والباكتريين القيام بحملة عسكرية في آسيا الوسطى أمرًا أكثر صعوبةً وأكثر اشتمالاً على المخاطر .

تعتبر محاولات إعادة بناء حملات قورش (Cyrus) أمرًا مُضَلِّلاً ولا طائل من ورائه، ولا بد أن نرضى بذلك العدد القليل من التفاصيل التي عثرنا عليها في النصوص القديمة عن طريق الصدفة، ونحن نعرف على وجه الخصوص أن قورش (Cyrus) قام بتأسيس العديد من المدن لتُقيم بها الحاميات التي تركها على الجبهة الشمالية، وخاصة مدينة «قلعة قورش» (Cyropolis) الشهيرة التي سوف يقوم الإسكندر (Alexander) بتدميرها وإعادة بنائها مرة أخرى، ويمكننا ملاحظة مرور قورش (Cyrus) بجنوب الهضبة الإيرانية في سيستان (وادي هيلمند)، حيث قام السكان المحليون -الآرياسبي- بتوفير الإمدادات له، حيث كان جيشه يعانى من مشاقّ عبور الصحراء، وتشير النصوص المتأخرة أيضًا إلى أنه خلال هذه الحملة نفسها أو في مناسبة أخرى، عَبرَ قورش (Cyrus) منطقة نهر كابول - جاندهارة (قندهار) كما تسميها النقوش الملكية، بالإضافة إلى جيدروسيا وكارمانيا، ومن المحتمل أيضًا قلعة قندهار القديمة - كانت العاصمة الأخمينية لإقليم أرخوسيا- التي كانت تعود لهذه الفترة، ومن المثير أن نفترض أن قورش (Cyrus) قام بإخضاع أو بعبور البلدان الإيرانية التي صورها دارا (Darius) في بداية حكمه على أنها قد تم فتحها للتوّ مثل بارثيا، درانجيانا، أريا، خوراسميا، باكتريا، سوجديانا، جاندهارا، سكيثيا، ساتاجيديا،

أراخوسيا، ومكران، ومن جهة أخرى، فمن المؤكد أنه لم يتوغل أبدًا في وادي نهر الإندوس (الهندوس) .

5- أسر البابليين (539):

المصادر والمشكلات:

لقد أصبحت المملكة البابلية الجديدة الآن أعظم خصوم ومنافسي قورش (Cyrus) في الشرق الأدنى، ولا يوجد لدينا نقص في المعلومات حول هذا الجانب من فتوحات قورش، ولكن تتسم المصادر التي لدينا بأنها تُعَبِّر عن رأي جانب واحد، كما أنها متقطعة، وتتمثل هذه المصادر بشكل أساسي في النصوص المسمارية: (أسطوانة قورش (Cyrus) ، تاريخ لنابونيدوس (Nabonidus))، النصوص التي تمدح قورش (Cyrus) ، والإطراء، وتعرف عادةً بالرواية الشعرية لنابونيدوس (Nabonidus) ، ويمكننا توقع انتصار قورش (Cyrus) أيضًا من النبوءة الملكية التي تعود للعصر اليوناني والتي تقول بأن قورش (Cyrus) الذي تصفه «بملك إيلام» قد استولى على عرش الملك (نابونيدوس (Nabonidus)) الذي حكم لمدة 17 عامًا، وبكلمات أخرى مشابهة، تعبر النصوص البابلية، خاصة النصوص الثلاثة الأولى عن وجهة نظر الفاتح، ويمكن ملاحظة أن هذه النصوص تشتمل على تفسير تقليدي يقارن بين سلوك كل من قورش (Cyrus) ونابونيدوس (Nabonidus) ، وهذه ليست وجهة نظر النبوءة الملكية، والتي شجبت سياسة قورش (Cyrus) واصفة إياها بأنها سياسة عدوانية .

ويركز نص «التاريخ» على الحقيقة القائلة بأنه في ظل غياب نابونيدوس (Nabonidus) (والذي كان حينها في تيماء في بلاد العرب حتى عامه السابع عشر)، لم يكن يتم الاحتفال بعيد العام البابلي الجديد المعروف بـ«أكيتو» بكل تلك الأبهة التقليدية، وفي نص «الأسطوانة»، تم

تقديم نابونيدوس (Nabonidus) على أنه ملك غير ورع: فلقد قام بنقل التماثيل المقدسة، «ولقد جعل الناس ينسون عبادة ماردوك (Marduk) ، ملك الآلهة»، وفرض عليهم «عبادة لم تتناسب معهم»، ولم يكن ملكًا عادلاً في معاملة رعاياه أيضًا، «ولقد أساء إلى مدينته بدون توقف، وفي كل يوم (كان يعذب قومه)، وسحقهم جميعًا بطغيانه الذي لايرحم، ويوجد وصف قاسٍ أيضًا لهذا الملك في الرواية الشعرية حيث يُتهم نابونيدوس (Nabonidus) بارتكاب كل الشرور، خاصة مقاطعة ووقف الاحتفال بالعام البابلي الجديد لصالح عبادة الإله سن Sin التي كانت توجد في حران، وبالمثل، فإن النبوءة الملكية تصف نابونيدوس (Nabonidus) بأنه مؤسس مملكة تركزت في حران، وقد منع إقامة مراسم الاحتفال بالعام الجديد، واضطهد إقليم أكاد .

دعونا نعد إلى الأسطوانة، وفي إطار هذا السياق، فقد ابتعد شعبا سومر، وأكاد عن نابونيديس (Nabonidus) ، وناشدوا الإله ماردوك (Marduk) الذي أشفق على البابليين؛ «وبعد ذلك وجد أميراً عادلاً، وساعده، ولقد نطق اسم قورش (Cyrus) ، ملك آنسان، ثم جعله ملكًا على كل المناطق»، ولكونه راضيًا عن قورش (Cyrus) الذي سمحت له مساعدته بالاستيلاء على إقليم جوتيوم وغزو الميديين، فقد أمره ماردوك (Marduk) بالعودة إلى مدينته بابل، وجعله يسلك الطريق نحوها، وبوصفه صديقًا ورفيقًا، فقد وقف بجانبه»، وهكذا وبوصفه من اختاره الإله البابلي الأعظم، فقد دخل قورش (Cyrus) بابل على رأس جيشه «وذلك من غير قتال أو معركة»، وهكذا «فقد أنقذ ماردوك (Marduk) مدينة بابل من الظلم والعَنَت، وسلَّم نابونيدوس (Nabonidus) ذلك المُلْك الذي لم يكن يُقَدِّسه إلى قورش (Cyrus) ، وخضع شعب بابل بأسره وإقليما سومر وأكاد، وانحنى النبلاء والحكام أمام عظمة الملك، وأشرق وجهه من الفرح »؛ وفي الجزء الثاني من المخطوطة، يتحدث قورش (Cyrus) بصيغة

المتكلم؛ وعقب عرض ألقابه، صرح مرتين بأنه دخل هـو وجيشـه إلى «بابـل بسـلام ودون قتال»، وعدد أفعاله التي تظهر مدى ورعه، وخاصة إرجاع تماثيل الآلهة التي كان قد نقلها نابونيدوس من قبل، ويذكر تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) أيضًـا أن الفرقة الفارسية الأولى التي كان يقودهـا «جوبـارو» أو «أوجبـارو (Ugbaru) » دخلت إلى «بابل بدون قتال» وأنه بوصول قورش (Cyrus) عمَّ السلام.

ومن هذه النصوص، تمَّ اسـتنتاج تلـك الصـورة العقائديـة لقـورش (Cyrus) ، والتي تشبه كثيراً تلك الصورة التي نجدها في الأدب اليهودي، ونجـد هـذه الصـورة أيضًا في الروايات اليونانية وخاصة رواية زينوفـون (Xenophon) (قـورش، الكتـاب الأول. فقرات 1-4، راجـع ديـودورس، الكتـاب التاسـع، فقـرة 24)، الـذي قـال بـأن سلطته قد قبلها «المهزومون» عن طيب خاطر، حيث إنه نتيجة لعدم رضاهم عـن قلة ورع نابونيدوس (Nabonidus) ، قام البابليون يقودهم الكهنة بفـتح بوابـات مدينتهم طواعية «للملك العادل» قورش (Cyrus) ، والذي تم استقباله منـذ هـذه اللحظة فصاعدًا كـ«مُحَرِّر»، ويثير هذا التفسير التقليدي الشكوك حيـث إنـه يتفـق مع الصورة التي كانت تصوره بها الدعاية الفارسية .

الفتح العسكري:

يتضح للوهلة الأولى أنه من غير المحتمل أن تكون بابـل قـد سـقطت في يـدي قورش دون مقاومة، وبالإضافة إلى ذلك، يشير تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) إلى وقوع معركة أولية فاز بها قورش (Cyrus) في منطقة أوبيس على نهـر دجلـة، وذلـك في يوم 10 أكتوبر من عام (539)، وتبع هذا النصر عملية نقل ضخمة للغنائم، وذبـح كل من حاول المقاومة (الكتاب الثالث، فقرة 14)، ويذكر ذلك الـنص أيضًـا: «أنـه تـمَّ الاستيلاء على مدينة سيبار Sippar في اليوم الرابع عشر بدون قتال، وفر نابونيـدوس (Nabonidus) هاربًـا» (الكتـاب الثالـث، فقـرات 14-15)؛ ثـم دخـل أوجبـارو

حـاكم مقاطعـة جوتيـوم وجـيش قـورش (Cyrus) أراضي بابـل دون أدنى مقاومـة، وبعد انسحاب نابونيدوس (Nabonidus) ، تمكن الفـرس مـن أسره في بابـل في 12 أكتوبر من العام نفسه .

وقبل العودة إلى الاستيلاء على بابل عـلى وجـه التحديـد، لا بـد أن نركـز عـلى أعمال القتال المباشرة التـي دارت بـين الفـرس وقـوات نابونيـدوس (Nabonidus) يحتمل أنها قد بدأت قبل عام (540)، ويشير تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) إلى أنه قد تمَّ إحضار تماثيل الآلهة التي كانت موجودة في العديد من الهياكـل البابليـة إلى مدينــة بابــل وفي ذلــك دلالــة عــلى أن نابونيــدوس (Nabonidus) قــد اتخــذ إجراءات لمنع الفـرس مـن الاسـتيلاء عـلى هـذه التماثيـل، وبـلا شـك كـان التهديـد الفارسي تهديدًا خطيرًا، وعلاوة على ذلك، يشير أحد النصوص إلى القتال الـذي وقـع في منطقة أوروك Uruk في شتاء (539-540).

وبقدر ما أمكننا إعادة بنائها، فإن قصة أجبارو (Ugbaru) - والـذي كـان أول من دخل ضباط قورش (Cyrus) إلى بابل- تشير إلى أن الهجوم على أراضي المملكـة البابلية الجديدة بدأ في فترة مبكرة أكثر، ويشار إلى أوجبارو (Ugbaru) في تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) باسـم (حـاكم مقاطعـة جوتيـوم)، ووفقًـا لأسـطوانة قورش (Cyrus) ، فقد حقّق قورش (Cyrus) نصره الأول في ظل حمايـة مـاردوك (Marduk) ، «عـلى مقاطعـة جوتيـوم، عـلى جميـع قـوات المانـدا (الميـديين)»، ويحتمل أن يكون أوجبارو (Ugbaru) هذا هو جوبريـاس (Gobryas) ، الـذي وفقًا لزينوفون Xenophon قد ترك صف بابـل وانضـم إلى قـورش (Cyrus) ، وكان يحكم منطقة واسعة (قورش، الكتاب الرابع 6.1-11) تتلاقى حدودها مـع حدود المملكة البابلية الجديدة (الكتاب الخـامس، 3.1). قـام قـورش (Cyrus) انطلاقًا مـن أراضي جوبريـاس (Gobryas) بشـن هجومـه عـلى بابـل (الكتـاب الخــامس، 1.2-21)، وقــام جوبريــاس (Gobryas) بإرشــاد جــيش قـــورش

(Cyrus) (الكتاب الخامس، 2-21)، وهو أيضًا من إستولى على بابل (الكتاب السابع، 5.26-30). ونتيجة للطابع الروائي الذي يغلب على قصة زينوفون (Xenophon) عن أوجبارو (Ugbaru) ، فإنه يبدو أنها كانت تعتمد على روايات شفهية، ولا بد أن أوجبارو (Ugbaru) كان هو الحاكم البابلي على الأراضي الموجودة عند تلال دياله، والذي أعلن استقلاله عن بابل قبل عام (540) بعدة سنوات من، والذي كان يتلقى أوامره منذ ذلك الحين من قورش (Cyrus) ، ويذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (Cyrus) عقب هجومه على بابل قام بالمرور عبر منطقة دياله التي تقع على الطريق المؤدي إلى أوبيس، وهكذا نستنتج أن نابونيدوس (Nabonidus) قد جمع قواته داخل المدينة بطريقة منعت جيش قورش (Cyrus) من عبور نهر دجلة، وتشهد المذابح التي اقترفتها قوات قورش (Cyrus) بعد المعركة على مدى قوة المقاومة التي أبداها الجيش البابلي الجديد، ومن المحتمل أن صوصا سقطت في أيدي قورش (Cyrus) في هذا الوقت -أو قبل ذلك أو بعده- وبذلك اختفت المملكة الإيلامية الجديدة نهائيًا من الوجود.

ويشير الاستيلاء على سيبار وانسحاب نابونيدوس (Nabonidus) إلى بابل إلى أن حاكم المملكة البابلية الجديدة قد اتخذ القرار بقيادة المقاومة في العاصمة، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 190)، فإنه بمجرد اقتراب قورش (Cyrus) ، «نزل البابليون إلى ميدان القتال، وكانوا في انتظار قدومه، وبمجرد أن أصبح في مرمى أسلحتهم هجموا عليه، ولكنهم هُزِموا، واضْطُرُّوا إلى الاحتماء داخل تحصينات مدينتهم»، ووفقًا لبيروسوس (Berossus) ، فلقد قام نابونيدوس (Nabonidus) بقيادة الجيش البابلي بنفسه، لكنه فرَّ إلى بورسيبا Borsippa عقب الهزيمة، ومع ذلك، فلم يحسم الأمر بانتصار قورش (Cyrus) في هذه المعركة، ويذكر هيرودوت (Herodotus) أن البابليين قد قاموا بتخزين الإمدادت

التي تسمح لهم بالصمود لعدة سنوات، ولقد قام زينوفون (Xenophon) بوصف المشكلات التي واجهها قورش (Cyrus) ، الذي عجز عن الاستيلاء على هذه المدينة المحصنة جيدًا التي كان يدافع عنها جنود عازمون على المقاومة حتى الموت، ولقد مكنه إبعاد مياه نهر الفرات من إدخال مجموعة صغيرة قادها أوجبارو (Ugbaru) ، الذي بدوره قام باستغلال انشغال البابليين بالاحتفال بأحد الأعياد الهامة، وحاصر هيكل إساجيلا، واستولى على النقاط القوية في المدينة، وبعد ذلك بأيام تمكن قورش (Cyrus) من دخول بابل في احتفال تقليدي، وتمَّ أسر نابونيدوس (Nabonidus) حيًّا، وأُبْقِي على حياته؛ وبدءًا من منتصف عام (539)، تمَّ تأريخ الألواح البابلية بالعام الأول من حكم قورش (Cyrus) .

إن الاستنتاج الأوَّلي من هذا التحليل هو أن سرعة الفتح عبارة عن تشويه نتج عن الطرق الإنشائية المستخدمة من قبل مؤلِّف تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) ، والذي كان يهدف إلى وصف الحملات العسكرية بالتفصيل، وهكذا فقد أهمل البيانات التي يعتبرها المؤرخ الحديث مهمة، ومن وجهة نظر المؤرخ البابلي، فالنص يتحدث عن الفرس فقط بقدر ما تكون أعمالهم مهمة لتحديد التاريخ البابلي أو على الأقل يسمح بتأريخ الأحداث البابلية من منظور تزامني (سقوط أستياجيس (Astyages) ، حملة قورش (Cyrus) الأُوْلى ضد تلك البلد غير المعروفة، انتصارات قورش (Cyrus) في عام (539))، ومن هذا المنظور فهي لا تذكر أي شيء على الإطلاق عن أنشطة قورش (Cyrus) في الفترة بين عامي (539-547)، وبسبب هذا الأمر فإننا لا نعرف شيئًا عن العلاقات البابلية-الفارسية خلال الفترة الطويلة التي تغطي فترة إقامة نابونيدوس (Nabonidus) في واحة تيماء، والفتوحات التي حققها قورش (Cyrus) بين عامي (539-547)، ولقد أدت الفجوات الموجودة في هذا السجل البابلي إلى اختزال الحرب البابلية-الفارسية إلى مجرد فترة قصيرة جدًّا

في خريف عام (539)، ولكننا لدينا سبب مقنع للاعتقاد بأن البلاط الملكي البابلي لم يكن غافلاً عن تلك النجاحات التي كان يحققها قورش (Cyrus) ، وبمعنى آخر، فإن حرب (539-540) ربما كانت هي آخر مرحلة من مراحل الأعمال العدائية التي دارت بين المملكتين والتي لسوء الحظ لا تتوافر لدينا تفاصيل كثيرة حولها، وهذا الأمر يشير أيضًا إلى أن الزعم القائل بأن فتح عام (539) حدث فجأة هو زعم خاطىء .

من نابونيدوس (Nabonidus) حتى قورش (Cyrus) :

يجب ألا تأخذ المقارنة بين السلوك غير الورع لنابونيدوس (Nabonidus) ، والاتجاه الورع لقورش (Cyrus) بالمعنى الظاهر لها، ومن المشكوك فيه الزعم بأنه حتى قبل سقوط المدينة في يد قورش (Cyrus) كان أهلها ينتظرون بفارغ الصبر قدوم «المحرر»، وعلى وجه الخصوص فإنه لا يوجد دليل أكيد يثبت أن قورش (Cyrus) قد أقام علاقات ودية مع الكهنة البابليين، وكما كان الحال في فتح ميديا أو ليديا، فإنه لا يمكن تفسير الانتصار الفارسي على بابل فقط بواسطة المكائد التي سهلت الأمر كثيراً، ولا يعني دخول الملك الفارسي بابل منتصرًا خضوع أهل بابل بشكل كامل له، حيث إن دخول قورش (Cyrus) يشبه إلى حد كبير في أسلوبه وطريقته دخول الإسكندر (Alexander) إليها في عام (331)، حيث إنه وببساطة يجسد الالتزامات المفروضة على المدن المفتوحة والمتمثلة في إظهار ولائها للملك الجديد .

ومع ذلك، تسمح لنا أسطوانة قورش بفهم نوع الدعاية التي استخدمها النظام الحاكم الجديد لكسب تعاون طبقة الصفوة المحلية، ويؤدي التحليل الأدبي لهذا النص إلى إدراك الملحوظة القائلة بأن قورش (Cyrus) يصور نفسه على أنه أعاد النظام الإلهي والكوني إلى تلك المملكة التي إضطرب حالها بسبب أعمال نابونيدوس (Nabonidus) ، وهنا كما في الرواية الشعرية نجد أن مَلِك بابل قد تعرض للإدانة لتشجيعه على

عبادة إله القمر سن Sin على حساب عبادة الإله ماردوك (Marduk) ، ونحن نعرف أن نابونيدوس (Nabonidus) كان ينوى منذ بداية حكمه القيام بترميم وإعادة إنشاء هيكل (إهولهول) المخصص لعبادة الإله سن والموجود في مدينة حران السورية، ولكنه لم يبدأ في تنفيذ خطته هذه إلا بعد أن عاد من واحة تيماء، ولقد ظلت دوافع نابونيدوس (Nabonidus) نظرية، وعلى أية حال، فإنه لا يوجد دليل قاطع على أن ذلك أدى إلى خسارة الملك لدعم النخبة البابلية .

ومع ذلك، يَعْتَبِر قورش (Cyrus) نفسه مرممًا للبِنَى المدنية والدينية التي تعرضت للتدمير أو الهجر، بدءًا من بابل -كما يقترح جزء من تلك الأسطوانة - ويزعم قورش (Cyrus) أنه قد أعاد بناء التحصينات وبعض المباني الأخرى في بابل، وأيضًا في مواقع أخرى من مملكة نابونيدوس (Nabonidus) السابقة؛ في نينيفا، وآشور، وصوصا، وأجادى، وإسنونا، وزامبان، وميتورنو، ودير، حتى حدود جوتيوم، ومراكز الشعائر فيما وراء نهر دجلة، والتي ظلت مبانيها مدمرة لفترة طويلة: «فلقد أعدت الآلهة إلى الأماكن التي عاشت فيها وقمت بترسيخ عبادتها إلى الأبد، وقد جمعت كل الشعب، وأعدت لهم مساكنهم، وبالنسبة لآلهة سومر وأكاد اللذين أثار قيام نابونيدوس (Nabonidus) بنقلهما إلى بابل غضب سيد الآلهة (ماردوك (Marduk))، قمت بإعادتها مرة أخرى بأمر من ماردوك (Marduk) ، الإله الأكبر ووضعتها في هياكلها في صورة تسرُّ القلب» .

وتحمل العديد من وثائق التأسيس في معابد أوروك توقيع قورش (Cyrus) : «أنا قورش (Cyrus) ، ملك الأرضين، الذي يحب إساجيلا وإزيدا، ابن قمبيز (Cambyses) ، الملك القوي»، ويتكرر الشيء نفسه في هياكل أخرى، ولكن لا بد من وضع الأمور في نصابها، بصدد هيكل آجادي، أو جدران بابل، أو بوابة أوروك، أو حتى زيجورات

أور، فلقد قام نابونيدوس (Nabonidus) بترميم كل هـذه المنشـآت حيـث توجـد وثائق كثيرة تشهد على أنشطته كمر مم للآثار، والسجلات التي تشهد عـلى أعـمال آخر حكام المملكة البابلية الجديدة التي لا تقل عددًا عن تلـك التـي تـذكر أعـمال قورش (Cyrus) .

ولقد أعلن قورش من خلال التنوع الجغرافي للأعمال الإنشائية التـي تعـود إلى عهده عن عزمه على الاستيلاء على جميع أراضي المملكة المهزومـة، وهـذا الـتصريح سمح له أيضًا بأن يطوي عهد نابونيدوس (Nabonidus) ، وفي جزء من أسـطوانته، ذكر قورش (Cyrus) أنه أثناء أعمال الترميم التي تمت لبوابة المدينة، اكتشف اسـم الملك الآشـوري العظـيم آشـوربانيبال (Assurbanipal) ، والـذي عـده واحـدًا مـن أسلافه، وما زالت هذه الفقـرة مثـيرة؛ لأنـه وحتـى قبـل اكتشـاف هـذا الجـزء مـن الأسطوانة، تم توضيح أن نص أسطوانة قورش (Cyrus) تمَّ كتابتـه بـنفس أسـلوب نقش آشوربانيبال (Assurbanipal) ، ولقـد زعـم أيضًـا في بدايـة حكمـه أنـه قـام بجلب تمثال مـاردوك (Marduk) مـرة أخـرى إلى بابـل، كـما وفَّـر المصـادر الماليـة لتقديم القرابين له بشكل منتظم.

ولم يتردد نابونيـدوس (Nabonidus) نفسـه -في العديـد مـن النقـوش- في ربـط نفسـه بأسـلافه مـن الملـوك البـابليين البـارزين، خاصـة نبوخـد نصر الثـاني (Nebuchadnezzar) ونريجليسار (Neriglissar) ، ولقد كانت تسميتهم بمثابة محاولة لتبرير اغتصابه السلطة عـن طريق الانقلاب الذي قام به، ولقد استشهد أيضًا بآشوربانيبال (Assurbanipal) كنمـوذج لما قام به، ولكن المراسيم الملكية التي أصدرها فيما بعد والتي قَلَّصت من أهمية عبادة مـاردوك (Marduk) أدت إلى إضعاف مركزه، وأصبح من السهل بالنسبة إلى قورش (Cyrus) أن يـنشر دعاية مضادة له، ومن المحتمل أنه باستحضار شخصية آشوربانيبال (Assurbanipal) ، عبَّرت الطبقة الحاكمة البابلية عن اشـتياقها لفـترة كانـت تعتـبر ذروة التـاريخ البـابلي، ومـن جانبـه

لم يقدم قورش (Cyrus) نفسه كفاتح قادم من الخارج، وإنما كملك شرعي أتى ليعيد مجد التاريخ البابلي القديم، وفي هذا الإطار، فقد اتخذ لقبًا ملكيًا تقليديًا، ذاكرًا أنه «ابن الملك الأكبر قمبيز (Cambyses) ، ملك مدينة آنسان، حفيد الملك الأكبر تيسبيس (Teispes) ، ملك آنسان»، وأيضًا قدم نفسه بالطريقة الآتية: «أنا قورش (Cyrus) ، ملك العالم، الملك الأكبر، الملك القوي، ملك بابل، ملك مدينتي سومر وأكاد، ملك الأركان الأربعة من الأرض».

وَلّد مثل إخلاص قورش لذكرى ومثال آشوربانيبال (Assurbanipal) وتَبَنّي لقبه الملكي عرضًا لبرنامج قورش (Cyrus) الإمبراطوري الذي سعى لتنفيذه بعد دخوله بابل، وبدون الانشقاق عن الميراث الفارسي -يوضح بناء باسارجاداي استمراريته، عزم الفاتح على الظهور بمظهر الوريث للسلطة الآشورية، ولقد مكنه إلحاقه الهزائم بكل من أستياجيس (Astyages) ، وكريوسوس (Croesus) ، ونابونيدوس (Nabonidus) على التوالي من اعتبار نفسه «ملك العالم»، وإلى حد ما فلقد مثل الاستيلاء على بابل عام (539) نهاية فترة من التوازن المتزامن والشك الذي بدأ مع سقوط الإمبراطورية الآشورية في الفترة بين عامي (610-612)، فلقد تصارعت كلّ من المملكة البابلية الجديدة والمملكة الميدية على الإرث الآشوري لعدة عقود من الزمن، ولقد أدى انتصار قورش (Cyrus) عليهما إلى تسوية المسألة لصالحه .

ومن وجهة نظر البابليين، فإن انتصار قورش (Cyrus) يدل على إعادة تكوين الإمبراطورية القديمة. ولقد عُرِف (ولي العهد قمبيز (Cambyses) (ابن قورش) لعدة شهور بـ«ملك بابل»، وربما ترأس احتفال العام الجديد، ولكن وبالنسبة إلى الملك المنتصر، فإن سقوط بابل كان بمثابة الإعلان رسميًا عن اكتمال بناء الإمبراطورية الجديدة التي امتدت من بحر إيجة إلى وسط آسيا، وبهذا المعنى، فإن أسطوانة قورش تلك ليست أكثر من مجرد

عرض لرأي طبقات الصفوة في بابل، وتنقل أيضًا البرنامج الإمبراطوري لقورش (Cyrus) ، ولا يمكن أن يكون الاتفاق بين الاثنين مبنيًّا إلا على بعض الأمور الملتبسة، فلقد واجه البابليون مشكلة دمج بلادهم ضمن هذا الكيان الشاسع للإمبراطورية، وكان يتضمن مخاطر تتمثل في فقدهم لفرديتهم وهويتهم، التي كانوا قد استعادوها بصعوبة بالغة .

6- قورش (Cyrus) ، عبر الفرات ومصر:

ما إن أصبح قورش (Cyrus) سيدًا لبابل، كان بإمكانه في البداية المطالبة بالإرث البابلي الجديد في الأراضي السورية-الفلسطينية، وهي تعتبر محل نزاع تقليدي بين سادة بابل وسادة مصر، وكان يتميز سكانهما بتنوع ثقافي وعرقي كبيرين؛ حيث كان يعيش الفينيقيون في الموانئ الكبرى مثل صيدا وصور، بينما كان يسكن الآراميون، والعبرانيون، والفلسطينيون، والعرب، حتى اليونانيون في العديد من الجيوب السكنية الساحلية. ولقد انتهج ملوك بابل سياسة ثابتة وطموحة نحو هذه الأراضي من أجل فتح منفذ على البحر المتوسط، والاستفادة من التجارة المتوسطية والتجارة العربية، وهكذا فقد رغبوا في بسط سيادتهم على المدن الفينيقية والفلسطينية، وخاصة غزة، التي تمَّ تعريبها بشكل كبير، وصارت منفذًا لتجارة النباتات العطرية التي كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربية، التي كانت تسيطر عليها مملكة سبأ، علاوة على ذلك، فقد وجد ملوك بلاد ما بين النهرين هناك المواد الخام التي تنقصهم مثل الخشب من لبنان، والحديد من كيليكيا؛ ولهذا السبب تمَّ شن العديد من الحملات على هذه المنطقة لإخضاع الممالك التي أعلنت استقلالها هناك (دمشق، إسرائيل، والمدن الفينيقية)، ولمراقبة شعوب شمال شبه الجزيرة العربية. وقد شن نابونيدوس (Nabonidus) خلال فترة حكمه حروبًا عديدة على كيليكيا وسوريا وعبرالأردن وشبه الجزيرة العربية، ويرجع

سبب بقائه لمدة طويلة في تيماء إلى رغبته في بسط نفوذه على تلك المنطقة .

ومن بين الحضارات القديمة التي نشأت في هذه المناطق حضارة إقليم يهـودا، والتي كانت تربطها دائمًا علاقات معقدة وغالبًا عدائيـة مـع السـلطات الآشـورية-البابلية، ولقد حاولت بشكل متكرر المحافظة عـلى تلـك السياسـة الخطـرة والتـي كانت تتمثـل في تـأرجح ولائهـا فـيما بـين مصر وبابـل، ودعونـا عـلى الفـور نراجـع الأحداث السابقة والتي سـتجعلنا نفهـم أفعـال قـورش (Cyrus) في هـذا الموقـف، فعقب انتصار الفرعون نيخو (Necho) الثاني في مجدو (عام 609)، تم ضـم إقلـيم يهودا إلى الأراضي المصرية، وفي الوقت نفسه، تسبب سقوط الإمبراطورية الآشـورية الجديدة، وظهور المملكة البابلية الجديدة في وضع قـادة المدينـة في موقـف سـيئ، فلا بدَّ أن يختاروا ما بين بابل ومصر دون أن تكون لديهم الوسائل اللازمة للتأثير في الصراع بين القوتين، وفي عـام (605)، قـام الفرعـون نيخـو (Necho) الـذي هزمـه ملك بابل نبوخد نصر الثـاني (Nebuchadnezzar) في كـركميش (Carchemish) بخلع ملك يهودا يهواهاز (Jehoahaz) ، واستبدله به «يهويـاكيم» (Jehoiakim) الذي استغل فرصة الانتكاسة التي تعرض لها البابليون للقيـام بثـورة (حـوالي عـام 600)، وفي عامي (597-598)، عندما خلف يهوياكين (Jehoiachin) والده، زحف نبوخد نصر (Nebuchadnezzar) بنفسه نحو القدس، التي سقطت في مارس من عـام (597)، وتـمَّ أسر جـزء كبـير مـن صـفوة العـائلات اليهوديـة، قـادة الجـيش، والنبلاء، وملاك الأراضي، والكهنة، وتم اقتيادهم أسرى إلى بابل، ولقد عـين نبوخـد نصر (Nebuchadnezzar) ملكًا جديـدًا يـدعى زيـديكيا (Zedekiah) ، وبـإغراء ووعود من الفرعـون المصري، حـاول زيـديكيا (Zedekiah) تكـوين تحـالف ضـد البابليين حول يهودا، ولكن الظروف لم تكـن مواتيـة لـه، حيـث إنـه بالإضـافة إلى

الضعف والفقر الذي قد أصاب هذا الإقليم جراء كارثة عام (597) فقد كـان يعـاني أيضًا من الصراعات الداخلية؛ إذ نشب صراع مرير بين الحـزب الـذي يـدعو للتمـرد والحزب الآخر الـذي يـدعو إلى الخضـوع، وصـدرت أشـهر تلـك الـدعوات المناديـة بالخضوع من النبي أرميا، الذي وصف النصر البابلي بأنه عقـاب مـن «يهـوه» ضـد هذا الشعب غير المؤمن، ولا بد أن نضـيف هنـا أن فرعـون مصر لم يكـن يميـل إلى دعم زيديكيا (Zedekiah) بدون شروط، ولقد اخترق الهجوم الذي شنته الجيـوش البابلية القويـة دفاعـات مملكـة يهـودا، وفي صـيف عـام (587) سـقطت القـدس، وسجن الملك زيديكيا (Zedekiah) ، وتم ذبح أبنائه أمام عينيه، وتم تدمير المدينة والمعبد وباقي المراكز العمرانية تمامًا وسويت بالأرض، وتلا ذلك عملية ترحيل ثانية لليهود، ونصب البابليون حاكمًا آخر على إقليم يهودا، ولكن كان مـأمورًا مـن بابـل، وتم تقليل عدد السـكان في إمارتـه وإفقـارهم، ولم تعـد هنـاك مملكـة يهـودا، بـل صارت جزءًا لا يتجزأ من المملكة البابلية الجديدة .

قورش (Cyrus) والقدس:

ينال قورش (Cyrus) الكثير من الإطراء في المصادر اليهودية، ومن المحتمل أنه بمجرد دخوله بابل عمد عـلى تقويـة علاقاتـه بقـادة المجتمـع اليهـودي في المنفـى، الذين على أيديهم تم الحفاظ على تقاليد البلد الأم، وذلك على الرغم مـن دمجهـم بدرجة كبيرة داخل المجتمع البابلي، وبدأ النبي حزقيال في بابل عام (593) في وعظ الشعب واعدًا المستمعين إليه بالعودة إلى القدس، وإعادة بنـاء المعبـد، ومواصـلة عبادتهم للإله يهوه، واستعادة المملكة الموحدة التي تضم كـل مـن إقليمـي يهـودا وإسرائيل .

وتذكرنا المصطلحات التـي اسـتخدمها مؤلـف للإصحاح Isaia الثـاني بفقرات معينة في أسطوانة قورش (Cyrus) : «مِـن الـذي ظهـر في الشرق،

والذي يتبعه النصر في كل خطوة يخطوها؟ مِن الـذي أهـداه هـذه الأمـم، وجعـل الملوك تخضع له؟ فلقد حولهم سيفه إلى تراب وفرقهم قوسه كـالقش، ولقـد عمـل على ملاحقتهم وتقدَّم من دون أن يعوقه شيء، وبالكاد تلمـس قـدماه الأرض، مـن يمكن أن يكون قد صنع هذا الأمر غير الذي ينادي عـلى الأجيـال منـذ البدايـة؟ أنـا يهوه، الأول والآخر». (الإصحاح 41: 2-4) .

ثم يتم الإعلان بوضوح عن هذا التحالف بين قورش (Cyrus) ويهوه: «وهكذا يقول يهوه، إلى الشخص الذي اختصه، إلى قورش (Cyrus) ، الذي أخذ بيده اليمنى لإخضاع الأمم أمامه ولكشف عـورة الملـوك، لاقتحـام البوابـات التـي تغلـق أمامـه، بحيث لا تغلق أبدًا بعد ذلك: سأسبقك لأسوي المرتفعات أمامـك، سـأهز البوابـات البرونزية، وسـأحطم القضـبان الحديديـة، سـأعطيهم الكنـوز المخبـأة، والمخزونـات السرية، وذلك حتى تعرف أنني يهوه. (إصحاح 45: 1-3) .

ولكونه قد تم اختياره وتوجيهـه مـن قبـل يهـوه -كـما تـم اختيـاره مـن قبـل ماردوك (Marduk) في بابـل- فـإن قـورش (Cyrus) الـذي تتحـدث عنـه المصـادر الدينية لم يعد ينتمي إلى التاريخ، بل أصبح تزيينًا وشخصية إسطورية تميـز التـاريخ اليهودي، ولكن لا يستطيع المؤرخون اختيار مصادرهم هنا أكثر مما في اسـتطاعتهم فعل ذلك في أماكن أخرى، وفي ظل غياب أية وجهة نظـر أخـرى، فـإن أيـة محاولـة لفهم نوايا وأهداف سياسة قورش (Cyrus) تجاه المجتمع اليهودي لا بد أن تعتمد على الكتب اليهودية .

والحقائق التي لدينا نعرفها بالكامل من المقتطفات والإشارات التي يُـزعم أنهـا وثـائق رسمية للمفوضية الأخمينية، وتوجد هذه المقتطفات في كتاب عزرا (Ezra) ، وتقدم الفقـرة الأولى إعلانًا ينسب إلى قورش (Cyrus) ، ألهمه به يهوه، ويـنص عـلى: يقـال: إن الملـك قـد أذن لليهود بإعـادة بنـاء معبـد يهـوه في القـدس وإنـه سـمح لليهـود المنفيـين بـالعودة إلى

موطنهم، ولقد تم تسليم هذا الأمر إلى الخازن مثراداتا (Mithradata) ليعيد الآنية المقدسة التي جلبها نبوخذ نصر إلى بابل إلى شيشباذار (Sheshbazzar) ، «أمير إقليم يهودا»، ولقد تم تجنيد أهل صيدا وصور للقيام بنقل الأخشاب اللازمة للمشروع من لبنان إلى القدس، (عزرا (1:1-6:3 : (Ezra، 4)، وعلاوة على ذلك، ففي عهد دارا (Darius) ، تم العثور على نص مذكرة قورش (Cyrus) في الأرشيف الملكي في إكباتانا، وهو ينص على ما يلي:

قام الملك قورش (Cyrus) في أوائل عهده بإصدار أمر بإعادة بناء معبد الرب في القدس، حيث ستقدم فيه القرابين، وسيتم إحضار الهبات إليه لتحرق، حيث يبلغ ارتفاعه 60 ذراعًا، وعرضه 60 ذراعًا، وسمكه مقدار 3 طوبات حجرية، وخشبة واحدة، ويتحمل الملك نفقته، وعلاوة على ذلك، يجب إرجاع أواني الذهب والفضة الخاصة بمعبد الرب التي أخذها نبوخذ نصر من الهيكل الذي كان في القدس وجلبها إلى بابل، وذلك حتى يكون كل شيء قد أعيد إلى القدس وإلى معبد الرب (عزرا (5-2:6 (Ezra).

وتدور الشكوك حول مدى صحة هذه المقتطفات، حيث إنها لا تظهر الدقة القانونية الرسمية، ولقد صب المؤرخ كل اهتمامه على التأكيد على الإحسان التفضيلي الذي أبداه قورش (Cyrus) تجاه اليهود، ومن الواضح أيضًا أنه أغفل العديد من الأحداث التي حدثت على مدار فترة أطول مما تم توضيحه ومن المحتمل أن العديد من الأحداث التي حدد المؤرخ وقت وقوعها ببداية عهد قورش (Cyrus) ، يحتمل أنها في الحقيقة قد حدثت في عهد قمبيز (Cambyses) أو حتى بعد ذلك، وإجمالاً، فبينما تبدو الإجراءات التي تمت نسبتها لقورش (Cyrus) شرعية بشكل عام، فإنه لا تزال هناك بعض الأمور المتناقضة وأخرى غير المؤكدة حول بعض التفاصيل المعينة الخاصة بالمراسيم الملكية وتحديد تاريخها بالضبط.

ووفقًا لناشر كتاب عزرا (Ezra) ، فقد غادرت فرقة عسكرية أولى بابل تحت القيادة المشتركة لشخصين بارزين هما: شيشبازار وزيروبابل (Zerubbabel) ، وهناك العديد من الأمور المجهولة عن أصولهما وعلاقاتهما الوظيفية، وأحدهما شيشبازار (Sheshbazzar) ، الذي تم إعطاؤه هذا اللقب غير المفهوم وهو «الأمير» (ترساتا)، والذي ربما كان يرجع نسبه إلى داود، وبالنسبة إلى زيروبابل (Zerubbabel) ، فليس من المؤكد أنه كان حتى موجودًا في الموكب الأول العائد. ولقد شرع اليهود عقب عودتهم إلى القدس في استعادة عبادة الإله يهوه، وقاموا بنصب المذبح على أساساته القديمة لتقديم القرابين والاحتفال بالأعياد التقليدية، ومع ذلك فلقد ظلت عملية الاستعادة الأولية هذه هشة للغاية، وكان عدد اليهود الذين عادوا إلى يهودا قليلاً نسبيًا (حوالي 000,500 وفقًا لحسابات المؤرخ)، وظل هذا الإقليم فقيراً منذ الهزائم التي تعرض لها على يد البابليين، وزادت معارضة المناطق المجاورة لهذا الإقليم لإعادة بناء ذلك الهيكل، لدرجة أن أعمال إعادة البناء لم تبدأ فعلاً خلال عهد قورش (Cyrus) ، ومع ذلك مضى اليهود في القيام بمراسم «التأسيس» الرسمية ووضع حجر الأساس لهذا الهيكل، وهو العمل الذي كان له دلالة دينية وسياسية أكثر من كونه يشير إلى أعمال بناء فعلية. ومن الواضح أن قورش (Cyrus) لم يقم باستعادة المؤسسات الملكية القديمة، ولكن وبدلاً من ذلك يبدو أن يهودا أصبح إقليمًا (مدينة) يحكمه حاكم خاص (بيها) يتم تعيينه من قبل الملك الأكبر الذي يختاره من بين اليهود أنفسهم، ونقصد بذلك شيشبازار (Sheshbazzar) .

ومن قراءة النصوص اليهودية يحصل المرء على انطباع بأن المنح والامتيازات التي منحها قورش (Cyrus) لليهود كانت استثنائية بالمقارنة مع العلاقات الطبيعية بين أحد ملوك الشرق الأدنى وأحد المجتمعات الدينية العرقية، وبالإضافة إلى تلك الصورة البابلية التي تنقلها لنا

أسطوانة قورش (Cyrus) عنه بأنه أعاد النظام الديني والدنيوي هناك، فلقد لعب هذا التصوير اليهودي دورًا ليس هيِّنًا في صياغة تلك الصورة عن الفاتح الأخميني كملك مسالم ومتسامح، وأنه نأى بنفسه بشكل نهائي عن تلك الممارسات البابلية الأشورية «البربرية والقاسية»، وحتى في الوقت الحاضر، فإن مؤيدي قورش (Cyrus) المعاصرين يقدمونه على أنه كان مخترع «حقوق الإنسان»، ولقد وصل البعض إلى حد اعتبار سلوك قورش (Cyrus) سلوك مناصر متحمس للديانة الزرادشتية، والتي برفضها عبادة الأصنام تتشابه مع الديانة اليهودية-الإسرائيلية، وتعتبر هذه الصلات الأخمينية اليهودية جزءًا من الإصلاح الموسع لـ«فوضى الشّرْك» التي كانت موجودة آنذاك.

وفي الحقيقة، فإنه لم يتم أبدًا عرض تلك المسألة بهذة الطريقة سواء بالنسبة إلى قورش (Cyrus) أو بالنسبة لقادة اليهود، وبسبب ارتباط السياسة بالدين في مجتمع الشرق الأدنى، فمن المعقول أن تقوم المصادر اليهودية بتوضيح التاريخ باستخدام مصطلحات دينية، ولكن أي قرار «ديني» كانت له تضمينات وأهداف سياسية، وحيث إنه كان لدى كل مدينة أو شعب آلهة تحميه، فلقد كان من الطبيعي أن تقوم هذه المدينة أو هذا الشعب بعبادة هذه الآلهة وبناء المعابد التي بالإضافة إلى كونها أماكن العبادة، فإنها تمثل رمزًا لكيان سياسي مستقل، ومن الأمور المفهومة أيضًا قيام الفاتح بحمل الآلهة (أي تماثيل العبادة والأدوات الطقسية الأخرى) مع الأسرة المالكة وطبقات الصفوة العسكرية والسياسية يقضي على كل الآمال باندلاع ثورة مستقبلية ضد سلطته، وهذا بالفعل ما قام به نبوخذ نصر بعد الاستيلاء على القدس، وهكذا فلقد اقترنت عملية إعادة البناء السياسي والديني لمدينة أو مجتمع ما بعودة تماثيل الآلهة التي تم ترحيلها إلى عاصمة الفاتح السابق، كانت من الأمور الهامة جدًّا للشعب الذي تمت إعادته إلى وطنه، وهذا ما قام

به قورش (Cyrus) في بابل، وهكذا فإن السمة الاستثنائية لأفعال قـورش (Cyrus) فيما يتعلق بالقدس تنشأ فقط من ذلك المنظور اليهودي الضيق لمصـادرنا، وبمجـرد أن تم وضـعهم في الإطـار الأيـديولوجي والسـياسي لـلشرق الأدنى، رجـع الفـرس إلى الوضع الذي كانوا عليه في الأسـاس؛ ومـن المؤكـد أن هـذه كانـت إحـدى الحلقـات الهامة في تاريخ اليهود أنفسـهم، ولكنـه كـان مجـرد حـدث نمطـي وعـادي مـر بـه بالفعل العديد من شـعوب الشرق الأدنى خـلال فـترة خضـوعها للسـيادة الآشـورية والبابلية.

قورش (Cyrus) و(عبر الفرات):

لو أنكرنا وجود علاقات خاصـة بـين قـورش (Cyrus) وقـادة اليهـود في بابـل، فكيف يمكننا تفسير توجيهاتـه؟ لـن يكـون أمامنـا سـوى وضـع بعـض الافتراضـات؛ ودعونا نتذكر أنه وفقًا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 153) فلقـد اتخذت مصر موقفًا عدائيًّا تجاه قورش (Cyrus) ، وكانت خائفة من أطماعـه بعـد مغادرته للجبهة الليدية في عام (546)، ولهذه الأسباب فمن المتفق عليه بشكل عام فإن إنشاء إقليم القدس الذي يتسم بولائـه الكامـل للمصـالح الفارسـية قـد تـم في سياق استراتيجي أوسع، يتمثل هدفه النهائي في فتح مصر عاجلاً أو آجلاً، ولكن مـا لدينا من معلومات عن سياسة قورش (Cyrus) في المنـاطق التـي تقـع فـيما وراء نهر الفرات فهو ضئيل للغاية، وتحتـوي إحـدى فقـرات أسـطوانة قـورش للوهلـة الأولى على سجل بالطموحات الإقليمية لسيد بابل الجديد، وعقب وصفه لـدخول قـورش (Cyrus) بابـل وطلـب المباركـة مـن الإلـه مـاردوك (Marduk) لقـورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) وللجيش الفارسي بأكمله: «إن جميع ملوك العالم من أعالي البحـر الأبـيض المتوسـط إلى البحـر المـنخفض (الخلـيج الفـارسي) الـذين يجلسون في حجرات العرش، وجميع الـذين يقطنـون في الخيـام، قـاموا جمـيعهم بإحضار الجزية الثقيلة وقَبّلوا قَدَمَيَّ في بابل»، ويحتمل أن «ملوك عمورو» هؤلاء

هم ملوك الشعوب العربية التي تسـكن في منطقـة شـمال شـبه الجزيـرة العربيـة، والذين يسميهم المؤلفون اليونانيون بـ«السينيين» أي «الذين يعيشـون في الخيـام»، ولكن التعبير الذي استخدمه جامع الأسـطوانة كـان تقليـديًّا لدرجـة أنـه لا يسـمح باستنتاجات ثابتة حول مدى إخضاع قورش (Cyrus) لهذه الشعوب .

وفي إطار رغبتـه لجعـل قـورش (Cyrus) مـنشىء هـذه الإمبراطوريـة في أقصى اتساع لها، فقد نسب زينوفون (Xenophon) إلى قـورش (Cyrus) عـدة فتوحـات داخل هذه المناطق، ووفقًا له فلقـد أخضـع قـورش (Cyrus) العـرب، وولى علـيهم مرزبانًا، ولقد استسلمت قبرص طوعًا، وقامت بإرسال فرق عسكرية إلى الملك الأكبر عقب فتحه لبابل، ووفقًا لزينوفون (Xenophon) فلقد كانت قبرص ومصر تمـثلان الحافـة الغربيـة لإمبراطوريـة قـورش (Cyrus) ، وينسـب زينوفـون الحمـلات العسكرية التي أدت إلى فتح مصر إلى قورش (Cyrus) (الكتاب الثـامن، فقـرة 6-20)، ولكن معلومات زينوفون (Xenophon) هذه غير مقبولـة، فمـن المؤكـد أن قورش (Cyrus) لم يقم بقيادة حملة ضد عرب سكان شـبة الجزيـرة، ولكنـه قـام فقط بإخضاع العرب الذين يعيشون في بلاد ما بين النهرين، ومن المؤكد أيضًـا أنـه لم يفتح مصر، وبالنسبة إلى قبرص، فبالإضـافة إلى كونهـا بعيـدة عـن قيـام الفُـرْس بفتحهـا، وعـلى العكـس مـن ذلـك يبـدو أنهـا كانـت تابعـة للفرعـون أماسـيس (Amasis) في عام (539)، ونحن لا نعلم شيئًا عن موقف المدن الفينيقية في هـذا التاريخ، ولقد صرح عزرا (Ezra) أنه عقب عودة اليهود، «فقد زودوا أهـل صـيدا وصور بالماء والغذاء والزيت لكي يـحضروا خشـب الأرز مـن لبنـان بحـرًا إلى يافـا، وذلك وفقًا لقرار ملك الفرس، قورش (Cyrus) »، ولكن، حتى في حالة وجود مثل هذا القرار، فهو لا يتضمن بالضرورة الخضوع السياسي للمدن الفينيقيـة للسـلطة الفارسـية الجديـدة، وحتـى ولـو كـان الفينيقيـون قـد خضـعوا لسـيطرة الفـرس

فنحن لا نعرف شيئًا عن الأشكال المادية التي اتخذتها هذه السيطرة الفارسية؛ وترجع الأمور الحاسمة إلى عهد قمبيز (Cambyses) ، كملاحظة على ما يشير إليه هيرودوت (Herodotus) .

وفي الواقع فالأدلة تشير إلى أن قورش (Cyrus) قد قام بإنشاء إدارة مرزبانية ضخمة توحد بابل وباقي بلاد عبر الفرات، وذلك بعد أربع سنوات من الاستيلاء على بابل، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد امتدت عبر الفرات من «مدينة رأس البسيط وحتى مصر، واشتمل إقليم (نوموس) على مدن فينيقيا بالكامل، وذلك الجزء من سوريا المسمى فلسطين، وقبرص» (الكتاب الثالث، فقرة 91) ولا بد أن نضيف أننا لا نعلم شيئًا عن أوضاع بلاد إقليم إبير ناري فيما قبل عهد قمبيز (Cambyses) وعلاقاتها مع السلطات الأخمينية، ومن المحتمل أنه لم يتم إنشاء إمارة يهودا إلا في عهد قمبيز (Cambyses) ، حيث إنه من الواضح أن حاكمها كان يتلقى تعليماته من حكومة بابل من خلال معاونه الموجود في إقليم عبر الفرات .

قورش (Cyrus) ومصر:

هل قام الفرعون أماسيس (Amasis) بالاتصال بقورش (Cyrus) عقب الاستيلاء على بابل؟ نحن لا نعلم شيئًا عن هذا الأمر، عدا المعلومات المتناقضة التي سجلها هيرودوت (Herodotus) وكررها باقي المؤلفين، ولتفسير سبب غزو قمبيز (Cambyses) لمصر، قام هيرودوت (Herodotus) بالتركيز على صراع زيجي شبَّ بين ملك فارس وأماسيس (Amasis) ، ويعرض الرواية الفارسية والرواية المصرية والتي يشكك في مدى صحتها، ومن المفترض أن قورش (Cyrus) طلب من أماسيس (Amasis) إرسال أمهر طبيب عيون مصري، فقمبيز (Cambyses) (في الرواية الفارسية) وقورش (Cyrus) (في الرواية المصرية) طلب أن يرسل

أماسيس (Amasis) واحدة من بناته إلى البلاط الفارسي، وفي الرواية الفارسية سوف تتزوج من قمبيز (Cambyses) ، وزعم المصريون أنها كانت متزوجة من قورش (Cyrus) وأنه قد نتج عن هذا الزواج ولادة قمبيز (Cambyses) ، وفي رواية أخرى، فإن قمبيز (Cambyses) الصغير أقسم أن ينتقم لوالدته - الأميرة كاساندانى (Cassandane) - التي شعرت بالذل والمهانة عندما استبدلها قورش (Cyrus) بفتاة مصرية، ويتمثل وجه التشابه الوحيد بين جميع الروايات التي جمعها هيرودوت (Herodotus) ، في قيام أماسيس (Amasis) عمدًا بخداع الملك الفارسي، فبدلاً من إرسال ابنته، أرسل نيتيتيس (Nitetis) -ابنة الفرعون السابق أبرييس (Apries) - وهذا العمل أثار غضب قمبيز (Cambyses) ، ويعكس هذا الأمر الدعاية التالية للفرس، ومن الأفضل ألا يعتد بها المؤرخ .

7- من قورش (Cyrus) إلى قمبيز (Cambyses) :

لو أن الحملة المصرية كانت كما يبدو لا تزال في مراحل التخطيط، فلن يستطيع قورش (Cyrus) أن يقودها بنفسه، فلا توجد معلومات متوفرة لدينا فيما يتعلق بآخر عشرة أعوام، وكل ما نعرفه أنه في عام (530)، شن الملك حملة ضد شعب الماساجيتاي في وسط آسيا، ولا يوجد لدينا دليل قاطع فيما يتعلق بأسباب ومراحل هذة الحملة العسكرية، وحتى ظروف وفاة قورش (Cyrus) نجد أنها محاطة بهالة من الأساطير، ووبسرعة كبيرة يبهرنا الصراع الذي دار بين الفاتح العظيم والملكة توميريس (Tomyris) ، وتشهد هذه الحملة الجديدة في وسط آسيا- على الأقل- على الصعوبات التي واجهتها السلطة الفارسية في الحفاظ على سيادتها هناك .

وقبل الرحيل، اتخذ قورش (Cyrus) عدة خطوات لحسم مسألة الخلافة، «وقد أرسل إلى فارس ابنه الأكبر -قمبيز (Cambyses) - الذي إختاره ليكون خليفة له في الحكم، ولقد أكدت إحدى فقرات مؤلف

ستيسياس (Ctesias) على هذه الملاحظة التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) ، وفي سياق خيالى، سجل زينوفون (Xenophon) روايته التي تتناول وفاة قورش (Cyrus) في بلاد فارس، وسجل فيها الكلمات الأخيرة للملك الميت في حضور ولديه، الابن الأكبر قمبيز (Cambyses) ، والابن الأصغر تانوكساريس (Tanaoxares) ، والذي يسمى بارديا (Bardiya) في نقش بيهستون وفي العديد من الوثائق البابلية، ووالذي أطلق عليه هيرودوت (Herodotus) اسم سمرديس (Smerdis) ، ومن المفترض أن يقوم قورش (Cyrus) بتقسيم الواجبات والسلطات، فجعل من قمبيز (Cambyses) خليفة له، وبالنسبة إلى بارديا (Bardiya) ، فقد حصل على أرض شاسعة في وسط آسيا، وأضاف اليها إمتياز أنه لن يقوم بدفع الجزية التي يجمعها إلى السلطة المركزية - وهي نوع من المنحة لتمتص غضبه تجاه الشخص الذي منحت له السلطة- وعقب وفاة قورش (Cyrus) في آسيا الوسطى خلفه قمبيز (Cambyses) بدون أدنى صعوبة، وانتقل جسد والده إلى باسارجاداي كي يدفن في مقبرته (ستيسياس (Ctesias) ، فقرة 8) .

وبعيدًا عن المعلومات المتفرقة التي توجد في الألواح البابلية، فإن ما نعرفه عن حكم الملك الأكبر الجديد قد حصلنا عليه فقط من القصة التي رواها هيرودوت (Herodotus) حول حملة قمبيز (Cambyses) على مصر ما بين عامي (525-522)، والتي مات بعدها في سوريا، وفي كتاب هيرودوت (Herodotus) وأعمال المؤلفين الكلاسيكيين بوجه عام، ارتبط اسم قمبيز (Cambyses) بمجموعة من الأحكام السلبية للغاية، والسبب الأساسي هو مقارنته بالملك الجيد قورش (Cyrus) ، وهذا وفقًا لزينوفون (Xenophon) الذي كتب قائلاً: «بمجرد وفاة قورش (Cyrus) ، تفرق أبناؤه، وبدأت الولايات والأمم في الثورة، وتدهور كل شيء»، وهناك فقرة طويلة يوضح فيها زينوفون (Xenophon) ذلك الموضوع

المفضل حول «التدهور الفارسي»، والرواية نفسها نجدها عند أفلاطون (Plato) : حيث إنه يرى أن التوازن المثالي الذي تحقق في ظل حكم قورش (Cyrus) تدهور سريعًا في عهد قمبيز (Cambyses) ، وقد اكتشف سبب هذا الأمر وهو التعليم الواهن لابن مؤسس الإمبراطورية، وكدليل على هذا التدهور، أشار إلى ثورة بارديا (Bardiya) ضد قمبيز (Cambyses) ، ومن غير الضروري أن نفكر بالجانب الجدلي لتلك التحليلات، والتي بنيت على نظرة تقليدية للعلاقة المفترضة بين ثروة الملك وانعدام كفاءته العسكرية .

ومن جانبه، ووفقًا لمصادره الفارسية، فقد قارن هيرودوت (Herodotus) بين قورش (Cyrus) وخلفائه: «يقول الفرس بأن دارا (Darius) هو تاجر، وقمبيز (Cambyses) طاغية، وقورش (Cyrus) أب»، ومن خلال حديثه عن الحملة المصرية، فقد عاد هيرودوت (Herodotus) عدة مرات إلى هذا الموضوع، ولقد كرر رأى المصريين، ووفقًا لهم «فقد أصاب قمبيز (Cambyses) الجنون، وحتى قبل هذا، فقد كان بعيدًا عن صوابه، فهم يقولون هذا منذ ميلاد قمبيز (Cambyses) الذي عانى من مرض خطير، والذي أطلق عليه البعض المرض المقدس»، وتدعيمًا لروايته وصف هيرودوت (Herodotus) بالتفصيل «الجرائم الشنيعة» التي إرتكبها الملك ضد المصريين وضد نبلاء الفرس ومن بينهم أخته التي إتخذها زوجة له، ولقد استنتج هيرودوت (Herodotus) : «من خلال كل هذه الأمور، لا يساورني الشك في أن قمبيز (Cambyses) كان فاقدًا لصوابه»، فمن الواضح أن هيرودوت (Herodotus) كان يعتمد تمامًا على المصادر الشفهية التي استخدمها في إعادة بناء الحملة المصرية والخلافة الدموية لقمبيز (Cambyses) ، وهكذا فمن المهم أن نضع أحكامه ضمن السياق التاريخي، حتى نحصل على المنظور الضروري، وبالتالي إعطاء قمبيز (Cambyses) فضلاً مناسبًا لدوره في تكوين الإمبراطورية الأخمينية .

8- الحملة المصرية (522-525):

مصر في عهد أماسيس (Amasis) :

يـفسر هـيرودوت (Herodotus) -كـما شـاهدنا- قـرار قمبيـز (Cambyses) بالزحف على مصر بالأسباب التي نادرًا مـا تـرضي المـؤرخ، وذلـك لأن التفسسـيرات التي قدمها حول الزواج الملكي بـين الأسرتـين المـالكتين الفارسـية والمصريـة في عهـد قورش (Cyrus) لا تعكس سوى وجهة نظر الدعاية الفارسية، وبدلاً من هـذا يتـيح لنــا دراســة الموقــف الاســتراتيجي العــام بفهــم الظــروف التــي أدت بقمبيــز (Cambyses) إلى البدء في هذه الحملة العسكرية الهامة للغاية .

فبعد أن أصبح قمبيز (Cambyses) سيدًا لإمبراطورية قورش (Cyrus) ، كـان لزامًا عليه أن يحافظ على سيادته على الأراضي التي قد تم فتحها وأن يوسع حـدود الإمبراطورية بفتح المملكة الوحيدة في الشرق الأدنى ذات الشأن التي كانت لا تـزال خارج قبضته وهي مصر، ولا يجب أن ينظر إلى ذلـك عـلى أنـه رغبـة غـير عقلانيـة للسيطرة على العالم بأكمله، فلقد كان قرار قمبيز (Cambyses) محددًا سلفًا بقرار والده الذي نص على ضم إقليم عبر الفرات إلى بابـل، وكـان هـذا الأمـر يتطلـب إن عاجلاً أو آجلاً إخضاع البلاد الواقعة ما بين الفرات والنيل، وهذا يستوجب الـدخول في صراع مع مصر، والتي أبدت في الماضي لبعيد والقريب طموحات في الاستيلاء على هذه المنطقة .

ولقد سبقت الحملة المصرية سلسلة من الفتوحات، ولكن لانعرف عـن هذه الفتوحات أي شيء، وعلى أيـة حـال، فـنحن نعلـم أن فينيقيـا وقـبرص صارتا تابعتين لقمبيز (Cambyses) في عام (525)، ولا نعرف متـى أوكيـف تم فتحهما، ووفقا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالـث، فقـرة 19)، «فلقد قام الفنيقيـون بخدمتـه بـإرادتهم الحـرة، وكـذلك القبارصـة قـاموا

بخدمة الفرس»، وكلاهما انضما إلى القوات البحرية التي يرأسها قمبيز (Cambyses) في حملته على مصر، ولقد كان فتح قبرص بمثابة ضربة من العيار الثقيل للفرعون أماسيس (Amasis) ؛ لأنه -ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) - «فلقد كان الفرعون الأول الذي يتمكن من إخضاع قبرص، وإجبارها على دفع الجزية».

ومنذ عام (664)، تولى حكم مصر أسرة سايتي، التي قام فراعنتها الأوائل بالمهمة الصعبة المتمثلة في إعادة توحيد مصر، والتي يضمها علماء المصريات تقليديًّا إلى مرحلة لاحقة، وتعد فترة حكم أسرة سايتى بمثابة فترة نهضمة بالنسبة إلى مصر، ومنذ عام (570)، تولى حكم مصر الفرعون أماسيس (Amasis) ، والذي توفي في عام (526)، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «يقال إن حكم أماسيس (Amasis) يمثل فترة ازدهار مادي لا مثيل له بالنسبة إلى مصر، فالأرض قد أعطت خيراتها للناس، مثلما أعطى النيل خيراته للأرض، ويقدر العدد الكلى للمدن المأهولة بالسكان في تلك الفترة بـ000,20» بلدة، وكان لأماسيس (Amasis) قوات مسلحة قوية: أسطول تركه له سلفه نيخو الثاني (610-595)، وجيش مدعم بقوة بفرق من المرتزقة من جميع أنحاء الشرق الأدنى بما فيها إقليمي كاريا وأيونيا.

ورغم كل هذا، فلقد اعتبر أماسيس (Amasis) فتح قورش (Cyrus) لبابل أمرًا في منتهى الخطورة، وقد اتبع سياسة تهدف إلى كسب الحلفاء في الصراع مع الفرس، والذي كان على وشك الاندلاع، وكان فراعنة أسرة سايتي يعززون علاقاتهم مع العديد من الدويلات اليونانية في أوروبا وآسيا الصغرى، ويطلق هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثاني، فقرة 178) على أماسيس (Amasis) لقب «عاشق اليونانيين»، ويذكر من بين الأدلة على عشقه لليونانيين مثال نوقراطيس (Naucratis) ، والتي كانت مركزًا تجاريًّا في الدلتا أسسته مدن آسيا الصغرى بموافقة من الفرعون

ومن المؤكد أن ذلك قد تم خلال فترة حكم الفرعون بسماتيك (Psammetichus) الأول، ولم يكن الإغريق والفينيقين (الذين كانوا ممثلين في مصر هم الآخرين) هم المستفيدين من هذه التجارة وإنما أيضًا الفرعون، حيث فرض أماسيس (Amasis) رقابة صارمة على الصادرات والواردات، وتم تأسيس مستودعات الجمارك في شرق الدلتا على الفرع الشرقي للنيل Pelusiac ، وفي الغرب على الفرع الغربى للنيل Canopic ، وتم تحصيل الضرائب هناك على السلع القادمة من «البلدان الشمالية الأجنبية» (بلاد فينيقيا، سوريا- فلسطين)، و«البلدان الأجنبية في اليونان العظيمة» (بلدان بحر إيجة والبلدان الإغريقية)، على التوالي .

وهناك العديد من الهياكل الإغريقية التي تلقت الهبات من الفرعون المصري: معبد دلفي في آسيا الصغرى، ومعبد الآلهة أثينا في مدينة لندوس على جزيرة روديس، ومعبد هيرا في جزيرة ساموس، ومعبد البرانشيداي في ديديما، بالإضافة إلى معبد أثينا في جزيرة ثيرا، وقد كان اهتمام فراعنة أسرة سايتي بمدن آسيا الصغرى طويل المدى:وتقليديًّا، فلقد قاموا بتجنيد قوات إضافية لجيوشهم من هذه المدن، ومنحوا لهم أراضٍ بمصر ليدعموا الجيش المصري، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد بلغ عدد الكاريين والأيونيين الذين كانوا تحت قيادة أبرييز عندما هزمه أماسيس (Amasis) (30.000) ، ويذكر هيرودوت أيضًا أن أماسيس (Amasis) قد وطن الأيونيين والكاريين في منف «وذلك ليقوموا بحمايته من قومه»، وعلى الرغم من سخط الجنود المصريين بسبب تلك المنح والعطايا لصالح جنود آسيا الصغرى، فقد واصل أماسيس (Amasis) سياسة الملوك السابقين .

ولقد كان من ضمن حلفاء أماسيس (Amasis) الذي يمكنه الاعتماد عليهم كان بوليكراتيس (Polycrates) الذي استولى على جزيرة ساموس

عقب قيامه بانقلاب، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «فبمجرد أن سيطر على الجزيرة عقد ميثاق صداقة بينه وبين أماسيس (Amasis) ملك مصر، وصدقوا عليه بتبادل الهدايا»، ولتقوية هذه الصداقة التي تم إنشائها بتبادل الهدايا قام أماسيس بإهداء تمثالين له منحوتان على الخشب إلى معبد هيرا في جزيرة ساموس ويركز هيرودوت (Herodotus) على السلطة التي إكتسبها بوليكراتيس (Polycrates) بسرعة: «لم يمضي وقت طويل حتى أصبحت الزيادة السريعة لسلطته حديث أيونيا كلها وباقي اليونان، حيث إنتهت كل حملاته بالانتصار، كما كللت كل مغامراته العسكرية بالنجاح»، ولقد امتد نفوذه حتى بلغ جزر The Cyclades ، بما فيها جزيرة رينيا، بالقرب من ديلوس، وسرعان ما مثل تهديدًا حقيقيًّا للسيادة الفارسية على المدن اليونانية التي تقع على ساحل آسيا الصغرى بعد وفاة قورش (Cyrus) ، وهذا ما يوضحه هيرودوت (Herodotus) ، مشيرًا إلى أن بوليكراتيس (Polycrates) حقق نصرًا بحريًّا على سكان مدينة ميتيلين التي تقع على جزيرة لسبوس، والذين كانوا حلفاء لملطية: ولكن خضعت ملطية إلى الفرس، ولقد هددت الهجمات التي شنها الطاغية على الجزر والمدن التي تقع على البر الرئيسي المواقع الأخمينية، ويؤكد هيرودوت (Herodotus) على أن بوليكراتيس (Polycrates) «كان يأمل في بسط نفوذه على أيونيا والجزر»، وربما كانت هذه هي الظروف التي قام فيها قورش (Cyrus) بتعيين أوروتيس (Oroetes) حاكمًا على ساردیس (Sardis) »، وبلا شك فلقد كانت مهمة أوروتيس (Oroetes) الأساسية تتمثل في الدفاع عن الأراضي الأخمينية ضد الطاغية، وفيما يتعلق بالفرس، فقد لعب بوليكراتيس (Polycrates) الدور نفسه الذي لعبه كريوسوس (Croesus) عندما تحالف مع الفرعون المصري .

وخلال مناقشته لما كان يقلق أوروتيس (Oroetes) ، يكتب هيرودوت (Herodotus) عن بوليكراتيس (Polycrates) قائلاً: «إنه كان أول يوناني

يخطط لفرض سيطرته على البحر»، ولقد غذت هـذه الطموحـات قواتـه البحريـة، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد كان لديه 50 سفينة ذات مجاديف، وهـي قوة بحرية تفوق إمكانيات المدن الإغريقيـة حتـى ولـو كانـت مدينـة غنيـة مثـل ساموس وبلا شك فإنه قد تمكن من بناء والمحافظة على هـذه القـوة البحريـة مـن خـلال مسـاعدة أماسـيس (Amasis) لـه ولـو بشـكل جـزئي، ووفقًـا لهـيرودوت (Herodotus) وفي عام (525)، كان يملك 40 سفينة ثلاثية المجاديف (سفن بـثلاث صفوف مـن المجـاديف)، ولقـد كانـت السـفن ثلاثيـة المجـاديف أحـد الإبتكـارات التكنولوجية والعسكرية العظيمة التي ظهرت في منطقة بحر إيجة، مـا بـين أعـوام (550-525)، وربما امتلكت مصر مثل هذا النوع من السفن الحربية أيضًا، وهذا ما مكن أماسيس (Amasis) من الاستيلاء على قبرص .

فتح وادي النيل ومداخله:

ومع ذلك، وفي عام (525) ساءت ظروف مصر، فأولاً، توفي أماسيس (Amasis) قبل هذا التاريخ بعام، وخلفع إبنه بسـماتيك (Psammetichus) الثالـث، وترتـب على فقدان أماسيس (Amasis) نتائج هائلة خاصة وأن قمبيـز (Cambyses) كـان يعد لغزو مصر، ويصف هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالث، فقرات 40-43) في قصـة طويلـة الشـقاق الـذي وقـع بـين أماسـيس (Amasis) وبـوليكراتيس (Polycrates) ، وتبعًا لهيرودوت (Herodotus) فلقد تـم إلغـاء إتفاقيـة الصـداقة التي كانت قائمة بينهما بمبادرة مـن أماسـيس (Amasis) الـذي كـان قلقًـا بسـبب الازدهارالكبير والطموح الجامح لبوليكراتيس (Polycrates) ، وفي الواقع، فلقد قام الأخير بالاتصال بقمبيز (Cambyses) الذي ألح عليـه أن يرسـل لـه سـفنًا، وأرسـل بوليكراتيس (Polycrates (40 سفينة ثلاثية المجاديف، ولقد إختار كـل رجـل مـن أطقم هذه السفن بعناية بالغة حيث كان عنده سـبب يدفعـه للشـك في ولاء كـل

رجل منهم، وأرسل تعليمات إلى قمبيز (Cambyses) ألا يدع أي فرد منهم يعود حيًّا إلى ساموس»، وهذا أمر يصعب تفسيره ولكن مضمونه واضح، فلقد نخلى بوليكراتيس (Polycrates) عن الحليف المصري وبدأ في التقرب من ملك الفرس، وبلا شك فلقد كان قلقًا بشأن المخاطر التي أخذت تتصاعد ضده (استعدت إسبرطة لإرسال أسطول ضد ساموس) وأيضًا بشأن المعارضة المتزايدة التي أبداها مجموعة من نبلاء ساموس وميلهم أكثرللتعاون مع مصر، ويمكننا إدراك هذا التحول المفاجئ في سياسة طاغية ساموس إذا إفترضنا أن هذا الأمر قد حدث بعد وفاة أماسيس (Amasis) ؛ فنتيجة لما بلغه عن الاستعدادات التي قام بها قمبيز (Cambyses) لفتح مصر، آثر السلامة بالانضمام للفرس حيث أدرك أنهم منتصرين لا محالة .

لقد عانى فرعون من انشقاق فانيس (Phanes) والذي كان كما وصفه مواطنه هيرودوت (Herodotus) والذي كان ينتمي إلى هاليكارناسوس هو الآخر «محارب شجاع وذكي»، ولقد كان أحد ضباط الفرقة الكارية التي كانت مقربة من الفرعون، ولقد كان الفرعون عنده مخاوف كثيرة منه حيث كان «ذو مكانة كبيرة بالجيش، وكانت لديه معلومات مهمة ودقيقة عن الحالة الداخلية لمصر»، ولقد هرب من الرجال الذين أرسلوا ليقبضوا عليه ووصل إلى قمبيز (Cambyses) «الذي كان متلهفًا للهجوم على مصر»، واستطاع أن يزود الملك الأكبر بمعلومات حساسة حول كل من حالة القوات المصرية وطرق الوصول إلى الدلتا.

وفي هذه الأثناء، كان قمبيز (Cambyses) قد قام باستعدادات عسكرية هائلة، ويلاحظ هيرودوت (Herodotus) أنه بعد فتح قوات قورش (Cyrus) لآسيا الصغرى «لم لدى أهل الجزر ما يخشوه، بسبب عدم خضوع الفينيقيين للفرس، ولأن الفرس أنفسهم لم يكونوا قوة بحرية»، وسمح إخضاع كل من قبرص وفينيقيا لقمبيز (Cambyses)

بتغيير مسار الأحداث، ففي عام (525)، «اعتمد الفينيقيون بشكل كامل على قوة أسطولهم البحرى (نوتيكوس ستراتوس)»، وتلقد إشتملت تلك القوات أيضًا على قبارصة ويونانيين من أيونيا وأيوليا، وكان من بينهم فرقة بحرية من مدينة ميتيلين، ويمكننا القول بأن قمبيز (Cambyses) كان المؤسس الحقيقي للأسطول الفارسي، الذي تم بنائه بواسطة الرجال والموارد التي تم جمعها من فينيقيا وآسيا الصغرى، ولقد كانت هذه هي المجاملة التي قالها الفرس في حاشية قمبيز (Cambyses) له عندما سألهم عن أعظم إنجازاته، حيث ردوا قائلين: «أنه أفضل من والده لأنه استطاع الحفاظ على جميع الأراضي، كما أنه غزا مصر واستطاع فرض سيطرته على البحر»، وفي الواقع يبدو أن الفضل في إنشاء الأسطول البحري الملكي الفارسي بأكمله يعود إلى قمبيز (Cambyses) ، حيث إنه كان ضروريًا لتحقيق طموحاته في الانتصار على الفرعون المصري والذي كان لديه بالفعل أسطولاً قويًا .

ولم يتم وصف العمليات العسكرية بتفصيل كامل، ففي خلال عرضه لقصة فانيس (Phanes) توقف هيرودوت (Herodotus) عند العلاقات التي أنشاها قمبيز (Cambyses) مع «ملك العرب»، والذي كان يسيطر على المنطقة الصحراوية بين غزة والحدود المصرية، ولقد سمحت اتفاقية رسمية عقدت بينهما للملك الفرس بالحصول على الماء الكافي حتى يصل إلى وادي النيل، وبالتأكيد فقد أتاح هذا الأمر لقمبيز (Cambyses) فرض سيطرته المباشرة على شعوب ومدن إقليم عبر الفرات والتي لم ترَ من قبل الجنود الفرس، وهذا هو الوضع الذي سجله بوليبوس (Polybius) فيما بعد، مادحًا مدى وفاء سكان غزة لحلفائهم: «فعلى سبيل المثال، عندما قام الفرس بغزو المنطقة، فقد رُوِّعَت كل المدن بمدى قوة العدو، واستسلم جميع الرجال للعدو، أما سكان أهل غزة فقد واجهوا الخطر وقاوموا الحصار»، ولقد كانت غزة تمثل مركزًا تجاريًا مهمًا، حيث

قام هيرودوت (Herodotus) بمقارنة مدى ازدهارها بمدينة ساردیس (Sardis) ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، شكلت دعمًا أساسيًا للاحتلال الفارسي لفلسطين وجسرًا تعبر من عليه أية حملة عسكرية متجهة لمصر .

ولقد قاد الفرعون بسماتيك الثالث جيشًا يضم جنودًا مصريين، وفرق عسكرية مساندة من الجنود الكاريين واليونانيين، وانتظر قمبيز (Cambyses) عند الفرع الشرقي للنيل، ولم يقدم لنا هيرودوت (Herodotus) معلومات عن القتال الذي دار هناك، حيث كان مهتمًا أكثر بالحديث عن الانتقام الفظيع الذي أعده الفرعون والفرق الكارية واليونانية لفانيس (Phanes) (الكتاب الثالث، فقرة 11)، وبالمقارنة الرائعة بين القوة النسبية لكل من المصريين والفرس، وذكر هيرودوت (Herodotus) ببساطة أن المعركة انتهت بشكل سيئ بالنسبة إلى بسماتيك، حيث فرت القوات المصرية إلى قلعة منف، «ولقد فرض قمبيز (Cambyses) الحصار على المدينة، وبعد فترة، استسلمت المدينة»، وتم أسر بسماتيك (Psammetichus) .

ولقد أدت المعلومات التي إختارها هيرودوت (Herodotus) من المصادر التي كانت متاحة لديه إلى تجاهل كل من قوة المقاومة التي أبداها بسماتيك والدور الذي لعبه أسطوله البحري (Psammetichus) ، وركز بوليانوس (Polyaenus) (الكتاب السابع، فقرة 9) بدلاً من ذلك على أن قمبيز (Cambyses) إضطر لمحاصرة Pelusium ، وأن المصريين استخدموا المنجنيق والآلات الحربية الأخرى لمنع قمبيز (Cambyses) من دخول المدينة، مما يعني منعه من دخول مصر، حيث إنه بدون الاستيلاء على هذه المدينة أو إمتلاكه لإسطول يضمن له التفوق البحري لم يكن من الممكن الاستيلاء على مصر، ونعرف أن أودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، وهو مصري ، كان يقود الأسطول البحري في عهد أماسيس (Amasis) ، ثم في عهد خليفته بسماتيك الثالث؛ ولأنه قدم نفسه

كالمفضل لـدى قمبيـز (Cambyses) ، فـإن هـذا يـدفعنا للاعتقـاد أنـه تخـلى عـن أماسيس (Amasis) ، وبهذا جعل مهمة تحقيق النصر في مدينة Pelusium سهلة كثيرًا بالنسبة لقمبيز (Cambyses) ، ولكن يظل هذا إفتراضًـا ضـعيفًا، ومـا إن تـم الاستيلاء على Pelusium ، تمكنت القوات والأسطول الفارسي من التوغـل في وادي النيل، وفرضت الحصار على منف التي كانت متصلة بالبحر بالعديـد مـن الممـرات المائية، ولقد استطاعت قارب قمبيز (Cambyses) عبور أحد هـذا الممـرات، وكـان على متنه رسول من قمبيز لدعوة المدافعين للاستسلام، ولقد قتل هـذا الشـخص هـو والحاشية التي كانت ترافقه، وفي الواقع، فلقد استطاع بسـماتيك (Psammetichus) وقواته المقاومة لمدة طويلة متحصنين بهذه القلعة المسماه بـ «الجدار الأبـيض» التـي كان لا يمكن الاستيلاء عليها بدون دعم من الأسطول، ولكن في نهايـة الحصـار (الـذي لم يحـدد هـيرودوت (Herodotus) طـول فترتـه)، اسـتطاع قمبيـز (Cambyses) دخول المدينة، وتم وضع حامية مصرية-فارسية في قلعة «الجدار الأبيض».

وما إن فتحت مصر، حتى سعى قمبيز (Cambyses) لتحقيـق الطموحـات التي كان يسعى لتحقيقها آخر الفراعنة المصريين في التوسـع نحـو الغـرب (ليبيـا وبلدة قورنائية) والجنوب (النوبة، والتي يطلق عليها هـيرودوت (Herodotus) إسم أثيوبيا)، ولقد قام اللبييون تبعهم في ذلك اليونانيون من سكان جزيـرة ثـيرا والبرقيون بإرسال الهـدايا إلى قمبيـز (Cambyses) كعلامـة عـلى خضـوعهم لـه، وكدليل على حسن نيتهم، ولقد أعاد قمبيز (Cambyses) المـرأة اليونانيـة التـي تزوجها أماسـيس (Amasis) عنـدما تحـالف مـع جزيـرة ثـيرا اليونانيـة، ووفقًـا لهيرودوت (Herodotus) ، «فقد أعـد حملـة ثلاثيـة ضـد القرطـاجيين، ومعبـد آمون في الصحراء الغربية، والأثيوبيين الـذين عاشـوا في ليبيـا لفـترة طويلـة عـلى حافة البحـر الجنـوبى»، وقـد تـم إلغـاء الحملـة ضـد قرطاجـة لأن الفينيقيـين لم

يرغبوا في شن الحرب على مستعمرة فينيقية، وعلى الرغم من أن شن حملة ضد قرطاجة يبدو أمرًا غير محتملاً، إلا أنه لا يمكن قول نفس هذا الشيء على المخططات الملكية لغزو الجنوب، ولقد كرس قمبيز (Cambyses) جهوده نحو تحقيق «مشروع أفريقى» كبير الذي كان يتمثل في ضم مملكة ميرو، والاستيلاء جزئيًا على المواقع الاستراتيجة في الواحات الغربية، ومن خلال هذه الاستراتيجية، واصل قمبيز (Cambyses) نفس السياسة التي انتهجها فراعنة أسرة سايتي، والذين قاموا منذ عهد بسماتيك الأول بارسال الحملات المنظمة إلى الجنوب من أجل وضع نهاية للتهديد الكوشيتي Cushite ، ولتعزيز سلطتهم على الأقل حتى الشلال الأول، ولقد تم وضع حامية في جزيرة فيلة ولقد ظلت هذه الحامية والتي كانت تتكون جزئيًا من فرق عسكرية يهودية، ظلت موجودة في فيلة طوال عهد قمبيز لأنهم في الالتماس الذي يعود لعهد دارا (Darius) الثاني ذكر اليهود أنه قد تم بناء معبدهم «فى عهد فراعنة مصر» وأنه كان قائمًا «عندما دخل قمبيز (Cambyses) مصر» وتضمن هذا الأمر أن قمبيز (Cambyses) قام بحمايته».

ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد إنتهت كل من الحملة التي تم توجيهها ضد معبد آمون في واحة سيوة والأخرى التي تم توجيهها ضد أثيوبيا بكارثة محققة، ويتهم هيرودوت (Herodotus) قمبيز (Cambyses) بـ«الجنون» حيث زحف على الفور بإتجاه أثيوبيا دون تجهيز الإمدادات ومن دون أن يفكر ولو للحظة أنه كان آخذًا رجاله إلى نهاية الأرض، ويثير هذا الانحياز المتعمد ضد قمبيز (Cambyses) الشكوك حول مدة دقة رواية هيرودوت (Herodotus) ، وهناك دليل آخر على أن الحملة لم تنتهي بكارثة عسكرية، حتى لو أن الصعوبات التي صاحبت هذا المشروع قد أجبرت الملك الأكبر على الانسحاب، وهناك أدلة محددة على هذا الأمر، وهي النتائج الأخيرة لأعمال التنقيب إلى جرت في

موقع قلعة دورجينارتي، والتي تأسست في عهد فراعنة أسرة سايتي على نفس خط العرض الذي يمر بالشلال الثاني، وتشير الآتية الخزفية وأحد النصوص الآرامية أن تلك القلعة والتي كانت بلا شك جزء من شبكة متسعة من الحصون ظلت مستخدمة خلال الفترة الأخمينية .

9- قمبيز (Cambyses) والتقاليد المصرية :

«جنون» قمبيز (Cambyses) المصادر والمشكلات:

وفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإنه حتى ذلك الوقت كان قمبيز (Cambyses) يتصرف بطريقة متزنة، حتى أنه رثى لحال بسماتيك (Psammetichus) وأمر بالابقاء على حياة إبنه (الكتاب الثالث، فقرة 14)، ولكن من ناحية أخرى ومن وجهة نظر هيرودوت (Herodotus) ، «فلقد فقد الملك صوابه بالكامل، وكان كالمجنون»، وشن حملته ضد أهل أثيوبيا، واستحوذ الجنون على روح الملك بشكل كامل خاصة بعد عودته إلى منف، حيث استولى عليه الغضب من للآلهة، والعبادات والمعابد وكهنة مصر، ولقد ركز هيرودوت (Herodotus) بشكل خاص على قيامه بقتل العجل المقدس أبيس والقائمين على رعايته، فلقد إعتبر قمبيز (Cambyses) الاحتفالات التي أقيمت تكريمًا للعجل المقدس أبيس أنها تعبيرًا عن سرورهم لهزيمته في أثيوبيا (النوبة): «لقد أمر قمبيز (Cambyses) بجلد الكهنة، وأن يتم إعدام أي مصري يجدوه مستمرًا في الاحتفال، وبهذه الطريقة فقد انتهى الاحتفال، وتمت معاقبة الكهنة، وأبيس الذي ظل في المعبد لفترة من الوقت حتى توفي نتيجة الجرح الذي تعرض له في فخذه، ودفنه الكهنة بدون علم قمبيز (Cambyses) ، وحتى قبل هذا الوقت، لم يكن قمبيز (Cambyses) متزنًا على الاطلاق، ولقد المصريون كانوا مقتنعون أن سبب فقدانه لصوابه يرجع مباشرة لهذه الجريمة .

ويتلو هناك قصة «هوسه بالقتل» والذي راح ضحيته نبلاء الفرس وأخيه سميردس وأخته التي كان قد تزوجها، وضد كريوسوس (Croesus) الليدي، ثم يوجه هيرودوت (Herodotus) إتهامات خطيرة لهذا الملك: حيث إتهمه «بنبش المقابر القديمة وفحص الأجساد، ودخل معبد هيفاستوس (الإله بتاح)، وسخر من تمثال الإله، ويستنتج هيرودوت (Herodotus) : «نظرًا لكل ذلك فإنه لا يوجد عندى أدنى شك في أن قمبيز (Cambyses) كان مجنون تمامًا وهذا هو التفسير الوحيد لهجومه وسخريته من كل المقدسات المصرية» (الكتاب الثالث، فقرة38) .

وتقليدًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإن كل المؤلفين الكلاسيكيين قد كرروا فكرة جنون وانعدام ورع قمبيز (Cambyses) هذه؛ فيكتب جوستن (Justin) «لأنه للصدمة التي تعرض لها من الممارسات الدينية المصرية، قام قمبيز (Cambyses) بتحطم معبد الإله أبيس وآلهة آخرين»، ويعرض سترابو (Strabo) التفسير نفسه لشرح سبب قيامه بتدمير معابد هليوبوليس وطيبة، وهذا التقليد العدائى يوجد أيضًا في مؤلف ديودورس سيكيولس Diodorus Siculus : «تم أخذ الفضة والذهب والعاج والأحجار الكريمة (الموجودة داخل معبد طيبة)، والتي حملها الفرس عندما قام قمبيز (Cambyses) بحرق معابد مصر، ويقال أنه في ذلك الوقت وعن طريق نقل كل هذه الكنوز من مصر إلى آسيا وأخذ الحرفيين والفنانين أيضًا قام الفرس ببناء قصورهم الشهيرة في برسيبولس، وصوصا وباقى أجزاء ميديا، ويقال أن كل من الفرس وقمبيز (Cambyses) قاموا بسلب (دائرة الذهب المتوجة لمقبرة أوزمندياس) عند غزوهم لمصر .

ويوجد رواية أخرى سجلها القديس جيرومى يلمح فيه إلى أن قمبيز (Cambyses) قام بنقل حوالي 2500 صورة دينية مصرية، وباختصار، فإن كل ذلك يقودنا إلى الاعتقاد أن قمبيز (Cambyses) قد قام بفعل كل شيء في إستطاعته ليبعد الشعب المصري ككل عنه، خاصة

الأسر الكبرى التي كانت تدير المعابد، والذي من المؤكد أنه لم يكن غافلاً عن المكانة القيادية التي كانوا يحتلونها في المجتمع المصري، كما أنه لم يكن غافلاً عن الدور الذي يقوم به الفرعون أو ولي العهد في مراسم الجنازة التي ترمز للوفاة الدنيوية للعجل المقدس أبيس، ونحن نعلم على سبيل المثال أن بسماتيك (Psammetichus) الثالث قبيل غزو قمبيز (Cambyses) ، قام بطقس الصيام الصعب (الامتناع الكلي عن تناول الطعام لمدة 4 أيام، وإتباع نظامًا غذائيًّا نباتيًّا لمدة سبعين يومًا)، وقد اشترك في الاحتفالات المرهقة التي إستمرت على مدار السبعين يومًا، وهو الوقت الذي إستغرقته عملية تحنيط الثور المقدس، وأخيرًا، فإن قمبيز (Cambyses) لم يكن غافلاً عن الشعبية الهائلة لأبيس لدى عامة الشعب المصري، الذي انضموا بدورهم إلى فترة الحداد، ولقد قام هؤلاء الناس الذين يشكلون المدن والنومات التي تتكون منها الأقاليم، قاموا بناءًا على طلب من السلطات في منف بتوفير هذا الكم الهائل من المواد الذي تطلبته عملية تحنيط الحيوان المقدس (من فضة، ذهب، كتان ملكي، نبات المر، أحجار كريمة، وجميع أنواع «الاشياء الجيدة»)، ولم يكن قمبيز (Cambyses) غافلاً أيضًا أنه حين عودته إلى منف، كانت الاحتفالات بـ«تجلي» أبيس لا تزال مستمرة، والتي وفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «كان يرتدى فيها المصريون أفضل ثيابهم»، وفي النهاية توضح الرواية التي قدمها هيرودوت (Herodotus) - والتي يقارن فيها بين سياسة قمبيز (Cambyses) في مصر مع سياسة خليفته دارا - أن السياسة المصرية لقمبيز (Cambyses) تمثل ابتعادًا قويًّا عن سياسة والده قورش (Cyrus) في البلاد التي غزاها، ولكونه غير قادر على عرض تفسير سياسي، لم يكن أمام هيرودوت (Herodotus) أي خيار آخر سوى العودة إلى موضوع «جنون» قمبيز (Cambyses) ، ولقد أبدى المؤرخون الأكثر المعاصرين تحفظًا أكبر من ذلك .

ولا يمكن إنكار العديد من الأمور المنسوبة إلى الفرس، ولكنها ليست بالضرورة بنفس الاهمية التي يعطيها إياها المؤلفين القداماء، إن رجلاً مثل أدجاهورسنت (Udjahorresnet) (والذي سيناقش أمره فيما بعد باختصار) تحدث بنفسه عن «الاضطرابات التي حدثت في هذا النوم «سيس» (Sais) عند اندلاع الاضطرابات الكبرى في جميع أنحاء مصر»، وتمجيدًا لأفعاله الحسنة كتب قائلاً: «لقد قمت بإنقاذ سكان مدينتى (مدينة سايس) من المشكلات التي حدثت على أرض مصر، ولم يحدث مثلها في العالم بأسره من قبل»، وتتزامن هذه الاضطرابات مع استقرار «الأجانب» في مصر، مما أدى إلى ظهور حالة مؤقتة من الفوضى، ولم يقتصر الاضطراب على الدلتا، حيث إن تدمير المعابد المصرية مسجل أيضًا عند الحدود الجنوبية في فيلة، ويمكننا أن نتخيل حالات الغضب الأخرى ضد السلع والأشخاص، والتي تسببت فيها القوات الفارسية، ولكن ومن الخطأ أن نرى هذا الأمر على أساس أنه عرض لسياسة مناهضة لمصر مدعومة من قبل قمبيز (Cambyses) ، فهي -وبكل بساطة- عبارة عن حق خاص للمنتصر، دعونا نلاحظ أن إرسال الكنوز إلى فارس (بما فيها ثروات بعض المعابد المحددة) لم يكن شيئًا غريبًا، فهذا ما قام به قورش (Cyrus) بالفعل مع إكباتانا وسارديس (Sardis) .

وعلاوة على ذلك، يمكن إعادة تفسير قيام قمبيز (Cambyses) بقتل أبيس في ضوء الاكتشافات التي تمت في سيرابيوم في منف، حيث كانت تدفن أجساد العجول المقدسة أبيس المحنطة داخل نواويس، ولقد تم اكتشاف النقش الذي يحمل رثاء العجل المقدس أبيس التي دفن في عهد قمبيز (Cambyses) في عام (524)، حيث يرتدى الملك ثياب المصريين، وعلى ركبتيه يوجد «حورس» ملك مصر العليا والسفلى، وينص النقش على: «العام السادس، الشهرالثالث من فصل شيمو، اليوم العاشر، تحت حكم ملك مصر العليا والسفلى، والذي تم منحه الحياة الأبدية،

لقد تم إحضار الإله في سلام نحو الغرب، ودفن في مقبرته التي شيدها له جلالته، وذلك بعد أن تم الانتهاء من جميع المراسم داخل قاعة التحنيط، والتي تم إجرائها وفقًا لما أمر به جلالته» (Posener.3) .

ويتحدث النقش على التابوت الحجرى عن دور قمبيز (Cambyses) في تلك الأحداث: «قمبيز (Cambyses) ، ملك مصر العليا والسفلى، قام بصنع تابوت حجرى كبير من الجرانيت كنصب لأبيه أبيس-أوزيريس، ولقد خصصه له الملك الذي تم منحه الحياة الا بدية، وتم منحه أيضًا كل الدوام والازدهار، كل الصحة والسعادة، والذي سيبقى للأبد ملك مصر العليا والسفلى».

ولا يمكن إنكار النتيجة، فقد سجل هيرودوت (Herodotus) معلومات متناثرة -باستثناء مقتل أبيس- حيث اشترك قمبيز (Cambyses) في تحنيط ومراسم دفن أبيس، واتبع تنظيمات الاحتفالات المعروفة جيدًا خاصة في عهد فراعنة أسرة سايتي، وتوضح النقوش أيضًا أن بمقدوره «كملك لمصر العليا والسفلى»، كابن رع - باختصار- كفرعون أن يقوم بقيادة الاحتفالات الجنائزية، ومن هنا تظهر صورة قمبيز (Cambyses) بشكل مختلف تمامًا عن الصورة التي رغب أن ينقلها هيرودوت (Herodotus) ، حيث كان قمبيز (Cambyses) هو الفاتح الذي يسعى إلى أن يحل محله في المناسك والطقوس المصرية، وكان الملك الأخميني يرغب في الالتزام -بوصفه فرعون- بالممارسات والمعتقدات التي تم نقشها في سجلات التاريخ المصري الطويل، ولقد وجد التأكيد على ذلك في نقش الختم المصري للفرعون الجديد: «ملك مصر العليا والسفلى، قمبيز (Cambyses) ، المحبوب من الآلهة واجيت (Wajet) ، ملكة مدينة إميت، عين الشمس العظيمة، ملكة السماء، سيدة الآلهة، التي منحت لها الحياة كما منحت إلى الشمس».

أودجاهورسنت (Udjahorresnet) وقمبيز (Cambyses) :

يمكن استنباط الاستنتاجات نفسها من تحليل نص هيروغليفى معـروف جـدًّا، وهو النقوش الموجودة على أحـد التماثيـل الصـغيرة والتـي تظهـر أودجاهورسـنت (Udjahorresnet) يحمل شيء مقدس صغير، وربما كان يقصد من وراء نحت هذا التمثال والنقوش الموجودة عليه والذي من المحتمـل أنـه قـد تـم وضـعه في معبـد أوزيريس في سيس ضمان الحصول على عـلى الإحسـان الإلهـي في الآخـرة للشـخص الذي تمّ تمثيله كما يتضح في المناشدة النهائيـة للآلهـة، الـذين طلـب مـنهم «تـذكر جميع الأعمال الجديرة بالتقدير»، ولقـد كـان يـراد مـن ورائـه أيضًـا حفـظ ذكـراه وأفعالـه للأجيـال القادمـة مـن الحجـاج، ولا داعـي لـذكر أنـه نتيجـة لكـون هـذه النصوص تمثل سيرة ذاتية فإن هذا يدعو المؤرخ إلى تناولها بشكل ناقض.

ولقـد قـدم أودجاهورسـنت (Udjahorresnet) نفسـه كمحسـنًا: فقـد أعـاد الرونق والفخامة إلى معبد نيث في سـيس، وكـان «رجـلاً صـالحًا» في مدينـة سـايس الطيبة، «ولقد دافع عن الضعفاء، وكان ابنًا وأخًا، وأغدق الهدايا والعطايا عـلى مـن حوله»، ومن جهة أخرى، كان حريصًا جدًّا على التحدث عـن الطريقـة التـي انتقـل فيها من خدمة أماسيس (Amasis) وبسماتيك الثالث لخدمة قمبيز (Cambyses) ثم دارا (Darius) ، وبغض النظر عما حدث، فلا شك أنه اتجه إلى السلطة الجديـدة، فلقد منحه كل من أماسيس (Amasis) وبسـماتيك وقمبيـز (Cambyses) الألقـاب، وهو يصور نفسه على أنه كان رجل قريب جدًّا من كل الملـوك، فقـد أعطـونى الحـلى الذهبية والأشياء القيمة».

وكرس أودجاهورسنت (Udjahorresnet) حياته لخدمـة المملكـة المصرية، ويشير إلى الغزو الفارسي عـلى أسـاس أنـه تسـبب في مشـكلة كبـيرة، لـيس فقـط داخـل سـيس، وإنمـا في مصر كلهـا، وتسـمح هـذه

الإشارة له أولاً بالتركيز على الراحة التي جلبها لمعبد نيث، ولأسرته ولأهل سيس بوجه عام، ومع ذلك، وضمن هذا السياق، فلقد أسس علاقة خاصة مع قمبيز (Cambyses) ، وقد ذهب للملك ليشتكي من وجود جنود أخمينيين (أجانب) في معبد نيث، وقد أمر الملك بإبعاد هؤلاء الجنود، وتطهير المعبد، ومن خلال هذا النص، يعتبر قمبيز (Cambyses) كمستعيدًا للنظام: وتستخدم التعبيرات مثل: «كما كان من قبل»، «كما سيفعل أي ملك»، «أو كما سيفعل أي ملك محسن»، «أو كما فعل أي ملك سابق»، عدة مرات، ولقد أعاد قمبيز (Cambyses) الأراضي إلى الإلهة نيث، وبهذه الطريقة، أحل أودجاهورسنت (Udjahorresnet) الملك من أية مسؤولية عن جميع الفظائع التي تم إرتكابها، وتمت إضافة قمبيز (Cambyses) إلى سلسلة طويلة من «الملوك المحسنين» الذين اهتموا بالمعابد والشعائر، وذهب بنفسه إلى سايس أمام الآلهة، قدم القرابين - مثلما يفعل أي ملك- وسكب الخمر كقربان إلى سيد الخلود الإله أوزوريس في معبد نيث، مثلما يفعل أي ملك سابق .

ولقد اعتبر أودجاهورسنت (Udjahorresnet) قمبيز (Cambyses) فرعونًا، وأطلق عليه المصريون اسم ملك مصر العليا والسفلى وهو اللقب نفسه الذي حمله في نقوش سيربيوم، وفي الواقع، قد لعب انتصار قمبيز (Cambyses) دورًا مزدوجًا، فهو «ملك عظيم للبلدان الأجنبية»، ولكن منذ ان امتلك الأرض بأكملها، أصبح الحاكم العظيم لمصر، والملك الأكبر للبلدان الأجنبية»، ومن خلال علاقاته الحميمة مع الآلهة، حصل قمبيز (Cambyses) على مكانة الفرعون؛ وهكذا تم وضع الاسس الايديولوجية، التي قام عليها التعاون بين قمبيز (Cambyses) (دارا (Darius) فيما بعد) وأودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، ومن وجهة النظر هذه، فإن التصريحات المصرية لا تتوافق مع أسطوانة قورش (Cyrus): مثلما أصبح قورش (Cyrus) بابليًا في بابل، فقد أصبح

قمبيز (Cambyses) مصريًا في مصر، حيث تمنى المصريون التعاون مع السلطة الجديدة، وولقد كانت هذه هي أفضل طريقة لكل منهما للظهور بمظهرالفاتح الذي يراعي شعور الآخرين، والذي ينحنى عن طيب خاطر أمام التقاليد السياسية-الدينية للبلد التي يقوم بغزوها، فهو بمثابة الرضوخ للاستمرارية المصرية والبابلية من أجل التأكيد على الانقطاع الأخميني .

وبلا شك، فقد قام قمبيز (Cambyses) بتحديد هذه السياسة بنفسه، وقد ذكر أودجاهورسنت (Udjahorresnet) أنه قام بصياغة هذه الألقاب الملكية- أي- «ملك مصر العليا والسفلى» بأمر من العاهل، ولكن يبدو أن الدعاية الفارسية قد واجهت صعوبات أكبر لإضفاء الشرعية على سلطة قمبيز فى مصر، ويعدد هيرودوت (Herodotus) أنه من بين الجرائم «التي تنم عن عدم الورع» والتي ارتكبها قمبيز (Cambyses) في سيس إنتهاك حرمة قبر أماسيس (Amasis) : «فقد أصدر الأوامر بنبش المقبرة وإستخراج جسد أماسيس (Amasis) ، ثم أمر بعد ذلك بأن تُعامل بمنتهى المهانة مثل، ضربها بالسياط، ثقبها بالمهمازات، إقتلاع الشعر منها، ثم أمر بإحراقها، وهذا يعتبر أبشع شيء حدث»، وللوهلة الأولى يبدو هذا السلوك عكس نيته بالتعبير عن رغبته في التصرف كوريث شرعي للفراعنة، وتوجد دلائل أخرى تخبرنا عن رغبته في ربط نفسه مباشرة بالفرعون هوفرا (أبرييس Apries) ، الذي تخلص منه أماسيس (Amasis) من أجل الاستيلاء على السلطة، وهذا أيضًا هومضمون إحدى القصص عن قمبيز (Cambyses) التي يتم وصفه فيها كإبن لقورش (Cyrus) ، وإبنة لأبريس Apries ، ولقد سقط أماسيس (Amasis) ضحية العهد الفارسي .

التعاون والمقاومة:

يتوجب علينا أن نتحرى عن أصل هذه الصورة التي قدم بها هيرودوت (Herodotus) سياسة قمبيز (Cambyses) ، وإن كان مناقضًا للحقائق والتصريحات التي قدمها أودجاهورسنت (Udjahorresnet) لهذه

الدرجة، فإن سبب ذلك يرجع إلى أنه وخلال تقصيه للروايات عن الغزو الفارسي أثناء زيارته لمصر بعد مرور جيلين على هذا الغزو، قابل ذلك المؤرخ أشخاصًا كانوا معاديين لذكرى فاتح مصر، والآن وفي زمن هيرودوت (Herodotus) فإن العلاقات بين المصريين والفرس كانت متوترة وصعبة، وثار المصريون عدة مرات بعد عام (525)، وهذا هو السياق الذي تزيد معه الأساطير والقصص الشعبية التي وصفت قمبيز (Cambyses) كفاتح متوحش ودموي، ولا بد أن نضيف إلى ذلك أن هيرودوت (Herodotus) قام بجمع المعلومات والآراء أيضًا من الجانب الفارسي المعادي لقمبيز (Cambyses) .

ومع ذلك، فإنه من المبالغ فيه ومن المضلل أن نقترح تعميم رأي وسلوك أودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، حيث إن كون الدعاية «التي تضفي الشرعية» على قمبيز (Cambyses) كانت محددة وذكية هذا شيء، وكونها أثارت تعاطفًا وتأييدًا كاملاً هو أمر مختلف، فلقد كان ولاء أودجاهورسنت (Udjahorresnet) مشروطًا، فلم يكن يستطيع الاعتراف بسلطة قمبيز (Cambyses) بدون أن يتبنى قمبيز (Cambyses) نفسه القواعد والتقاليد الملكية الفرعونية .

وعلاوة على ذلك، تقترح العديد من المؤشرات أنه لم يكن كل المصريين على أتم استعداد للاستسلام إلى الملك الفارسي، ويصف هيرودوت (Herodotus) العقاب الذين الذي أنزله قمبيز (Cambyses) بالمصريين لقتلهم رسوله الذي أرسله إلى منف: 2000 شاب مصري، «كممت أفواههم، ولفت الحبال حول أعناقهم»، وتمت إقتيادهم إلى الإعدام، وقد قرر الملك أنه بالنسبة إلى كل رجل تم ذبحه من قبل المصريين، يجب أن يموت عشر رجال مصريين من النبلاء في المقابل»، ولايقل تنظيم ذلك المشهد تميزًا وأهمية عن الاعدام نفسه: حيث يعرض المدان أمام الفرعون المهزوم المحاط بآباء الضحايا، ولأن

هيرودوت (Herodotus) كان حريصًا على التأكيد على الكرامة والاباء الـذي أبـداه بسماتيك (Psammetichus) ، فلقد صرح بأن فرعون ظـل مـتجهمًا كـالحجر عنـد رؤيته لإبنه، وذلك على العكس مـن المحيطـين بـه، الـذي إنهـاروا مـن الأسى عليـه، وبالمثل، وقبل عدة دقائق، فإن بسـماتيك (Psammetichus) لم يقـل شـيئًا عنـدما ظهرت ابنته أمامه وهي ترتـدى ملابـس العبيـد وهـي وبعـض السـيدات النبـيلات الأخريات وبهذه الطريقة عبر فرعون عن رفضه الخضوع للسلطة الجديدة .

وبالفعـل، سـجل هـيرودوت (Herodotus) أن قمبيـز (Cambyses) «شـعر بالشفقة» وأمر بالابقاء على حياة ابـن بسـماتيك (Psammetichus) ، وفي الواقـع، فلقد كان أول مـن أحضر ليـتم إعدامـه! مضـيفًا أن بسـماتيك (Psammetichus) عـاش في الـبلاط الملـكي منـذ هـذا الوقـت، وكـان يعامـل معاملـة جيـدة، ويعتقـد هيرودوت أنه «لولا أنه أراد ألا يسيء للملك الذي أحسـن إليـه، لكـان قـد اسـتعاد مصر وحكمها»، وفسر هيرودوت (Herodotus) سـلوك قمبيـز (Cambyses) مـن خلال ملوك الفرس، «الذين يعتادون معاملة أبنـاء الملـوك بشرف»، ولكـن الـنماذج المصرية التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) لم تكن مقنعة، وبالنسبة إلى السلوك الذي نسبه لملوك فارس، فلقد أشـار إليـه إيسـوقراط Isocrates الـذي يقـول «إن الملوك -كقاعدة- لا يتصالحون مع من يثورون ضدهم، إلا بعد أن يقوموا بأسرهم»، ومــن الواضــح أن قمبيــز (Cambyses) لم يفكــر أبــدًا في إعــادة حكــم مصر إلى بسماتيك (Psammetichus) ، ويجب التأكيد بالإضافة إلى ذلك عـلى أن بسـماتيك (Psammetichus) لم يكتفى فقط بالتآمر: «فلقد تم ضبطه متلبسًـا وهـو يحـرض المصريين على الثورة، وعندما اكتشف قمبيز (Cambyses) أمـره، أجـبره عـلى شرب دم الثور ومات على الفور، وكانت هذه هي نهايته!»، وهكذا يبدو مـن الواضـح أن فرعون مصر لم يقبل أبدًا بالاعتراف بشرعية الشخص الذي زعم أنه خليفته .

وهناك طائفة أخرى من المجتمع المصري والتي تربطها هي الأخرى علاقات قوية بطبقة النبلاء المصريين والتي كان عندها أسباب وجيهة تجعلها غير راضية عن أنشطة قمبيز (Cambyses) وهي المسؤولين عن المعابد المصرية، ومن الصحيح أن أودجاهورسنت (Udjahorresnet) قد أكد على أنه بناءً على طلبه، قام الفرعون الجديد بإعادة إيرادات الأراضي الزراعية إلى الإلهة -كما كان الأمر في السابق- ولكن هذا التمجيد لمدى تقوى وورع الفرعون الجديد نحو معبد نيث في سيس، لا بد أن يوضع ضمن سياق البيان الذي يركز أساسًا على مقدار المنافع التي حصلت عليها سيس من التعاون بين أودجاهورسنت (Udjahorresnet) وقمبيز (Cambyses) ، ويبدو أنه لم تكن كل المعابد راضية عن سياسة قمبيز (Cambyses) ، وفي عهد قمبيز (Cambyses) إختفت البلاطات الحجرية التي تشير إلى الكرم الملكي نحو المعابد والتي كانت موجودة بكثرة قبل عام (525)، وترتبط هذه الملاحظة بالمرسوم الملكي الذي نسب إلى قمبيز (Cambyses) ، والنص الذي لسوء الحظ يعد صعبًا في القراءة يوجد على الصفحة اليسرى لأحد الوثائق الديموطيقية الموجودة في التواريخ الديموطيقية، واتهم قمبيز (Cambyses) بوضع قيود صارمة على إيرادات المعابد المصرية من النوع الذي كانت تجمعه المعابد المصرية في عهد أماسيس (Amasis) ، وذلك باستثناء ثلاثة معابد فقط .

وتوجد العديد من النقاط الغامضة حول مدى وأهداف تلك الاجراءات التي إتخذها قمبيز؛ ويقارن المؤرخون بين سلوك قمبيز (Cambyses) وسلوك دارا (Darius) ، الذي جمع التقاليد التشريعية المصرية، ومن بينها تلك التقاليد التي تتعلق بـ«حقوق المعابد»، دعونا نتذكر أن مشكلة العلاقة بين المعابد والملك كانت من المشاكل الملحة التي استمرت على مدى التاريخ المصري، حيث حاول الفراعنة في آن واحد الاعتراف بحقوق المعابد وفي نفس الوقت وضع حد لسلطتها

المالية، وتعتبر هدايا الأرض للمعابد ذات صلة بذلك: إن الفرعون الذي احتفظ بالسلطة العليا قام بتطوير سياسة «نهدف إلى إثراء المعابد بدرجة أقل مما تهدف لتنشيط الاقتصاد التي تعد هي مركزه»، ولم يختلف سلوك فراعنة أسرة سايتي كثيرًا بدرجة كبيرة فيما يتعلق بهذا الموضوع، وفي هذا المجال ربما يبدو وصف الانقطاع الذي قدمه قمبيز أكثر وضوحًا من كونه حقيقى، ولتقييمه لا بد من وضع هذا الاجراء في إطار دراسة لإدارة الجزية في مصر، وهي مهمة صعبة نظرًا لندرة الوثائق، وعلاوة على ذلك، يشهد الإشارات المتلاقية على زيادة حجم الجزية في عهده، ومن المؤكد أنه حتى المعابد المصرية لم تنجو من هذه الجزية .

ومن المحتمل أن هذه الصورة السلبية عن قمبيز (Cambyses) ترجع جزئيًا إلى لحظة الفتح وإلى التنظيم الإداري لمصر، وبناءً على هذه الفرضية، قد نعتقد أن الاجراءات المالية التي فرضها بها قمبيز (Cambyses) تعد انتقامًا من المعابد التي لم تكن تميل إلى إضفاء الشرعية على تلك السلطة الأجنبية، ومهما كان الأمر، فلا يجب اعتبار القرارات الملكية بمثابة تناقض للسياسة العامة التي إتبعها تجاه المصريين، وبالنسبة إلى المعابد المصرية القوية، لم يستطع الفرعون الجديد إتباع سياسة الكرم غير المحدود معها، فيجب عليه أن يسيطر عليها والا سيواجه خطر قصر عمر الفتح، والأمر نفسه يطبق في بابل، حيث يتماشى الولاء لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) مع الضغط المالي المتزايد (ص73)، ولم تكن فقط السلطة المالية للفرعون الجديد هي التي في خطر، وإنما أيضًا حقيقة سلطته، والتي تعتبر حديثة للغاية وهشة ومهددة من قبل المعارضة، وربما هذا هو سبب تحول مصر إلى مرزبانية والتي عهد قمبيز (Cambyses) بإداراتها قبل رحيله إلى أرياندیس (Aryandes) الفارسي .

وعلى إثر أخبار وردت إليه عن إندلاع تمرد في فارس، ترك قمبيز

(Cambyses) مصر مسرعًا في ربيع عام (522)، وأثناء عبوره سوريا جرح في فخـذه وأصابته الغرغرينا، وتوفي ابن قورش (Cyrus) في أوائل صـيف عـام (522)، ولا بـد من التوقف برهة قصيرة كي نستطيع رسم الموازنة العامـة للفتوحـات قبـل العـودة مرة أخرى للحديث المطول عن الأحداث التي وقعت في عام 522.

الفصل الثاني

الفتح وما بعده ملخص مؤقت

1- من قورش Cyrus حتى دارا Darius :

المصادر والمشكلات المتعلقة بها:

بمجرد وفاة قمبيز Cambyses عام 522، كانت هناك مقاطعات كثيرة تم فتحها -خلال فترة امتدت إلى ثلاثين عامًا- السلالة الحاكمة لــ Achanmeid ، والتي كانت تحكم مقاطعة صغيرة في الجنوب من زاجروس Zagros عام 550، قد استولت على كل مملكة إمبراطورية تقع في نطاق الشرق الأدنى أو آسيا الصغرى، هذا، وقد امتدت حدودها من سيرانيسا إلى هندوكوش، ومن ساردراي حتى الخليج الفارسي، كما أن البناءات أو التركيبات السياسية الأساسية قد تم تفكيكها بصورة رسمية، والأدوار التي كانوا يقومون بها اختفت تمامًا، أو قام بها الغزاة الذين استولوا على تلك البلاد. ومن وجهة النظر هذه فقط، تصبح فترات حكم كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses هي أفضل فترات تاريخ الشرق الأدنى، ولأول مرة، فهي دولة تم تأسيسها من أجل غرض واحد فقط، والأكثر من ذلك أن هذه الدولة قد تم بناؤها ليس فقط على أساس أن تكون ممتلكات واسعة، فقد كان لها منفذ واسع النطاق إلى البحر عن طريق الخليج الفارسي أيضًا، والبحر المتوسط وكذلك البحر الأسود، وفي

عهد قمبيز Cambyses ، شهدت الدولة تعاظم القوى البحرية لها والتي سمحت لها بالتحكم في خطوط ملاحية وبحرية واسعة النطاق، وهذا في حد ذاته يعد متضاربًا مع الوضع الجغرافي السياسي الذي كان سائدًا في منتصف القرن السادس .

وعلى نحو تقليدي، فإن العمل التنظيمي ينسب بصورة حصرية إلى «دارا» Darius ، ولكن لا يوجد سبب أولي لكي نفرق بصورة حادة بين فترة الفتوحات العسكرية (وتتمثل في قورش Cyrus وقمبيز Cambyses) وفترة العمل التنظيمي والتي تتمثل (في دارا Darius)، ومن الملاحظ أنه لا يستطيع شخص أن يحرم «دارا Darius » من شهرته البارزة في هذه المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، يجب أيضًا أن نعرف أن «دارا Darius » ووزراءه قد أقاموا مجدهم على أسس موجودة من قبل، والتي انبثقت من التقاليد المحلية، ومن التكييفات الأولية التي قام بها كل من «قورش Cyrus وقمبيز Cambyses »، بمعنى أنه يجب أن نقر ونعترف أننا لا نمتلك الوثائق الكافية على تأكيد ذلك، والتي قد تكون متاحة من عهد «دارا Darius »، والمصادر الكلاسيكية التي تتميز بموضوع «الملك قورش Cyrus الخير» تقدم لنا مساعدات محدودة في هذا الشأن، هذه الملاحظة تبقى حقيقية خاصة بالنسبة لزينوفون Xenophon الذي في كتابه «سيزوبريا» يولي بطله دورًا رئيسًا في تنظيم الإمبراطورية: قورش Cyrus ، بأنه فاتح ليس له مثيل (حتى إن زينوفون Xenophon ينسب إليه فتح مصر)، ومنشأ الجيش الفارسي وفرسانه، وسوف يكون هو الأول بعد فتح «بابل»، الذي يكون له نظرة شاملة للتنظيم الإداري للإمبراطورية التي كانت في هذا التوقيت في طور التكوين، فقد قام بتعيين قضاة المحكمة المركزية (المجلد الثامن 9.1-12)، نظم الماليات (13.1-14) (5.1-6، 17-22) ... الخ .

كل شيء يندرج تحت اسم «قورش Cyrus »، والأمر نفسه يحدث مع تأسيس المزربان (حاكم فارسي تخول له سلطة في فارس القديمة) (المجلد

الثامن 16.6-15) وخدمة المفتشين على هؤلاء الحكام، وكذلك خدمة البريد السريع (المجلد الثامن 6.16-8)، وقد أصر زينوفون Xenophon بصورة متكررة على تحمل القرارات التي كان يتخذها «قورش Cyrus »، فيقول في هذا: «والمؤسسات التي قام بإنشائها قورش Cyrus كوسيلة لتأمين المملكة حتى تصبح سائدة له وللفرس كلهم، وكما ذكرنا من قبل، فإن الملوك الذين تلوا قورش Cyrus حافظوا عليها من دون تغيير إلى يومنا هذا» (المجلد الثامن 7.1)، ولكن لم يكن لأي من هذه التقدمات قيمة زمنية متطورة، فقد قام زينوفون Xenophon ببناء تابلوه منذ قديم الزمن للإمبراطورية الأخمينية « Achaemenid »، وربما نجد دليلاً كافيًا عندما نعقد مقارنة بين كل من «قورش Cyrus الأكبر» في سيروبديا وقورش Cyrus الأصغر في «أنيبسس»، ولكي نكون متأكدين من الأمر، فإن العديد من المؤسسات التي تم ذكرها في الـ«سيروبديا» معروفة، وتؤكد عليها نصوص أخرى، ولكن لا يوجد ما يلزمنا أن ننسبها إلى «قورش Cyrus »، في الحقيقة، فإن الدليل الفارسي المكتوب متفرق ومتناثر بصورة مربكة، «كما أن قورش Cyrus لم يتم ذكره نهائيًّا من جانب دارا Darius ، إلا أن والد قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya ودارا Darius ، والذي لم تكن شرعيته كملك فوق مستوى الشبهات، ولم يكن يخشى أن يقول عمن سبقوه إن: «أولئك الذين كانوا ملوكًا سابقين طوال حياتهم التي عاشوها، لم يقوموا بشيء أو إنجاز لصالح أهورا-مازدا Ahuramaza كما فعلت أنا في العام نفسه» (دي بي 50-52)، وسوف نبتعد كثيرًا على أية حال لكي ننسب إلى «دارا Darius » رغبة يبتلى بها مؤسسة الإمبراطورية، وبجانب ذلك نحن نعرف أن ذاكرة «قورش Cyrus » ظلت في ذهن الفرس لفترات طويلة، ومما لا شك فيه أن «قورش Cyrus » كان أحد الرجال العظماء والذي كانت أعماله البطولية مستمرة حتى الأجيال التالية، «قورش Cyrus » والذي لم

يتخيل أي شخص في فارس في أن يفكر في المقارنة نفسه به «كما يقول هيرودوت Herodotus (المجلد 3، 160) يدعى بأنه يقدم نظريات دارا Darius ، وكونه متمنيًا أن يجعل قواه الجديدة المنتصرة شرعية، قام دارا Darius بتخصيص وتكريس كتابات ونقوش الـ« Behistun » لكي يمجدوا ويوقروا إنجازاته، والتي كان ينوي أن يحتفظ بها لكي تحفظ له ذريته وأجياله القادمة، نقوش وكتابات الـ Behistun ليس كتابًا نصيًّا يحيي التاريخ الفارسي! وهناك العديد من النسخ لنقوش وكتابات ثلاثية اللغة (باللغة الفارسية القديمة، واللغة الأكادية، واللغة الإيلامية)، وذلك باسم قورش Cyrus ، وكانت موجودة في «باسارجاداي»، وقد كانت قصيرة جدًّا: أنا قورش Cyrus الملك من سلالة الأخمينيين Achaementian أو أنا «قورش Cyrus » الملك العظيم من سلالة «الأخمينيين Achaemenion »، ولكن هذه الوثائق يجب أن نستبعدها من مناقشتنا؛ لأن أصولية هذه الوثائق محل خلاف، ولكن من دون إبداء أسباب قوية، فمعظمها مشتقة بالتأكيد من دارا Darius ، والذي تمنى أن ينسب ما قام به من أعمال وما حققه من مكانة تاريخية مهمة إلى نفسه .

ومن ناحية أخرى، يمكننا أن نتجه إلى السجلات الأثرية التي تم اكتشافها في فارس، وكذلك السجلات المكتوبة ذات الأصول غير الفارسية في العديد من الألواح الأكادية تعطينا العديد من الإشارات القيمة، ولكن غير مباشرة حول سيطرة البابليين في فترة مؤسسى هذه الإمبراطورية، والمعلومات التي يتم سياقها من النصوص وعلم دراسة الأيقونات من يهودا ومصر وآسيا الغربية قد يتم الاستفادة بها في مثل هذه الحالة .

وعلى نحو دقيق وبسبب طبيعة الوثائق المتاحة، فإن صورة الإمبراطورية عام 522 لا يمكن أن تكون أكثر من مجرد صورة جزئية، ولكن من المفضل أن نحاول رسمها كاملة؛ وذلك من أجل أن نفهم

بصورة أفضل، وليس فقط من أجل الحصول على تفاصيل لمصلحة البلاد والتي قام بوضعها دارا Darius بعد أن تولى مقاليد السلطة، ولكن أيضًا مدى انتشار وقصور التعديلات والتكييفات التي قام بها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses من أجل تنظيم البلاد التي قاما بإخضاعها لهما.

2- المرزبانية والمرزبانات (الولاية الفارسية وحكامها):

حكام الولايات الفارسية في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses :

النص الطويل الذي خصصه هيرودوت Herodotus للمصلحين الذين وضعهم دارا Darius بعد انتصاره على منافسيه تبدأ بهذه الجملة: (III 89) تابع «دارا Darius » في وضع عشرين ولاية فارسية (ويطلق عليها اسم «المرزبانية» وسوف يكون نوعًا من المجازفة أو المخاطرة لكي تستنتج من هذا النص أن الولايات الفارسية الأولى قد تم تأسيسها في بداية عهد حكم «دارا Darius » (وهذا لم يقوله هيرودوت Herodotus بأي حال من الأحوال)، مصطلح «المرزبانية» في الحقيقة هو مصطلح يشهد على صحة أن هذه الولايات قد بدأت في عهد كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses في بداية الأمر، هذا ما يوضحه الموقف الحادث عام 522: في نقوشه، يشير «دارا Darius » إلى Dadarsi ، وهي ولاية فارسية في باكتريا (دي-بي 10-19)، و Vivana وهي ولاية فارسية في أركوماسيا (دي بي 54-64)، ونحن نعلم أيضًا أنه في مثل هذا التاريخ «هايستبس» والد «دارا Darius »، كان يتقلد منصبًا عسكريًّا مهمًّا في بارسيا (وهي دولة قديمة تقع في آسيا الصغرى استولى عليها الفرس بعد غزوها)، ولكنه لم يكن يتولى أمور ولاية فارس، كما ذكر هيرودوت Herodotus (III، III.70) في آسيا الصغرى، كان يطلق على متولي أمور السلطة في الولايات الفارسية «حاكم سارديس» كما أطلق عليه «قورش Cyrus »

(هيرودوت Herodotus III.120)، في هذا الوضع، بخلاف الأوضاع الأخرى، لا يستخدم هيرودوت Herodotus المصطلح «مرزبانية» ولكن على أقل تقدير المصطلح «هاباراش»، ومن خلال هذا التعبير من الممكن أن يشير هيرودوت Herodotus إلى مقاطعة في آسيا الصغرى، متضمنة كلاً من ليديا وأيونيا (III.127) بعد وفاة قمبيز Cambyses قام «أوروبيتس» حاكم «ساردیس» بقتل كل من موتابيتيس وابنه كارنبسس، ثم قام بإحضار هيلسبوبتين تحت سلطته، ومن المعروف أيضًا أن Gubaru قد منحه لقب حاكم لكل من إمارة بابل وترانس إيفرات؛ لذلك فقد كان -نظريًا- مسؤولاً عن إمارة عظيمة ممتدة الحدود ومترامية الأطراف، والتي تضمنت تقريبًا كل الدول التي كانت في السابق تحت سيطرة ملك بابل الجديد والتي كانت تمتد من زاجروس حتى أطراف نهر النيل في إطار غير واضح الملامح، يتم ذكره جنبًا إلى جنب مع قاضي القضاة لميديا، والذي قد يؤدي بالمرء إلى أن يشك في وجود إدارة إمبريالية في «إيكباتانا» بالنسبة لمصر، فقد أمدها قمبيز Cambyses بحاكم هو «أرانيدس» الفارسي (هيرودوت Herodotus ، المجلد الرابع، 166) .

وربما يمكن أن نفترض أنه بداخل أكثر الولايات الفارسية امتدادًا، كان هناك حكام فرعيون، لكننا لا نملك الأدلة القاطعة التي تجزم بصحة ذلك خلال هذه الحقبة من الزمن، ما عدا في بابل ربما خلاف ذلك، فإنه من الواضح تمامًا أن عملية نشأة الولايات الفارسية لم تتسبب في إخفاء الوحدات السياسية التي كانت موجودة من قبل بالفعل .

والمدن الإغريقية والفينيقية، وكذلك المدن البابلية قد احتفظت بقدر كبير وجيد من استقلاليتها، طالما أنها تنفذ الالتزامات المفروضة عليها، خاصة الالتزامات المالية والعسكرية، الأمر نفسه كان حقيقيًا داخل إقليم «يهودا» داخل ولاية بابل وترانس أيفراتس، ويحدد «زينوفون Xenophon » ذلك قائلاً، بالإشارة إلى قورش Cyrus وسلاشيا،

أن قورش Cyrus » لم يمكن أبدًا أي فارسي حاكم ليحكم أيًّا من كليكيا أو قبرص، ولكنه كان دائمًا راضيًا عن أمرائهم الأصليين، الجزية، التي كان يتلقاها منهم بالفعل، والقوات التي كان يحتاج قورش Cyrus لها في أمرها، كانت دائمًا محل استجابة من جانب إثراء هاتين الولايتين .

يقول هيرودوت Herodotus أن «كليكيا» لم يتم غزوها من جانب كدوزس، فقد ظلت محكومة في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses بواسطة أحد أفراد السلالة الحاكمة الأصليين والذي تم إعطاؤه لقب « Seyennessis » والذي وصفه هيرودوت (Herodotus) بأنه ملك «الكليكيين» (المجلد الخامس 118)، وعلى الرغم من غزو «زانيسس Xanthus » بقيادة ميدهاريجيوس، وذلك بأوامر مباشرة من «قورش Cyrus »، إلا أن كليكيا ظلت تحت حكم أفراد السلالة الحاكمة الأصليين والذين على الرغم من ذلك ظلوا مطالبين بالاعتراف بالقوى الفارسية المفروضة عليهم على الأقل اسميًّا، هذا الموقف لا يفرض بالضرورة أن الفرس لم تكن لديهم قاعدة عسكرية هناك، ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من هذا من خلال وثيقة مؤرخة في ذلك الوقت، ولدينا معلومات ضعيفة جدًّا حول الموقف قبل عهد قورش Cyrus داخل كليكيا أو حتى كاريا حتى نكون قادرين بصورة عقلانية أن نناقش التعديلات التي تمت كنتيجة أو رد فعل للغزو الفارسي لهذه المنطقة .

واجبات ومهام المرزبان:

من الصعب جدًّا تحديد المهام والواجبات الدقيقة والمحددة للمرزبان، وذلك في فترة حكم قورش Cyrus وقمبيز Gambyse ، والكلمة الفعلية باللغة الفارسية القديمة تعني «حامي المملكة» (كلمة مرزبان) .

وعمومًا فإن النصوص اليونانية والبابليونية لم تستخدم هذه الكلمة الفارسية القديمة وكانت تفضل استبدالها باستخدام كلمة «الحاكم» أو «المحافظ» بدلاً منها، وذلك بالنسبة لكل مقاطعة أو ولاية أو إقليم

فارسي، وبالتالي فإنها عندما تظهر نجد أنها عمومًا لا تتناسب مع أي معنى محدد بشكل زائد»، وفي «بي هيستون» Behistun ، عندما قام دارا Darius بتسمية اثنين من المرزبانات، وهما «فيفانا» Vivana وذلك في «آراشوسيا» Arachosia ، والثاني هو «رادارسي» Badarsi ، وذلك في «باكتريا» Bactria ، تقوم بوصفهم على أنهم بانداكا Bandaca ، وهو مصطلح فارسي يشير إلى اتصال شخصي وعلاقة شخصية مقربة بين السلطة والأرستقراطيين الفرس (أي تعني كل من هو مقرب من سلطة بلاد الفرس، وذلك من أولئك الأرستقراطيين الموجودين في الطبقة العليا)، والمصطلح في حد ذاته يُشير ضمنيًا إلى الولاء التام والكامل؛ وذلك للملك من جانب المرزبان، وبمعنى آخر فإن مهمة المرزبان لم تكن بالضرورة مرتبطة بالأرض أو الولاية التي يتولاها هذه المرزبان، بل والأكثر من ذلك، فإن كلمة «مرزبانية» هي كلمة لها ارتباط بالفرس، وذلك كما يشير هيرودوت Herodotus ، ونجدها لا تقع ولا توجد في بي هيستون Behistun ، ونجد أن فيفانا ودادارسي هم من المرزبانات، وذلك في مدينتي أو ولايتي آراشوسيا وباكتريا، حيث يعتبر المرزبان هو الممثل والمندوب الأول والأخير للملك وفي الوقت نفسه، فإن الأمثلة المتاحة من زمن قورش Cyrus وقمبيز Cambyses تُشير إلى أن مرزباناتهم كانوا مسؤولين عن المهام والواجبات، وذلك في أرض أو ولاية محددة .

والمرزبان يتم تعيينه بواسطة الملك، ويجب عليه أن يكون ملتزمًا ومتمسكًا بالأوامر والتعليمات التي يستقبلها وتأتي إليه، وذلك من السلطة المركزية، وقد كان أوروتيس Oroetes بالفعل متمردًا في وقت قمبيز Cambyses (وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن الملك قمبيز Cambyses كان يريد أن يطرده ويعزله من منصبه كمرزبان)، وهو بالفعل وبشكل واضح قد قام باستبدال رغبته في الاستقلال عن المملكة، وذلك عندما قام بقتل رسول دارا Darious .

ويبدو أن الرسول الذي أتى إليه، كان يريد إخباره بالأوامر التي تم إعطاؤها إياه من القصر لتبليغها له، وهذا هو ما تم تأكيده بواسطة القصة (احتمال أن تكون ملفقة)، والتي تحكي عن العلاقات بين قمبيز Cambyses وأخيه بارديا Bardiya والذي تم إعطاؤه إقليمًا عظيمًا، وذلك في شرق إيران بواسطة قورش Cyrus ، وقد قام أحد المقربين من قمبيز Cambyses بنصيحة قمبيز Cambyses بعزل أخيه، وقام بالفعل قمبيز Cambyses بإرسال أمر له بأن يأتي إلى القصر، وهو ما لم يفعله بارديا Bardiya (أخو قمبيز Cambyses) حتى تم عزله والحكم عليه بالموت لعدم طاعته تلك الأوامر الملكية التي تأتي إليه من القصر .

وهناك واحدة من أهم المهام الأساسية الخاصة بالمرزبان وهي ضرورة الاهتمام بالأوامر الملكية وتنفيذها على أكمل وجه، وأيضًا بسط وتوسيع السلطة الفارسية وذلك بالمساعدة في الغزوات، وطبقًا لما كتبه «هيرودوت Herodotus »، فإن أوروتيس Oroetes قد اختلف مع متيروباتس Mitrobates عندما قام الأخير بتوبيخه لأنه لم يستطيع أن يُضيف جزيرة ساموس Samos ضمن ممتلكات الملك، وبعد أن استطاع التغلب على قمبيز Cambyses ، فإن الطاغية بوليكراتيس Polycrates وهو حاكم هذه الجزيرة، قد خطط للاستيلاء على الممتلكات الفارسية في هذا الأقليم، وحاول في الوقت نفسه الحصول على الدعم والتأييد من الأرستقراطيين هناك، والذين لم يكونوا مرتاحين لنظام حكم أو حكومة أوروتيس Oroetes «وطبقًا لهيرودوت Herodotus ، فإن المرزبان قرر أن يضع حدًا ونهاية لسلطان وقوة بوليكراتيس Polycrates ».

ولذلك فقد قام بإرسال مستشاره الأول وهو ليديان ميروسوس Lydian Myrsos وهو «ابن جيجيز Gyges » إلى حاكم الولاية هذا، وقد نجح ميروتوس في إقناع الحاكم بأن يأتي ويزور أوروتيس Oroetes الذي من جانبه ادعى بأنه سوف يكون مُهددًا من قمبيز Cambyses ، وفي ظل

هذه الظروف نجد أن أوروتيس Oroetes قد قام بقتل بـوليكراتيس Polycrates ، وبالتـالي فـإن مينـدوريس Maeandrus قـد نجـح وتغلـب عـلى بـوليكراتيس Polycrates ، وبالرغم من أن ذلـك لا يعنـي الخضـوع للسـلطات الفارسـية، إلا أن موت الطاغية بوليكراتيس Polycrates يعتبر في حد ذاته محاولة مـن المرزبـان في إمداد وتوسيع أراضي وممتلكات الملك».

والمهمة العسكرية الخاصة بالمرزبان واضحة، وذلك من خلال الدور الذي لعبه كل من داداريس Dadaris وفيفانا Vivana وذلك في عـامي 521، 522، وذلـك في شمال وجنوب إيران بشكل خاص، ولهذه المهام كان المرزبان بالتحديـد قـادرًا عـلى حكم وإيجاد جيش قوي .

ونحن نعرف أن أوروتيس Oroetes كان رجلاً قادرًا ومسـيطرًا؛ وذلـك لكونـه حـاكمًا لفرجينيـا Phrygin وليـديا Lydia وأيونيـا Ionia ، ولديـه الآلاف مـن الفرسان حوله يقومون بدعمه وحمايته، وبالتالي فقد كان قادرًا عـلى جـذب بعـض الأشخاص من الممالك والولايات التي يتم هزيمتها والتغلب عليهـا»، ومـن المحتمـل أيضًـا أن نظـام تخصـيص الأرض في الولايـات التـي يـتم هزيمتهـا يكـون للعـائلات الفارسـية وهـو الشيء الـذي بـدأ أثنـاء فـترات حُكـم قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses ، وهذا هو ما ذكره زينوفون Xenophon عنـدما قـال «في السـنوات الماضية، كانت هناك عادة قومية تقول بأن أولئك الذين يتملكون الأراضي يجب أن يقوموا بالعمل فيها، وهي من ممتلكاتهم، وتلك الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها في الحروب أيضًا يتم توزيعها على من يعمل ويستحق».

وبدلاً من منح الأراضي لبعض الناس، فإن نبلاء فـارس كـان علـيهم أن يقـودوا الفرق الحربية وذلك إذا طلب منهم المرزبان ذلك».

والمرزبان أيضًا يجـب أن يقـوم بـالاعتماد عـلى الحاميـات العسـكرية الفارسية، بالإضافة إلى ما سبق، وتُكَوِن مهمـة هـذه الحاميـات العسـكرية

المساعدة في صد أي هجوم أو الحرب على أية مملكة أو إقليم مجاور، وقد كانت الحامية الفارسية مركزة في بابليون Babylion ، ويبدو أنه من الممكن إعادة بناء قلعة الكانداهار القديمة» أو ما نطلق عليها Old Kandahar والتي يرجع تاريخها إلى نظام حكم قورش Cyrus .

وفي مصر، كانت الحامية العسكرية لـ«فيلة Elephantine قد استمرت كما في الماضي في حراسة وتأمين الجبهة الجنوبية للدولة، وذلك في الكاتاراكت الأول Cataract ، وحامية أخرى تقوم بمراقبة الحائط الأبيض من ممفيس Memphis وهناك بعض الحاميات العسكرية الأخرى التي كانت في ميجدول Migdol (وهي بالقرب من البلسيوم Pelasium في الدلتا)، ومواقع أخرى في الدلتا، وقال هيرودوت Herodotus أيضًا أنه كانت هناك حاميات عسكرية في ماريا Marea وذلك لمراقبة ليبيا، ويبدو أنه من المحتمل أن يكون منح الأرض لضباط الحامية العسكرية خصوصًا تلك الموجودة في فيلة Elephant قد تمت وراثتها بواسطة الفرس، وذلك من السايتس Saites .

وننتقل إلى آسيا مينور، حيث يُعرف أن هناك قلعة سارديس Sardis والتي تم نفي كروسوس Croesus إليها، وتمت محاصرتها بواسطة قوات قورش (Cyrus) وقد كانت القلعة واقعة على ارتفاع شاهق وهو الشيء الذي أكده معظم الكُتاب القدماء، وذلك بداية من هيرودوت Herodotus ، وحتى بوليبوس Polybius ، وعملية أخذ والاستيلاء على القلاع الموجودة بالفعل نجده أمامنا بواسطة زينوفون Xenophon ، وذلك باعتباره واحدًا من أهداف قورش، ومن أجل تحقيق انتصاراته وكان يقوم بفعل ذلك في الأقاليم العديدة في آسيا مينور Asia Minor ، وبشكل مُحدد في كاريا Caria وفي فيرجيا Phrygia ، حيث كان يقوم قادته بوضع الوحدات والحاميات العسكرية في القلاع الواسعة التي كان يتم تدعيمها وتقويتها بواسطة الكارين Carians والفرجيين».

وأخيراً، فإن حكاية الكفاح الذي كان من عام 520 حتى 522 قد سجل في مخطوطة بيهيستون Behistun والتي تحدثت عن وجود القلاع العظيمة في الدولة الإيرانية مثل قلعة سيكايوفاتيس Sikayauvatis وذلك في ميديا Media ، وأيضًا قلعتي تيجارا Tigara وأوياما Uyama في أرمينيا Armenia وغيرها.

والتنظيم الداخلي لهذه الأقاليم والمقاطعات لا يُعرف عنه الكثير، ونحن نعرف حول وجود حارس الخزانة وأمينها الذي يُطلق عليه ميثراداتا Mithradata في بابليون في وقت قورش (Cyrus) ، ولكنه كان ملكيًّا أي حارسًا تابعًا للملكة، وليس حارسًا تابعًا للمرزبانية، ونحن نعرف أن هناك سكرتارية ملكية مع أوروتيس Oroetes ، وبشكل واضح تكون مسؤولة عن استبدال وتبادل السُعاة والرُسل مع المحكمة المركزية، وفي هذا الإطار، نجد مثالاً واضحًا جدًّا، وهو عملية إدارة جوبارو Gubaru ، والذي يوضح أن المرزبان قد قام بعملية تبادل ليس فقط مع السلطة المركزية (والتبادل يعني إرسال الرُسل والسُعاة بينه وبين السلطة المركزية، وأيضًا مع مسؤولي وموظفي الأقاليم الأخرى، وبالتالي يكون تحت إمرة الملك هيئة استشاريه أو مجلس استشاري يكون مؤلفًا من عدد كبير من السكرتارية)، ومع وضع هذا في الاعتبار، فنحن نستطيع بالتأكيد افتراض أنه بداية من هذه الفترة، نجد أن الأرشيف كان موجودًا في كل عاصمة خاصًا بكل مرزبان، وكان منظمًا طبقًا للتعليمات وطبقًا للتقاليد المحلية لكل دولة أو قُطر مهزوم».

وبعد انتصاره، قام قورش (Cyrus) بإلقاء مسؤولية حراسة وتأمين قلعة سارديس Sardis إلى رجل أو قائد فارسي يُدعى تابالوس Tabalus ، ومن ثم يبدو أن تابالوس كان مسؤولاً بشكل مُباشر عن الملك وليس عن المرزبان، ودعونا في هذا الصدد نقوم باستعادة ما قام زينوفون Xenophon بكتابته حول المقاييس التي هي منسوبة لقورش (Cyrus) ، حيث يقول

زينوفون Xenophon أن كل الحاميات العسكرية التي تحت قيادة الملك قد تم الحفاظ عليها وحمايتها».

وطبقًا لزينوفون Xenophon فإن الملك يعتبر هذا الإجراء بمثابة احتياط ضد وفي مواجهة أية محاولة تمرد، وذلك بواسطة المرزبان، وفي الوقت نفسه يبدو واضحًا بشكل عام أن قادة القلعة أيضًا يكون عليهم التصرف باعتبارهم تابعين للمرزبان على أساس الأوامر التي يقوم بتنفيذها، والتي تأتيه من الملك (وهذا يعني أنه في حالة مخالفته لأي من أوامر الملك، فإن هذه الحامية العسكرية لن تكون في صفه وإنما في صف الملك) .

3 - الهدايا (الهبات) والجزية:

الإيرادات والإدارة المالية:

وبعد ذكر الأقاليم العشرين (أي العشرون مرزبانية أو العشرين ولاية فارسية) والتي تم تنظيمها بواسطة دارا Darius نجد أن هيرودوت Herodotus في هذا الصدد يقول: «إن دارا Darius جعل لكل ولاية ضرائبها، حيث إنه في ظل حكم قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) لم تكن هناك جزية محددة، وذلك على الإطلاق، حيث كانت الإيرادات تأتي فقط من الهدايا أو الهبات «ونحن سوف نرجع لاحقًا إلى القدر والمدى الخاص بالتعديلات الخاصة بنظام الجزية والذي قام دارا Darius بعمله وإنشائه»، ولكن عند هذا الحد، نجد أنه من المفيد أن يتم تقديم الموضوع من أجل تحديد -على قدر استطاعتنا- حجم الإيرادات التي كان يتم دفعها وذلك لقورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) في هذه الأقاليم والولايات، وهذا يعني في البداية وفي النهاية فهم واستيعاب ما قد كتبه هيرودوت Herodotus ، وما هو مُستهدَف قوله عن القادة اليونانيين .

وفي البداية، نجد أن الدليل الذاتي على الإطلاق هو أن كُلاً من

قورش (Cyrus) أو قمبيز Cambyses لم يُهمل الإدارة المالية، فقد احتـاج كلاهـما إلى مصـادر أكيـدة ومعتمـدة حتـى يسـتمروا في تـأمين جيوشـهم وفي النجـاح في حملاتهم العسكرية، وبعـد كـل انتصـار عسـكري، نجـد أن قـورش (Cyrus) يقـوم بالحصول على كنوز الملوك الخاصة بالدول التـي انـتصر عليهـا ويقـوم بإرسـالها إلى العواصم الخاصة بـه، حيـث تـم إرسـال كنـز آسـتياج (Astyoges) إلى باسـارجادي Pasargadae ، والشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة لكنوز كروزوس Croesus .

ويبدو من المحتمل أن قمبيز Cambysis قد أعطـى أوامـر مشـابهة في مصر، بالإضافة إلى بابـل Babylon ، ونحـن نعـرف في الحقيقـة أنـه عنـدما قـام اليهـود بالعودة إلى أورشليم، نجد أن قورش (Cyrus) قـد أعطـى تعليماتـه إلى الخـازن أو حارس الخزانة ميثراداتا Mithradata ، بأن يقوم بإرجاع الأوعية المُتناثرة التي قـام نوبي تشادنزر Nebuchadnezar بأخذها إلى بابل Babylon ، وذلك بعد سـقوط أورشليم إلى كبار المجتمع، وهـذا هـو السـبب وراء عـودة الـثروة الملكيـة وبـدايتها للإغريق (اليونانيين)، وكل خزانة إمبريالية كان يتم إدارتها بواسطة حارس ملكي مثل ميثراداتا Mithradata في بابـل في حكـم قـورش (Cyrus) ، وكـان مُهـتمًا بحراسـة الكنز بشكل أقل من اهتمامه بالإدارة، وقد كانت عملية الإدارة والدخل والنفقـات الخاصة بالعاصمة تحت إمرة الملك».

وكل من الهدايا والهبات والجزية كانت تتراكم وتتكدس في هـذه الخـزائن ووجـود المبـالغ المفروضـة والخاصـة بالضريبـة أو الجزيـة في وقـت قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambysis) لم يكـن فيهـا شـك، وهـذا لم يكـن واضـحًا فقـط في موسـوعة سـيروبيديا Cyropaedia ولكن أيضًا في كتابات هيرودوت Herodotus ، ويبدو واضـحًا أن المُـدن اليونانية في آيونيا Ionia كان عليها أن تقوم بدفع الجزية عندما كانت في فـترة سـيطرة وسـيادة ليـديا Lydia ، والمبـدأ هنـا بسـيط إذا كـان في شـكل «هديـة» أو «جزيـة»،

حيث إن كل الأشخاص الذين كانوا معروفين بالسيادة الفارسية، كان مطلوبًا منهم أن يدفعوا تبرعات وإسهامات في شكل قطع معدنية ثمينة أو غالية الثمن للسلطة المركزية .

وقد قام هيرودوت Herodotus نفسه بالتعبير عن ذلك، فقال بأن هناك واحدًا من الإجراءات التي قام بها مغتصب العرش سمرديز Smerdis أو بارديا Bardiya ، وذلك في صراعه مع قمبيز (Cambysis) ، قال: «لكل أمير تحت سيطرته أو دولة تحت سيادته، وبمجرد قدومه على العرش، سوف يكون هناك طلب للضرائب والخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات (أي أن هذه الدول سوف تعطيه الضريبة لمدة ثلاث سنوات وتُقدم أبناءها للخدمة العسكرية طوال هذه المدة أيضًا) .

والأكثر من ذلك، فإنه كان هناك افتراض بالجزية المنتظمة وهو الشيء الذي يُفسر الإعفاءات الدائمة والمنتظمة والمعروفة منذ هذا الحين، والشيء نفسه كان مُطبقًا على القاطنين أو سكان وادي «هلماند Helmand »، وهم الآرياسبي Araiaspi -الذين- نتيجة إنقاذهم لجيش قورش (Cyrus) من براثن مجاعة حقيقية، قد حصلوا من الملك على لقب «المُحسن».

ومنذ هذا الحين تم إعفاؤهم من الضريبة، والشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة لبارديا Bardya وهو الذي كان في فترة وفاة قورش (Cyrus) قد حصل على إقليم ضخم في وسط آسيا.

الأشخاص الذين يدفعون الجزية، والأشخاص الذين يدفعون الهدايا والهبات:

ما هي إذن الخصائص الأساسية التي بواسطتها قام هيرودوت Herodotus بالتمييز بين أولئك الذين نطلق عليهم دافعي الهدايا (الهبات)، وبين أولئك الذين يُطلق عليهم دافعي الجزية؟ ودعنا نعرف منذ

البداية أن هذا التمييز ليس ابتكارًا أخمينيًّا Achaemenia ، ويبدو من المحتمل أنه لدرجة بعينها قام هيرودوت Herodotus بإعطاء وتقديم طاقم يوناني لهذه الظاهرة الشرقية (أي ظاهرة دفع الجزية والهبات) ولكن المشكلة هنا أن الألفاظ التي استخدمها هيرودوت Herodotus قد قامت بإخفاء وطمس الحقائق أكثر من قيامها بتقديم الهدايا للمؤرخين في العصر الحديث، وفي الحقيقة نجد هيرودوت Herodotus يقوم بتحليل الجزية الأخمينية على أنها عبارة عن مبالغ يتم دفعها بواسطة أهل أثينا نتيجة عُضوية الحِلف أو العُصبة التي يُطلق عليها Detian League والذي بدأ في 478، ومهما كانت أوجه التشابه التي يمكن أن توجد بين المنظمتين، فإننا نعرف أنه في الحقيقة، كان النظام الأخميني معقدًا كثيراً، والجزية كانت واحدة من الأجزاء التي تُكَوِّن نظام الإيرادات، ونتيجة لذلك، يبدو من غير المهم أن نحاول تحديد المصطلحات الشرقية القريبة التي قدمها هيرودوت Herodotus والأكثر من ذلك أنه يجب علينا النظر إلى طريقة هيرودوت Herodotus والخاصة بالتطوير حتى نجعل النصوص واضحة، ونُلقي الضوء عليها حتى تبدو منطقية من حيث مضمونها الداخلي».

وفي الحقيقة، يبدو من الواضح وبشكل متسارع أن طريقة هيرودوت Herodotus وهدفه من كتاباته لم تكن تلك الخاصة بالمتخصص في الأسلوب المالي أو الممارسة المالية، والمناقشة الموجودة في الجزء الثالث هي مخصصة بشكل أساسي من أجل إعلاء شأن السلطة السياسية لدارا Darius والمرحلة المُبكرة والتقديمية تُقدم المنظور الأساسي لهيرودوت Herodotus «وبهذه الطريقة أصبح دارا Darius ملك بلاد فارس .

وبعد انتصارات قورش (Cyrus) نجد أن نفوذه وسيطرته قد امتدت عبر آسيا كلها باستثناء الجزيرة العربية».

ومنذ البداية نجد أن هيرودوت Herodotus يقوم بالتركيز على أن السلطة أصبحت في يد الملك الجديد، وقد قام بعد ذلك بالتقدم لإنشاء

عشرين ولاية إقليمية ذات حُكم سيادي، والتي أُطلق عليها المرزبانيات، وكانت كل دولة أو أمة عليها أن تدفع الضرائب .

وقد حاول هيرودوت Herodotus أن يضع دارا Darius مع سابقيه، والذين قام بوصف انتصاراتهم، وكان ينوي منذ البداية أن يوضح لقرائه أن دارا Darius قام بتوسيع ممتلكاته الأخمينية، وبالتالي امتدت إمبراطوريته بعد ذلك في كل الاتجاهات .

وباتباع هذا المنطق والمنهج نفسيهما، نجد أن هيرودوت Herodotus يقول إنه تحت حُكم دارا Darius هناك بعض الناس من القلائل الذين لم يتم فرض ضريبة منتظمة عليهم قد قاموا بعمل إسهام في شكل هدية أو هبة وهؤلاء المانحين كان أوائلهم هم الأثيوبيين الذين كانوا في أوقات هيرودوت Herodotus يقومون بإحضار الهدايا بدلاً من ضرائبهم «وأيضًا الكولشين Colchians والذين كانوا يرسلون مئات مئات الأولاد ومئات الفتيات».

وهذه إذن كانت الإيرادات التي كان يحصل عليها الملك ويتسلمها بخلاف ما كان يُطلق عليه الضريبة المتقطعة .

ودعنا الآن نحاول شرح التناقض الواضح الذي قام به هيرودوت Herodotus ، وذلك عند وضعه للناس الذين انتقلوا من نظام الهدايا إلى نظام الجزية عند الانتقال من قورش (Cyrus) إلى دارا Darius .

ودعونا منذ البداية نقوم بالتأكيد على التعبير الذي قام هيرودوت Herodotus باستخدامه عندما قال: إن أولئك الناس كان يدفعون الضريبة لأنفسهم، وهذا التعبير يوضح ويشرح مبدأ الطبيعة الاختيارية للهدية .

وهناك صيغة مُشابهة موجودة عند الاهتمام بالليبيين (سكان ليبيا)، وأولئك الذين ذُهلوا وصُعقوا بالنصر الذي قام به قمبيز (Cambysis)

بتحقيقه في مصر، حيث يقول إن «الليبيين المجاورين كانوا مهتمين بمصير مصر، ووافقوا على دفع الجزية وإرسال الهدايا، وهناك خوف مُشابه لذلك جعل رجال قورش (Cyrus) وبارسا Barca يحذون حذوهم (بمعنى أنهم سوف يقومون أيضًا بدفع الجزية وتقديم الهدايا) ويبدو أنه منذ وقت هيرودوت Herodotus ومن وجهة نظره، فإن الناس الذين كان يرسلون العطايا كانوا أقل من حيث اعتمادهم على الملك العظيم وهم من أولئك الذين كانوا يدفعون الضريبة؛ لأنه كانت هناك ضريبة مفروضة عليهم، ونحن ربما نُلاحظ أيضًا أن أولئك الأشخاص كانوا يسكنون أطراف وحدود المقاطعة الإمبريالية لدارا Darius وذلك على حافة العالم المأهول بالسكان، وربما نُلاحظ بشكل أكبر أن فترة الهدايا والهبات لم تكن تلك الفترة الخاصة بالجزية نفسها، وبينما نجد أن التزام العرب بدفع الجزية كان يتم بشكل سنوي كان الأثيوبيون يدفعون فقط كل عامين، وسكان كولشيا Colchia يدفعون كل أربع سنوات، بينما نجد أن هيرودوت Herodotus نفسه يُعبر عن حدود التمييز التي قام بفرضها باعتبارها قاعدة مُطلقة».

ومن جانب واحد يمكننا القول بأن كلا النوعين من الجزية وكلا النوعين من المانحين موجود في نظام الحاكم الإمبريالي، وبشكل واضح عند تناول هيرودوت Herodotus للكولشيين Colchians ، وعلى الجانب الآخر، فإن هيرودوت Herodotus يقول بأن الليبيين وسكان سيرين Cyrene وسكان برقة Baracens لم يكونوا يُحضرون الهدايا والهبات فقط للملك، ولكنهم أيضًا كانوا يرسلون الجزية التي وضعوها بأنفسهم، وأخيرًا فإن هيرودوت Herodotus يُفسر لماذا رفض قمبيز (Cambysis) الهدايا التي كان يرسلها أهل سيرين Cyrene ، حيث إنه من وجهة نظره، كان الملك معترضًا على صغر وقدر هذه الهدايا التي كانت تُعادل 500 مينا من الفضة فقط (500 Minae).

وعلى الجانب الآخر، وباعتبار أن الهدية هي اختيارية أو تطوعية إلا أنها يجب أن تكون على قدر معين، وليست أية هدية أو هبة، وكل هذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذا القدر، وهذه القيمة الخاصة بالهدية قد تم التفاوض عليها مُقدمًا مع الملك الذي يجب أن تكون سيادته قائمة .

ويبدو أن أهل سيرين Cyrene من المحتمل أن يكونوا قد تناسوا فعل ذلك، ومن ثم فإن رفض قمبيز (Cambysis) لما أرسلوه كان على أساس ذلك».

من قورش إلى دارا DARIUS :

ودعونا نعود إلى ذلك التناقض الخاص بهيرودوت Herodotus بين قورش وقمبيز من جانب وبين دارا Darius من الجانب الآخر، وفي الحقيقة نجد أن هيرودوت Herodotus افترض أن دارا Darius هو أول من فرض الجزية، وهو من خلال ذلك قد أكد على أنه كان هو الأول الذي حدد قاعدة المبالغ المفروضة، بالإضافة إلى كمياتها المحدودة بالضبط، وهذا يُفسر بوجود كلمة «يُحدد» عدة مرات في كتاباته وبأشكال مختلفة، وهذا أيضًا هو السبب -من وجهة نظر هيرودوت Herodotus ، وراء اعتبار أن دارا Darius هو صاحب ومُوجد الجزية، وذلك من خلال المعنى الذي سوف يكون طبيعيًّا بالنسبة للاثنين في القرن الخامس.. وهو المعنى الذي يختص بنظام تقييم الأشياء وتحديد الضريبة الخاصة بها، وذلك بواسطة السلطة الحاكمة والمسؤولة عن القدر المُحدد الذي تم تقييمه بالعملة أو المعدن الثمين، ويتم حسابه على أساس الصيغة الموضوعية، وبالتالي فإن الملحوظة الأخيرة على الأثيوبيين والكولشيين والعرب كانت ما سبق، وبعد الإصلاحات التي تم القيام بها بوساطة الملك، وطائفة المانحين هذه (بالمعنى المفهوم من هيرودوت Herodotus) لم تختف، ولكن منذ ذلك الحين فصاعدًا تم اعتبار ذلك عنصرًا أساسيًّا للبقاء، أكثر من كونه عنصرًا تكوينيًّا لنظام الجزية الأخميني».

ومن قورش Cyrus إلى دارا Darius ، لم تكن فقط عملية تأسيس الجزية ذاتها هي الشيء الذي يتم إيجاده وضبطه، ولكن أيضًا الظروف والشروط التي في ظلها يتم فرض هذه المبالغ التي تبدلت بشكل واسع، ووجهة النظر الأكثر فنية في هذا الإطار أيضًا تشرح وتُفسر صورة قورش Cyrus الذي يُعتبر لدى الفرس هو «الأب» وذلك مقابل قمبيز Cambyses الذي يُعتبر هو «الطاغية أو المستبد» ودارا Darius الذي يُعتبر هو «بائع المحل»، وقد كان قمبيز Cambyses أرعنًا وأحمقًا، بينما كان قورش Cyrus على العكس من ذلك طيبًا رقيقًا، وقد كان السبب في العديد من الفوائد بالنسبة للفرس، وهذا هو التفسير الخاص بهيرودوت Herodotus ، ومن الصعب تمامًا أن نجد أي تبرير حقائقي (أي عبارة حقيقية) لما سبق، والصورة اليونانية حول قورش Cyrus ، تقول إنه بالنسبة لليونانيين هو ذلك المنتصر الذي يخضع إليه الناس برغبتهم ومشيئتهم، وذلك كما يقول زينوفون Xenophon أيضًا، ومن خلال هذا المنظور، فإن أشكال التقييم تُعتبر في حد ذاتها «هبات» ولكن بالمعنى السياسي الذي استخدمه هيرودوت Herodotus ، فنستطيع أن نفترض أنه من وقت قورش (Cyrus) وحتى قمبيز (Cambysis) كان التعديل المُبكر قد حدث عندما قام أتباع قورش (Cyrus) بشكل قوي بزيادة المتطلبات والرسوم المالية على هذه الأشياء (وذلك إما في شكل هبة أو هدية أو جزية) على الفرس؛ من أجل تمويل وإعداد الأسطول الفارسي المطلوب لهزيمة مصر وفتحها، ومن ثم فإن دارا Darius كان أول من وضع قيمة على الأرض، وقام ببناء وتشكيل أرقام مُحددة على هذا التقييم.

الجزية وسك العملة وصيانتها:

من المحتمل أنه في وقت الملكين الأوائل «قورش Cyrus وقمبيز Cambyses » كان الإداريون من الفُرس عمومًا قد استمروا في الاستفادة من الممارسات المالية في الدول المهزومة بالفعل في

ساردیس Sardis ، بالإضافة إلى إيكباتانا Ecbatana وبابل Babylon ومصر، ونحن أيضًا نستطيع القول نظريًّا بأنه في وقت قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، وفي أقاليم بعينها لم يكن هناك جزية (وإنما جاء دارا Darius ليضعها)، وكان المرزبان يتفاوض مع القادة المحليين في مثل هذه الموضوعات، ويتم تحديد الضريبة أو الجزية .

ويبدو واضحًا أيضًا أن فرض الجزية (أو تحديد المبالغ المالية التي سوف يتم دفعها) في ظل نظام قورش Cyrus وقمبيز Cambyses لم يكن بأي حال من الأحوال يتضمن وجود سك للعملة، فعندما كان الناس يقومون بتقديم الجزية على شكل معادن غالية الثمن كانت هناك قاعدة وأساس لوزن هذه المعادن، ويتم حساب قيمتها، فعلى سبيل المثال، (الهدية أو الهبة التي تتكون من 500 مينا من الفضة كانت هي الهبه التي يقوم أهل سيرين Cyrene بتقديمها إلى الملك قمبيز Cambyses ، وإذا قبلنا بأن هذه المينا هي بابليونية، فإن الهدية أو الهبة التي يُقدمها أهل سيرين حوالي 252 كجم من الفضة .

على أية حال لم يكن هناك سك عملة فارسي بشكل خاص قبل حُكم الملك دارا Darius .

وفي آسيا مينور الغربية، كان يبدو أن الذهب والفضة والعملات الليدية Lydian المصنوعة منهم يُطلق عليها «كروسيدس Croesids والتي استمر في التداول بها بواسطة الإدارة الأخمينية الملكية في ساردیس Sardis ، ويبدو إذن أنه من الممكن أن هذه العملات الفضية (كروسيدس) كانت يُعمل بها بعد هزيمة ساردیس على يد قورش (Cyrus) ، وهو ما لعب دورًا مهمًا في بداية السك الملكي، وفي هذا الإطار يجب أن نقول إن الجزية التي كان يتم دفعها بواسطة المدن اليونانية للإدارة الأخمينية كان يتم حسابها على أساس عملة كروسيدس الخفيفة .

4- التواصلية والتقليد، حالة بابليونيا:

التغييرات والتكامل:

ويبقى السؤال حول ما إذا كان هذا الانتصار على ساردیس Sardis قد نتج عنه تغيرات حقيقية بالنسبة للمهزومين، وحيثما يكون هناك اهتمام من أنظمة حُكم قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) ، فإن الإجابة يمكن أن يتم تعديلها؛ وذلك لأن العمل الخاص ببناء الإمبراطورية كان قد بدأ لتوه، ويبدو من الواضح أن قورش Cyrus لم يكن يتمنى ولا حتى ابنه أن يكون هناك اضطراب في الظروف والوضع القائم، والعديد من المؤسسات المعروفة في أزمانهم كان لها الطابع المعماري الإمبريالي الخاص بالعصور والقرون الماضية نفسه، وبمعنى آخر فإن بعض التغييرات والتحولات التي حدثت لم تكن ناتجة عن قمع أو تخريب المؤسسات القائمة أو الموجودة، وإنما غالبًا -وبدون شك- كانت ناتجة عن التقليد التدريجي لتلك المؤسسات والمنشآت التي قام أولئك المنتصرون ببنائها.

وقد رأينا أن قورش (Cyrus) نفسه، بداية من هزيمة بابليون Babylon كان يتمنى أن يجعل التركيز أكثر على التواصل مع البابليونيين أكثر من القطيعة معهم، فقد تم الاعتراف بقورش Cyrus في أكتوبر من عام 539، وكان معروفًا باسم «ملك بابليون» و«ملك الأراضين أو الأقطار»، وفي بعض الأحيان كان يُطلق عليه اسم «ملك الملوك»، واللقب الذي كان ينادى به وهو «ملك بابليون» قد انتقل إلى ابنه «قمبيز Cambyses » الذي احتفظ به، وبالتالي فإن قمبيز Cambyses قد حصل على هذا اللقب من خلال ارتباطه بوالده قورش (Cyrus) ، وطول السنوات الثلاثة الأولى من السيادة الفارسية كان المدير والمسؤول الأعلى في الإقليم (إقليم بابليون) هو نابو Nabu الذي حصل على أعلى مرتبة في ذلك الوقت وهي مرتبة ساكن تيمي Sakin Temi وهي الوظيفة والمكانة التالية مباشرة بعد «حاكم الأقطار».

وهذا النظام لا يعني ولا يعكس إعـادة خلـق وتكـوين المملكـة القديمـة عـلى الإطلاق؛ لأن السلطة المفوضة لقمبيز Cambyses كانت موجودة فقط في بابيلونيا Babylonia ، والأكثر من ذلك فإن خلق وإيجاد كلمة المرزبانية (الفارسـية) تحـت حُكم وسيطرة جوبارو Gubaru الفارسي (535) تُشير إلى أنه بعد هذه الفـترة مـن التحول، اعتبر قورش (Cyrus) أنه من الأفضل والمفيد أن يتم التأكيـد عـلى إشرافـه المباشر على الدولة»، ونحن لا نعـرف الأسـباب ولا الظـروف التـي قـادت الملـك إلى اتخاذ مثل هذه القرارات، ولكن الحقيقـة واضـحة وهـي أن بابليونيـا Babylonia قد تحولت في الحال إلى مرزبانية، ولكن ماذا يعني ذلك عمليًّا؟؟

للوهلة الأولى، فإن التوثيق الخاص ببابليونيا يوضح أنه كانـت هنـاك تواصـلية كبيرة لما كان موجودًا مسبقًا (التواصلية تعني التكامل مع مـا هـو موجـود بالفعـل والإكمال عليه وليس الانقطاع) .

وفي حالة غياب أي من السجلات الأرشيفية للمرزبانية، فـإن سـجلات أكاديـان Akkadian التي لدينا، نجدها تأتي من السجلات الخاصة أو سجلات المعبـد، ففـي السجلات الخاصة نجد الأحداث التاريخية العظيمـة مثـل انتصـار قـورش (Cyrus) سوف يكون ملحوظًا ومدونًا إذا كان كُتاب العدل لم يؤرخوا مستنداتهم، وذلك طبقًـا لعام وتاريخ سيادة السلطة، وهناك العديد من المستندات منذ وقت قـورش وقمبيـز Cambyses التي توضح أن مُديري المعبد قد استمروا في الإشارة إلى الـنظم والقواعـد التي تم إصدارها في وقـت نبوخـد نصر Nebuchadnezzar الثـاني وفي وقـت نـيري جليسار Neriglissar ، ومع وجود هذه العوامـل لـيس مـن السـهل دائمًـا أن تقـوم بالتمييز بـين صـبيان المنشـآت البابليونيـة وافـتراض أن السـلطة في أيـدي المـنتصرين الفرس، وهناك بعض الكتابـات التـي ذكـرت أن قـورش (Cyrus) هـو ملـك بـابليون،

مثل «إذا لم تلتزم بكلمتك فإنك سوف تحصل على العقاب من الآلهة ومـن الملـك» ويمكننا أن نطرح هذا السؤال وهو: هل يجب أن ننظـر إلى هـذه الكتابـات بشـكل مُبسط على أنها إشارة إلى التواصل القوي مع الأساليب والممارسات السابقة؟ أم هل تُعتبر دليلاً وإشارة إلى سياسة قورش (Cyrus) الذي كان يسـعى وراء التأكيـد عـلى التعاون بين الحرفيين في المعبد ومع وجهة نظره في استعادة العمل الذي كان يُريـد القيام به في بابيلونيا؟

وعلى خلاف ذلك، فإن العديـد مـن الأفـراد اسـتمروا في مهنـتهم بـدون التـأثر بالتغيرات السياسية على الأقل، وربما نذكر عـلى سـبيل المثـال أن الوظـائف والمهـن الخاصة بكبار الموظفين أيضًا قد استمرت بدون تعطيل أو إيقاف .

وهناك مَثَل يجب ذكـره هـو حالـة سـيري كيتـي نينورتـا Sirikita Ninurta الذي حصل على الوظيفة والمكانـة الأعـلى في نيبيـور Nippur منـذ العـام السـابع عشر من حكم نيبيونودوس Nabonidus وحتى العـام السـابع مـن حكـم قمبيـز Cambyses ، (أي استمر طـوال هـذه الفـترة في هـذه الوظيفـة)، واللقـب الخـاص بالساندباكو Sandabakku الذي استمر في نيبور Nippur حتى بداية حكـم دارا Darius نستطيع أن نلاحظ ذلك من خلال الإشارة إلى شركة أعمال كبرى مثـل تلـك الخاصة بإيجي بيس (Egibis) التي هي معروفة منذ بدايـة القـرن التاسـع، والتـي استمرت بالعمل في ظل حُكم قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، ومـن تبعـوهم مباشرة .

ومع ذلك، فإن هذه التواصلية الرسـمية يمكـن أن تشـمل بعـض التقليـد والمحاكـاة وذلك للظروف الجديدة، حيث إن الإشارة إلى النظم والقواعد السابقة ربما أيضًـا تشـير إلى أنها قد خلت صـيغتها مـن التعـديل عليهـا، فعـلى سـبيل المثـال السـجلات أو الأرشـيفات الخاص بشركة (Egibi) والذي شهد بعض التكامل مـع القواعـد البابليونيـة قـد تحـول إلى السياق والأسلوب الإمبريالي، حيث تقول إحدى المخطوطات التي يرجـع تاريخهـا إلى عـام

537، أن المندوب أو الممثل الأساسي للشركة والذي يُدعى إيتي بلاتو Itti-balatu قد قام بعمل بعض الأشغال في إكباتانا Ecbatana ، وبعد أربعة أعوام، قام الشخص نفسه بالعمل بالطريقة نفسها وذلك في مكان ما في إيران .

والأكثر من ذلك، فإن بعض المخطوطات التي ترجع إلى عصر حُكم قمبيز (Cambysis) توضح أن إيجيبيس Egibis أيضًا قد قامت بعمل بعض الأشغال في فارس، وبشكل أكثر تحديدًا في هومادیسو Humadesu التي كانت معروفة بماتيزيس Matzzis ، وهي القريبة جدًّا من موقع برسيبوليس Persepolis ، والشخص السابق نفسه وهو إيتي Itti قد دخل واشترك في عقود عمل هناك أربع مرات، وأيضًا أحضر العبيد ذوي الأسماء الإيرانية هناك، وقد قام ببيعهم في بابليون Babylon وذلك قبل بيعهم مرة أخرى إلى شريكه الأصلي في ميتيزيس Matzzis ، وهذه المستندات توضح أن إيجيبيس Egibis كانت قادرة على اتباع وتبني الظروف الجديدة أو الشروط الجديدة بسرعة، والتي كانت مشتقة ومستوحاة من الانتصار الفارسي وناتجة عنه، وفي الوقت نفسه فإن المنتصرين كانوا قادرين جدًّا على استغلال الاحتمالات التي وفرتها وفتحتها المنشآت البابليونية .

أراضي المعبد والإدارة الملكية:

إن التوثيق الموجود أيضًا يسمح لنا بتحديد ومعرفة أن المرزبانية جوبارو Gubaru كان مشغولاً بأمور عديدة، ومع وجود الحقيقة القائلة بأن الغالبية العُظمى من المخطوطات المرتبطة بذلك آتية من السجلات أو الأرشيف الخاص بالمعبد، فإن علاقاته (علاقات جوبارود) مع سلطات هذه المعابد كانت موجودة بشكل جيد، وهذا صحيحًا بشكل خاص، وذلك بالنسبة لإيانا Eanna الخاص بمعبد Uruk الذي كان مُخصصًا للآلهة إينانا إيستار Innanna Istar أو سيدة أورك Uruk حيث ترى إن

الإينانا Eanna كانت ذات أراضٍ ومساحات واسعة من الزراعة والتي يتم ريها بواسطة نظام متكامل من القنوات التي تعمل في شبكة بطول الإيفارات Euphrates ، وبعض هذه الأراضي ظلت أكثر أو أقل زراعة، وكان يتم استخدامها لرعي القطعان الخاصة بالماشية، ويبدو أن المعبد كان يحصل على إيراداته من خلال هذه الأراضي، وهذا هو السبب وراء أهمية تقييم المحاصيل الزراعية الموجودة وتقديرها، وذلك على أساس المواسم والأيام، وفي البداية نجد أنه من المحتمل أن هذه العملية كانت مرتبطة بالحساب الذي يشمل الملك، بحيث يقوم كل شخص بالدفع للمعابد البابليونية .

ومبدئيًّا، فإن إدارة المعبد كانت مستقلة ويتم التحكم فيها بواسطة مواطنين أحرار من مدينة أوروك Uruk والذين كانوا يجتمعون في مجلس البوهرو Puhru لتسوية الاختلافات التي ربما تحدث مثلاً بين سلطات المعبد ومن يتعاونون معهم أو مع المسؤولين المزراعين والسلطات العليا التي تعلي من شؤون المعبد والتي كانت تتكون من المدير الذي يُطلق عليه «كيبو Qipu » وإداري إيانا الذي يُطلق عليه «ساتامو Satammu »، حيث كان الإداري مسؤولاً عن الأراضي وعن إدارة العاملين بالمعبد والأنشطة المتصلة بالخدمات الدينية، ومن العام الثامن لحكمه (553) نجد أن نابونيدوس Nabonidus بمساعدة ابنه بلشازر Belshazzar قدم بعض التعديلات التي عمومًا لم تكن طبقًا لتوجيهات قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses .

ومن أجل الحصول على تحكم أكبر بهذه السلطات عالية الاستراتيجية، ومن أجل تحسين قابلية وجود فرص للزراعة، نجد أن السلطة الملكية قد قررت أن تلعب دورًا مباشرًا في الأنشطة الاقتصادية الخاصة بالمعابد البابليونية وهي تحت سيطرتها، ومنذ ذلك الحين وصاعدًا نجد أن إداري المعبد الخاص بالآلهة أوروك Uruk كان مُهاجَمًا

ومُحاصرًا بواسطة المبعوث الملكي الذي يقوم بالتصرف كموظف ملكي أو باعتباره إداري إيانا Eanna ، وأيضًا إيانا Eanna كان لديها «رئيس صندوق النقد الملكي «الذي كان بوضوح هو مُدير وحامي المصالح الملكية».

ومن أهم هذه التعديلات التي تم تقديمها وعملها بواسطة ابن آشبونيدوس Nabonidus باسم والده هو إيجاد ما يُطلق عليه الآن «فيرمي جنرال Ferme Generale »، حيث إن النظام يشمل -على قدر معرفتنا بالخصائص الأساسية- على وضع قدر مُحدد من الأرض تحت سيطرة وسيادة رجل أو مجموعة صغيرة بشرط أن يقوم المُزارع الأساسي Fermier General بتسليم كمية من الغلال أو الحبوب المحددة مُقدمًا، والمزارع الخاصة بالغلال مثل الشعير أو مزارع البلح كان يتم تخصيصها لأعلى المزايدين (الذين يُقدمون أعلى العروض)، ونجد أن المبعوث الملكي يكون حاضرًا في كل مرحلة من تلك المراحل، ونجد أن إبرام وختام العقد مع المسؤول الرئيس يكون مع تقدير الحصاد في نهاية الموسم الزراعي ونقل المحصول .

وبعد الانتصار الفارسي، كان هناك رجل يُدعى كالبا Kalba كان هو المسؤول الرئيس المسؤول عن محصلي الشعير، وظل هكذا أثناء العامين الأولين في حكم الملك قورش (Cyrus) ، ولكن بعد ذلك أصبحت هذه الوظيفة بالاشتراك مع نيجرال Negral بالنسبة للشعير، وبالاشتراك مع أرديا Ardiya بالنسبة لمحصول البلح .

ومع بداية العام الثالث من حُكم قورش (Cyrus) ، أصبح لأرديا Ardiya التحكم التام والكلي في مزرعة البلح، ومع بداية حُكم قمبيز Cambyses أصبح هذا الشيء موزعًا ومشتركًا بين أربعة فلاحين، حيث ظل أريدا Ardiya مُسيطرًا وحاصلاً على المزرعة الأم والأفضل حتى نهاية فترة حُكم قمبيز (Cambysis) وأيضًا الشيء نفسه تقريبًا كان

بالنسبة لمحصول ومزارع الشعير، وقد كان الموقف في نهاية حُكم قمبيز (Cambysis) مختلفًا كثيرًا عن الموقف في ظل حُكم نابونيدوس Nabonidus ، وهذا التعبير نتج عنه جزء من الشد والتوتر الذي وُجد بين سُلطة المعبد والسُلطة الملكية، وبعد إعادة التشكيل المحدود للمزرعة العامة أو ما يُطلق عليها Ferme Generale في بداية حُكم دارا Darius والعهد بها لشخص يُدعى جي ميلو Gimillu ، نجد أن نهاية التنمية والتطور قادت إلى إصلاح التنظيم بواسطة سلطات المعبد، وفيما يختص بالنوايا التي كانت مرتبطة عمومًا بالملك نابونيدوس Nabonidus وأبنائه، فإن ذلك -إلى حد ما- كان عبارة عن نوع من التأكيد من جانب السلطة الملكية، ولكن التأكيد على طبيعة ومدى ما يصعب قياسه؛ بسبب الفقد في السجلات الخاصة بالمعبد أو أرشيف المعبد منذ دارا Darius .

*** الالتزامات المالية الخاصة بالمعابد البابليونية:**

ليس هناك أدنى شك فيما إذا كان الملوك العظام قد قاموا بالحصول على إيرادات أكيدة من المعابد البابليونية، وربما كانت الضغوط المالية قد تزايدت في وقت قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) خصوصًا إذا أدركنا أن الملوك الفرس -بعكس من سبقوهم- لم يعودوا يقدمون الضريبة الصغيرة للمعابد البابليونية، ولكن هناك دراسة حديثة لإيبابار Ebabbar ربما تتناقض مع هذه النظرية السابق ذكرها.

على أية حال فإن الأمثلة الخاصة بالأشياء الملكية التي يتم تخصيصها عديدة ومتنوعة، وبناءً على الأوامر التي يتم استقبالها من المرزبان، فإن السلطة الخاصة بـ Eanna دائمًا كانت تُقدم وتعرض كل أنواع وأشكال الدفع، حيث إن المعبد باستمرار كان عليه أن يرسل العمال إلى موقع العمل أو البناء في العصور الملكية؛ من أجل توفير وتطويع المواد الخام وجعلها مناسبة (مثل الأخشاب والطوب) للمباني، وكان أمر التحذير

الموجه للشخص المسؤول عن التسليم يشمل ما يلي: إذا لم يفعل ذلك ويلتزم بما هو موكل إليه، فإنه سوف يُلاقي غضب وعقاب جوبارو Gubaru والمعبد أيضًا يكون عليه تسليم إمدادات الطعام للقصر .

وكما تقول العديد من المستندات والوثائق التي بين أيدينا من وقت حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses على سبيل المثال، في عام 531، نجد أن الإيانا Eanna كان عليه توصيل التوابل إلى القصر الملكي في آبانو Abona ، وحتى يتم الوفاء بهذا الطلب الخاص بتوصيل وتوفير هذه الإمدادات من الطعام، فإنه يكون من الضروري استعارة كميات كبيرة من القصر .

وفي عام 528 على مدى فترة قصيرة كان على الإيانا Eanna أن يقوم بتسليم حوالي 200 من الخراف أو (الحمل) والغلمان، وقبل ذلك بأسابيع عديدة نجد أن سُلطات المعبد تسلمت أوامر بنقل مائتين (200) من نبيذ البلح حلو الطعم إلى أبانو Abanu ؛ وذلك من أجل توفير احتياجات ومتطلبات القصر .

وربما كانت هذه المتطلبات غير عادية نتيجة وجود الملك والقصر على مقربة من الإيانا Eanna ، ولكن هناك التزامات أخرى كانت تلقى على عاتق المعبد، ففي الإيانا Eanna على سبيل المثال، فإننا نعترف بوجود القطعان الملكية التابعة للقصر و(الملك) والتي كان يتم إطعامها ورعايتها على نفقة المعبد .

وكان على الإيانا Eanna أيضًا أن يوفر ويقدم الجنود للإدارة الملكية -على الأقل- تحت ظروف خاصة ومحددة بعينها، وهناك سلسلة من الألواح التي يرجع تاريخها إلى فترة نيوبابليونا Neo-Babylonian (وهي فترة حُكم نبوخذ نصر Nebuchadnezzar الثاني ونابونيدوس Nabenidus ، وأيضًا إلى فترة حُكم الملوك قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، والتي تقول على سبيل المثال إن قطعان المعبد كان يتم إرسالها إلى المراعي

البعيدة على ضفة نهر التيجر Tigris ، وحتى يتم تحقيق الأمن، فإن الإيانا Eanna كانت توفر وتقوم بتعبئة الرُماة للتأمين والحراسة عند المداخل والمخارج، وبالفعل فإن بعض هؤلاء الرُماة الذين كانوا يستجيبون للإيانا Eanna كانوا ملتحقين بانتظام بالجيش الملكي وتحت حُكم وسيطرة وأوامر قورش (Cyrus) .

والمعابد كانت تُقدم المبالغ المالية والضرائب التي كانت مُطبقة ومفروضة على المُدن البابليونية وعلى قاطنيها أو سُكانها، وعلى وجه الخصوص، فإن كل هؤلاء الذين يمتلكون أرضًا (سواء أفرادًا أو جماعات أو مُنظمات) كان عليهم مثل هذه الضرائب والمبالغ المفروضة، وهذه الضرائب أو المبالغ كانت مطلوبة ومفروضة من الإداريين التابعين للقصر والملك حتى يستطيعوا صيانة وتأمين وحفر القنوات الزراعية لري هذه الأراضي، ولكن إيانا اليورك Eanna Urk كانت شاذة عن هذه القاعدة .

وباختصار، فإن المعابد البابليونية لم تستمتع بأي حق زائد أو أقل مما هو مُتبَع في حالة باقي المقاطعات والأقاليم تحت حُكم قورش (Cyrus) أو قمبيز (Cambysis) ولا حتى من تبعوهم من التيوبابليونيين أو البابليونيين الجُدد».

السلطة القضائية والقضاء عند جوبارو:

حتى مُنظمة المزرعة العامة أو ما كان يُطلق عليها Ferme Generale نجدها قد تضمنت تدخلاً مستمرًا بين المرزبان جوبارو Gubaru الذي كان أحيانًا يقوم بالتصرف بشكل أكيد حسب التعليمات الخاصة بالمبعوث الملكي في إيانا Eanna والتي بالتأكيد كانت تأتيه من القصر والملك، وبين السلطة المسؤولة عن عقود الزراعة التي كان يتم إبرامها في وجود المبعوث الملكي في إيانا Eanna ، ونجد أن جوبارو كان يجب عليه أن يراقب التنفيذ التام والكامل للالتزامات التي تنص عليها العقود .

وفي عام 269 كان المرزبان نفسه هـو الـذي يقـوم بإرسـال الـدعوات إلى أرديـا Ardiya وهو فلاح البلح (المسؤول الرئيس المسؤول عنه كـما سـبق ذكـره) ويقـوم باستدعائه: «قبل نهاية شهر كيسـليمو (Kislimu) » مـن العـام الرابـع مـن حكـم قمبيز (Cambysis) ، فإن ملك بابليون وملوك الأقطار وآرديـا وابـن نـابو يطلبـون من المسؤول الـرئيس للـبلح في يـورك Uruk ويجعلونـه يُـحضر خمسـة آلاف مـن أوراق النخيل، ويقوم بإعطائها إلى قصر الملك، والذي سوف يتم تعيينه عـلى الإيانـا Eanna وإذا لم يقم المسؤول الرئيس بإحضار ذلك، فإنه سوف يُعاقب مـن جوبـارو ومن حاكم بابليون، وبالطريقة نفسها، فإنه كان مشتغلاً بالنزاعات المتصـلة بعمـل الري .

وعندما يقوم جوبارو بالتدخل لإنهاء نزاع ما والـذي ربمـا يظهـر ويحـدث بـين سلطة الإيانا Eanna وسلطات مدينة اليورك Uruk ، والذين كانوا يرفضون رؤيـة حراسة الإيانا Eanna ، فإن القرار يُؤخـذ بواسـطة مـدير المعبـد والمبعـوث الملـكي والأشخاص أو الأطراف التي لا تلتزم يتم تهديدها بالمثول أمام جوبـارو Gubaru ، وهناك بعض من اللوحات المكتوبة التي تبدو وكأنها تُشير إلى أن العقاب يكون عن طريق أمر يقوم به جوبارو Gubaru ومساعديه .

وهـذه الأمثلـة تسـمح لنـا بتحديـد المـدى الخـاص بمصـالح المُـدن والمعابـد والمسؤولين، والإدارة الملكية من جانبها تُجـبر المرزبـان عـلى التـدخل القضـائي عـلى حساب مجلس المدينة، وبشكل دقيق أكثر، وفي العديد من الحـالات نجـد أن إدارة جوبارو تؤدي دورها كمحكمة، والمثال الأكثر تعبيراً من ذلك هو تلك القضـية التـي تم رفعها بواسطة سلطات المعبد ضد جي ميلـو Gimillu وذلـك في سـبتمبر 538، وذلك في غضون أقل من عام بعد دخـول قـورش (Cyrus) بـابليون، وقـد تـم ذكـر شـخص حـرفي؛ وذلـك لارتبـاط وظيفتـه ومسـؤوليته بـإيرادات علـف الماشـية في

الإيانا Eanna ، وقد تم استدعاؤه بواسطة المحكمة في أوروك Uruk ، وتم اتهامه بسرقة علف الماشية، وتم الحكم عليه بالإعدام، ومع ذلك فقد استمر في القيام بالعديد من المهام في إيانا Eanna وهو يحاول جاهدًا إغناء نفسه (إثراء نفسه) بطريقة غير شرعية، وهو يحتمي بأولئك الذين سوف يحمونه (من علية القوم) إذا وقع في أي مكروه، وإذا حدث شيء يتم عرضه بعد ذلك أمام المرزبان ليتم مقاضاته، وتقوم محكمة يوروك Uruk سريعًا بإرساله إلى المحكمة الملكية في بابليون أو Babylon ، ونضيف أن القضايا والأحكام هناك بشكل واضح لم تمنع جيمالو Gimmillu من إعادة الحصول على منصبه في وقت قمبيز (Cambysis) .

وعندما أصبح مرة أخرى مسؤولاً عن علف الماشية في الإيانا Eanna ، وفي بداية حكم دارا Darius نجده قد حصل على حق امتياز البلح والشعير، وفي هذا الإطار، نجده يقوم بالكتابة إلى «محاسب بابليون» ليشكو إليه من الظروف السيئة التي لحقت به هو وأطفاله، وقد قام قادة الإيانا Eanna برفع الدعوى ضده في عام 520، وترك مكانه في الـ Ferme Generale ، واختفى بعد ذلك من الساحة ولم يظهر .

إدارة الأراضي:

وأخيراً، فإنه من المحتمل أن من أهم نتائج الانتصار الفارسي هو إعادة توزيع بعض الأراضي؛ من أجل مصلحة الملك والمنتصرين من الفرس، وبالرغم من عدم توافر الأدلة الكافية، إلا أنه ليس هناك شك في أن الأرض قد آلت إلى التاج الملكي في المقام الأول، والدليل على ذلك موجود في المستندات والوثائق التي تقول بأن إينا Enna كان مطلوب منها إرسال العمالة للمساعدة في خلق وإيجاد العديد من الحدائق؛ وذلك من أجل الإقامة الملكية، وفي بابليونيا وغيرها من الأماكن تم تخصيص

الأرض أيضًا للموظفين في الأماكن المرموقة، وهناك لوحة من الألواح يعـود تاريخهـا إلى 529 والتي تُشير إلى سيلا Sila وهو الشخص الذي كان مُختصًا بإدارة ممتلكات المرزبان، واستخدام كلمة جوبارو Gubaru والتي ذكرت في هـذا الـنص ترجـع إلى تلك المجتمعات الواقعة في إقليم هانديد Handid التي تقع غير بعيدة عن سيبار Sippar وهناك أيضًا جزأين من الممتلكات بالقرب من يورك Uruk والتي قـد تـم تخصيصها للفرس منذ أوقات قمبيز Cambyses .

بينما الجديد في هذا الصدد هو ما يُطلـق عليـه مؤسسـة «الهـاترو Hatru »، وهذا تم توثيقه بشكل تام منذ النصف الثاني مـن القـرن الخـامس، كـما تبـين مـن أرشيف منزل موراسو Murasu ، وهذه الكلمة «هـاترو Hatru » تشـير إلى ذلـك المجتمع الذي كان يعيش على الأرض المنزرعة، وتلك الأرض التي كانت تطلق عليها العديد من الأسماء مثل «ملكية اليد» وغير ذلك من الأسماء، وغير ذلك من أشـكال الملكية التي كان يجب أن تقوم بإمداد جنود الملك بما يحتاجونه (وبعض النصـوص -لسوء الحظ- كانت صعبة التفسير والترجمة)، والتي أشارت إلى أن هـذه الملكيـات أو بعـض منهـا عـلى الأقـل، كانـت موجـودة في عهـد قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambysis) ، وهناك واحد من هذه النصوص يرجع تاريخـه إلى العـام الأول مـن حكم الملك قمبيز Cambyses في بابليون سنة 528، وهذا النص يُشير إلى مجموعة من المصريين الذين يمثلهم وينوب عنهم «مجلس الكبار» والذي قام بتقسيم هـذه الملكيـات، وهنـاك بعـض المسـتندات الأخـرى التـي ترجـع إلى حُكـم قمبيـز (Cambysis) والتي أشارت إلى «مدينة الكارين» (Carians) التـي يقطنهـا أولئـك الناس الذين استقروا على أرض الملك، وكان عليهم أن يقومـوا بخدمـة جنـود الملـك وتمويلهم، وهناك أيضًا نسخة بابليونية تقـدم تأكيـدًا تامًـا عـلى أن هـذه المؤسسـة (هاترو Hatru) كانت موجودة حتى قبل دارا Darius .

وحتى نكون متأكدين، فإن هذه المؤسسة قد تم تحديدها والتعرف عليها أيضًا بسهولة في بابليونيا فيما قبل فترة الأخمينيين، ولكن، وعلى قدر استطاعتنا بالتحديد، فإن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قدما دلالة جديدة على النظام الذي ساعد في تشكيل سلطة جديدة، وفي زيادة الإنتاج الزراعي والإيرادات الملكية وعملية صنع وإنشاء مجتمعات جديدة يكون ولاؤها لأصحاب الأراضي الجديدة، وقد أوضحت أن الانتصار لا يمكن أن يتم تعليله إذ أنه كان مجرد غارة عنيفة، بدلاً من ذلك، فإن الملوك العظام قد عبروا عن نواياهم في تسجيل سلطاتهم في كل من المكان والزمان .

والأراضي الخاصة بالمعبد ذاتها لم تكن تُعامل بشكل مختلف، وذلك لأننا نعرف بوجود «ملكيات اليد» في إيانا Eanna أثناء فترة حُكم قورش (Cyrus) ، وحامل الملكية كان عليه أن يقوم بدفع الضرائب إلى الملك، ونحن ربما نفترض أن هذه الملكيات والمسموح بها لتأمين الرجال الذين تعتبر خدماتهم ضرورية للملك من قِبَل المعبد، ويبدو أنه حتى السكان أو القاطنين في نيبور Nippur لم يتم استثناؤهم أو إعفاؤهم من هذا النظام، والذين سمحوا للمنتصرين بالسيطرة على الأرض التي كان يتم إدارتها سابقًا بواسطة الحاكم بشكل مباشر (حيث كان يُطلق على الحاكم لفظ «سانداباكو Sandabaku » من أجل مصلحة وفائدة المدينة ومعبد إنليل Enlil ، وحتى نكون متأكدين، فإن الدليل المُتاح لم يسمح لنا بالحديث عن إعادة التوزيع العام للأراضي في بابليونا في وقت حكم كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، ولكن يجب ملاحظة أن تخصيص الأرض للأفراد أو الجماعات كان يشمل أيضًا تلك الأرض التي لم يتم العمل فيها من قبل، وعلى أية حال فإن لدينا انطباعًا بأن الملوك ومستشاريهم لم يكونوا يعملون على ذلك في بعض الأوقات، ولكن على المدى القصير، حيث لم تستمر هذه الحالة طويلاً .

5 - **من باكترا Bactra إلى ساردس Sardis :**

السلطة الأخمينية وحكومة باكترا:

إن الأدلة المتوافرة لدينا لم تسمح لنا بالقيام بحسابات غير مشكوك فيها وغير قابلة للجدال حول الابتكارات والاستحداثات التي قام المنتصرون بتقديمها، وهذا نجده صحيحًا بشكل خاص في بعض الأقاليم بعينها مثل وسط آسيا وهو الشيء المعروف فقط من البيانات الأثرية التي بالرغم من أنها متعددة إلا أنها مع ذلك تعتبر غامضة، لقد قال علماء الآثار بأن باكترا Bactra قد تطورت جيدًا قبل الفترة الأخمينية، وهذه هي الحالة التي منذ وجودها بدأت الأعمال الهيدروليكية العظيمة التي أوضحتها لنا الأبحاث والدراسات الحديثة خصوصًا في وادي «أوكس الأعلى» Upper Oxus والفتح العسكري الأخميني، فلم يبدو وكأن له تأثيرًا ماديًّا محسوسًا على الإقليم، حيث نجد أنه كان هناك استقرار مدهش في العادات والتقاليد المحلية (خاصة في مجال الصناعات الفخارية والتكنولوجيا الهيدروليكية)، ومع وجود مثل تلك العوامل فإن النتيجة تقول بأن الانتصار أول الفتح الأخميني في هذه الدول والأقطار في وقت قورش (Cyrus) ، وبعد ذلك لم يكن أكثر من نوع من الظواهر العسكرية والسياسية وعملية استقدام واستحداث نظام المرزبان والحامية العسكرية والجزية والمبالغ المفروضة والضرائب العسكرية، وغير ذلك من الأشياء التي كانت من القبيل ذاته، والأعمال الهيدروليكية التي كان يتم إجراؤها أثناء هذه الفترة -فترة السيادة الفارسية- والتي لم تكن تحتاج إلى تمويل من جانب إدارة المرزبان .

وعلى الجانب الآخر، وعلى العكس من ذلك، فإن التواصلية الأثرية كانت ترغب أكثر من ذلك في التعرض إلى وتناول الثوابت في التقاليد السياسية المحلية القوية والتي لم يكن للفرس أي تأثير عليها،

وباختصار فإن أي تأثير لفتح قورش (Cyrus) هو غير محسوس، أو ملموس في هذا المجال أو في الحقيقة».

السلطة المركزية، والمركزية الثقافية متعددة الأقطاب:

إن هذه الاستكشافات المركزية والأساسية نجدها تُذكرنا وتُذكر المؤرخين بأن طرق ووسائل الفتح والإدارة الإمبريالية يجب تقيميها في ضوء التنوع الجغرافي، حيث نجد أن التغاير في المحتوى السياسي الأخميني صارخ جدًّا، والمجتمعات التي كانت موجودة قبل هذا الفتح بالتأكيد لم تكن جميعها قد وصلت إلى هذه المرحلة نفسها من التطور والتنمية، ولكن، على سبيل المثال، من هو سيد المملكة البابليونية الجديدة الواسعة؟ ليس هناك شيء يمكن اقتراحه مسبقًا، والقول بأن الفتح أو الغزو كان له الأثر نفسه على كل قُطر أو كل مجتمع .

وبدلاً من ذلك، يجب علينا أن ندرك أن الانتصارات والمستحدثات التي حدثت كانت لها جذور، وذلك بطرق وأساليب مختلفة، حيث كان المنتصرون أو الفاتحون يتطابقون معًا، ويتبعون الإطار الثقافي والسياسي والاجتماعي المحدد بالنسبة للأشخاص والشعوب التي كانوا يقومون بغزوها.

وأفضل الأمثلة المعروفة الشائعة يوضح بدون جدال أن الفاتحين لم يحاولوا أبدًا توحيد تلك الأقاليم والمقاطعات التي كانوا يقومون بفتحها بشكل سياسي، بل على العكس من ذلك -وكما رأينا- كان فقط هناك تسلسل وهيكل هرمي محلي يتم بناؤه وتشكيله، وكانت هناك بعض التقاليد التي حاول كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses فرضها على الأرض الجديدة؛ وذلك لبناء وعمل سلطان جديد .

أما الفرس -على سبيل المثال- فلم يحاولوا من جانبهم نشر لغتهم ولا دينهم، وبدلاً من ذلك، فإنهم عرضوا وأظهروا توافقًا وتسامحًا عظيمًا

مع الأديان المحلية الخاصة بالأقطار والأقاليم التي كانوا يفتحونها، فكل شعب استمر في التحدث بلغته ويقوم باستخدام نظام الكتابة المتبع لديه نفسه، وفي بابليونا، نجد أن افتراضات قورش Cyrus وتعاليمه فيما بعد، تلك الخاصة بدارا Darius كانت مكتوبة في المخططات والألواح، وذلك باللغات الثلاثة وهي الفارسية Persion والأكادينية Akkadian والإيلامية Elmite ، وعندما تناول قورش (Cyrus) موضوع عودة اليهود إلى أورشليم فإن ذلك كان في العبرية، وتم تسجيله بالأراماتية Armaic ، ومع وجود بعض الشواذ البسيطة، نجد أن الفرس فقط هم الذين كانوا يتحدثون الفارسية، ويتعبدون لآلهة الفرس، ويُحافظون على التقاليد والتعاليم الثقافية .

ومن ثم فهل يستطيع أي شخص عاقل أن يشُك في ذلك؟ لا قورش (Cyrus) ولا قمبيز Cambyses كان لديهم الهدف البسيط في الحكم بالاسم فقط؛ وذلك لوجود ما يطلق عليه اللغوية المُتعددة الإمبريالية، والتي لم تقدم في حد ذاتها أية عقبات أمام وجود السلطان الفارسي، فقد ظلت تحت السيطرة بواسطة الاستخدام المنتظم للإدارة الأخمينية، وذلك تحت ما يُطلق عليه الآرامية الإمبريالية Imperial Aramaic ، وإذا لاحظ الفرد أن ثمة شيء ما بعد ذلك مكتوب بالإيلامية Elamite فإنه سوف يكون عبارة عن ألفاظ فنية فارسية، وعملية تعيين المرزبانات في ميديا Media ، وفي آناتاوليا Anatolia وفي بابليونا Babylonia وفي مصر وفي وسط آسيا، لم تكن تشمل أو تعني إيجاد اختلاف رسمي أو نظامي في الأوضاع والمحتويات السياسية المحلية، والنظامين القضائي الإداري تم ضبطهما على أساس المؤسسات الخاصة بالولاية أو الإقليم، والملك العظيم استمر في تقديم نفسه للشعوب والمدن والملوك والطبقات الحاكمة بالنسبة للشعوب التي كان يغزوها، وعلى الجانب الأول، فإن الغزو قد قاد إلى طمس كامل

للممالك التي قاموا بفتحها (وذلك مثـل ميـديا Media وليـديا Lydia وبابليونيـا ومصر) في داخل إمبراطورية موحدة، وعلى الجانب الآخـر، فـإن تأسـيس المرزبانيـة بشكل تام نجده يعبر عن ويمثل النية لدى الفـاتح أو الغـازي لخلـق وإيجـاد دولـة جديـدة، والتـي تعتـبر وحـدتها غـير قابلـة للإلغـاء، والكيانـات السياسـية المحليـة (الشعوب، والمدن، والملوك، والطبقات الحاكمة والأرستقراطيين) كانـت متكاملـة في الدولة، ولكن بطرق وأساليب مختلفة، وحتى نكـون متأكـدين مـن ذلـك بالشـكل نفسه، فإن استقرار (الفرس الإمبرياليين) في الإقليم يبرهن على النية الملكية في خلق ظروف مناسبة من أجل إتاحة سلطة فعالة، وذلك على المقاطعـات والأقـاليم التـي تـم الانتصـار فيهـا والسـيطرة عليهـا وعـلى سـكانها، وفي الإطـار الخـاص بـالطرق والأساليب التي قام قمبيز Cambyses باتباعها نجـدها كانـت لخلـق وإيجـاد مـا نطلق عليه الأسطول الأخميني، وكان هذا الأسطول أيضًا فعالاً، والأسطول أو القـوة البحرية لم تكن بشكل مبسط مجرد خلـيط أو مجموعـة عشـوائية مـن القـوات أو الوحدات العسكرية الإقليمية التي تكون قيادتها متروكة للقـادة المحليـين أو تابعـة للقيادة المحلية، ولكن الأسطول الملكي تم بناؤه كقوة أولى للحكومة المركزية، وتـتم قيادته بواسطة الضباط الفرس، وفي هذه العملية نجد أن الشعوب التي تم غزوهـا كان مطلوبًا منها دفع الضرائب على شكل فضة من أجل بناء مثل هذا الأسطول .

وهناك مثال آخر واضح أيضًا وهو المباني التي تم بناؤها بواسطة قـورش (Cyrus) في باسارجاداي Pasargade ، وأيضًا نشاط الحرفين من ليديا الـذي كـان متنوعًـا مـن حيـث الأسلوب وفن البناء، وهنا عليك مثلاً أن تقوم بإدراك مدى قـوة قـورش (Cyrus) ، وأيضًـا مـدى الاهـتمام بنتـائج الأنشـطة البنائيـة والخاصـة بالمبـاني التـي قـام قـورش (Cyrus) بتشييدها، ولا يمكـن شرحهـا وتفسـيرها بشـكل سـهل باعتبارهـا مجموعـة مـن الأسـاليب

والأنماط غير المتكاملة، والتي منها يمكن للشخص أن يجد تأكيدًا على استمرارية التقاليد الفنية الأولى .

ومن ثم فإن استقدام ما يُطلق عليه الحدائق المروية في عاصمة قورش (Cyrus) الجديدة لا يقوم ببساطة بالاعتماد على التكنولوجيا التي كانت موجودة ومستمرة، والتي كانت معروفة جيدًا وبشكل خاص فيما بين الملوك الآشوريين الجُدد Neo-Assyrian ، وهناك دراسة حريصة بشكل أكبر نجدها توضح أن هذه الفنون المعمارية ذات المناظر الطبيعية) تحاكي النموذج الذي كان موجودًا بشكل سابق، وذلك عن طريق جعل الحدائق جزءًا متكاملاً مع القصر، وواحدة من الأشياء التي تزين وتزخرف الحياة الملكية، وأيضًا الحياة في القصر .

وبالتالي، فإنه ليس الفنانون الأجانب (من ليديا أو بابليونيا أو مصر... الخ) هم الذين قد عملوا في خطة باسارجاداي Pasargade أو قاموا بتحديد وظيفتها، ومثل بيري سبوليس Perspolis بعدها، نجد أن باسارجاداي كانت بالكامل حسب رغبة الملك ومستشاريه، وذلك باعتبارها وظيفة البرنامج الإمبريالي والملكي، والتي من خلالها يوجد التنوع الأسلوبي، ويقوم بتغذية الوحدة السياسية للقصر الملكي ككل أكثر من تدميرها، والتوفيق الأسلوبي أيضًا نجده يعبر عن الحقيقة القائلة بأن التنوع الثقافي للإمبراطورية قد كان يدًا بيد أو موازيًا للسيطرة وتأكيد الوحدة السياسية، وعلى أية حال، فإنه من الجيد والأفضل أن نتحدث عن تقليد ومحاكاة الأشكال والتراكيب السياسية والاجتماعية المحلية، وذلك داخل الإطار الإمبريالي المحدد بواسطة الملك ومستشاريه أكثر من التواصلية البسيطة والصافية، وهذه الأشكال الخاصة بالتقليد والمحاكاة لا تتضمن ولا تعني اختفاء التقاليد المحلية، ولا حتى تعني وتتضمن استمرارية وتواصلية كل عناصرها المكونة لها، وفي هذه النقطة، نجد ملحوظة منهجية مبدئية ربما يمكن تكوينها يقول بأنه ليس هناك تناقض

ضروري بين بسط وفرض السلطة الفارسية وتأمين وجود ما يطلق عليه التبني للحفاظ المحدود على الظروف المحلية والإقليمية .

النص والصورة:

حتى نعود للمثال الباكتري السابق ذكره حول باكترا Bactra نجد أنه من المهم أن ندرك أن المسألة التي يفرضها هذا المثال هي مسألة فريدة من نوعها، وهي مسألة تاريخ هذه الدولة، خاصة أثناء فكرة حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، والذي نجده معروفًا بالضرورة من الدليل أو الأثر التاريخي الأثري، وفي الحقيقة نجد أن المؤلفين الكلاسيكيين هم بالكاد مهتمون بهذه الأقاليم من قبل انتصار وغزو أو فتح الإسكندر Alexandar ، وفي الخيال الإغريقي (اليوناني) نجد أن هذه الأقاليم واقعة على حدود وأطراف الأوكي ميني Oikomene ، والتي لا نعرف أية معلومات حقيقية عنها على الإطلاق».

وهنا سوف يكون كافيًا أن يتم تذكر أنه قبل وقت الإسكندر لم يكن هناك مؤلف قديم قد رأى أنه من المناسب أن يقوم بقراءة أو وصف للباسارجادي Pasargade أو بيرسبوليس Persepolis ، وليس هناك سبب لأن نستنتج من هذه الفجوة الدليل الذي يقول إنه في عيون الملوك العظماء أنفسهم كانت الدول الإيرانية الشرقية بعيدة، ليس جغرافيًا وإنما سياسيًا، بل على العكس، نجد أن تعيين وتحديد بارديا Baradiya وهو الابن الأصغر لقورش (Cyrus) لقيادة باكترا Bactra يقودنا إلى الاعتقاد بأن الملوك العظماء كان لهم اهتمام كبير بباكترا Bactra ، وفي عام 522 نجد داداريس Dadaris وهو مرزبان باكترا Bactra جعل من السهل على قورش (Cyrus) أن يقوم بإخماد تمرد المتمردين والثورات التي اندلعت في الأقاليم الشمالية من الجانب الإيراني أو بعض البقع الإيرانية .

وفي نظر سترابو Strabo (مؤرخ) نجد أن سيرداريا Syrdaryia ذاتها كانت على حدود المملكة الفارسية مع آسيا الوسطى، وهناك قام قورش

(Cyrus) ببناء العديد من المدن، ووضع الحاميات العسكرية بها، وباختصار فإن صمت الكتاب والمؤلفين الكلاسيكيين لا يمكن استخدامه باعتباره إشارة أو دلالة على أي شيء هنا أو هناك .

والحالة الخاصة بباكترا Bactria مميزة وفريدة؛ وذلك بسبب أهمية الفجوة في الدليل النصي، وعلى الجانب الآخر، فإن المشكلات المنهجية والمسائل المنهجية أيضًا التي تنشأ عن ذلك تجعلنا نرجع بالزمن مرة أخرى، وبالمكان إلى الأقطار الأخمينية، وصوصا Susa إيلام Elam تبدوان وكأنهما استمرتا في الوجود، كما أنه لم يحدث شيء، ولا حتى التتبع الخاص بالوجود الفارسي يمكن أن نجده في السجلات الأثرية قبل دارا Darius ، حيث يوضح الأثر التاريخ أو الأثري في الحفاظ على التقاليد الخاصة بإيلام هناك، ونحن بصعوبة لدينا آثار تاريخية أو دليل أثري على السيطرة الفارسية على مصر في عهد قمبيز (Cambysis) .

وبالتالي، فإن التفسيرات الخاصة بعلماء الآثار الباكترين تُلقي ضوءًا مختلفًا على عملية أخذ السلطة والسيطرة في الدول المفتوحة أو التي تم غزوها بواسطة قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، وبعد ذلك إدارتها بواسطة الفرس لمدة أكثر من قرنين من الزمان، وبالرغم من الدليل الخاص بباكترا والذي يدعم الفكرة القائلة بأن الانتصار أو الفتح كان له أثر سطحي فقط على المنظمة الإقليمية المتطورة بالفعل، والتفكير في أدلة أخرى أيضًا يسمح لنا برؤية مختلفة، وذلك لآثار هذا الفتح على الأقاليم المتطورة الأخرى في الإمبراطورية .

ونتيجة لذلك، فإن حالة باكترا Bactra بالنسبة للمؤرخين تفرض تخصيص عامًا حول مسألة التكامل الإمبريالي، وهو ما سوف نناقشه مؤخرًا (الفصل 16) .

6- الفُرس والشعوب (التي تم غزوها):

الفتح العسكري والإستراتيجية الأيديولوجية:

إن تحليل الحالات الإقليمية يقود المؤرخين إلى الاستفسار عن العلاقات بين الشعوب (التي تم غزوها) والشعوب الغازية، وهذه تعتبر مسألة أساسية والتي سنعود إليها في العديد من المرات؛ لأن هذه المسألة تُثير مناقشة وجدلاً واسعًا حول التكامل والتماسك الخاص بالبناء الإمبريالي، وبالرغم من الفراغات التي ربما تحدث، فإنه من الواجب أن نتناول تلك الحلول التي قام بها قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) .

إن المشكلة التي تواجه القراء يمكن أن يتم تمثيلها بتغييرات بسيطة نسبيًا، وأولاً وقبل كل شيء فإن الغزاة كانوا يريدون أن يسيطروا على الأراضي والشعوب بشكل كفء وتام قدر الإمكان، ومع اعتبار العدد القليل نسبيًا للفُرس، فإن الاحتلال العسكري للأراضي يُشكل فقط استجابة جزئية للمشكلة التي تواجه الغزاه، فليس عليهم فقط أن يكونوا قادرين على صد ومواجهة أي نوع من التمرد والعصيان الذي ربما يظهر، بل أيضًا وبشكل كبير عليهم أن يكونوا قادرين على اتخاذ خطوات حول منع هذه الثورات وأشكال التمرد هذه من الظهور، وذلك في المقام الأول، وحتى هذا الحد، نجد أن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قد اتبعوا استراتيجية أيديولوجية، تعني بخلق ظروف للتعاون مع الصفوة المحلية من الشعوب التي كانوا يغزونها، وهي الحاجة الأكثر إلحاحًا، وهذا هو السبب وراء عدم ظهورهم على أنهم خارجين أو دخلاء على هذه الشعوب والمجتمعات، حيث إن الملوك العظماء قد قاموا بمحاولات جادة ليستطيعوا أن يجعلوا هناك تأقلمًا مع العادات والتقاليد المحلية على المدى البعيد، وأن يقدموا أنفسهم كحماة لمصالح هذه الدول والشعوب، وفي الوقت نفسه، نجد أن هذه الاستراتيجية قد

تطلبت السماح لهذه الصفوة من الشعوب التي تم غزوها بالمشاركة في أداء وظائف السلطة الإمبريالية الجديدة، ولكن الخبرة توضح لاحقًا أن عملية وضع هذه السياسة وتنفيذها بشكل إجباري ربما يُثير كثيراً من الغموض .

وفي الحقيقة، وبينما يبدو أن تبني هذه الاستراتيجية يسير جيدًا وذلك على أساس الخطوط العريضة والشكل العام، إلا أنه لا يجب أن نسمح لأنفسنا بأن نكون منشغلين بها قدر الإمكان، حيث إن التعاون الفعلي من جانب الصفوة المحلية من هذه الشعوب يفترض مسبقًا أنهم يوافقون على خدمة السلطة الجديدة، والولاء لها، ونحن يجب أيضًا أن نقوم بإبعاد تلك الخيالات الخاصة بالرؤية السائدة للمصادر القديمة، حيث إن هيرودوت Herodotus والمؤرخين والكُتاب القدامى كانوا يحاولون تجنب أو عدم التعرض لحركات المقاومة التي كانت تحدث من طرف تلك الشعوب والممالك والدول التي كانوا يقومون بفتحها وغزوها (أي التي كان الفُرس يقومون بغزوها) .

وبالفعل، وحقيقة لم يكن أي انتصار عسكري يحدث بشكل سهل أو مباشر، فما كان يحدث بعد الفتح أو الغزو لا يعتبر دليلاً كامنًا على احترام الفٌرس لهذه الشعوب والممالك، بل على العكس، كان ذلك هو الخطوة الأولى في تحقيق الاستراتيجية العسكرية الموضوعة والمُخطط لها من قبل الفُرس، والتي تهدف في الوقت ذاته إلى تشجيع الطبقات الحاكمة في التحالف معهم، ومع تحقيق هذه السياسة وجعلها قيد التنفيذ، تحدث مثل هذه التحالفات فيما بين الفُرس والصفوة من تلك المجتمعات والممالك، وقد أدرك قورش (Cambysis) ذلك سريعًا في ليديا Lydia ، ولكونه حريصًا عند زرع هذا التعاون مع الأرستقراطية الليدية، نجده قد قام بالعهد إلى واحد منهم، ويَطلق عليه باكتيز Pactyes وجعله مسؤولاً عن الجزية وهي الوظيفة التي كان الشخص نفسه مسؤولاً عنها في ظل حُكم كروسوس Croesus ، ولكن باكتيز استخدم هذه المسؤولية وجعلها في

صالحه عندما قام بإلهاب مشاعر الجماهير (وهم جماهير ليديا Lydia) وحثهم ضد الفُرس، وبالطبع، وعلى الجانب الآخر لم يكن باكتيز هو الممثل أو المندوب عن كل الطبقة الأرستقراطية في الدولة فقط، ففي ليديا -وأي مكان آخر- نجد أن ممثلي الطبقة السائدة يتعاونون بالتأكيد وربما لا يشاركون في ثورات أو تمرد، وهذه كانت القضية والحالة نفسها عند «ميرسوس Myrsos » وهو ابن جايجوس Gyges والذي احتل مكانة وظيفية مرموقة في بيروقراطية مرزبان ساردیس Sardis من قورش (Cyrus) وحتى دارا Darius ، والمثال الخاص بباكتيز جعل الفُرس حذرين من تولي الأرستقراطيين المحليين في الدول المفتوحة بأية مسؤولية .

ونأتي إلى أصول حركات المقاومة والتي من الصعب تحليلها، مثلاً التمرد العظيم الذي كان في 520-522 (والذي سوف نعود إليه في الفصل التالي) يبرهن على قوة وسيطرة التقاليد السياسية الحاكمة والمحلية لتلك المجتمعات، حيث نعرف من البداية أن الأرستقراطيين خافوا على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، كما أن التحول المؤقت لهؤلاء الملوك الجدد (الفُرس) وسيطرتهم عليهم لم يكن يؤدي بالقدر الكافي إلى استقرارهم، وعليك أن تُفكر على سبيل المثال في النبيل المصري الذي بعد الانتصار الفارسي نجده قد تحول من الثروة العظيمة والغني الفاحش إلى الفقر المدقع، ولم يصبح أي شيء بعد ذلك إلا أن يكون شحاذًا، فهو في السابق وقبل الفتح كان مقاربًا ورفيقًا للفرعون وكانت له مكانة دائمة على طاولته ومأدبته، ووضعه الاقتصادي كان مرتبطًا جدًّا بقدر سيده ومولاه (ملكه الذي ترك العرش عندما أتى الفرس)، وهو أيضًا يُشارك سيده قدره ونصيبه .

والرغبة والمشيئة الخاصة بالمقاومة والتمرد يمكن أن يتم التعبير عنها بواسطة شخص ما مثل الفرعون «سافيتيكونس Psammetichus »، وهذه الرغبة نجدها قد أضعفت مكانة النبلاء الذين ما زالوا على

إخلاصهم وولائهم له، ومن ثم، ونتيجة لذلك، كان النشاط الطاغي لاستجابة قمبيز (Cambysis) ضد العائلات الكُبرى، وكان ذلك تحذير واضح جدًّا ومُستهدف ضد النبيل المحلي أو النُبلاء المحليين في تلك المجتمعات (يُقصد بذلك ما فعله قمبيز Cambyses)، وبالتالي فإن تأمين وضعهم وسيادتهم الاقتصادية والاجتماعية يعتمد على تحالفهم وتعاونهم وولائهم ومثول الحقيقة الجديدة والخاصة بالأشكال الإمبريالية المفروضة من قِبل الفُرس .

وإن لم يحدث ذلك من جانبهم، فإن ملكيتهم وسطوتهم ونفوذهم ومكانتهم سوف تذهب أدراج الرياح .

نبذة عن النشاط السياسي لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) :

على أية حال، فإن تحليل النشاط السياسي وطاقم العمل السياسي لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، نجده بوضوح، يؤكد الاعتماد على المُديرين المحليين، فهم باستمرار كان يتم ذكرهم في العديد من المستندات الأكثر أهمية وفي الألواح البابليونية، ولكن (وبدون استثناء)، وبعد السنوات الأولى من الاحتلال، نجد أن الموظفين المحليين تم منحهم وظائف لا تشمل المعترك السياسي على المستوى العالي، وأية محاولة خاصة بالتحليل الإحصائي لأسماء طاقم العمل السياسي لا يمكن أن تكون دقيقة جدًّا.

وفي الحقيقة نجد أن البيانات الأساسية حول أسماء هذا الطاقم تأتي من السجلات الخاصة أو سجلات المعبد (وهذه السجلات هي الخاصة بالأرشيف سواء الخاص أو ذلك المرتبط بالمعبد)، بل والأكثر من ذلك، نجد انتقال الألقاب والمؤهلات المهنية هي مسألة امتياز تسير بطول أجيال العائلة، وعلى العكس من ذلك فنحن ليس لدينا أرشيف رسمي منفرد يمكن أن يُقدم بيانات مقارنة حول الأصل الخاص بموظفي المرزبانية الأعلى .

وعمومًا، وعند الحديث بشكل عام فإن السجلات المصرية تقدم استمرارية وتواصلاً حول أسلوب الحياة قبل الفتح وحتى الأشياء التي أتى بها الفُرس بعد ذلك، وهذا يعتبر صحيحًا بشكل خاص من خلال ذلك النص الغريب الذي يتحدث عن الشجار الخاص بعائلة الكهنة من أجل خدمة معبد آمون Amon ، حيث يقول النص بأن: «بيتيس Petesis » (الأول)، قد ترك وظيفته لابنه إيستميتو Esemteu ، وبالرغم من بعض المشكلات، انتقل أيضًا إلى حفيده «بيتيس الثاني Petesis II »، وبينما هو في طريقه في حملة عسكرية مع الفرعون ساميتيكوس Qsammetichus الثاني (589-594) نجد أن بيتيتس الثاني قد تم تجريده من ممتلكاته وألقابه واستمرت متاعب العائلة ومصاعبها لفترة طويلة تحت حكم آماسيس Amasis (570-525)) ، ثم من بعد ذلك قمبيز Cambyses ودارا Darius ، والوثيقة تقدم الانطباع القائل بأنه بعيدًا عن الإشارة إلى سنوات حُكم قمبيز Cambyses ودارا Darius ، فإن الفتح أو الغزو الفارسي كان فقط يتم إدراكه بشكل غامض والإحساس به على هذا النحو، وعلى وجه الخصوص، كانت كل الأسماء الموجودة والمستخدمة هي أسماء مصرية، والسبب وراء ذلك واضح، وهو أنه في هذا النص كان المتحدثون بشكل تقليدي هم المصريون وليس موظفي المرزبانية (أو موظفي الولاية الفارسية على اعتبار أن مصر بعد غزوها بواسطة الفُرس كانت ولاية فارسية)، ولكن يتبادر إلى أذهاننا الآن سؤال مهم، وهو: هل كان الحاكم أثناء حُكم قمبيز Cambyses فارسيًّا (المرزبان) أم كان مصريًّا؟ وحتى هذا الوقت لا يمكن أن نؤكد بالفعل هل كان حاكم الإقليم المصري أثناء حُكم قمبيز Cambyses المرزبان الفارسي أم أنه كان شخصًا مصريًّا؟

ولكن دعنا ببساطة نُلاحظ أن الغزو الفارسي لم يضع نهاية مفاجئة لوظائف وأماكن البيروقراطيين أو الموظفين في الوظائف العليا في الدولة

مثل أحمس Ahmose ، والذين قد أحاطوا بآخر الفراعنة، ولكن يبدو في الوقت ذاته أن مكانهم في الهيكل الإداري كان متواضعًا نسبيًّا بالرغم من الأتعاب التي أعطوها لأنفسهم، والتي تحكى الكثير حول برستيجهم ومكانتهم في المجتمع المصري آنذاك، وعلى أية حال، فإن بعض الألقاب نراها قد اختفت مع الغزو، خصوصًا تلك «الألقاب التي كانت قبل الملك مثل «أكسيد» أو المعروفة للملك، فقط رجل مثل «أودجارسنت Udiaharresent استطاع أن يتفاخر بأنه معروف لدى الملك (قمبيز Cambyses).

وبالإضافة إلى ذلك، وإذا قمنا بفحص وضع مثل هذا الرجل قبل وبعد الغزو، فإننا سوف نجد أنه قد احتفظ بالعديد من الألقاب التقليدية، ولكن هذا يُعتبر مسألة ألقاب لمجرد التشريف أكثر من أداء وظيفة سياسية أو دور سياسي، ونحن أيضًا نرى أنه قد فقد الوظيفة أو المكانة الوحيدة ذات المسؤولية، والتي كان يشغلها قبل وصول قمبيز Cambyses ، وهي وظيفة «أدميرال الأسطول»، بينما نجده في ظل حُكم قمبيز Cambysis (ومن بعده دارا Darius) يشغل منصب ضابط الخدمات الطبية الأول، وهذا كان بالكاد ابتكار وشيء جديد؛ لأن المصريين كان لديهم أطباء مشهورين، وكان يتم استخدامهم في العصر الفارسي وذلك في عصر قورش (Cyrus) ، وحتى نكون متأكدين فإنها كانت تعتبر وظيفة تشريعية، وحتى لا يتم إنكار قدرته ومكانته، وقد كان «أودجارسنت Udjahorresnet » فخورًا لأن قمبيز Cambyses خصص له هذه الوظيفة، وعينه رئيس ضباط الخدمات الطبية، حيث يعتقد أنه بوضعه بجواره وفي صحبته قد أصبح مُدير قصره، فقد أطلق على نفسه العديد من الألقاب مثل «الباشا، والمستشار الملكي، والرفيق الوحيد، والصديق الوفي للملك الذي يُقدره ويحترمه، وهي مثل الألقاب المصرية التقليدية التي كانت موجودة في ظل حُكم آماسيس Amasis وغيره، وهذا التراكم في

الألقاب لم يطمس الحقيقة القائلة بأنه بالرغم من ولائـه لقمبيـز Cambyses فـإن أودجارسنت لم يحصل على وظيفة أو مكانة واحدة ذات نفوذ سياسي إما من الملك أو في مصر ذاتها.

وننتقل الآن إلى المقاطعة الميدية (Medes) ، حيث كان هـو الشـعب الوحيـد الذي تم غزوه، واستطاع أفراده الحصول على وظائف عالية جدًّا، فمع ورود أخبـار عن التمرد الموجود في ليديا Lydia ، نجد أن قورش (Cyrus) قام بتعيين «مـزارس Mazares » وهو من ميديا لقيادة حملة قمع هذا التمرد، ومع وفاتـه أثنـاء هـذه الحملة نجد أن مـن خلفـه في قيـادة هـذه الحملـة كـان أيضًـا مـن ميـديا واسـمه هارباجوس Harpagus وهو الشخص نفسه الذي قام بعمـل تحـالف مـع قـورش (Cyrus) في وقت غزو ميديا Media ، وهو أيضًـا الـذي أكمـل غـزو سـاحل آسـيا مينور Asia Minor ، وكان من بين أولئك القادة الذين كـانوا مـع دارا Darius في بداية حُكمه، وهناك ميدي آخر هو «تاج ماسبادا Takhmaspada ، وأيضًا داتيس Datis الذي حصل عـلى الوسـام العسـكري مـن الطبقـة الأولى في نهايـة عـام 490 والذي ربما يكـون قـد بـدأ حياتـه ووظيفتـه في الجـيش مـع قمبيـز Cambyses ، والمكانة الخاصة بأهل ميديا Media هي بالطبع وبالتأكيد مكانة عظيمـة بالفعـل، ويبدو من المحتمل أنه بعد غزو إكباتانا Ecbatana تمتعت ميـديا بوضـع ومظهـر خاص بين الدول والأقطار التي قام الفُرس بفتحها، وذلك ربما يكون بسبب الـروابط الثقافية والسياسية القديمـة بـين الفُـرس وأهـل ميـديا Media ، ولكـن في الوقـت نفسه نجد من الواضح أن منظورنـا ورؤيتنـا منحرفـة ومشـوهة بعـض الشيء ربمـا بسبب الدعاية، فعلى سبيل المثـال، الـزواج بـين قـورش وآميـتس Amytis قـد تـم تسجيله بواسطة ستيسياس Ctesias وهو ليس حقيقة مؤكدة، وسـوف يبـدو مـن المُبالغ فيه أن نتحدث عن الارتبـاط السـيادي بـين الفُـرس وأهـل ميـديا Media ، حيث إن كل المؤلفين القدامى ادعوا بأن قورش (Cyrus) هـو الشـخص الـذي قـام

باقتلاع سلطة الحُكم من أهل ميديا لنقلها إلى الفُرس، حيث إن أهل ميديا هم المنهزمين، بينما نجد أن الفُرس هم المنتصرون، ومع ذلك، وبشكل ثقافي، نجد أن الفُرس وأهل ميديا كانوا عبارة عن أولاد عموم متقاربين، وبالرغم من كل هذه الحقائق، إلا أنه أهمية الموروث الميدي Median في تعظيمه دولة قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses يجب ألا يتم إغفاله ويجب تقديره بشيء من الاعتدال والمعقولية، والتأثير الخاص بـ Elamite أيضًا كان عظيمًا .

ففي القوائم الفارسية التي تضم الدول والأقطار المعروفة بداية من وقت دارا Darius نجد أن ميديا Media دائمًا توضع بعد فارس مباشرة، وقد تحولت ميديا أيضًا إلى مرزبانية أو ولاية فارسية تحت قيادة المرزبان، وعلى العكس من فارس، فقد كان عليها دفع الجزية مثل أية حكومة إقليمية أخرى، بل والأكثر من ذلك فليس هناك أي مرزبان معروف بالتأكيد له أصل ميدي (أي أنه من أصول ميديا) فقد كانت ميديا فقط ورجالها يشغلون المناصب العسكرية العليا، وفي هذه الوظائف نجدهم دائمًا معتمدين على أوامر الملك ويقومون باتباعها والعمل على تنفيذها، وفي آسيا مينور على سبيل المثال، نجد أن القادة الميديين كان عليهم أن يعملوا -على الأقل- ويتعاونوا مع المرزبان الفارسي ومع القادة من الفُرس، وأيضًا مع قائد قلعة سارديس الذي يُدعى تابالوس Tabalus والذي كان فارسيًّا أيضًا .

ويبدو من الملحوظ بشكل عام أن مرزبانات قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) كانوا بلا استثناء يأتون من عائلات فارسية، حيث إن جوبارو Gubaru هو مرزبان بابليونيا وترانس إيفاريتس Trans Euphrates وأريندس Aryandes في مصر وأوروتيس Oroetes في سارديس وميتروباتس Mitrobates في داسليوم Dascylium ودارا Darius في باكترا Bactria وفيفانا في Vivana في آراكوسيا Arachosia ، وأيضًا

الشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة للخازن الإمبريالي في بابليون Babylon ، وفي ميثراداتا Mithradata ، ونجد أن هيرودوت Herodotus من بين الأرستقراطيون الفُرس قد قام بالتمييز بين الأخمينيين أنفسهم، فعلى سبيل المثال نجد أن الملك المستقبلي دارا Darius قد تمتع بمكانة عالية في قصر كل من قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) ووالده الذي كان يُدعى هيستاسب Hystaspes نجده قد حكم مقاطعة بارثيا-هيركانيا Parthia-Hyrcania ، أو على الأقل قد احتل وشغل وظيفة عسكرية مرموقة هناك (في القصر)، وأيضًا كان هم الفُرس الذين شغلوا المناصب الخطيرة التي تحتاج إلى الثقة والمصداقية حول الملك مثلما كان بريكساسبس Prexaspes هو حامل رسائل الملك في ظل حُكم قمبيز (Cambysis) والذي كان ابنه يقوم بدور حامل كأس (الملك)، بالإضافة إلى قُضاة القصر، فعلى سبيل المثال نجد سيسامنز Sisammnes الذي حُكم عليه بالموت بواسطة الملك قمبيز Cambyses .

وعند التفكير ككل في تكوين وتشكيل الطاقم الخاص بالعمل السياسي تحت إمرة الملوك الأوائل، نجد أن هناك سطوة وسيطرة كبيرة في هذا الكادر، والذي يمثله الأرستقراطيون الفرس في الحكومة الإمبراطورية، فقد كانت القيادة في هذا الجانب قاصرة على الفُرس الذين كانوا يتولون المناصب السياسية، وهذه الملحوظة البسيطة نجدها بوضوح تؤكد على أن الإمبراطورية عند تكوينها وبنائها لم تكن ببساطة عبارة عن مجرد وضع لأشكال وتراكيب خاصة بالدولة، والتي كانت موجودة جنبًا إلى جنب والتنسيق فيما بينها، وإنما كانت إمبراطورية جديدة، حيث يجتمع فيها الغزاة والمنتصرون حول الملك ويقومون بالاحتفاظ لأنفسهم بالوظائف المرموقة وأوجه الاستفادة المختلفة، والتركيبة الاجتماعية والسياسية المحلية لم يتم ضبطها، وأيضًا فئة الصفوة من المجتمع لم تكن محددة إلا بالقدر والمدى الذي يمكن أن

يحدث عنده تكامل في الدولة الجديدة، والعائلات المحلية التي كانت يتم توقيرها واحترامها كانت هي المرتبطة بحكومة الإمبراطورية باعتبارها عائلات مساعدة ومؤيدة وداعمة لمجموعة الحكم الجديدة، وبالتالي فإن هذه المجموعة -ربما بعد ذلك- تصبح هي الطبقة الاجتماعية السائدة التي يتم تشكيلها وتكوينها من أجل أن تكون هي الجزء الأعظم من مندوبي وممثلي العائلات الأرستقراطية العظيمة في فارس .

الاتصالات المباشرة والتبادل الثقافي:

إن تلك الملحوظة التي سبق ذكرها لا تتضمن أن الفُرس لم يقوموا ببناء علاقات قريبة واتصالات مباشرة مع الطبقات الحاكمة المحلية، حيث إن هناك بعض الأمثلة والمنطق البسيط يفترض عكس ذلك، وفي بعض الأقاليم -خصوصًا في فارس Fars أو إيلام Elam - وكما رأينا فإن الاتصال والتبادل كان مستمرًا بعد فتح أو غزو قورش (Cyrus) ، ففي بابليونيا على سبيل المثال، وأثناء الربع الأول من القرن السادس كان هناك بابليونيون كانت أسماء عائلاتهم إيرانية، وفي وثيقة ترجع إلى حُكم قمبيز Cambyses التي كانت باللغة الفارسية وتم إرسالها إلى ماتيزيس Matezzis وهو سابق للبابليونيين، وكان له اسم إيراني وهو اسم بادجابادا أو Bagapada ، ولكننا لا نعرف شيئًا أكثر حول الزيجات الممكنة بين الفُرس وأفراد من الشعوب الأخرى، ونحن ربما نفترض تقريبًا أنه أثناء هذه الفترة، فإن بعض ملوك الفُرس ربما كانت أصولهم بابليونية في الأساس، وعلى الجانب الآخر، وفي آسيا مينور، نجد أن الزيجات بين الأرستقراطيين والخاصة بساريا Sardia والعائلات التي تنتمي إلى المدن اليونانية هي بعيدة تمامًا عن التوثيق في الفترة الأخمينية الأولى (المبكرة) .

ومن بين الأمراء المحليين الذين كانوا مفتونين بالترف الفارسي والبهاء وطرق الحياة، كان «بوليكراتيس Polycrates وهو حاكم ساموس Samos ، وذلك كما يذكر هيرودوت Herodotus ، وهناك العديد

مـن المـؤلفين القـدامى الـذين قـد ذُكـروا مثـال هـذا الرجـل حيـث إن مـن أهـم اهتمامـاتهم (المـؤلفين) العلاقـات بـين السـلطة والـثروة، وفي وجهـة نظـرهم، فـإن بوليكراتش Polycrates يمثل المثال الأكثر إيضاحًا للملـوك الشرقيـين خاصـة مـن خلال حبهم وولعهم بـالترف، ففـي سـاموس Samos نجـده قـد قـام بإعـادة بنـاء القصر بشكل بهي جدًّا وقام بدعوة الشعراء فيه حتى يحتفلـوا بـه، وقـام بتطويـع الحرفيين لتقديم أفضل ما لـديهم وبـأغلى الأسـعار، فقـد قـام بإنشـاء ورش العمـل لإنتاج الألياف وأوعية الشراب الفارهة من أجل ذلك، وقام بعمل أفضـل الزخـارف، وقد كانت هناك حديقة خاصة، وقام بوليكراتيس Polycrates بجمـع الحيوانـات فيها من كـل نـوع، حيـث أتى بـالكلاب مـن أجينـا Agina ، والمـاعز مـن سـيروس Scyros وناكسـوس Naxos ، والأغنـام مـن ميليتـوس وآتيكـا Miletus, Attica ، وهذه الأشـياء كانـت تُشـكل واحـدة مـن الوظـائف التقليديـة الخاصـة بالحـدائق الشرقية، والتي كانت أيضًا حـدائق تضـم أنواعًـا غـير معتـادة مـن الحيوانـات، وفي المثال الخاص ببوليكراتيس Polycrates يكون لدينا هذا المثـال خاصًـا بالحـاكم أو الملك اليوناني المفتون بترف القصور الشرقية، والتي نجد من وجهة النظر التنافسـية السياسـية قـد تكـون أيضًـا في الحيـاة الملكيـة وحيـاة الـقصر، ويقـول هـيرودوت Herodotus إنه كان يتمنى ويريد أن يجعل من نفسه سيد أيونيا Ionia والجـزر الأخرى .

والمثال الخاص ببوليكراتيس Polycrates هو المثال الأهم والأكثر تعبيراً؛ بسـبب أشكال الإبداع التي قدمها المؤلفون أنفسهم الذين كانوا يحبون الحـديث عـن الـترف والرفاهية الخاصة بالليديين في كل وجـه مـن أوجـه الحيـاة، وأيضًـا نجـدهم يـدينون حبهم للترف والتنافسـية بـين قصـور بـوليكراتيس Polycrates وأوريـتس Oroetes حدثت أيضًا، وتم ذكرها في التاريخ، ومع الوصول إلى سارديس Sardis ، فـإن الفُـرس قاموا بتبني بعضًا من الأساليب الملكية الليدية إلى صالحهم ومصلحتهم، حيث كانـت

الحدائق الغناء يتم إنشاؤها في ليديا قبل مجئ قورش (Cyrus) ، وليس فقط في ساردیس وإنما أيضًا في داسيلوم أو Dascylium ، وهذا لا يعني أن نقول إن قورش (Cyrus) قد حصل على فكرة الحدائق في باسارجاداي Pasargadae من ساردیس Sardis ، ومثل هذه الحدائق نجدها كانت معروفة في آسريا Assyria وفي مكان آخر جيد قبل ذلك، بل والأكثر من ذلك أن الفُرس من المُحتمل أن يكونوا قد قاموا بنشر نموذج هذه الحدائق، والذي لاقى انتشارًا واسعًا في آسيا مينور Assia Minor ، حيث يقول زينوفون Xenophon إن قورش (Cyrus) قد طلب من المرزبان أن تكون لديه حدائق أيضًا وبها حيوانات بحرية، ونحن ربما نقول إن التداخل بين الطبقات الأرستقراطية في فارس وفي ليديا والذي أكد على سلوكهم الاقتصادي لا يتفرع كثيرًا ولا يختلف كثيرًا عن بعضه البعض .

وفي آسيا مينور، لدينا دليل حول التبادل الاقتصادي في هذه الفترة، وتتبع التأثير الإيراني كان نادرًا، وهناك واحدًا من الأمثلة الأكثر تعبيرًا من خلال المقبرة هرمية الشكل والخاصة بساردیس Sardis والتي كانت شبيهة بشكل كبير بمقبرة قورش (Cyrus) في باسارجاداي في بلاد فارس Fars ، والتي يُعتقد أنها قد تم بناؤها بواسطة أرستقراطي فارسي في قصر المرزبان بعد غزو قورش (Cyrus) بفترة وجيزة، والمقبرة الموجودة في بوزبار Buzpar في فارس Fars كانت أيضًا لها أوجه تشابه واضحة مع تلك الخاصة بمؤسسي الإمبراطورية، وهناك مقبرة أخرى تم اكتشافها بالقرب من فوشيا Phocea والتي تظهر وتوضح مبادئ وأُسس البناء والتشييد الذي بدا وكأن له علاقة كبيرة بالأساليب والتقاليد الفارسية أكثر من الموروث الليدي الأناضولي، ولسوء الحظ فإن الحديث عن توقيت هذا الموروث وهذه الآثار وتاريخها إذا ما كان يرجع إلى عام 540 خلال القرن الخامس هو غير ثابت، ومن ثم لا يُمكن الجزم بأن تلك الموروثات والآثار تُمثل الجيل الأول من الشتات الفارسي الإمبريالي .

وعلى أية حال، ففي آسيا مينور، نجد أن الفُرس قد تعرضوا لما هو أكثر من الأرستقراطية المحلية، فهم أيضًا قد تأثروا كثيرًا باليونانيين، وذلك مثلما فعل القصر الملكي الليدي في ميرماندز Mermandes ، وهناك دليل واضح موجود في الرسومات الموجود على الجدران الأربعة للمقبرة الموجودة في لوسيا Lucia ، وذلك في كيزلبل Kizilbel بالقرب من إلمالي Elmali ، والرسومات بالضرورة مثل تلك التي تُمثل المشاهد الأسطورية التي تنتمي إلى التقاليد اليونانية، وهناك بعض المشاهد الأخرى التي تحكي تفاصيل وأحداث خاصة بحياة الأمير المحلي أو الأمير الإقليمي الذي تم دفنه هناك، وهناك مشهد للإبحار ومشاهد أخرى للصيد (وذلك للدب البري والأسد)، وحتى نكون متأكدين فإن مشاهد الصيد ومأدبة الحداد ربما تكون مشتركة فيما بعد مع الأسلوب التقليدي المعروف بـ«الجريكوبرسيان Grecopersian » أو الأسلوب الذي يجمع الخصائص اليونانية والخصائص الفارسية سويًّا، ولكنها (أي الرسومات) نجدها تنتمي كثيرًا إلى المحتوى والمضمون المحلي، ولا تفترض مسبقًا التأثير الفارسي، وهناك أيضًا رسومات إلمالي Elmali التي ترجع إلى عام 525 على سبيل المثال والتي تُعبر عن التأثير الثقافي اليوناني في القصر الملكي في ليسيا Licia .

7 - مقاعد السلطة:

مقار الإقامة (الملكية القديمة):

بعد الغزو، نجد أن الأخمينيين قد احتفظوا بمقار الإقامة الملكية بالنسبة للولايات المفتوحة أو التي تم غزوها لأنفسهم، وهذه الولايات هي إكباتانا Ecbatana ، وساردیس Sardis ، وباكترا Bactr وبابليون Babylon وصوصا Susa ، وساس Sais ، وممفيس Memphis .

وحتى بعد تأسيس باسارجاداي Pasargada في بلاد فارس، كل تلك

العواصم نجدها قد احتفظت بالمكان المميز لها في الإمبراطورية الجديدة ولكن بأدوار مختلفة، وبعض تلك الولايات، مثل ممفيس Memphis قد تم تقليل مكانتها إلى مرتبة العاصمة المرزبانية الفرعية (على سبيل المثال دمشق)، وبعض الولايات الأخرى مثل سارديس Sardis في الغرب أو باكترا Bactra في الشرق نجدها تُمثل مراكز للسلطة الفارسية على الأقاليم الأوسع، وإكباتانا Ecbatana وبابليون Babylon وربما صوصا Susaa ، نجدهم قد تحولوا إلى أماكن إقامة ملكية بالمعنى الكامل أثناء حفاظها على دورها كعواصم مرزبانية أيضًا، وفي إكباتانا Ecbatana وفي بابليون Babylon لم تكن هناك سجلات ملكية فقط وكنوز ولكن أيضًا كان هناك مقر واحد أو أكثر حيث يستطيع الملك ورفاقه أن يعيشوا ويقيموا.

وفي غياب الحفريات المنظمة (أو الدلالات والعلامات والآثار) فنحن لا نعرف شيئًا عن القصور الملكية الخاصة بإكباتانا Ecbatana والتي قدم لنا هيرودوت Herodotus وصفًا عنها، والمعلومات الأخيرة التي قدمها لنا بوليبيوس Polybious ، حيث نجد أن هيرودوت Herodotus ينسب بناء وتشييد المدينة إلى الملك دوسوس Deioces والذي قدمه هيرودوت Herodotus على أنه هو مؤسس المملكة الميدية أو مملكة ميديا Media ، ونعلم من ذلك أن بناء العاصمة مفهوم من تأسيس المملكة الميدية، وطبقًا لهيرودوت أيضًا Herodotus ، فإن المدينة قد تطورت ونمت حول القصر، وكانت محاطة بسبعة حوائط أو أسوار ذات ألوان مختلفة، وهي: الأبيض، والأسود، والأزرق، والبنفسجي، والأحمر، والبرتقالي، وكانت هذه الأسوار مزودة بشرفات ذات هياكل فضية وذهبية، وعلى الجانب الآخر، ومن خلال الوصف المُقترح من الفترة الهلينية Helenistic نجد أن بوليبيوس قد سيطر على إكباتانا التي كانت في هذا الوقت بدون تدعيمات أو تحصينات، ونجده قد قام

بالتركيز على بهو القصر الملكي الذي تم تدعيمه بواسطة أعمـدة مـزودة بأطبـاق أو لوحات من الفضة والذهب، وأيضًا ببلاط من الفضة، لكن من غير الممكـن تحديـد ما الذي يعود منها إلى الفترة الميدية من خلال نص آخر، وما هو نـاتج عـن الـعصر الأخميني وما بعده، وبعد ذلك تلك التباديل الهلينية، ولكـن الشيء الأكيـد هـو أن إكباتانا Ecbatana قد استمرت في أن تُصبح واحدة من أفضـل المقـار الملكيـة مـن خلال قصورها وكنوزها وسجلاتها، والمدينة -بالإضافة إلى ذلك- نجـدها قـد شـكلت موقعًا استراتيجيًّا للسلطة، والتي كانت تبحث عن الوصول إلى وسط آسيا، وصـحيح أنه من وراء تلك الادعاءات والافتراضات الخاصـة حـول قـورش (Cyrus) ، فإننـا لا نعرف الكثير عن أي شيء حول قصور بابليون في وقت الغازي أو ابنه .

ومع ذلك، فنحن نعرف أن العديد مـن أمـاكن ومقـار الإقامـة الثانويـة كانـت مزودة بحدائق، وتم بناؤها في بابليون، ونعرف أيضًا أن الملك وابنه قد بقـوا وظلـوا في هـذه القصـور في المناسـبات، وفي موسـوعة السـيروبيديا Cyrapaedia نجـد أن زينوفون Xenophon يخصص موقعًا ومكانًا مركزيًّا في بـابليون مـن أجـل تنظـيم الساحة الإمبريالية، وهذا هو المكان الذي وضع فيه وحدد القـرارات المبدئيـة التـي كانت موجودة مسبقًا بواسطة المنتصر أو الغازي فـيما يتعلـق بـالإدارة الإمبرياليـة، وهـو مـع ذلـك يقـول إن الملـك قضى سـبعة أشـهر في السـنة في بـابليون، والتـي تـم اختيارها عن عمد بسبب موقعها في قلب ومركز الإمبراطورية، وأخـيرًا، وفي الحقيقـة، نجـد أن الحفريـات والآثـار الموجـودة في صوصـا Susa توضـح أن الملـوك العظـماء لم يقوموا بعمل أية مشروعات معمارية أو مدنية قبل نظام حُكم دارا Darius ، وحتـى ذلك الوقـت، فـإن الآثـار الموجـودة في صوصـا Susa تـدل فقـط عـلى تـأمين وصـيانة التقاليـد الثقافيـة الإيلاميـة الجديـدة Neo-Elamites ، وهـذه الملحوظـة تتضـمن

وتشـمل أن صوصـا لم تكـن مقـر إقامـة تحـت حكـم قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses .

قصر وحدائق باسارجاداي Pasargade

في الحقيقة، نجد أن بلاد فارس من المهد إلى اللحد قـد اسـتمرت في أن تشـغل مكانًا مركزيًّا وأساسيًّا تحـت حُكـم قـورش وقمبيـز (Cyrus Cabmysis) ، خاصـة على أساس الخريطة الأيديولوجية، وكان قورش (Cyrus) في فارس عندما قـرر بنـاء عاصمة جديدة وهي باسارجاداي، وهي الواقعة عـلى ارتفـاع حـوالي 1900 مـترًا في سلاسل جبال زاجروس Zagros ، وحوالي 40 كم بُعـدًا أو مسـافة، ويصـف سـترابو Strabo ظروف إنشاء هذه المدينة حيث يقـول: «إن قـورش (Cyrus) قـد احتفـل كثيرًا بباسارجاداي؛ لأنه استطاع غزو أستياج، وقـام هنـاك بـآخر معركـة لـه وجعـل إمبراطورية آسيا تؤول إليه، وقام بتأسيس المدينـة وبتشـييد الـقصر الملـكي كتـذكار ودلالة على انتصاره».

وفي الحقيقة، نجد أن العلاقة بـين السـبب والنتيجـة قـد تـم تأكيـده بواسـطة سترابو من خلال المعارك التي تم الانتصار فيها في باسارجاداي ضـد الميـديين، وعـلى أية حال فإن المناقشات الأثرية الواسعة والدراسـات حـول ذلـك قـد فضـلت اليـوم الذي كان يتلو الانتصار والغزو في سارديس من أجل تأسيس مدينة باسارجاداي .

ومن الجيد أن نتذكر أنه طبقًا لهـيرودوت Herodotus ، كانـت باسـارجاداي هي الأهم والأفضل والأكثر تميزًا بالنسبة للفُرس ومن جانبهم، فهي تشمل وتحتوي على قبلة الأخمينية، وعليه اختيار الموقع الخاص بهذه المدينة، ثم شرحـه وتفسـيره بشكل طبيعي من خلال موقعها ووجودها في الإقليم الخـاص بباسرجـاداي، وطبقًـا للتاريخ الأخميني ومن خلاله، ندرك أن باسارجاداي كانت تُعتبر هي مدينة قـورش (Cyrus) ، وهناك قصران واللذان أطلق علـيهما علـماء الآثـار، الـقصر (p) وتـاريخ

القصر الأول وهو مبنى الإقامة وقد بقى قيد الجدال والذي كان يعتقد أنه يرجع إلى نظام حكم دارا Darius بينما القصر (R) وهو الثاني بلا شك يعود إلى حُكم قورش (Cyrus) ، والإسكندر الأكبر كان يُطلق عليه أحيانًا فيلكورس Philokyros وهو يعني «صديق قورش» قد مكث في باسارجاداي مرتين؛ المرة الأولى في بداية عام 330، والمرة الثانية بعد عودته من الهند، وقد اهتم كثيرًا بالمقبرة الأثرية التي تم دفن مؤسس الإمبراطورية فيها، حيث إن توجهاته السياسية قادته إلى البرهنة على وإثبات إعجابه العام بذكريات قورش (Cyrus) وذاكرته، وهذا يترك لنا مجالاً للإحساس بالتناقض مع ما كتبه وقاله الكُتاب الهلينيون وما أوضحه العمل الأثري حاليًّا والذي يقول بأن حجرة الدفن تم بناؤها في أعلى المنصة الأثرية .

ويؤكد الكُتاب والمؤلفون الكلاسيكيون على أنه كان هناك تخلٍ عن الأشجار المنزرعة (أي لم يقوموا بزراعتها) داخل مساحة الدفن، حيث يقول أرسطوبوليس Aristobulus على لسان آريان Arian إن الحجرة كانت واقعة في الحديقة الملكية أو الخاصة بالقصر الملكي، وقد كان البستان مزروعًا حول هذا القصر، ويشمل كل أنواع الأشجار، ويتم ريه، وهناك حشائش موجودة أيضًا، وقد تم إجراء بعض الحفريات الأثرية في الموقع، وأوضحت هذه الحفريات بالنسبة لكل مباني باسارجاداي أنها كانت كلها مفتوحة على الحدائق، والحديقة الملكية نجد أنها قد تم اكتشافها هناك ولها قنوات صخرية تجري خلال هذه الحدائق، ومميزة بواسطة حمامات السباحة التي يتم تغذيتها بالماء بواسطة نهر بولفار Pulvar الذي يروي السهل، وربما يكون هناك شك بسيط في أن الخطط الأصلية لهذه الحدائق تعود إلى عهد قورش (Cyrus) وتم صيانتها وتأمين وجودها أثناء الفترة الأخمينية بالكامل، وكل القصور الملكية كان يتم تزيينها مثلما تقول باقي المستندات والوثائق البابليونية العديدة والتي هي

من وقت قمبيز Cambyses وتوضح ذلك بلا غموض، والحدائق كانت متكاملة في الفضاء أو المساحة الخاصة بالعصر الأخميني، وكانت تعتبر دائمًا واحدة من أهم مظاهر الثروة والترف الفارسي كما يقول المؤلفون اليونانيون .

بدايات بيرسبولس Persepolis :

ليس فقط في باسارجاداي، يمكننا أن نرى التواصل والاستمرارية من قورش (Cyrus) إلى دارا Darius ، وإنما يمكن أيضًا أن نرى هذا التواصل في برسبوليس التي كان يتم اعتبارها كالعادة مشروع دارا Darius الجديد بالكامل، ففي واحدة من مخطوطاته، نجد دارا Darius يقول إنه قد شيد قلعة هناك والتي لم يوجد لها مثيل من قبل، ومع ذلك فقد وجدت العديد من آثار المباني التي تم اكتشافها على السهل والتي تُشير إلى أن هناك مساحة واسعة تبلغ حوالي 200 هتكارًا كانت قد تم استنفاذها في عملية التمدن هذه قبل بداية حكم دارا Darius بشكل جيد، والتحليل قد أوضح أن هناك في الحقيقة عديدًا من القصور والبوابات الأثرية، وأن الأساليب والفنون المستخدمة في بنائها تشبه تلك الموجودة في مدينة باسارجاداي أكثر من تلك الموجودة في بيرسبوليس، ونحن نضيف أن بعض الآثار الموجودة ربما هي واقعة عن قرب من أثر غير مُنتهٍ وهو عرش «الروستام Rustam » والذي يبدو مُقاربًا لمقبرة قورش (Cyrus) في باسارجاداي Pasargade ، وكان أحيانًا يتم تفسير وشرح النية والمقصد من هذا الأثر غير المكتمل على أنه مكان مقبرة لقمبيز Cambyses ، ومن ثم فإنه يبدو من المعقول استخلاص أن هذه الأشكال والتراكيب ترجع إلى نظم حُكم كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، ويبدو من الأكيد تقريبًا أن الموقع هو ذلك الذي كان يُطلق عليه ميتازيس Metazziz في الألواح الخاصة ببيرسبوليس من وقت دارا Darius ، والعديد من المخطوطات البابليونية أوضحت أن ميتازيس Metazzis كان مركزًا

حضاريًّا نشطًا وفعالاً جدًّا أثناء فترة حُكم قمبيز Cambyses ، وهذه الاكتشافات الحديثة وهذه التحليلات أيضًا نجدها لم تتناول وتهتم بمسألة دوردوريس في إدراك تعقيد وتكوين قصر البروسيولتيان (القصر الخاص ببيرسبوليس)، بل على العكس من ذلك، نجدها قد ساعدتنا في وضع واعتبار ذلك تابعًا للتاريخ الأخميني .

والأشكال الأربعة الموجودة هي كالتالي:

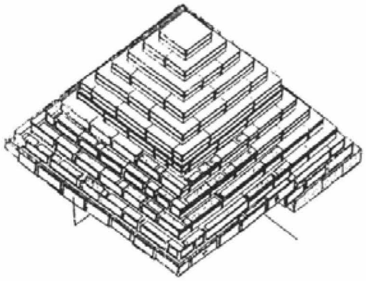
* الشكل الأول : يوضح المقبرة الهرمية الشكل في ساردیس Sardis .

* الشكل الثاني : يوضح مقبرة قورش (Cyrus) .

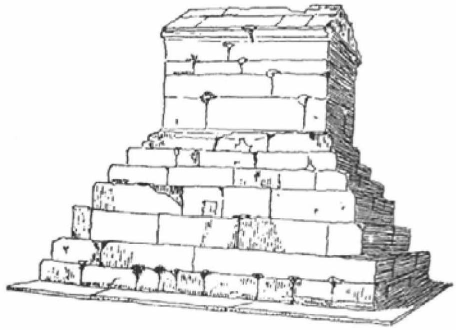
* الشكل الثالث : يوضح مقبرة بوزبار Buzpar .

* الشكل الرابع : يوضح المقبرة الموجودة في تاس كول Tas Kule .

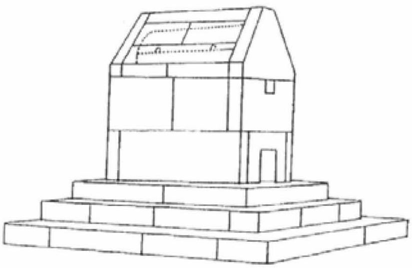
وعندما اختار دارا Darius موقع بيرسبوليس، لم يكن ذلك فقط ليتم تمييزه عن قورش (Cyrus) وذلك من خلال عمله الفعلي الذي قام به في باسارجاداي، ولم يكن ذلك ببساطة لأن في ماتيزيس Matezzis يوجد غريمه الأساسي ذو الأصل الفارسي وهو فايزداتا Vahyazdata ، وإنما اختيار بيرسبوليس قد تم تفسيره بواسطة التطورات الأولية التي جعلت الإقليم حيويًّا ومهمًّا، ومركزًا حضريًّا متصلاً بالمراكز البابليونية، فقد كان أيضًا مركزًا قادرًا على توفير المصادر الأساسية (خصوصًا الأطعمة)، والتي تكون مطلوبة للأعمال المختلفة والمتعددة التي كان يخطط لها الملك ومستشاروه، ونحن نعرف أن -مثل دارا Darius وكسركسيس في بيرسبوليس- أن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قد قاما بتطويع العمال من الأطراف المختلفة للإمبراطورية (خصوصًا من



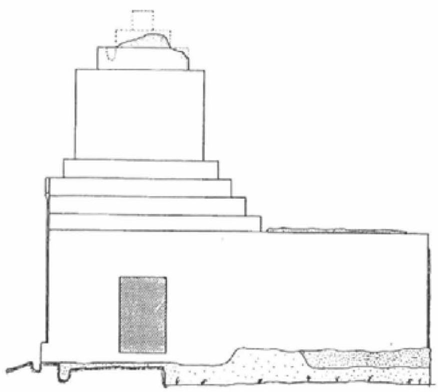
الشكل ١



الشكل ٢



الشكل ٣



الشكل ٤

ليديا)، ونحن نعرف أن هناك نظامًا عقلانيًا كان معمولاً به منذ وقت قورش (Cyrus) ، ومع اعتبار أن هذه حقائق معترف بها، فيبدو من المحتمل -قبل تاريخ اللوح الإيلامي المعروف حديثًا- أن الاقتصاد الملكي المنظم جيدًا بالفعل والخاص بأسلوب إيلام Elamite كان موجودًا في فارس، وأنه قد تمت مراجعته وتحسينه بواسطة دارا Darius وابنه من بعده .

المجتمع الفارسي والإمبراطورية:

إن هذه السياسات الإقليمية تتضمن تعديلات جوهرية وأساسية في أسلوب الحياة الفارسي، وبداية بقورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses على أساس آخر مرحلة من مراحل حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، حيث نجد أن جزءًا من السكان قد استقر حول أماكن الإقامة الملكية، وبعد ذلك تحول إلى النشاط الزراعي، لكن السكان الفرس بالكامل لم يتخلوا عن أسلوب الحياة البدوي أو النصف بدوي حتى بعد ذلك، ونجد أن المصادر الكلاسيكية جعلت من الممكن تحديد المجموعات الفرعية العديدية التي تنتمي إلى «الإثني Ethnos » الفارسي الذي مارس وقام بتطبيق البدوية ذات المدى القصير مع الزراعة المساعدة في الوديان، ومع ذلك، فإن الاتجاه العام للتطور والتنمية يمكن بالكاد أن يكون مشكوكًا فيه، وهذا التطور الذي كان ناتجًا عن سياسة واعية يقوم بها الملك من خلال توافر الثروة والسلطة التي يملكها الفُرس، وذلك من خلال انتصاراتهم وغزواتهم العسكرية .

والعديد من الكتابات والمخطوطات البابليونية من وقت قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya أيضًا قد فسرت تطور الأنشطة التجارية في ميتازيس Matezzis ، وهناك ستة كتابات أو مخطوطات نجدها تُشير إلى شراء العبيد، وثلاثة عقود لدخول المدينة بواسطة مندوبي أو ممثل شركة العمل البابليونية والتي يُطلق عليها إيجيبي Eigibi .

ونجد أن هذه الكتابات أيضًا تتناول التجارة بين بابليون والمقار

الملكية وأيضًا وجود تلك المجتمعات البابليونية في فارس في ذلك الوقت .

وتشير الكتابات أيضًا إلى أن الفُرس كانوا متكاملين بشكل جيد في هذه الشبكات التجارية؛ لأنه في واحدة من هذه الكتابات، كان الفارسي يُطلَق عليه «التاجر الأساسي».

وأخيراً، فإن العديد من العبيد وأصحابهم كانت لديهم أسماء إيرانية، وإذا كانت الأسماء التي يتم إعطاؤها للعبيد هي أسماؤهم، فإنها تُشير إلى أن الفُرس من الطبقة الدنيا كان يمكن أن يكونوا عبيدًا؛ ولذا كانت أسماؤهم مستعارة، وأطلقها عليهم أسيادهم (ساداتهم)، ويجب أن نستنتج أن أسرى الحرب كان يتم أخذهم إلى مارس وبيعهم كعبيد في وقت حكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، وفي كل مرة نجد الصورة المعقدة والمتشابكة والخاصة بالمجتمع الفارسي المستمدة من هذه النصوص مختلفة تمامًا عما يقوله لنا هيرودوت Herodotus ، والذي يقوم ببساطة بالتمييز بين القبائل الزراعية والقبائل البدوية الرعوية وهذه المستندات نفسها أيضًا تسمح لنا بأن توضح وتفهم الإدعاء الخاص بالعديد من الكُتاب أوالمؤلفين اليونانيين والذي يقول بأن الفُرس كانوا جميعًا غير معتادين على مفهوم الأسواق، ولم يقوموا باستخدامها على الإطلاق «أو» لم يطأوا هذه الأسواق؛ لأنهم لم يكن لديهم أي شيء يقومون ببيعه أو شرائه! ونجد أن هيرودوت Herodotus يفترض تحريم الاستدانة باعتبارها واحدة من القواعد الاجتماعية، وهذه القاعدة ربما يكون لها تفسير في المعتقدات الأرستقراطية .

8 - الملكية والسلطة:

الإنابة والتمثيل الملكي والألقاب في باسارجاداي، إذا كان أي شيء يفترض أن بناء وتشييد باسارجاداي كان دليلاً واضحًا على السياسة الحاكمة

أو سياسة الأسرة المالكة، فإنه أيضًا من الصحيح أن الروابط والعلاقات المباشرة بين قورش (Cyrus) وعاصمته الجديدة لم تكن واضحة تمامًا على أساس الأدلة الأثرية المتاحة، وهناك نحت غير كامل موجود في القصر (P) والذي أوضح أن الملك وهو في صُحبة اثنين من خدمه؛ الأول يبدو أنه يحمل الباراسول Parasol (أو المظلة الخفيفة الواقية من الشمس)، ولكن هذه الصورة هي مثل بعض صور النحت الموجودة في بيرسبوليس والتي ربما يرجع تاريخها فقط إلى زمن حُكم دارا Darius .

وهناك تبقى «العبقرية المجنحة المنحوتة على البوابة (R) والتي توضح الرجل الملتحي الذي يرتدي زي الإيلاميين Elamites ، ويرتدي تاجًا مُركبًا من أشكال ذات طابع مصري، وله أربعة أجنحة، ونجد أن الصخرة ذاتها تحوي رسومات ومخطوطات، وهذه العبقرية المجنحة مكتوب عليها نص بسيط يقول: «أنا الملك قورش Cyrus) أخميني)، وهناك العديد من الفروض النظرية التي حاولت تفسير هذا الكلام وهذه الصورة، وكانت هناك تأثيرات مصرية موجودة من خلال «التاج»، ولكن السؤال نفسه هل هذه الصورة بالفعل تنتمي إلى قورش (Cyrus) ؟ -كما هو مُفترض في الغالب- ليس هناك شيئ مؤكد حول ذلك، وفي بعض الأحيان، نجد أن هذا النحت تتم مقارنته بقطعة كتبها هيرودوت Herodotus حول واحد من أحلام قورش (Cyrus) والذي حكاه أو أخبر به لهيستابس Hystaspes وهو أبو دارا Darius ، حيث يقول: «لقد رأيت ابنك الأكبر بزوج من الأجنحة فوق كتفيه، يُغطي أحد جناحيه آسيا ويُغطي الجناح الآخر أوروبا»، وهذا ربما يكون خيالاً حول السلطة أو الهيمنة الفارسية على أقاليم العالم من حيث تنوعها الثقافي العظيم، والصورة الفارسية الملكية الوحيدة التي ترجع إلى ما قبل عصر دارا Darius هي الخاتمة التي كانت لا تزال مستخدمة في عهد دارا Darius في بيرسبوليس، ولكنها بوضوح تعود إلى فترة ما قبل ذلك

بكثير، وفي الحقيقة، نجدها تحكي عن أسطورة «كوارس Kuras » وهو ابن «تيبس Teispes » وهو الشخص الذي كان معروفًا عمومًا على أنه قورش الأول (Cyrus I) ، وهو جد قورش العظيم، بالرغم من أنه لم يكن معروفًا بوضوح على أنه الملك، والصورة تعبر عن مشهد من مشاهد الحرب، حيث نرى في الصورة فارسًا يقوم بالقفز فوق اثنين من المحاربين، واللذين يقعان على الأرض ويجريان، ومهما كان هذا الشخص، فإنه لن يكون هناك شك في أنه كانت هناك القوة الجسمانية والشجاعة في الحرب في مثل هذا الوقت، وحول هذا الموضوع نجد هيرودوت Herodotus يحكي حكايته حول المواجهة الأولى بين قمبيز (Cambysis) وأخيه سميرديس (Simerdis) ، ويُطلق عليه أيضًا بارديا Bardiya وهو الوحيد من بين السلطة الحاكمة الذي استطاع سحب القوس الذي تم إرساله من الملك الأثيوبي، والبداية مع الملوك الأوائل فإن عملية سحب القوس تعني رمز السلطة الملكية، وهذا هو السبب وراء دفن قورش (Cyrus) ومعه أسلحته وأدواته الحربية، وعملية بناء وتشييد المقبرة الخاصة بقورش (Cyrus) في باسارجاداي والتي لها مماثل شديد بالقرب من بيرسبوليس (أي مقبرة أخرى شبيهة) والتي في حد ذاتها أيضًا تتضمن المكانة الاستثنائية للملك في المجتمع الفارسي، والأوصاف الخاصة بمحتويات المقبرة الخاصة بقورش نجدها تؤكد على ذلك، وهنا على سبيل المثال نجد النص الذي قام آريان Arrian بكتابته، وهذا النص يوضح الكم من الترف والبهاء والجلال الخاص بقصر قورش (Cyrus) من حيث ثراء ملابسه ومجوهراته والحلي وسمات الملكية والسلطة .

ولسوء الحظ، يساورنا الشك حول تاريخ تلك المخطوطات الموجودة في مدينة قورش (Cyrus) وهو الشيء الذي جعل من إعادة بناء وتشكيل الألقاب الملكية مشكلة، حيث نجد أنه في بعض هذه المخطوطات، كان يُطلق على قورش (Cyrus) اسم «الملك الأخميني

Achaemenid »، وفي بعض المخطوطات الأخرى، نجده يُطلق عليه اسمًا أو لقبًا ملكيًّا مثل «الملك العظيم» وهو اللقب الذي أوجده دارا Darius ومن تبعوه .

ولكن العديد من هذه المخطوطات نجدها قد تمت كتابتها إلى دارا Darius نفسه، وهو الشيء الذي جعل من الصعب التمييز بين الألقاب الأصلية والخاصة بقورش (Cyrus) وتلك التي قام دارا Darius بمنحها لنفسه بعد ذلك، واللقب الذي ليس هناك مجال للجدل حوله هو لقب «الملك»، ولكن ماذا يعني هذا اللقب بالفعل في فارس في بداية النصف الأول من القرن السادس عشر؟ نحن ليس لدينا اعتقاد واحد غير قابل للشك أو الجدال حوله، أو حتى مخطوطة في باسارجاداي تسمح لنا بمناقشة الموضوعات والأفكار الخاصة بالسلطة الملكية والأيديولوجية المتبعة أثناء عهد قورش (Cyrus) ، وهذه الجملة نجدها لا تتضمن أنه ليس هناك تطورًا في هذا المجال أثناء عهد قورش (Cyrus) خصوصًا بعد فتوحاته، وعلى أي احتمال، فإن نوعًا ما من التطور يجب أن يكون مفترضًا، وبينما نجد أن المؤرخين لا يستطيعون اختيار مصادرهم، فإن الاهتمام مع ذلك يجب أن يكون بالفروض النظرية التي يتم استخلاصها من خلال التفسير والتأويل لهذه الكتابات واختيار الأكثر احتمالاً من حيث واقعيته .

وطبقًا لمستندات بابليون التي يجب أن يتم ذكرها، والألقاب البابليونية المفترضة بواسطة قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) لا يجب أن يتم أخذها في الاعتبار هنا أكثر من الألقاب المصرية التي كان يتبناها قمبيز (Cambysis) في مصر؛ لأنهم لم يكن لديهم شيء يفعلونه حيال تلك الألقاب التي كانت تنتمي إلى السلطة الحاكمة أو الأسرة الملكية التي حكمت في فارس Fars ، وعلى الجانب الآخر، فإن القطعة الموجودة في مذكرات قورش (Cyrus) ممتعة جدًّا، حيث يقول قورش (Cyrus) في

هذه المذكرات على لسانه بأنه: «كان يبدو وكأنه الابن الأكبر لقمبيز Cambyses (I) وقورش (I) وكان تيبس Teispes يطلق عليه ملك آنسان Ansan » وبواسطة هذا اللقب، قام المؤلفون والكُتاب البابليونيون بالإشارة إلى قورش في أحلام نابونيدس Nabonidsus ، وإذا افترضنا أن الكُتاب أو المؤلفين قد اتبعوا تعليمات واضحة من الملك، فنحن نستفيد من هذه الكتابات في أن قورش (Cyrus) مثل من سبقوه، كان مهتمًا بالإعلان بوضوح عن مكانته باعتباره وريث عرش إيلام Elamite في الدولة العظمى بآنسان Ansan ، وتم إطلاق اسم فارس Persia على هذه الدولة (Parsu) ، ولكن كان هناك قدر معقول من السكان ذوي الأصل الإيلامي الذين عاشوا ضمن الفُرس الأصليين، واستخدام اللقب الخاص بملك آنسان لم يكن يعني أنه في بلاد فارس ذاتها، ولم يكن الملوك أنفسهم يحملون لقب «ملك فارس»؛ لأن بعض المستندات البابليونية القليلة في الحقيقة قد استخدمت اللقب الأخير في وصف الملوك، وحتى نكون متأكدين، فإنه لا يوجد مستند من باسارجاداي يذكر هذا اللقب، ولكن بعد ذلك تم استخدامه بواسطة دارا Darius بالصدفة، ويمكن أيضًا ملاحظة أن النسخة البابليونية للمخطوطة الخاصة ببي هيستون Behistun ، نجد فيها أن جوماتا Gaumata مُتهم بالاستخدام المستمر وتقديم نفسه على أنه -كما يقول: «أنا بارزيا Barziya ابن قورش (Cyrus) (نفسه) ملك بارسو Parsu (وبارسو هذه هي فارس) والأخ الأصغر لقمبيز (Cambysis) .

البروتوكول الملكي:

وفي عام 522، وبعد إجراء أوسمرديس أو بارديا Smerdis/Bardiya فإن الأرستقراطيين السبعة الذين قادوا الحدث الذي أدى إلى إيقافه، والذي سجله هيرودوت Herodotus في الجملة التالية: «إن السماح لأي من السبعة بدخول القصر بدون إذن يكون باستثناء واحد وهو «وجود سيدة

في القصر»، أي عندما يكون الملك في مضاجعة مع امرأة أو سيدة موجودة في القصر».

ومن المفروض غالبًا أن هذه الامتيازات في الحقيقة موجودة لبعض العائلات تحت حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، ومع ذلك، فإن الظروف بعينها والخاصة بتنفيذ سمرديس أو بارديا Bardiya تبدو وكأنها تفترض أن أولئك العظماء لم يكونوا مُقيدين بشكل مُطلق بالنظم والقواعد المعمول بها في البروتوكول الملكي، حيث إن حُراس البوابات الخارجية الفيلاكوي (Phylakoi) كانوا يسمحون بدخول الرجال الذين كانوا يعتبرون من البروتوي Protoi ، وأنهم لم يشكوا في أن يقوم أولئك الرجال بعمل أي شيء مثل محاولة الاغتيال» وطبقًا لستسياس Ctesias فإن السبعة قد نجحوا في تعهداتهم فقط لتعاون باجاباتيس Bagapates ، وهو الذي كان يحمل كل المفاتيح التي تؤدي إلى القصر، وهذا الحدث يبدو كأنه يُشير إلى أنه في وقت الملوك الأوائل، كل الأرستقراطيين كانوا خاضعين إلى القواعد والنظم العادية الخاصة بالبروتوكول الملكي، والتي كانت تُنظم وتحكم الدخول إلى داخل القصر الملكي .

وهذه القطعة المكتوبة بواسطة هيرودوت Herodotus ، وفي ظل وجود الموظف الذي يُدعى «الرسول» تشير إلى أن القواعد والنظم الخاصة بالبروتوكول المعروف من خلال التفاصيل الواسعة من الفترة المتأخرة أو في الفترة الأخيرة كانت إجبارية في عهد قمبيز (Cambysis) ، ولكن ما هو الوقت بالضبط الذي كان غير مسموح فيه بالإقتراب من الملك؟ حتى يتم استخدام الكلمة التي تم استخدامها بواسطة العديد من المؤلفين والكُتاب اليونانيين، وفي موسوعة زينوفون Xenophon ، نجده يقدم حامل الكأس وهو ساكس Sacas الذي كان في قصر أستياج وهو المسؤول عن مكتب التقديم والدخول إلى أستياج، حيث يقوم بإدخال

أولئك الذين لديهم أعمال وشؤون مع الملك، والملك قورش (Cyrus) هو الذي جعله مسؤولاً عن تقديم البروتوكول الخاص بالقصر، خصوصًا، البروتوكول الذي يُنظم الدخول وشروط من يكون في صحبة الملك ومن يدخل إليه .

وعلى وجه الدقة، فإن الإطار الخاص بهيرودوت Herodotus يجب أن يتم التعامل معه بحرص، فربما يكون قد استطاع نقل تلك النظم والقواعد التي قد يعرفها من قصور دارا Darius وكسركسيس Xerexes إلى قصر ديوسيس Deioces الأسطوري، والشيء نفسه أيضًا قد ذهب إليه زينوفون Xenophon وهو الذي كان دائمًا ملتزمًا بأي شيء يكون منسوبًا إلى قورش (Cyrus) ، وهو الذي نُسب إليه إيجاد نظام الدولة بالكامل، وأيضًا فإن بناء القصر الملكي والإقامة في باسارجاداي أو أي مكان آخر نجده يتضمن النظم والقواعد التي كان يتم الالتزام بها، وذلك في ظل قورش (Cyrus) ، وأن هذه النظم والقواعد قد قامت بترتيب وتنظيم حياة الملك، وقامت أيضًا بتحديد الالتزامات الخاصة بالملكية والحياة الملكية .

من ملك إلى التالي:

طبقًا لهيرودوت Herodotus فإن العائلة الملكية ذاتها قد أتت من جماعة فرعية كبيرة والتي أُطلق عليها لفظ «فراتري Phratry » الأخمينية، وهو اللفظ اليوناني الذي كان يعني عادة «القبيلة» أو «الجماعة»، ثم قامت هذه القبائل والجماعات بتكوين القبيلة الأوسع التي في داخلها نجد أن هيرودوت Herodotus قد لاحظ ثلاثة أشياء: وهي الباسارجاداي Pasargade والمرافي Maraphii والماسبي Maspii ، ومن بين هذه القبائل الواسعة، نجد أن الباسارجاداي كانوا الأكثر تمييزاً، حيث نجدها تشمل جماعة الأخمينيين والتي منها جاء الملوك الفُرس، حيث كان يُطلق على قورش (Cyrus) اسم «الأخميني» أو Achaemenid ، وبعيدًا عن بعض المعلومات التي تم تأكيدها الآن (ونلاحظ أن الاسم مارافي Maraphi قد

وجـد في لوحـات ومخطوطـات بيرسـبوليس Persepolis فـإن تقـديم هـيرودوت Herodotus أيضًا يُثير شـكوكًا خطـيرة)، وبسـبب الشـكوك التـي تَحـوم حـول دارا Darius وحول تأليف المخطوطات الموجودة في باسارجاداي، فإنـه يبـدو أن اللفـظ «أخميني» قد تم استخدامه مع دارا Darius .

ويبدو من الجيد والأفضـل أن يـتم إزالـة لفـظ الأخمينـي Achemenid مـن المناقشة، وأن يتم الاعتماد على مستند موثوق به بشكل أكـثر، مـثلاً الــ Cylinder والذي فيه يحمل قورش السُلالة لأصل النسب) إلى جده الأكـبر تـيس بـيس Teis Pes ، والذي كان يُطلق عليه «ملك آنسان Asnan »، وهنا لدينا التعبـير البسـيط الذي يُعطي المعنى حول التفسير الملكي أو تفسير السُلالة الحاكمة على أساس حـق الدم.

وظروف وصول قمبيز Cambyses إلى السلطة أيضًا يُشير إلى أن الملك المتـوج يتم إعداده طوال مراحل حياته لهـذا المنصـب حتـى يـتم تأكيـد التواصـل العـائلي واستمرارية السلالة الملكية، ومع إطلاق لقب «ملك بابليون Babylon على قمبيـز Cambyses »، فإن قورش بالفعل قد حدد اختياره بوضوح (أي أن قـورش بالفعـل قد اختاره إلى منصب الملك من بعده)، والنصوص الكلاسيكية بشكل رسـمي تقـول بأن قمبيز Cambyses قد تم تخصيصه ليكون الملك المتـوج بواسـطة والـده وهـو الشيء الذي نجح فيه والده بدون صعوبة، ومع ذلك، فإن مشـكلة الأخـوة الصـغار ربما تظهر في أيـة لحظـة، فـالأخ الأصـغر لقمبيـز Cambyses والـذي نُطلـق عليـه سمرديس وبارديا Samerdis/Bardiya قـد تـم تعويضـه بواسـطة منحـه الإقلـيم الواسـع في آسـيا الوسـطى، وهـو الشيء الـذي جعلـه يوضـح أنـه لا ينـوي الإقامـة والاستقرار في مكان ثان .

وليست هنـاك أيـة إشـارة حـول أي التـزام في أن يتـزوج مـن أفـراد العـائلات الأرستقراطية العظيمة والمعروفة بعينها، وهو الشيء الـذي أكـده قـورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) .

ونحن نعرف أن «الولادة للأب نفسه ولـلأم نفسـها» كانـت منطبقـةً عـلى حالـة قمبيز (Cambysis) وبارديا Bardiya ، حيث كانا هم ثمـرة زواج قـورش (Cyrus) ، وكاسنداني Cassandane وهو ابن فرناسـبس Phrannaspes وقمبيـز Cambyses مثل أبيه ومن سبقوه، كانت لديهم العديد من الزوجات، حيث نجده قد تـزوج مـن فيديمي Phoidime وهي ابنـة أوتـاتر Otanes التـي كانـت بالتأكيـد مـن عائلـة أرستقراطية عالية، حيث إن هـيرودوت Herodotus يُطلـق عليـه أنـه واحـد مـن أكثر أفراد النُبل الفارسي من حيث ثروته، بينما نجد في السجل الملكي، أن فيـديمي Phaidime كانـت فقـط واحـدة مـن زوجـات الملـك، ويبـدو الآن مـن الملحـوظ والضروري أن قمبيـز (Cambysis) أختـه أتوسـا Atossa وهـي ابنـة قـورش (Cyrus) ، وبعد ذلك بفترة قصيرة نجد أن واحدة من أخواته مـن الأب ومـن الأم، قـد تزوجهـا قمبيـز (Cambysis) ، ومـن خـلال هـذه الأمثلـة، نسـتطيع أن نُـدرك سياسة الأسرة المالكة التي كانت مُطبقـة باسـتمرار بواسـطة الأخمينيـة مـن خـلال تاريخهم، وسمح لهـم ذلـك بالطموحـات الملكيـة أكـثر مـن أي عائلـة أرسـتقراطية عظيمة أخرى .

9 - الملك والآلهة:

الدين الفارسي والتقاليد الإيرانية:

إن معلوماتنا حول المعتقدات والأفكار الدينية الفارسية والطقوس والممارسات في وقت قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ضئيلة ومتناقضة بشكل كبير .

ونجـد أن دارا Darius يـتهم جوماتـا Gaumata بتـدمير الآيادانـا Ayadana ، ولكن ليس هنـاك اتفـاق بـين المـؤرخين عـلى تحديـد هـذه الآيادانا وتعريفهـا، هـل هـي كانـت عبـارة عـن أمـاكن مقدسـة خاصـة بالجماعة أو القبيلة أم هي أماكن مقدسة خاصة بالأسرة الملكية أم شـيئًا

ما مختلفًا عن ذلك؟ ونحن ليس لدينا تعريف ملكي يمكن أن يضع حلاً لهذه المشكلة، حتى النتائج الأثرية أو الموجودات الأثرية في باسارجاداي نجدها خاضعة إلى الاحتراس، وأن نكون حذرين عند التعامل معها، وإن تفسير البُرج (والذي كان يُطلق عليه «ذنداي سليمان Zendai Suloiman على أنه معبد لتقديم القرابين من الصعب تصديقه لعدم وجود أدلة تُدعم هذا القول اليوم)، وهناك أيضًا اثنان من قواعد الأعمدة المربعة التي يُعتقد أنها موقع للطقوس الدينية، حيث يستطيع الملك أن يَحيا ويُقدم القرابين، ولكن هذا يُعتبر افتراضًا نظريًّا ينقصه أي تأكيد .

والمشكلة هي أننا لا نعرف الكثير حول الدين الإيراني أو الأديان الأخرى، في النصف الأول من القرن السادس عشر، والوجود التاريخي لزاراسوستر Zarathustra تحت اسم زورستر Zrroaster ، قد تم تسجيله بشكل دائم بواسطة المصادر الكلاسيكية (فيما عدا هيرودوت Herodotus)، وهناك جوانب عديدة لم يتم التأكد منها والتي ما زالت تصف هذه الفترة .

وأيضًا تلك الجوانب التي تتناول الأديان التي كان من المفترض أن يكون لها نبي يقوم بتقديم تعاليمه وإصلاحاته، ولكن هناك شيء من الشك حول المحتوى أو المضمون الفعلي الخاص بهذه الإصلاحات والمصادر المتاحة والمكتوبة فقط، وذلك بعيدًا عن المخطوطات الخاصة بدارا Darius ومن سبقوه، وهي عبارة عن كتب عديدة ومتنوعة من الـ«أفيزتا Avesta » وهو الكتاب الإيراني الفريد، وقد تمت كتابة هذا الكتاب ما بين القرنين الخامس والسابع بعد الميلاد، وهذا الأفزتا نجده مقسمًا إلى ثلاثة أجزاء رئيسة، الجزء الأول هو الياسنا Yasna (وهي طقوس القرابين)، والجزء الثاني وهو الياشت Yashts (وهي الترانيم الخاصة بالإلهيات)، والجزء الثالث الفيديفات Videvdat (وهو خاص بالقانون الذي يتناول الانفصال عن العفاريت أو الشياطين)، والدراسات

الفلسفية والمنطقية أوضحت أنـه داخـل الياسـنا Yasna هنـاك مجموعـة فرعيـة يُطلـق عليهـا الالجاثـا Gatha (وهـي الأغـاني) التـي تعـود إلى أصـل قـديم جـدًّا زارتوسترا Zorathustra قد ذُكر في الجاثا Gatha وأيضًا تم ذكـر علاقتـه بـأهورا-مازدا Ahura-Mazda .

ومن خلال وجهة النظر اللغوية، فإن الجاثا Gatha ضـمن مـن يُطلـق علـيهم الآن الأفغان القديمة، والتي يمكن أن ترجع إلى سنة ألف قبل الميلاد على الأقل، ومن تاريخ وجهة النظـر الدينيـة، نجـد أن هـذا الـنص يسـمح لنـا مبـدئيًّا بإعـادة بنـاء وتشكيل الماذية Mazdiazm في المرحلة التي كانت قبل الأخمينية .

ومع البداية في مقارنة المصادر الأخمينية المكتوبة ومع الأفستا Avesta ، فـإن المؤرخين قد جاهـدوا في الإجابـة عـن السـؤال حـول مـا إذا كـان الأخمينـي زوراس Zoroas أو مازديان Mazdians على وجه الدقة والذي يبدأ من خلال الدين الذي كان سائدًا بواسطة أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، والمشكلة هنا في الدليل الفارسي على نظم حُكم قورش Cyrus وقمبيز Cambyses الذي من الصـعب وبالكـاد أن يسمح بالدخول إلى معتقداتهم (معتقـدات قـورش وقمبيـز Cambyses Cyrus) وإيمانهم بالدين المازدي Mazdian ؛ لأنه قد تم إعادة تشكيله وصياغته من الجاثا Gatha .

والشهادة أو الدليل الخاص بهيرودوت Herodotus ما زال غير واضـح، ومـن جانـب واحـد، فـإن هـيرودوت Herodotus يقـوم بتهلـين (يجعلـه إغريقيًّـا) أيـة معلومة يحصل عليها.

وعلى الجانب الآخر، فإنه يقوم بكتابة ذلك بعد قـرن مـن وفـاة قـورش (Cyrus) ، ومع البداية بمثل هذه المعلومات البسيطة، يبدو من الخطأ نوع ما محاولة إعادة صياغة وتشكيل ماهيـة الـدين الخـاص بقـورش (Cyrus) ، والـبعض الآخـر يعتقـد أن إصرار دارا Darius الثـاني عـلى تأكيـد الأهـورا-

مازدا Ahuraa-Mazda وجعله فوق كل الآلهة الأخرى (الباجا Baaga) وهو الشيء الذي يُشير إلى أنه قد اختلف مع تقاليد ومعتقدات قورش (Cyrus) ، والذي كان بالنسبة له (أي بالنسبة لقورش) ميثرا Mithra هو الإله الأكثر أهمية، وبالضبط فإن الفروض النظرية المقابلة تجعل من قورش (Cyrus) زيلوت زورستيني (أي مؤمن بزوراس Zoroas) مطبقًا لهذه الفروض النظرية، فإن «الزورو العظيم واستمراريته في السلالة الحاكمة يجب أن يتم التأكيد عليه، وذلك أكثر من أي اختلاف بين قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses .

ولكن كل تلك التقارير والتأويلات يبدو أنها مبنية فوق الرمال، فكيف نقوم في الحقيقة بمقارنة معتقدات كل من قورش (Cyrus) ودارا Darius ، حيث إن الأول وهو قورش (Cyrus) لم يتحدث عن ذلك مطلقًا، والثاني وهو دارا Darius قد ترك الرسائل المتأزمة لمعاصريه وللأجيال التي تأتي؟ والإشارة الوحيدة التي هي في صالح ميثرا Mithra ، وهي بناء وتأسيس قرابين للخيول حول مقبرة قورش (Cyrus) ، وتبعًا للتقاليد الإيرانية فإن القرابين دائمًا ما تكون مرتبطة بالفرقة الدينية لميثرا Mithra .

مقبرة قورش (Cyrus) وأساليب الجنازة الفارسية:

في الحقيقة، يوجد وجه واحد خاص بالدين الذي كان يتبعه كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses والذي تم توثيقه، وهذا الجانب هو عادات وطقوس الجنائز، فقورش Cyrus تم دفنه في مقبرة بناها أثناء حياته في باسارجاداي Pasargade ، ونجد أن أريان Arrian يقدم لنا وصفًا دقيقًا لحجرة الدفن، طبقًا لمعلوماته، فإن قورش (Cyrus) قد تم وضعه في لاحم ذهبي، وطبقًا لكوينتيس كورتيس Quintus Curtius فإن الملك تم دفنه ومعه أسلحته، ونجد أن الإسكندر في الحقيقة قد اكتشف درع الملك، واثنين من أقواسه .

وعليك في البداية أن تُلاحظ أن أسلوب الدفن الخاص بقورش (Cyrus) (ومن سبقوه) لم يكن متطابقًا مع قواعد وتعاليم الأفستا Avesta ، حيث إن النواح والعويل، طبقًا لهيرودوت Herodotus ، قد صاحب وفاة قمبيز Cambyses والأرستقراطيين من الفُرس .

وأيضًا فإن الممارسات الفارسية تختلف عن العادات التي كانت مُتبعة بشكل جيد في إيران الشرقية حتى نهاية الفترة الأخمينية (وبعد ذلك)، وتلك العادات كانت تتطلب التعرض للحيوانات التي ربما تلتهم الأجساد وتُترك العظام، ويقول هيرودوت Herodotus حول هذه الطقوس الجنائزية والخاصة بالدفن، أن «الرجل الفارسي أو الذكر من الفرس لا يتم دفنه أبدًا حتى يتم تمزيق جسده بواسطة طائر أو كلب».

بينما نجد الكتابات المحفوظة بواسطة المؤلف نفسه وأيضًا المقطوعة التي كتبها سترابو Strabo ، يوضحان أن الجُثمان الـ«ماجي Magi » «لا يتم دفنه إلا بعد تمزيقه بواسطة الطيور والكلاب، وأيضًا الكتابات الخاصة ببلوتارخ Plutarch وهيرودوت Herodotus أيضًا يقول بأن تمزيق الجسد كان يُعتبر أسلوبًا تقليديًا فيما بين الفُرس، وأيضًا تحقير أي شخص يكون موضحًا بواسطة العقاب الذي يتم إنزاله وإلحاقه بأي شخص يحاول إصابة الملك بأي أذى في حياته، حيث يقول «إن ذلك الشخص يتم قطع رأسه وذراعيه، ويتم إلقاء جسده إلى الوحوش حتى تأكله»، بل والأكثر من ذلك، أن هناك قطعة مكتوبة بواسطة ستيسياس Ctesias والتي تُشير إلى أن إحراق جسد المتوفي كان خلاف الأسلوب المُتبع فيما بين الفُرس، وهذا المنع الخاص بإحراق جسد المتوفي قد تم التأكيد عليه بواسطة سترابو Strabo .

وفوق ذلك، فإن هناك العديد من النصوص التي تتناول أسلوب التحضير الخاص بالمتوفي، حيث نجد أنه بعد معركة إيسوس Issus قام الإسكندر بإعطاء إذن لوالدة دارا Darius أن تقوم بدفن من توفي وذلك طبقًا

لتقاليد دولتها، ولذلك فإنها قامت باختيار عدد صغير من الأقارب المقربين منها بشكل خاص، وعلى جانب من موقفها هذا، وكانت هناك المواكب العظيمة الخاصة بالجنائز والتي كان بواسطتها ومن خلالها يحتفل الفُرس بآخر طقوس وداع المتوفي عندما كان المنتصرون من المقدونيين يتم حرق جثثهم بأسلوب غير مُكلف وبسيط، وبعد وفاة أرتاكسركسيس Artachaees ، وهو الذي كان مسؤولاً عن حفر القنال في آثوس Athos ، قام كسركسيس Xerxes بإعطاء أوامره بحمله ودفنه في موكب عظيم والاحتفال به، حيث ساعد الجيش بالكامل في رفع الركام عن قبره، وهذا يُكرر الأسلوب الذي ذكره هيرودوت Herodotus بالفعل، فيما بين شعب إيراني آخر، والذين يُطلق عليهم «سكيزيانز Scythians حيث إن كل شخص كان لديه حماس عظيم في رفع الركام عن القبر، وكل يتنافس مع جاره في عمل هذا القبر واسعًا قدر الإمكان، بينما نجد أن الدليل الأثري على ذلك يبقى غير واضح ففي صوصا Susa ، نجد أن الدفن الأخميني والذي يعود إلى بداية القرن الرابع الذي يتم اكتشافه، حيث إن جسد المرأة يتم وضعه في تابوت برونزي، وبه العديد من المجوهرات التي تنتمي إلى هذه المرأة بالإضافة إلى العديد من الفازات المصرية»، والشيء الماثل أيضًا قد وُجد في سوريا وذلك على بُعد مسافة صغيرة من كارشميس Carchemish ، والتي توجد بها المقابر الأولى التي تعود إلى القرن الثامن، وفي هذه السيمترية أو هذه المقابر تشهد على التغير في أسلوب الدفن عنه في الفترة الأخمينية».

القرابين حول مقبرة قورش:

يكتب ستيسياس Ctesias قائلاً «إنه مباشرة بعد وفاته، قام قمبيز Cambyses بإعادة جسد والده إلى فارس، وقام بإعطاء أوامره بدفن والده كما كان يتمنى (أبو هو قورش)، وبالرغم من أن أسلوب التعبير الذي استخدمه ستيسياس هو عام، إلا أنه من غير الصحيح أن يتم

ربط ذلك مع ما كتبه آريان Arrian حول القرابين والذبائح التي كان يتم عملها حول المقبرة منذ وقت حُكم قمبيز Cambyses حيث يقول أريان في ذلك: «وبجوار المقبرة ذاتها، يكون هناك مبنى صغير يتم وضعه، وذلك للمجوس الذين كانوا يحرسون مقبرة الملك قورش (Cyrus) ، حيث إن ابن الملك قورش وهو قمبيز Cambyses كان يُعطيهم خروفًا كل يوم وقدرًا من النبيذ واللحم، ويُعطيهم حصانًا كل شهر من أجل التضحية وتقديم القرابين للملك قورش (Cyrus) .

ونجد أن النص الخاص بآريان مفهوم تمامًا، وذلك في ضوء اللوحات التي تأتي من بيرسبوليس Persepolis ، حيث توجد واحدة من هذه اللوحات التي يُطلق عليها المجموعة e (وهي حوالي 40 لوحة) تشمل معلومات كمية حول المواد التي يتم توزيعها على المُتعهدين من الديانات المختلفة الإيرانية، الإيلامية، والبابليونية، وهذه المواد كانت مستهدفة من أجل التضحيات والقرابين، وهناك مجموعة أخرى من هذه اللوحات التي يُطلق عليها المجموعة (ك1) والتي تشمل 35 لوحة، وتشتمل تلك المجموعة على مجموعة المؤن التي يتم توزيعها بواسطة الإدارة الملكية أو إدارة القصر للمتعهدين باعتبارها نظير خدماتهم، وحتى بالرغم من أن الألواح الخاصة ببيرسبوليس Persepolis ، هي بعد تلك الألواح الخاصة بقمبيز Cambyses ، فإنه يبدو من الواضح أن المعلومات التي تم تقديمها بواسطة آريان Arrian نجدها تتبادل لحدٍ ما وبشكل قريب مع ما يمكن تحديده من اللوحات، حيث إن الكهنة كانوا يقومون بتقديم هذه القرابين عند مقبرة قورش (Cyrus) ، ويحصلون على المؤن لأنفسهم حيث يحصلون على خروف كل يوم، ويحصلون على نبيذ ودقيق، وأيضًا حصان كل شهر وذلك للقرابين»، وفي الألواح البريسبوليسية Perspolis ، نجد أن المؤن التي يتم تقديمها بواسطة الإدارة المسؤولة عن القصر كانت تتكون من الأصناف التالية: الدقيق (12 مرة)، والبيرة (11 مرة)، والنبيذ

(6 مرات)، والغلال (4 مرات)، والبلح (مرة واحدة)، والتين (مرة واحدة)، ونحن نجد أكثر أو أقل من هذه الأنواع والأصناف نفسها، والمستهدفة إلى القرابين ذاتها مثل (الغلال 23 مرة)، والنبيذ (14 مرة)، والدقيق (مرتان)، والبيرة (مرة واحدة)، والخراف يتم تقديمها مرة واحدة، ونحن ربما نُلاحظ أن المتعهدين لا يحصلون أبدًا على اللحوم في المؤن التي يتم تقديمها لهم بشكل يومي أو شهري، وفي هذا الإطار، فإن كهنة مقبرة قورش (Cyrush) يكونون هم المفضلين، والكميات أيضًا بكثرة غير عادية، حيث يكون هناك أكثر من 360 خروفًا في السنة، وبالفعل نحن لا نعرف عدد الـ Magi التي كانت مُشتملة في هذه القرابين .

والقرابين الخاصة بالخيول لم يتم تسجيلها على الإطلاق في هذه الألواح، وقد كانت بشكل واضح أسلوبًا شاذًا، وفي قطعة مكتوبة بواسطة زينوفون Xenophon في السيروبيديا Cyropedia ، يقول إن الخيول كان يتم تقديمها كقرابين وذبائح للشمس أثناء الأعياد بشكل دوري، وهي الأعياد التي كان يتم انعقادها بواسطة ملك فارس، وهنا، يبدو بشكل غالب أن الشمس هي ميثرا أو الإلهة ميثرا Mithra ، وطبقًا لسترابو Strabo فإن مرزبان أرمينيا كان عليه أن يقوم بإرسال عشرين ألفًا من المُهر (أنثى الحصان) لأعياد ميثرا Mithra التي كان يُطلق عليها ميثراكانا Mithrakana كل عام، والماجي Magi كانت تقوم بالتضحية بالخيول البيضاء في عام 480، والعلاقة بين الملك والخيول البيضاء التي كان يُطلق عليها «الخيول المُقدسة» كانت تأتي من مزارع ميديا في سهول نيسا Nisaea والتي كانت أيضًا مذكورة وموجودة، وطبقًا لهيرودوت Herodotus بعد أن قام قورش (Cyrus) بالتحرك؛ ليُهاجم ويغزو بابليون، فإن واحدًا من الخيول المقدسة (البيضاء) قد ذهب ليعبر النهر، بينما قام النهر بأخذه في تياره السريع والمتدفق، وهو ما جعل

قورش (Cyrus) يقوم بتحويل مجرى النهر إلى 360 قناة، ومن خلال ذلك، نحن ربما نفترض أن هذا الحصان كان واحدًا من تلك الخيول التي كان يتعهد الماجي Magi بإرسالها كل شهر؛ لتقديم القربان عند مقبرة الملك قورش (Cyrus) .

وأخيراً، فإن حراسة المقبرة وأداء القرابين كانت مسؤولية الماجي Magi ، حيث ظهر أيضًا عدد قليل من المؤسسات التي تم النقاش من خلالها حول مسؤولية تقديم القرابين، والسبب وراء ذلك ربما يكون المصادر الكلاسيكية التي كانت مختلطة بشكل كبير واللفظ الخاص بـ Magi ، والذي استخدمه هيرودوت Herodotus يُشير بشكل أساسي إلى واحدة من القبائل الموجودة في ميديا Media ، وربما هي القبائل التي أُطلق عليها هيرودوت Herodotus ودارا Darius في سمرديس/ جوماتا Saamerdis/ Gaumata اسم ماجوس Magus الميدي، بينما نجد في السياق الفارسي أن كلمة ماجوس Magus تعني بشكل أساسي «حاضر الطقوس» أو الشخص الذي يُحضر الطقوس، والنص الخاص بآريان Arrian أيضًا يوضح أن مكانة ووضع الماجوس Magus ينتقل من الأب إلى الابن، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يبدو من الأكيد أنه منذ وقت حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses كان بعض هؤلاء المجوس (Magi) دائمًا في بطانة أو حاشية الملوك، وطبقًا لبليني Pliny فإن الماجي Magi هو الذي نصح ببناء مقبرة قورش (Cyrus) وتوجيهها ناحية الشرق، وأيضًا كان الماجي معروفًا في كتابات الإغريق واليونانيين، وكان هناك المانتيا Manteia الذين كانوا أيضًا معروفين في الكتابات اليونانية، حيث كانت مهمتهم هي تفسير الأحلام الخاصة بالملك .

وحتى نقوم بعمل تلخيص واستنتاج مما سبق، فإن القرابن الجنائزية والخاصة بالدفن كان يتم القيام بها بشكل مُنتظم عند مقبرة قورش (Cyrus) هو ما يُشكل ويُقدم مثالاً غير قابل للجدال والنزاع، وهو المثال الذي

يوضح دِين الدولة الذي كان متبعًا قبل دارا Darius ، ويبدو من الواضح أنه في عيون الملك قورش (Cyrus) ، فإن تأسيس وتشييد المقبرة في المدينة التي قام بتأسيسها يرمز إلى السياسة الخاصة بالأسرة الحاكمة، ويقدم لنا عاملاً أساسيًّا خاصًّا بها، وعندما يقوم أتباع قورش بعمل القرابين نفسها والحفاظ عليها، فإن ذلك بسبب أنهم يتمنون ويرغبون في الاستفادة من شهرة قورش (Cyrus) ، والحالة نفسها أيضًا خاصة بقمبيز Cambyses .

وهو الشيء الذي لا يُشكل مُشكلة، حيث إن قورش (Cyrus) هو الممثل الوحيد للأسرة المالكة، والذي يُمكن أن يُقال عنه بالتأكيد أنه قد تم دفنه في مقبرة تم بناؤها فوق الأرض، وبداية من دارا Darius ، فإن الملوك قد اختاروا المقابر التي كانت محفورة في الطابق الأرضي أو منحدر تاكي روستام Naqsi-I Rustam .

10- اغتصاب العرش بواسطة بارديا Bardiya :

سمعة قمبيز (Cambysis):

والوقت قد حان الآن لمعرفة ظروف وفاة قمبيز Cambyses وفي هذا الصدد، يكون من المهم التركيز جيدًا منذ البداية والاعتماد أساسًا على المصادر الكلاسيكية، خصوصًا هيرودوت Herodotus ، وهو الذي قد صور صورة سلبية بشكل مقصور على قمبيز Cambyses ، فالتناقض بين قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses فكرة مؤكدة في المصادر الكلاسيكية، ونحن يجب أن نعود إلى هيرودوت Herodotus ، فهو يقوم بشرح العلاقات المتوترة التي بدأت تظهر بين قمبيز Cambyses وبين بطانته أو حاشيته في حملته على مصر، فلم يكن المصريون هم الضحايا فقط لجنون الملك قمبيز Cambyses .

حيث إنه -طبقًا لهيرودوت Herodotus - قد تسبب في وفاة أخيه سمرديس Smardis ، وبعد ذلك ونتيجة غضبه الشديد، كان

قمبيز Cambyses هو السبب في وفاة أخته وزوجته عندما كانت حـاملاً حيـث لم يكن أقاربه المقربين منه بشكل كبير هم فقط ضحاياه، فهو أيضًا قد تسبب في وفاة ابن بريكساسبس Prexaspes وهو حامل كأسه بواسطة سهم.

وفي مناسبة أخرى نجد الملك قمبيز Cambyses يقوم بالقبض على اثنى عشر فارسًا من أعلى الرتب (والـذين يُطلـق علـيهم البروتـوي Protoi)، وقـام بـدفنهم أحياء نتيجة تهمة باطلة، وجعل رؤوسهم عند الدفن إلى الأسفل، وأيضًـا كروسـوس Croesus كان من أولئك الذين عانوا من جنون الملك قمبيـز Cambyses ، حيـث يُضيف هيرودوت Herodotus بدون تفاصيل قائلاً إن: «كل أولئك يُعتبرون مجرد عينة مما قام به قمبيز Cambyses ، وأمثلـة عـلى المعاملـة التـي كـان يقـوم بهـا قمبيز Cambyses مع الفُرس وحلفائه أثناء إقامته في ممفيس Memphis .

وربما كانت تلك إشارة إلى الفعل الوقح والقاسي بشكل خاص الذي قام به مـع القاضي الملكي الخـاص بـالقصر، والـذي كـان يُـدعى سيسـمانز Sismanes ، حيـث يقول هيرودوت Herodotus : «لقد قام بتقطيع جلده وتمزيقه، وقـام بوضـعه في قماش، وتم تمديده عبر الكرسي والمقعد الذي كان يستخدمه هذا القاضي، ويجلـس عليه في القصر، ثم قام بتعيين ابنه أوتانز Otanes قاضيًا في مكانه، وأنه قال لـه لا تنسَ من أي شيء صُنع هذا الكرسي الذي تجلس عليه حتى تتذكر ما حدث للقاضي الذي كان قبلك عندما تقوم بإصدار أحكامك».

والمعلومات التي قدمها هـيرودوت Herodotus تحتـاج بـالضرورة إلى أن يـتم أخـذها حرفيًا وفهم معانيها جيدًا، وتحتـاج إلى تفسـيرات حتـى يـتم التوصـل للحقـائق، وهـو نفسـه يقف في الخلف وهو يخفي وراءه من أخبره بذلك، وبالتالي فإن هناك رغبة في تقديم العديـد من النسخ اليونانية والمصرية حول وفاة أخـت الملـك، بـل والأكـثر مـن ذلـك فإنـه يبـدو مـن

الأكيد تقريبًا أن قصة قتل سمرديس Smerdis هي اختلاق أو مجرد أكذوبة، ومرة أخرى بعد ذلك، فإن قصة التعذيب التي لحقت بالاثني عشر فارسًا من الفُرس الأرستقراطيين لا يمكن تصديقها في حد ذاتها، وفي أي مكان آخر، يقوم هيرودوت Herodotus بذكر أنه في عام 480 وفي القصر الذي يُطلق عليه قصر الطرق التسعة Nine Roads في ثراس Thrace فإن الفُرس قد أخذوا الرقم نفسه من الشبان والشابات من الدولة حتى يتم دفنهم أحياء في الظلام نفسه، ويُضيف هيرودوت Herodotus قائلاً إن «دفن الناس أحياء» هو عادة فارسية، وأنا أفهم أن زوجة كسركسيس Xerxes التي يُطلق عليها أمستريس Amestris قامت بعمل ذلك مع أربعة عشر صبيًا فارسيًا من العائلات المميزة التي يُطلق عليها (إيبي فانز Epiphaneis) على أساس أنهم هدية، والتي يتمني من الإله المفترض للعالم السُفلي أن يقوم بقبولها بدلاً من نفسها، وإذا رفضنا الشرح والتفسير الأخلاقي لسلوك قمبيز Cambyses الذي يتسم «بالجنون» و«القسوة»، فنحن ربما ندرك أنه كان يُعادي العائلات العظيمة والكبيرة الموجود آنذاك من أجل المحافظة على العرش لنفسه ولمن يتبقَّ من عائلته وأولاده وأحفاده .

وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن قمبيز Cambyses توفي في سوريا بعد فترة قصيرة من استلام رسالة من الرسول الذي تم إرساله بواسطة مغتصب العرش والذي كان قد استولى على السلطة في فارس باسم أخيه سمرديس، ومهما كانت الحقائق، فإنه يجب التأكيد على أن هيرودوت Herodotus في هذه النقطة قد قام مرة أخرى بإيضاح بعض الاختلافات الخطيرة بين الملك وكثير من الفُرس مرموقي المقام وهم الذين كانوا بحضرته، فقد كان الفُرس يعتقدون أن سمرديس - وهو ابن قورش (Cyrus) وأخو قمبيز Cambyses - هو الذي قام بجعل نفسه ملكًا، واستولى على عرش قمبيز Cambyses ، حيث إن هيرودوت Herodotus يقول بأن الفُرس كانوا يعتبرون قمبيز Cambyses أحمقًا ومتهورًا ومُهملاً

في كل شؤونه، «وأيضًا» نجد هيرودوت Herodotus يقوم بتسجيل رأي أوتانز Otanes وهو واحد من المتآمرين في عام 522، والذي يتهم قمبيز Cambyses بكونه متجبراً بسلطته ومتغطرسًا».

سمرديس Smerdis ، تانيوكراس Tanyoxarces ، وميرجيز Mergis ، ماردوس Mardos :

في حكايته حول قمبيز Cambyses ، نجد أن هيرودوت Herodotus يعود مرات عديدة إلى قضية سمرديس وهو أخو الملك «والذي وُلد من أم قمبيز Cambyses نفسها»، وهذا الشخص قد تم إعطاؤه أو إطلاق العديد من الألقاب والأسماء عليه -كما تقول المصادر اليونانية- وهذه الألقاب هي (تانيوكراس أو Tanyoxarces ، تانوكس Tanoxares ، ميرجين Mergis ، ماردوس Mardos والمخطوطة البيهوستية (منسوبه إلى البيهوستينيين) والألواح البابليونية تخبرنا عن الاسم الخاص ببارديا Bardiya (وكان اسمه بارزيا Barziya في الألواح البابليونية) .

وهناك بعض الأحداث البسيطة في التاريخ الأخميني التي تثير العديد من الأسئلة أو تُثير جدلاً واسعًا حول الفترة التي كانت بين خلع قمبيز Cambyses وقدوم دارا Darius ، وتحليل ذلك هو شيء مهم جدًّا؛ لأنه يسمح لنا بالتقييم الحريص جدًّا لجوانب الضعف والقوة الخاصة بالإمبراطورية في نهاية فترة حُكم قمبيز Cambysis .

وفي نسخته المُسجلة بواسطة هيرودوت Herodotus ، نجد أن بريسكاسب Prexapes يحكم على سمرديس بالموت بناءً على أوامر من قمبيز Cambyses بعد عودة أخيه من مصر إلى فارس، حيث كان قمبيز Cambyses في الحقيقة قلقًا لأنه كان قد رأى حُلمًا بأن أخيه سمرديس Smerdis قد جلس على العرش الملكي، وبعد ذلك كان هناك اثنان من الماجي Magi الذين كانوا إخوة، وقد استفادوا من الحقيقة الخاصة بأن سمرديس قد تم قتله، وهو السر الذي كان محتفظًا به، وأن

الغالبية العُظمى من الفرس كانوا يعتقدون أن سمرديس ما يزال حيًا، ولـذلك فقـد قام الـ Magi الاثنان بالتمرد على قمبيز Cambyses ، وواحد منهم والـذي يُـدعى باثيزيس Pathizeithes الذي كان محط ثقةً قمبيز Cambyses قام بوضع أخيـه فوق العرش بواسطة رعاية عائلته ومساندتها إياه في هذا، وهذا الأخ لم يُطلق عليه سمرديس فقط إنما كان أيضًا يشبه سمرديس (أخو قمبيز Cambyses) في الهيئـة والشكل، ومن خلال ذلـك نجـده قـد قـام بحُكـم الفُـرس تحـت اسـم أخـو قمبيـز Cambyses وفي مكانه، حتى قامت ثـورة الأرسـتقراطيين ومـؤامراتهم ونجحـت في إزالته من السلطة، وقامت بإحضار دارا Darius إلى الحكم.

وهناك العديد من المؤلفين الكلاسيكيين الذين تناولوا العديـد مـن المناقشـات حـول هـذه الأحـداث، وبالإضـافة إلى الوصـف المخـتصر لمـاردوس Mardus في إيشيلوس Aechylus فإن اثنين من الكُتاب والمؤلفين قد أعطـوا وقـدموا حسـابات أكثر أو أقل حول عمليـة اغتصـاب السـلطة، حيـث نجـد أنـه بالنسـبة لستيسـياس Ctesias ، كـان الاخـتلاف بـين قمبيـز Cambyses وأخيـه تانيوكسـارس/ باراديـا Tanyoxarces Bardiya قد ظهر نتيجة للنزاع بين تانيوكسارس والمجوسي الـذي كـان يُـدعى سـفين داداتـس Sphendadates والـذي اتهـم سـيده، وبعـد العديـد مـن المحاولات غير المُثمـرة، نجـح قمبيـز Cambyses في إحضـار تانيوكسـارس إلى الـقصر وقام بقتله، ونجد أن المجوسي والذي كان يطلق عليه سفن داداتس قد أخذ مكان أخو الملك، واستفاد من التشابه الجسماني الخارق للعادة، ولمدة خمس سـنوات اسـتطاع أن يشـغل منصـب مرزبـان بـاكترا Bactria ، وهـي الوظيفـة التـي شـغلها مـن قبلـه تانيوكسارس، وكان من بين أهل الثقة من حاشية الملـك، مـن يُطلـق علـيهم أرتاسـيرس Artasyras ، باجـابيتس Bagapates وإيزابـاتس Izabates ، حيـث نجـد أن الاثـنـين (الأول والثاني) قد وضعا سفن داداتس Sphendadates عـلى العـرش، بيـنما نجـد أن

الثالث وهو إيزاباتس Izabates والذي كان معهودًا إليه بنقل جثمان قمبيز Cambyses إلى فارس، قد قاوم هذه الفعلة، ولكن مع نجاحها تم الحُكم عليه بالموت .

والرواية الخاصة بجوستين Justin نجدها تتوافق بشكل قريب مع تلك الخاصة بهيرودوت Herodotus ، ولكن هناك بعض الاختلافات، فالرواية الأولى تأخذ في حساباتها الحكم الخاص بقمبيز Cambyses في مصر، وتضيف إلى ذلك أن قمبيز Cambyses قد أعطى أوامره إلى كوميتس Cometes الذي كان المجوس Magus من بين أصدقائه (أي كان يدعى ذلك فيما بينهم) ليقوم بقتل ميرجيس/ أو سمرديس Mergis/Smedis ، وبدون الانتظار حتى تتم معرفة وفاة قمبيز Cambyses ، نجد أن كوميتس Cometes قام باغتيال فيرجيس، وقام بذلك بمساعدة أخيه أوروباستس Oropastes الذي أصبح بعد ذلك الملك، وقد نجح هذا المزور؛ لأنه كان يشبه وجه وهيئة أخو قمبيز Cambyses الذي يُدعى ميرجيس/سمرديس كدرجة كبيرة .

وبواسطة هذه المقارنة، نستطيع أن نرى أن كل تلك الروايات تتفق على شيء واحد من كل هذه الأشياء العديدة وهي قتل سمرديس (الذي كان يُطلق عليه تانيوكسارس Tanyoxarces ، أو ميرجيتس Mergis أو بارديا (Bardiya) ، وذلك بأمر أخيه قمبيز Cambyses ، واستبداله بواسطة المجوسي (والذي كان يُطلق عليه سمرديس Smardis)، أو سفن داداتس Sphendadates أو أوروباستس Oropastes ، والتشابه الطبيعي الجسماني بين المجوس Magus وبارديا Bardiya جعل من الممكن الاحتفاظ بسر القتل بعيدًا عن أي شخص، بينما نجد هناك تناقضات في التفاصيل وهي واضحة، فالبعض الخاص بهذه التفاصيل نجده يُفسد منطق هذه القصة .

ففي حالة ستيسياس Cetsias على سبيل المثال، نجد أن دور

بريكساسبس Prexaopes بواسطة أيزاباتس Izabates ، وليس هناك أي اشتراك بواسطة الماجي Magi الاثنين، والخطة قد حدثت كخطوة مبدئية لاثنين من الأفراد ذوي المكانة الرفيعة في القصر -من بطانة الملك- وهما باجاباتيس Bagapates وأرتاسيرس Artasyras ، وهما اللذين قررا إحضار المجوسي سفن داداتس Sphendadates إلى السلطة، وأيضًا الاختلافات المنطقية المتزامنة واضحة بشكل جلي، حيث إن ستيسياس Ctesias يضع حادث القتل الخاص ببارديا Bardiya خمس مرات قبل الاستيلاء على السلطة واغتصاب العرش، بينما نجد أن هيرودوت Herodotus يقوم بوضع وفاة بارديا Bardiya ثم بعد ذلك حادث اغتصاب العرش بواسطة سمرديس Smardis أثناء حملة قمبيز Cambyses على مصر، بينما نجد أن جوستين Justin يقول بأن الحدثين وقعا بعد وفاة قمبيز Cambyses .

دارا (Darius) ، بارديا Bardiy ، جوماتو Gaumata

بعد انتصاراته على المغتصبين والمتمردين، قام دارا Darius برواية الأحداث التي أدت إلى انتصاره من وجهة نظره هو حيث نجده يقول ويروي التفاصيل كالتالي: «ابن قورش (Cyrus) ، اسمه قمبيز Cambyses وذلك في عائلتنا كان هو الملك، وقد كان لقمبيز Cambyses أخ يُطلق عليه بارديا Bardiya وهو أخوه من الأب والأم نفسيهما، ولم يكن بارديا Bardiya معروفًا للشعب مثل قمبيز Cambyses ، وبعد ذلك ذهب قمبيز Cambyses إلى مصر، وعندما غادر قمبيز Cambyses إلى مصر، أصبح الشعب بعد ذلك شريرًا، وبعد ذلك كان هناك رجل يراقب أحداث التمرد في فارس وفي ميديا وفي أقاليم أخرى، وكان اسمه جوماتا Gaumata ، حيث قام بالتمرد من بيسي بافادا Paisiyauvoda وخداع وكذب على الشعب عندما قال لهم «أنا بارديا Bardiya » ابن قورش وأخو قمبيز Cambyses ، وبعد ذلك أصبح كل الشعب متمردًا على قمبيز Cambyses في فارس وفي ميديا وفي كل الأقاليم، وحصل على مُلك المملكة، وبعد ذلك توفي قمبيز Cambyses .

وأيضًا دوريس تحدث عن عدم شرعية المغتصب الذي استولى على مُلك المملكة، حيث يقول «إن هذا ينتمي منذ البداية إلى المسار الذي نتبعه» وفي ظل عدم استجابة من السكان، يقول دارا Darius : «لم يكن هناك رجل ولا فارس ولا ميدي ولا أي شخص من عائلتنا يعتقد أن جوماتا يمكن أن يُحرم من المملكة، ولكن الشعب كان يخافه كثيرًا (معتقدين) أنه ربما يقوم بقتل العديد من الناس الذين كانوا يعرفونه من قبل على أنه بارديا Bardiya ؛ ولهذا السبب فإنه سوف يقتل هؤلاء الناس إلا إذا عرفوا بأنني لست بارديا Bardiya ابن قورش Cyrus ، ولم يجرؤ أي شخص على أن يقول شيئًا عن جوماتا Gaumata حتى أتيت...».

ونحن نرى بشكل مباشر أن رواية هيرودوت Herodotus تتفق مع جُمل دارا Darius في النقاط الأساسية، خصوصًا في أن المتمرد هو المجوسي Magus الذي تقمص هوية وشخصية بارديا Bardiya سمرديس أخو قمبيز Cambyses ، وفي أن قمبيز Cambyses كان مسؤولاً عن وفاة أخيه، وأن وفاة بارديا Bardiya ظلت سرًا، بينما نجد أن المخطوطة البيهوستية أيضًا تقدم معلومات دقيقة حول التسلسل الزمني لتتابع الأحداث، حيث نجد أن العصيان المُسلح لجوماتا Gaumata يؤرخ إلى الحادي عشر من مارس عام 522، وبدأ في شهر أبريل، والألواح البابليونية في الحقيقة تبدأ وتُؤرخ منذ حُكم بارديا Bardiya (بارزيا Barziya) الذي كان يُطلق عليه ملك الأراضين، وملك بابليون، وفي الأول من يوليو استطاع جوماتا الحصول على السلطة قبل وفاة قمبيز Cambyses بفترة قصيرة، ولكن يجب التأكيد على أن دارا Darius كان حريصًا على عدم تحديد اليوم أو تاريخ وفاة الملك، حتى بالرغم من أن هناك أحداث أخرى مؤرخة بالضبط، باليوم والشهر من خلال روايته».

بارديا Bardiya ، سمرديس Smerdis وجوماتا Gaumata :

ونحن نستطيع أن نرى أن هناك العديد من الأشياء الغامضة حول

هويــة المتمــرد وظــروف اســتمرارية ظهــوره، والاتفــاق العــام بــين هــيرودوت Herodotus ودارا Darius حول ذلك لا يقوم في حد ذاته بتحقيـق درجـة التأكـد لدينا، ونحن في الحقيقة نعرف أن النص البيهوستيني قائم على أساس دارا Darius وليس أي أحد آخر، وقد نتج من خلال كل إقليـم مـن أقـاليم الإمبراطوريـة، ولكـن هل الرواية اليونانية التي قدم لهـا هـيرودوت Herodotus الاستشـارة موجـودة؟ من الممكن أن تكون موجودة، ولكن مرة أخرى يجب علينا أن نُلاحظ أنه إذا كانت تلك هي القضية، فإن هيرودوت Herodotus قد أخذ حريتـه الكاملـة في التأويـل والتفسير، وفي الحقيقة فإن النقاط التي يختلف فيهـا هـيرودوت Herodotus عـن نص دارا Darius هي أيضًا ملحوظة وتشمل دور دارا Darius نفسه في التخطيط ضد المغتصب، وهيرودوت Herodotus أيضًا، لم يتفق مع دارا Darius في تـاريخ قتل بارديا Bardiya ، حيث نجده يُعزي هـذا الأمـر إلى بريكسـاتس Prexaspes بناءً على أوامـر مـن قمبيـز Cambyses ، وقـام بوضـع ذلـك أثنـاء حملـة قمبيـز Cambyses على مصر، بينما نجد أن دارا Darius يقول بـأن قمبيـز Cambyses قد أعطى أوامره بقتل بارديا Bardiya قبل رحيلـه إلى وادي النيـل، ومـن الجـدير بالملاحظة أيضًا أن هيرودوت Herodotus قد أعطـى المغتصـب الاسـم سـمرديس Smerdis ، بينما نجد مخطوطة يونانية «صادقة» تذكر شخصًا إيرانيًا يُطلـق عليـه اسم بارديا Bardiya ، وبينما نلاحظ ذلك بشكل مدهش نجد أن ماجوس Magus كـان لـه الاسـم نفسـه مثـل ابـن قـورش Cyrus ، حيـث نجـد أن الاسـم جوماتـا Gaumata موجود فقط في كتاباته ورواية جوستين Justin ، بينما نجد الماجيوس Magus بواسـطة هـذا الاسـم (كـوميتس Cometes) يـتم التعهـد لـه شخصـيًا بواسطة قمبيز Cambyses بالقيام بقتل سمرديس الحقيقي، وكان هـو الشـخص الذي وضع أخاه أوروباتس Oropates على العرش، ويبـدو مـن الواضـح هنـا أن

هيرودوت Herodotus ومن تبعه قد قاموا بخلط العديد من الروايات الشفهية التي كانت في وقت بحثه أثناء دورته في آسيا مينور واليونان، وفيما بين العائلات الأرستقراطية الفارسية العظيمة».

وعلى أية حال، فإن التوافق بين هيرودوت Herodotus ودارا Darius لا يُبرهن على أي شيء لسبب بسيط وهو أن السيرة الذاتية لدارا Darius هي محل شك في حد ذاتها، وقد كان دارا Darius مصرًا على موت أخو قمبيز Cambyses وخديعة الرجل الذي كان يُدعى جوماتا، وذلك حتى يظهر على أنه هو الذي استعاد شرعية السلالة الحاكمة؛ ولأنه قلق من أجل أن يبدو ملكًا شرعيًا يأتي من العائلة الأخمينية، حيث قام الملك الجديد بحرص بإيضاح رغبته وحبه في إظهار الحقيقة».

بينما نجد أن تأكيداته لم تُقنع القارئ بشكل تام والذي أصبح حزرًا مُسبقًا حول الشخصية المعكوسة (والتي تحتاج إلى تأصيلها وضبطها)، وأصبح غير متأكد من هذه العبارات، والرواية البابليونية هي الوحيدة التي أطلقت على جوماتا Gaumata أنه ميدي Mede ، ولكن ماذا يعني ذلك؟

لكل هذه الأسباب، كانت الأجيال المتعاقبة من المؤرخين تقوم بطرح السؤال، هل كان جوماتا هو المغتصب الفعلي للمملكة والعرش وهو الذي كان يُدعى ماجوس Magus كما أطلق عليه دارا Darius ذلك؟ أم كان مجرد اختراع أو أكذوبة لدوريس لأنه كان قلقًا من أن يتم الإعتقاد بأنه هو الذي قام بخلع بارديا Bardiya الابن الفعلي لقورش؟ وهذا السؤال ربما يبدو بلاغيًا لدرجة أن المصادر تتفق على قتل بارديا Bardiya ، بينما باقي القصة تبدو غريبة بالكامل وغير قابلة للتصديق، وبالنسبة لستيسياس Ctesias فإن ماجيوس Magus قام بخداع الناس من خلال الشبه الشديد بينه وبين أخي قمبيز Cambyses -وهو ابن قورش Cyrus - ولكن كيف يُفسر هذا؟ والأكثر من ذلك أن قتل شخص مهم مثل أخي قمبيز Cambyses يمكن أن يبقى سرًا لمدة أربع أو خمس سنوات حتى

طبقًا لما يقوله هيرودوت Herodotus عن زوجاته أتوسا Atossa ، وفيديمي Phaidime ، بينما نجد أن اكتشاف فيديمي لهذه الخديعة -كما قال هيرودوت Herodotus - هي حكاية عادلة أكثر مما يقوله التاريخ، ويمكن أن يتم تصديقها.

ومع الوعي الواضح، بمدى صعوبة تصديق التشابه المتطابق بين برديا Bardiya والمغتصب للعرش نجد أن جوستين Justin يحاول تقديم اعتراضات (أو أن يستجيب لاعتراضاته هو) من خلال ملحوظته التي يقول فيها: «إن السر كان محتفظًا به جيدًا لأنه فيما بين الفُرس»، والملوك لا يراهم العامة من الشعب ولا يظهرون لهم، «وبالتالي فإن جوستين بهذه الملحوظة يُشير إلى البروتوكول الملكي الخاص بالقصر الذي يُبقي الملك معزولاً داخل القصر الملكي، ولكن هل من المتوقع هنا أن نصدق أن الملك (أو بديله) لم يقم بالاجتماع بالشعب أو الجمهور ولو لمرة واحدة أثناء هذه الأعوام السبعة؟ وعلى أية حال، فإن هيرودوت Herodotus نفسه يقول بأن أوتانز Otanes -وهو والد الزوجة فيديمي Phaidime - قد شك في هذه القصة الرسمية لبعض الوقت، والشيء نفسه كان بالنسبة لرفاق وأصحاب أوتانز Otanes وهما آسباثينيز Aspathines وجوبرياس Gobryas ، بالإضافة إلى دارا Darius .

وأيضًا نجد هيرودوت Herodotus يتعرض لأولئك النبلاء الذين أحاطوا بقمبيز Cambyses عند احتضاره، حيث يقول: «إنهم كانوا مقتنعين بأن سمرديس ابن الملك قورش Cyrus هو الجالس على العرش»، ومن ثم فإنه يبدو واضحًا أن الرواية المنشورة بواسطة دارا Darius لم تكن مقبولة بشكل عام، ولسبب وجيه، عندما شك المؤرخون المعاصرون في حقيقة قتل برديا Bardiya نجد أن بناء هذه القصة بالكامل ينهار ويتساقط مثل المنزل المكون من بطاقات تتساقط الواحدة تلو الأخرى .

ولكن من الضروري أن نتذكر أنه ليس هناك شيئًا على وجه الدقة، والتأكيد في الوقت الحالي نتيجة عدم وجود دليل أكيد متاح وموثوق فيه، حيث إن المؤرخين بدءوا في التفكير في احتمالات واختيار بدائل، والتي بدت في النهاية أيضًا غير أكيدة وليست حقائق دقيقة، وحتى يتم اكتشاف المشكلة، فإننا يجب علينا الآن أن نقوم بصياغة فروض نظرية، يمكن أن تكون مقبولة هذه الأيام حول الخديعة المختلقة بواسطة دارا Darius نفسه .

قمبيز وبارديا Cambysis Bardiy :

حتى نستكشف نظرية حيلة دارا Darius فنحن نحتاج إلى العودة إلى قورش (Cyrus) ، وهو الذي قام -كما رأينا- باتخاذ قرار بنقل السلطة قبل وفاته إلى ابنه الأكبر قمبيز Cambysis ، وذلك تفضيلاً عن بارديا Bardiya والذي كان أخا قمبيز Cambyses من الأب والأم نفسيهما، وهذه كانت هي القصة الأولى المعروفة حول اختيار الأب قورش Cyrus لمن يخلفه على العرش، بينما الابن الأصغر بارديا Bardiya ، نجده قد حصل على إقليم كبير وعظيم في وسط آسيا كتعويض عن ذلك، والأسباب وراء اختيار قورش Cyrus لابنه الأكبر ربما تكون واضحة تمامًا؛ لأن عملية تفضيل الأخ الأكبر مذكورة على أنها قاعدة متبعة بواسطة الكُتاب الكلاسيكيين، ولكنها في الوقت ذاته لا تلزم الملك المتوج بالفعل والذي يتمتع بالحرية الكاملة في اختيار من يخلفه على أساس التفضيل الخاص به وحسب رؤيته، ونجد أنه يكفي استعادة تفضيل قورش (Cyrus) لابنه الأكبر قمبيز Cambyses والذي تم التعبير عنه منذ أن حصل قمبيز Cambyses بالفعل على لقب «ملك بابليون»، ومع قراءة الخطاب الذي قام زينوفون Xenophon بكتابته حول قورش (Cyrus) عند وفاته عندما ترك انطباعًا بأن الملك الجديد سوف يُعاني من بعض المخاوف والاضطرابات في المستقبل، وهو ما يُبرهن بأي حال على أن بارديا Bardiya لم يرضَ أو ويقبل بالفعل قرار والده، وبالرغم من أن

بارديا Bardiya قد تم إعفاؤه من دفع الجزية للقصر المركـزي -باعتبـاره مرزبانًـا- إلا أنه ما زال معتمدًا على أخيه الملك، وهذا هـو مـا أوضـحه ستيسـياس Ctesias الذي قال بأن قمبيز Cambyses -لمرات عديدة- قـد دعـا أخـاه بارديـا Bardiya للقصر، ورفض بارديا Bardiya ذلك مرتين، متذرعًا بأن لديه التزامات أخرى .

والواحد يستطيع أن يُخمن أن العلاقات بـين الأخـوين كانـت منهـارة، وهنـاك دليل على ذلك يُقدمه لنا هيرودوت Herodotus ، حيـث إن ملـك الأثيـوبيين قـد أعطى سفير قمبيـز Cambyses أولئـك الجواسـيس الـذين تـم إرسـالهم بواسـطة قمبيز Cambyses ومعهم هذه الرسالة «إن ملك أثيوبيا يرغب في تقديم النصيحة لقمبيز Cambyses ، عندما يستطيع الفُرس أن يسـحبوا مثـل هـذا المجـداف مـن هذا الحجم بشكل سهل، فعليك أن تُعد جيشًا قويًّا وتقوم بغزو الدولة التـي عـاش فيها الأثيوبيون لفترة طويلة وهو التحدي الذي قام به ملك أثيوبيا ضد ملك فـارس مثل قمبيز Cambyses ، بينما نجد أن سمرديس/ بارديـا Bardiya عـلى الجانـب الآخر، «كان هو الفارسي الوحيد الذي استطاع أن يسحب مجدافًا يبلغ عرضه حوالي إصبعين».

ومع إحساس قمبيز Cambyses بـالغيرة مـن أخيـه بارديـا Bardiya -الـذي استطاع عمل ذلك- نجده يقوم بإرساله مرة أخـرى إلى فـارس (حـدث ذلـك عنـدما كان قمبيز Cambyses وأخوه وحاشيته في مصر)، وبالنسبة للفُرس، ففي الحقيقة كان الدليل الأساسي على الرجولة هو القدرة على المحاربة، والملك نفسه قـد بـرهن على قوته من خلال مؤهلاته كمحارب فقد كان راميًا جيدًا».

وبالطبع، فإن هذه الملحوظات لا تزيل جوانب عدم التأكد، فإذا كـان طموح بارديا Bardiya واضحًا، فإننا نسـتطيع أن نفهـم جيـدًا أن قمبيـز Cambyses قـد قـام بقتلـه»، وإذا مـا كـان ذلـك قبـل رحيلـه إلى مصر

(وذلك طبقًا لرواية دارا Darius وستيسياس)، أو بعد عـودة بارديـا Bardiya إلى فارس (وذلك طبقًا لهيرودوت Herodotus وجوستين Justin).

ونجد أنه من الصعب تصديق أن قمبيز Cambyses ربما قد أرسله إلى فارس ليسمح له بالحرية في التحرك قبل أن يكون قد قـام بـالتفكير جيـدًا في ذلـك، ومـرة أخرى يجب أن نتذكر أن مؤلفًا واحدًا فقط (وهو جوستين Justin) قد تسـبب في موت بارديا Bardiya بعد وفاة قمبيز Cambyses وأن هذه الرواية، بصراحـة، لا تعتبر أكثر أو أقل احتمالاً من الروايات الأخرى».

وبعد العودة إلى فارس -وذلك في ظل فروضنا النظرية- أو مع عدم اصـطحابه لأخيه إلى مصر (وهو من الاحتمالات الأخرى) فإن بارديا Bardiya قد قام بالتمرد، وذلك في مارس من عام 522، وهو ما لاحظـه ودونـه دارا Darius بشـكل دقيـق، ولكن هل كان ذلك اغتصابًا فعليًّا للسلطة بـالمعنى الواضـح للكلمـة؟ وطبقًـا لـدارا Darius فإن قمبيز Cambyses كان لا يزال حيًّا في بداية يوليو، والمشكلة هي أننا لا نسـتطيع أن نُقـارن بـين دارا Darius وأي مـن المصـادر الأخـرى غـير القابلـة للجـدل، ويقـول هـيرودوت Herodotus أن قمبيـز Cambyses قـد اسـتقبل الرسول المُرسل بواسطة المغتصب، وذلك مع «الأوامر الخاصة بالقوات بأنهـا يجـب عليها التصرف ليس على أساس أوامر قمبيز Cambyses ، وإنما على أسـاس أوامـر سمرديس Smardis وهو مـن سـوريا، ونحـن أيضًـا نعـرف أن الألـواح البابليونيـة الأكيدة بعينها ما زالت مؤرخة بواسطة قمبيز Cambyses حتـى منتصـف أبريـل عام 522، ولكن هذه المستندات -ذات الطبيعة المتعددة- لا تُشير إلى تـاريخ وفـاة قمبيز Cambyses ، وعلى الجانب الآخر، دعنـا نؤكـد أكـثر مـن ذلـك أن جوسـتين Justin قد وضع عملية الاغتصـاب الخاصـة بأوروباسـتس Oropastes بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses ، وطبقًـا لستيسـياس Ctesias فـإن «المغتصـب قـد حصـل

على الحكم بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses ، ودارا Darius نفسـه نجـده بحـرص يقوم بالتمييز بين مرحلتين، في مارس 522 قـام بارديـا Bardiya بـالتمرد في فـارس، ولكنه لم يبقَ حتى يوليو 522 حتى «يحصل عـلى السـلطة الملكيـة»، وحتـى نكـون متأكدين فإن الألواح البابليونية تقدم لنا دلـيلاً عـلى أنـه قـد تـم التعـرف عليـه في أبريل، بينما نجد أن التعبير الذي تم استخدامه بواسطة دارا Darius يبـدو وكأنـه يُشير إلى أنه حتى بداية يوليو لم يكن قد قـام بتقـديم نفسـه باعتبـاره هـو وريـث الملك المُنخلع، إلا بعد حفلة رسمية تم عملها في باسارجاداي .

وإذا كان قمبيز Cambyses قد توفي في الوقت ذاتـه، فـنحن ربمـا نفـترض أن بارديا Bardiya قد انتظـر حتـى هـذه اللحظـة قبـل أن يـدعي حقـه الشرعـي في العرش، مستخدمًا بذلك البروتوكولات الملكية» وباعتباره ابـن قـورش «فـإن العـرش كان ملكه لأنه حقه «كما يشرح جوستين Justin ذلك».

أما على صعيد الموقف الخاص بالتتويج، فقـد كـان الموقـف في الوقـت نفسـه مُعقدًا وليس سهلاً، فنحن نعرف في الحقيقة من هيرودوت Herodotus أن قمبيز Cambyses لم يكن لديه أطفال «أولاد أو بنات»، وعلى قـدر معرفتنـا فقـد كانـت تلك هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا الموقف، والحقيقة تبقى لتعلن أنـه بعد وفاة الملك قمبيز Cambyses ، فإن بارديا Bardiya كان هـو الـذكر الوحيـد الموجود في العائلة الملكية، وبارديا Bardiya المتمرد والمغتصب للعرش لمدة شـهور عديدة، جعل من نفسـه ملكًـا بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses وحتـى نعلـق عـلى شرعيته، نجده قد أخذ زوجات الملك السابق، ونحن نستطيع الآن فهـم واسـتيعاب لماذا كان دارا Darius متحفزًا؛ فقد كان ذلك من أجل الادعاء الرسمي بأحقيتـه في السلطة قبل وفاة قمبيز Cambyses ، ومن أجل تحويل الملك إلى مُغتصب للعرش وهو الشيء الذي سوف يؤكد على شرعية سلطته .

وعلى أيـة حـال، فإنـه لـيس هنـاك شيء يُشـير إلى أن هـذا الإدعـاء قـد لاقـى اعتراضات عديدة، حيث إن دارا Darius نفسه، وعلى العكس من عدم رضاه عـن قمبيز Cambyses كان بالفعل قد بدأ في الظهور بعد رحيـل قمبيـز Cambyses إلى مصر، ونجده أيضًا يقوم بالتركيز عـلى ثـورة وتمـرد جوماتـا Gaumato ، حيـث يقول: «كل الشعب قد تآمر ضد قمبيز Cambyses »، ولم يستطيع أي شـخص أن يُنظم أية معارضة في فارس أو ميديا أو الأقطار الأخرى، ونجده يضيف قـائلاً: «إنـه من الصحيح أن جوماتا قد حصل على الحكم والسلطة بالإرهاب، وأنـه لم يـتردد في قتل العديد من الناس، ولكن هنا مثل أي مكان آخـر، فـإن ادعـاءات دارا Darius نجدها تخضع إلى الحرص والاهتمام وهو يتمنى علاوة على كل ذلك أن يحصل على اعتماد وموافقـة عـلى الفكـرة الخاطئـة والمزيفـة التـي تقـول بأنـه كـان هـو الأول والوحيد الذي استطاع معارضة ومقاومة هذا الشخص الذي يُطلـق عليـه مُغتصـب العرش، ووجود بارديا Bardiya في السلطة ووصوله إلى العرش بدلاً من ذلك يعنى أن لديه دعمًا كاملاً في فارس من أجل تأكيد ولاء الأسرة الحاكمة له، ومن الملحـوظ فـوق ذلـك أن الانتفاضـة قـد حـدثت في فـارس نفسـها، وذلـك في بـيسي يافـادا Paisiyauvada ، وربما بالقرب من باسارجاداي، وهو المكان نفسه الذي في وقت ما بعد ذلك قام الفُرس بالانتفاضة والوقوف في وجهه وضد دارا Darius .

بارديا Bardiya والأرستقراطية الفارسية:

إن التقـديم الخـاص بـالمؤلفين القـدامى حـول العلاقـات بـين قمبيـز Cambyses والأرستقراطية قادتنا إلى الاعتقاد بأن بارديا Bardiya قد نجـح في اسـتقطاب العـائلات الكبـيرة لنفسـه بعـد أن قـام قمبيـز Cambyses باتخـاذ إجـراءات خطـيرة ضـدهم أثنـاء إقامتـه في مصر، وذلـك عنـدما لم يكـن عالمـًا بالطموحـات الخاصـة بأخيـه» وهـل بارديـا Bardiya قـد أعطـى توكيـدات

لبعض رؤوساء القبائل ووعدهم بأنه سوف يحكم بأسلوب وطريقة أفضل من قمبيز Cambyses ؟ وهذا يُعتبر افتراضًا سابقًا».

وفي روايته نجد أن دارا Darius قد قام بإدانة الإجراءات التي قام جوماتا Gaumata بأخذها والقيام بها في فارس، وأخذ شرف استعادة الوضع الصحيح للمملكة والذي تم تدنيسه بواسطة جوماتا Gaumata ، وأيضًا باستعادة القدسية الخاصة بالعائلة الملكية التي تم تدميرها بواسطة جوماتا، وأيضًا لاستعادة الشعب الفارسي والحقول وقطعان الماشية والعمال، حيث يقول دارا Darius عن ذلك فيما كتبه: «ولقد فعلت ذلك من أجل أهورا-مازدا Ahuramazda ، لقد ناضلت حتى أعدت بناء منزلنا الملكي كما كان إلى أصوله الأولى، ولم يستطيع جوماتا إزالته .

وهذا النص نجده يقدم مشكلات عديدة من حيث التفسير والتأويل ودعنا في البداية نُلاحظ أنه أولاً وقبل كل شيء، أن تلك الإدعاءات والخاصة بدارا Darius ، وهي الادعاءات التي تثير شكوكًا حرجة، حيث إنه يبدو من الواضح بشكل خاص أنه كان يريد أن يُظهر جوماتا على أنه شر كامن، وذلك من خلال المنطق الذي استخدمه في كتاباته، ومن أجل تبرير موقفه، ثم يقوم بعد ذلك بتهيئة نفسه على إعادة الأشياء إلى ما كانت عليه قبل اغتصابها بواسطة جوماتا Gaumata ، وقد قام بالتركيز على عدم شرعية جوماتا (باعتباره مغتصبًا للسلطة الخاصة بالأخمينيين) نتيجة عدم عدله (في أخذه ممتلكات الغير) .

وهذه هي الطريقة التقليدية التي يقوم باتباعها كل شخص غازي جديد أو حتى مغتصب، عندما يقوم بتقديم نفسه بشكل أيديولوجي إلى الدول والأقطار التي يقوم بغزوها، وذلك من أجل تعزيز شرعيته (وعليك أن تُقارن بين موقف قورش من نفسه وموقف نابونيدوس Nabonidus في بابليون)، ويجب أيضًا أن نُلاحظ أن روايات دارا Darius حول جوماتا تضع دارا Darius في إطار التمثيل التقليدي للمجتمع الإيراني، حيث

نجد أن ممثلي المجتمع الإيراني يتهمون جوماتا Gaumata بمهاجمة المصالح الخاصة بالجيش والكهنة والمسؤولين وبالشكل نفسه فإن اتهامات دارا Darius محددة، وهذه الاتهامات لا يمكن إغفالها، بينما نجد التفسير التاريخي لهذه الاتهامات تفسيراً خادعًا، وهي التفسيرات التي حاولت أجيال المتخصصين وجاهدت وناضلت من أجل التوصل إليها، والسؤال هنا هو: ما المجموعات أو الجماعات الاجتماعية التي كان يُفكر فيها جوماتا/ بارديا؟

والإجابة عن هذا السؤال تظهر من خلال الكتابات والروايات البابليونية التي تقول بأنه استهدف الطبقة الأرستقراطية وقبائلها وجماعتها.

ولكن هذا التفسير يبدو غير موضوعي؛ وذلك لأن بارديا Bardiya كان يستهدف المزارعين البسطاء حتى يقوم بإضعاف شوكة وسيطرة الأرستقراطية، حيث كان يعتمد عليهم في ثوراته وتمرده، ولكن تلك النظرية أو هذا الافتراض يبدو غير مُحتمل؛ لأن بارديا Bardiya لم ينسَ ذلك الدعم الذي قدمه له الأرستقراطيون وهم الذين في ذلك الوقت كانوا يحكمون الإمبراطورية تحت سلطة الملك والذي كان يقودهم وكان لا يمكن الاستغناء عنه إذا أراد أحدهم الحصول على سلطة عُليا، والأكثر من ذلك، فإن هذا الفرض قائم على أساس إدعاء غير مقبول وغير مذكور بالمرة .

وهنا نجد طريقة بسيطة للتوصل إلى حل لمثل هذا التناقض، وهذه الطريقة هي من خلال الافتراض التفسيري والقائم على أساس التسلسل الزمني الذي قدمه دارا Darius ، وهذا التسلسل في الأحداث هو كالتالي: (1) اغتصاب العرش بواسطة ماجيوس Magus . (2) مصادرة الأراضي والممتلكات. (3) الخطة المُدبرة لقتل بارديا Bardiya .

والمراحل المتبادلة هي المرحلة الثانية والثالثة، وهما اللتين تحتاجان إلى تفسير معقول بدرجة كبيرة، فإذا افترضنا أنه في الحقيقة قد

حدث التخطيط ضد بارديا Bardiya في سوريا بعد وفاة قمبيز Cambyses بفترة قصيرة، نجد أنه من السهل أن نفهم أن بارديا Bardiya قد أخذ بعض الخطوات لمواجهته .

ونأتي إلى الهدف من اغتصاب ومصادرة الأراضي وهو أن يتم تجريد مُعارضي بارديا Bardiya من قدراتهم الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى أن هناك دولاً أخرى تم غزوها، وتم تجريد أهلها من الأرض لصالح المغتصبين، وفي هذا الإطار ربما نقوم بالتركيز على أهمية الرواية البابليونية، بينما نجد أن التماثل مع الروايات الفارسية والإيلامية يتوقف هنا، حيث إن بارديا Bardiya كان يمنع النبلاء المتمردين من استخدام القوة العسكرية، والهدف من ذلك لم يكن من أجل مصادرة ممتلكات العائلة الملكية، حيث إن السلطة الملكية كانت تأخذ حقوق المتمردين من النبلاء في الأرض التي تم منحها إياهم بواسطة الملك، وذلك على أساس قاعدة مشروطة (أي بشروط)، ويبدو من المفهوم هنا في حالة الاعتماد على الهبات الملكية أنها كانت معتمدة على الملك والذي يستطيع إعادة توزيع هذه الهبات والمنح الملكية على النُبلاء، وإذا كان هذا التفسير صحيحًا، فإنه يؤكد فقط على أن الإجراء الذي قام به بارديا Bardiya لم يكن على أساس هدف إيجابي أو سياسية إيجابية لأذى المُعارضين، وإنما أيضًا من أجل صيانة وتأمين تحالفه مع النُبلاء من الفُرس والذين دعموه وأيدوه منذ البداية (وذلك من خلال إعادة التوزيع) .

وهذا التفسير يقدم ميزة لا يمكن إنكارها لحل هذه التناقضات الواضحة في السجل الوثائقي بدون أي تعارض، حيث إن بارديا Bardiya لم يكن أحمقًا حتى يقوم بتأليب الطبقة الأرستقراطية ضده، وذلك في اللحظة التي كان سلطانه فيها مهددًا بالخطر بواسطة مؤامرة ما، فقد قام بعزل أولئك الذين قد عارضوه .

بارديا Bardiya والجزية من الإمبراطورية:

يقوم هيرودوت Herodotus بعرض ملحوظة أثناء تناول القرار الذي اتخذه سمرديس/ بارديا Bardiya وذلك بعد جلوسه على العرش، حيث يقول هيرودوت Herodotus بالنسبة لكل أمة وقطر تحت سيادته، وبعد جلوسه على العرش قام بعمل إعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات، «حيث يقول هيرودوت Herodotus إن هذا الإجراء قد جعله يحصل على شعبية كبيرة، وهذا التفسير لا يترك مجالاً للشك في أن بارديا Bardiya قد قام بالتصرف على عكس من سبقوه، خصوصًا قمبيز Cambyses ، حيث كانت هناك -في عهده- زيادة في الضريبة وخاصة على تلك الشعوب التي قام بغزوها، وحيث إن دارا Darius نفسه يقول إنه بعد رحيل قمبيز Cambyses إلى مصر، وقتل أخيه بارديا Bardiya «كثرت الأكاذيب والتمرد والثورات، ليس فقط في فارس وإنما في ميديا Mede ، وفي شعوب أخرى، ويبدو من الصحيح، أنه قد قام بتأريخ الثورات العظيمة وبدايتها وذلك في أواخر سبتمبر من عام 522 بعد قتل شخص يُطلق عليه جوماتا Gaumata ، ولكن أحداث التمرد هذه يمكن أن تُعتبر نهاية فترة من المشكلات والصعوبات المنتشرة، والمبالغ المفروضة بواسطة قمبيز Cambyses لبناء الأسطول البحري، وللحملة على مصر، وكان مُبالغًا فيها، وذلك على حساب الشعب والتي كانت فوق طاقته، وحتى يتم إعادة النظام الذي أضاعه قمبيز Cambyses ، فإن بارديا Bardiya وجد نفسه مُجبراً على اتخاذ إجراء وقائي، ومن خلال هذه الخطوة نستطيع أن نفترض أنه هو ومستشاريه قد حلموا بإصلاح النظام الخاص بفرض الجزية، وهو الإصلاح الذي أتى مع دارا Darius ، حيث إن تحليل بارديا Bardiya للموقف كان يُشاركه فيه عدد أكبر من النُبلاء وهم الذين لم يكونوا يُريدون المتاعب، والذين كانوا يريدون مساعدة وتأييد بارديا Bardiya ضد قمبيز Cambyses ، ولكن يبدو في

الوقت نفسه، أنه قد أثار عداء بعض الفُرس الآخرين، والذين لم يكونوا سعداء برؤية المملكة وهي تفلت من بين أصابعهم.

وربما يُعتبر هذا هو المصدر الخاص بافتراض هيرودوت Herodotus حول السمعة السيئة والحقيرة التي تركها سمرديس/ بارديا Bardiya فيما بين الفُرس .

وبدون شك، فقد ورد ذكر ماردوس في إيسخيلوس Aeschylus ، حيث يقول: «إن ماردوس Mardos كان هو الخامس في أخذ السُلطة وهو ما يمثل خزيًا لأرض والده ولهذا العرش العتيق، وهذه الملحوظة بواسطة إيخيلوس مهمة بشكل خاص؛ لأنها توضح وتُدرك شرعية ماردوس، وفي الوقت نفسه تقوم بلومه وتوبيخه على طريقته في الحكم.

ومهما كان الموقف الذي وجد بارديا Bardiya فيه نفسه، فإنه لم يكن ينوي أبدًا أن يبيع فتوحات وانتصارات قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، وعملية تعليق الجزية والخدمة العسكرية كانت بشكل مؤقت، فقد كان يُريد إنشاء نظام جديد من التقييم (أي تقييم المبالغ الماليه الخاصه بذلك)، بينما نجد أن سياسة الجزية لبارديا Bardiya كانت فيها تناقضات في حد ذاتها في وقت وفاة قمبيز Cambyses ، وأيضًا تُمثل الفكر السياسي الواضح لشخص كان يُطلِق عليه دارا Darius مغتصب العرش.

الفصل الثالث

الاضطراب والانشقاق ثم إعادة البناء

1- قدوم دارا للحكم:

مؤامرة السبعة: دارا DARIUS وهيرودوت HERODOTUS :

إن المصادر القديمة تحتوي على كثير من المتناقضات (الأكاذيب) فيما يخص هوية جوماتا/سمرديس Gaumata/smerdis . حيث إن استخدام هذه المصادر في المادة يكون بناء على الظروف التي أحاطت باستبعاد سمرديس Smerdis وقدوم دارا DARIUS للحكم وهي متشابكة ومعقدة وبالنسبة هيرودوت HERODOTUS . فإن أوتانيس Otanes هو من بدأ المؤامرة، حيث إنه كان أول فرد يشك في أن جوماتا/سمرديس [Smerdis/Gaumata] ليس ابن قورش Cyrus ولكنه محتال (نصاب). وأثناء حواره مع ابنته فايديم Phaidime التي دعمت هذه الإدانة. قال للمقربين منه أسباثينيس Aspathines وجوبرياس Gobryas وأخبرهم باكتشافه هذا وقد توصل الرجال الثلاث إلى اتفاق واختار كل واحد فيهم صديق أمين حيث إن أوتانيس Otanes اختار إنتافرنيس Intaphernes ، كما أن جوبرياس Gobryas اختار ميجابيزوس MEGABYZUS . وأيضًا أسباثينيس Aspathines الذي اختار هيدارنيس Hydarnes . وعندما وصل دارا DARIUS إلى المشهد تم إضافته أيضًا إلى هذا العدد .

وفي هذه القصة السابقة يبدو لنا أن دور دارا DARIUS صغيرًا حتى وصوله وأن أوتانيس Otanes هو الشخصية الرئيسية في هذه الدراما وعند هـذه النقطـة فقد تغيرت وتيرة قصة هيرودوت HERODOTUS من الآن فصاعدًا فقـد أظهـر هيرودوت HERODOTUS كل مـن دارا DARIUS وأوتـانيس بـأنهم عـلى آراء متناقضة في المناقشة الخاصة بالأساليب والإستراتيجية القائمة بـين السـبع. حيـث إن أوتانيس على الأخص كان معارضًا لرد الفعل السريع من جانب دارا. وقد اقتنع دارا DARIUS بمناقشته مع جوبريـاس Gobryas ومـن ثـم مـع المتـآمرون الآخـرون. حيث إن دارا DARIUS كان ثابت في موقفه وتبادل السبعة الآراء في طريقهم إلى القصر. وذات مرة دخل محل أقامه سمرديس Smerdis كـل مـن دارا DARIUS وجوبرياس Gobryas واللذان انقضا على السلطة من قبل، وفي الظلام الدامس قام دارا DARIUS بطعن Smerdis بسيفه. وقـد قـام جوبريـاس باسـناد سـمرديس Smerdis . وأخيرًا وبعد أيام قليلة عقد السبعة اجتماع والذي فيه تشاجر كل مـن أوتـانيس Otanes ودارا DARIUS وميجـابيزوس Megabyzus حـول المخـرج السياسي مـن الأزمـة التـي فجروهـا. وبالنسـبة للنقـاش الخـاص بـالحكم فـإن دارا DARIUS قد حاز على استحسان الأربعـة المتـآمرين الآخـرين وفي المشـهد الأخـير انسحب Otanes من المنافسة وقد حاز دارا DARIUS على السـلطة مـن خـلال حيلة قام بها خادم (سايس الخيل) وبهذه الطريقة أصبح دارا DARIUS هو ملك الفرس .

وفي سياق تصريحه في Behistun فإن دارا DARIUS لم يربك نفسـه بهـذه التفاصـيل فمنذ البداية قد صرح بوضوح وبصوت عـالي أن قوتـه وسـلطته الملكيـة إنمـا هـي تنسـب إلى شرف انتسابه لآبائه وأجداده وحماية اهورا- مازدا له Ahura-Mazda . وهذه هي الوسـيلة الوحيـدة ليقنـع بهـا الجماهـير ويضـمن بهـا اسـتمراره في الحكـم. فهـو أيضًـا يرجـع أصـل

اغتصاب حكم قمبيز Cambyses إلى جوماتا الماجوس Gaumata the magus وقد أكد على أنه لا يوجد أي شخص سواء كان فارسي Persian أو ميدي Mede أو أي شخص آخر يجرؤ على الوقوف في وجه بارديا Bardiya الزائف. وقد قام دارا DARIUS بمساعدة Ahura.Mazda ومع مجموعة قليلة من الرجال بذبح جوماتا Gaumata وكذلك أهم أتباعه. وفي الحصن المسمى بـ Sikayauvatis الموجود في مقاطعة Nisaya في ميديا Media هناك ذبحته وأخذت المملكة منه وبفضل Ahura-mazda أصبحت ملكًا. فقد وهب Ahura-mazda المملكة لي (29 سبتمبر 522) وقد أخذ الملك الجديد بإعادة بناء وترتيب ما دمره أتباع جوماتا Gaumata .

ويرجع دارا DARIUS لنفسه الدور الذي لم يقتصر فقط على السيطرة بل الزعامة والرجال القلائل الذين قدموا يد العون له ظهروا في الخلفية حيث إن منزلتهم الأقل أهمية إنما تعمل على تعظيم صورة الملك Darius الذي قدم نفسه على أنه هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يطرد المغتصبين. وقد استمرت هذه الفكرة عبر الروايات الطويلة ولكنها غابت عن ترجمة هيرودوت التي كرست لشرح وسرد الانتصارات التي قام بها دارا Darius . وبالطبع هنا أو هناك فإن الملك هو الذي يعطي أسماء القادة الذين يحاربون تحت سيادته. وفي كل حاله فإن الفضل في النصر إنما يرجع إليه هو. وهذا نتيجة لحماية Ahura-mazda له والذي يمد شخصيته بالقوة .

وبالتالي فإن هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS في تناقض كبير إذا لم يعرف Darius الستة الآخرين. وفي فقرة بسيطة عنهم حيث قال «هؤلاء هم الرجال الذين كانوا هناك في الوقت الذي ذبحت فيه جوماتا Gaumata الذي كان يسمى نفسه بارديا Bardiya . وفي هذا الوقت فإن هؤلاء الرجال قد تعاونوا معي كأتباعي. وفي قائمة من ست

أسماء وفي تصريح نادر يقول «الملك Darius أنت الملك من الآن فصاعدًا. حافظ جيدًا على ذرية ونسل عائلة هؤلاء الرجال». ويجب أن نلاحظ أن قائمة الأسماء المعطاة من جانب كل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS إنها متفقة بصفة عامة .

وهناك عدم اتفاق واحد وهو أن أردومانيس Ardumanis وأسباثينيس Aspathines هما فردين مختلفين حيث إن الأول لم يكن معروفًا في أي مكان آخر. وربما يكون قد هلك في الحملة أو في الهجوم على سمرديس Smerdis . وفي المقابل فإن أسباثينيس Aspathines الذي يتحدث عنه هيرودوت HERODOTUS يسهل التعرف عليه كأحد رفقاء دارا DARIUS والذي يظهر حاملاً أسلحة ملكية على ضريح الملك ومن خلال الوصف أو التدوين يعرف باسم Aspacana .

وفي أي حالة فإن كل المشاركين في هذه القصة من الواضح أنهم من أحفاد (ذرية) عائلات فارسية أرستقراطية هامة [حيث إن الهوية الفارسية Persian لكل منهم قد أشار إليها دارا DARIUS] . وحتى أننا نفتقر إلى الشرح الدقيق لأجداد بعض منهم إلا أن أصلهم الأرستقراطي معروف خصوصًا من خلال المنزلة العالية لهم ولأبنائهم التي نالوها بعد انتصار دارا DARIUS . ولقد أظهر هيرودوت شخصية أوتانيس أ Otanes على أنه واحد من أكثر الأفراد النبلاء الفرس Persian ثراء وأن واحدة من بناته وهي فاديم Phaidime أخذها قمبيز Cambyses كزوجة له ثم من بعده Baradiya . ومن هنا فإن الدور الذي لعبه في فضح عملية التدليس والغش قد أشار هيرودوت إليها. وطبقًا لهيرودوت فإن كاساندانى Cassandane وهي زوجة قورش Cyrus كانت أخت أوتانيس Otanes . ولقد وصف هيرودوت كل من جوبرياس Gobryas وأسباثينيس Aspathines بأنهم اثنين من الفرس ذوي شأن رفيع. حيث إن كلاً منهم رسم على المقبرة عند Naqs-i.Rustam . وهذا الوصف لم يجعل

ذريته يعرفوه ولكنهم نادونه باسم Patisuvaris . والتصميم الذي فيه يعرف بالــ Patischorians على أنهم مجموعة فرعية مـن الفارسـيين الـذين وضـعهم سـترابو Starbo في قائمـة مبعـثرة بـين العشـائر (القبائـل) الفارسـية ومهـما كانـت التركيبـة الاجتماعية Patischorian فإنه بلا شك أن أفرادهم كان حقًّا من بين الصفوة مـن الفرس Persians .

مشكلة السلطة The problem of power

إن منطقية القصة لكل من هـيرودوت ودارا DARIUS لا يمكـن إنكارهـا. إن المشكلة الأساسية كانت تقع في سلطة تتمتـع بالشـفافية والبسـاطة. ومنـذ البدايـة ومشكلة استبعاد Bardiya تطرح نفسها حيث إنه لا يوجد وريث للعرش ومنذ أن مات قمبيز Cambyses وكما يعرف الجميع أنه مات بدون أن يكون له ذرية مـن الذكور. وكما يـرى هـيرودوت فإنـه لم يسـتمر حتـى بعـد قتـل الماجوس Magus ورفاقه. وقد قام السبعة بمناقشة الموضـوع «حيـث تقابـل المتـآمرون لـكي يناقشـوا الوضع بالتفصيل وفي أثناء اللقاء دارت كثير من الأحاديث وعلى الرغم من أن بعض من المواطنين قد رفضوا أن يتكلموا في ذلك إلا أنهم فعلوا» وهناك ثلاث موضوعات (أمـور) قـد قـدمها ودافـع عنهـا كـل مـن أوتـانيس Otanes وميجـابيزوس Megabyzus ودارا Darius وهي أ- إرساء نظام حكم يسري عـلى النـاس والأفـراد والكبار. ب- تأسيس نظام لحكم القلة بحيث يكون عبارة عن اختيار مجموعة مـن بين الأفضل وقد ذكر ميجـابيزوس Megabyzus أنـه لا بـد أن يكـون ممـن بيـنهم السبعة. جـ- وأخيراً إعادة التدريب على النظام الملكي. ولقد كانت النتيجة من هـذا النقاش هي أن هذه هي الآراء الثلاثة والتي خرجوا بها من المناقشات الثلاثـة وأمـا الأفراد الأربعة الآخرين الذين لم يتحدثوا فقد أعطوا صوتهم للشخص الأخير دارا .

ومثل الكثير مـن المسـتمعين لهـيرودوت مـن الإغريـق فـإن المـؤرخين المعاصرين قد اعتقدوا بصورة بسيطة أن هذا الكلام قـد خـرج مـن أفـواه هؤلاء النبلاء. حيث إن مفرداتهم كانت إغريقية وهل من المتوقـع منـا أن

نصدق التجاوزات المفترضة لـجوماتا Gaumata /Bardiya ضـد النـبلاء إنهـا قـد سببت تمرد.؟ ومنذ زمن بعيد فإن طموح زعماء العشائر والقبائـل هـو أن يحكمـوا بشكل جماعى، أو بعبارة أخرى أراد أن يجعلوا هذه التركيبة التي قامـت بـالمؤامرة كما وصفها هيرودوت تركيبة دائمة. وهذا التفسير يبدوا بعيدًا حيث إنه يتضمن أن عدد من الأرستقراطيين الفارسيين سـوف يعرضـون للخطـر نتـائج الفتوحـات التـي استفادوا منها كثيراً .

وفي الواقع فإن الذي كان على المحك ليس قواعد أو مبـادئ الحكـم، إنمـا هـي مشكلة الخلافة التي كانت تمثل الخطر والتي اهتمت بها الأحاديث والأقاويل. ذلك لأن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هـو - في غيـاب الوريـث المبـاشر مـن يقـع عليـه الاختيار؟ وهذا كان هو السؤال الحقيقي. ونحن نعرف مـن خـلال شرح هـيرودوت أن أوتانيس Otanes قد أخرج نفسه من هذه المنافسة «قد تـرك السـتة الآخـرون للقدر أن يصنع القرار. ولقد اقترحوا أن يمتطـوا خيـولهم عـلى طـرف المدينـة ومـن يصهل فرسه أولاً بعـد شروق الشـمس فإنـه يصـبح عـلى العـرش ومـن ثـم أعطـى هـيرودوت تفاصـيل الحيلـة التـي قـام بهـا أوبـاريس Oebares وهـو سـايس دارا DARIUS والتي أدت إلى أن يتم الاعتراف بسيده كملك .

ومن ثم فلم يصدق أحد أن وصول دارا DARIUS للحكم كان بسبب حيلـة أو خدعة وقد أضيفت فكرة الخيل بعد ذلك لأنها تتداخل مع الفكرة التـي أراد أن ينشرها دارا DARIUS بخصوص علاقته الخاصة بالإله. ولكن من الواضح أنه مـن خلال خصاله وملكاته الأخرى أن ابن هيستاسبيس Hystaspes قـد اضـطر إلى أن يمسك بزمام الأمور بدعم وموافقة من المتـآمرين الآخرين. وهـذا الـدعم الجماعـي قد جاء لأن Otanes قد كان راضيًا عن ذلـك. وبالتـالي فـإن رفاقـه لم يكـن لـديهم اختيار إلا الاعتراف برفعه شأن دارا DARIUS الذي كان حقوقـه السـامية وتـآلف مجموعة من القوى التي عملت كلها لمصلحته .

حقوق دارا DARIUS :

لقد أكد دارا DARIUS على أنه قد جاء إلى الحكم تحت حماية Ahura-mazda وأيضًا بسب عراقة وآصاله أسرته. ولقد قدم نفسه منذ البداية على أنه ابن هستاسبيس Hystaspes وهو حفيد أرساميس Arsames الأخميني. ومن ثم أدرج (ذكر) أبية وجده في تسلسل يعود إلى فترات أبعد في الماضي حتى وصل إلى أخمينيس Achaemenes الذي يلقب بأنه الأب المؤسس الذي ينحدر من نسله كل من تيسبيس Teispes وأريارامنيس Ariaramnes والد Arsames الذي هو الجد الأكبر لدارا DARIUS . فهو دائمًا يؤكد على عراقة ورفعة شأن عائلته حيث يقول» لهذا السبب فنحن يطلق علينا الأخمينيون Achaemenians ومنذ زمن بعيد فإننا نحن النبلاء ومنذ زمن بعيد فإن عائلتنا ملوك» وأضاف أخيرًا قائلاً «أنا الملك دارا Darius وهناك ثمانية من عائلتنا كانوا ملوك سابقًا وأنا التاسع. فنحن جميعًا إحدى عشر بالتتابع كلنا ملوك» وعلى الرغم من الصعوبات العديدة في النقل والترجمة إلا أن الصورة التي أراد دارا DARIUS أن يوصلها كانت واضحة تمامًا حيث إنه من وجهة نظره انه لا يوجد أي تعارض. وأن حقه في الملك له جذور وأصول على طول الفترة حيث إنه من بذرة ملوك أو الغرض من هذا كله هو أن يحافظ على منزلته وعلى أصوله القديمة .

وربما يحسب الفرد منا أن كلام دارا DARIUS ليس له سند أو دليل حيث إنه لم يذكر قورش Cyrus ولكنه ذكر تيسبيس Teispes في نسبه ووصفه بأنه جده الأكبر، ونجد أيضًا أن قورش Cyrus يسمى تيسبيس Teispes جدة الأكبر؛ والطريق الوحيدة للتوفيق بين هاتين السلسلتين من النسب هي أن نفترض أن تيسبيس Teispes قد قسم مملكته إلى فرعين. الأولى قد حكمها كل من (إلى تبدأ بـ تيسبيس Teispes قورش Cyrus الأول) مثلها قمبيز Cambyses

و Bardiya بارديا؛ والثانية مثلها دارا DARIUS من خلال أبيه هستاسبيس Hystaspes . ولكن وعلى الرغم مما قاله هيرودوت (الكتاب السابع، فقرة 11)، فإن نظرية (فكرة) المملكتين هذه ليست قائمة، فمن المؤكد أننا إذا قبلنا هذه النظرية لن نعرف من هؤلاء ملوك الثمانية الذين سبقوا دارا DARIUS حيث إن هيرودوت كان حريصًا على أن لا يذكر أسماءهم. ونحن في الواقع نعرف أن والده هستاسبيس Hystaspes وجده أرساميس Arsames كانا على قيد الحياة في عام 522 وأنهم بالتأكيد لم يحملوا لقب ملك وإذا كان دارا DARIUS لديه في عائلته شخص يحمل إسم تيسبيس Teispes فإن الاحتمال الوحيد هو أنه كان رجلاً يحمل نفس اسم الجد الأكبر لقورش Cyrus الأول. ولا يوجد نص واحد يوضح أن ابن هستاسبيس Hystaspes قد جاء من نفس خط السلالة كما هو مفترض. وفي الحقيقة فإن أفلاطون Plato وإيليان Aelian أكدوا على أن دارا DARIUS لم يكن ابن ملك. وهذا ما يقترحه جوستين Justin أيضًا (الكتاب الأول، فقرات 10*13-14) ولم يعطي هيرودوت Herodotus أدنى تلميح بأن دارا DARIUS لديه أي حق في العرش أكثر من أتباعه المتآمرين وعلى النقيض من ذلك فلقد استخدم هيرودوت Herodotus كلمة Idiotes قائلاً بأنه على الرغم من أن دارا DARIUS كان يحمل لقب دوريفوروس (doryphoros) والذي أحد ألقاب البلاط الرفيعة إلا أنه قبل عام 522 «لم يكن له أهمية خاصة بعد، حيث إنه كان شخص بلا سلطة» ويقصد هيرودوت Herodotus من ذلك ببساطة أن دارا DARIUS لم يكن ابن ملك وأنه كان (Idiotes) » (فرد من العامة) .

ولكن جعل دارا DARIUS مغتصب للسلطة كما هو معتاد لم يكن له أي مغزى أيضًا وذلك لسبب بسيط هو أنه لا أحد من الست المتآمرين الآخرين ولا حتى أوتانيس Otanes نفسه لم يكن بإمكانهم أن يحتجوا بأن لديهم من المؤهلات ما يمكنهم من إعتلاء العرش مثلما فعل ابن

هيستاسبس Hystaspes والذي أكد على أحقيته في تولى السلطة دون أن يجادله أحد منهم. ولم يكن هناك أي أهمية في الاعتراض على أن هيستاسبس Hystaspes كان له كثيراً من الحقوق عن ابنه. ومن الواضح أن بوجود الفرصة في خلو العرش هذا ما جعل دارا DARIUS يطالب بأساس أو كيان جديد للملكة الفارسية. ولذلك فقد اختار لقب أحد أجداده أخمينيس Achaemenes ليضفى الشرعية على حقوقه في السلطة، ومن هنا فقد كان من المحتمل أن «قصة المؤسس» الجديد للمملكة قد تم تقديمها. وهي الأسطورة التي قيل فيها أن أخمينيس Achaemenes قد رباه النسر وهو الحيوان الذي توجد شواهد كثيرة على علاقته بالسلطة الملكية في بلاد فارس Persian . أما بالنسبة لكلمة أخميني Achaemnid فمن الواضح أن دارا DARIUS قد استخدمها في معنى محدود حيث إنها بالنسبة له لا تشير إلى عشيرة وهي الطريقة التي نفهم بها كلمة هيرودوت Herodotus «فراتريس Phratries »، وهو الاسم الذي يطلق فقط على أفراد العائلة الملكية لدارا DARIUS . وكما يتضح لنا من هذا المعنى أن الملك الجديد قد استخدم الكلمة في تسجيلات (تصورات) باسارجاداي Pasargadae الزائفة والتي اصطنعها قورش Cyrus . وبوصف قورش Cyrus كملك .

ودارا DARIUS الذي كان يحاول أن يلبس الحيل العائلية له قناعًا زائفًا عن طريق جعل قورش Cyrus هو الجد المفترض للعائلة المالكة الجديدة. وهذه العبارة إنما تشير إلى العائلة المالكة وبالنسبة لنا فإننا لا نستطيع أن ندرك ماذا سوف يجني دارا DARIUS من تأكيده على أن قورش Cyrus ينتمي إلى عشيرة/أخوية الأخمينيين Achaemenids .

وليس من الضروري أن نؤكد على أن رجل مثل أوتانيس Otanes يكون لديه حقوق كثيرة مثل دارا DARIUS لأن والدة إنتافرنيس Intaphernes كان يطلق عليه هيرودوت اسم أخميني Achaemenid .

وجانب من الحقيقة هو أن معلومات هيرودوت Herodotus قد دمرت عن طريق نقش بيهستون Behistun . وبالنسبة لكل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS فإن كلمة أخمينيي Achaemenid لها علاقة بالحقائق الاجتماعية المختلفة حيث إنها بالنسبة لهيرودوت Herodotus تشير هذه الكلمة إلى عشيرة الأخمينيين Achaemenid والتي هي جزء من قبيلة الباسارجاداي Pasargadae . وبالإضافة إلى ذلك فإن ذلك هو المعنى الذي إستخدمها وفي المقابل فإن دارا DARIUS قد استخدم هذه الكلمة ليشير بصورة مطلقة إلى جده (سلفه) في الخط المباشر للنسب وكما شمل إيليان Aelian .وبالإشارة إلى هذه الحقائق العائلية التي بها يستطيع الفرد أن ينسب النبل (الوجاهة) للعائلات الفارسية المختلفة وفي هذا الوقت وبعد ذلك ومن خلال الأحداث نستطيع أن نقر بأن النبل لم يعد مرتبط بالنسب (الأصل) .

وبعبارة أخرى فإن دارا DARIUS لم يأتي إلى السلطة بسبب أجداده (أسلافه) الملكيين ولكن العكس صحيح إلى حد ما. وكنتيجة للسلطة التي اعتدى عليها وأخذها لنفسه فقد أقام حقوقًا موروثة لأجداده (أسلافه) ولم يكن تحقيق دارا DARIUS للسلطة لكونه من الأخمينيين Achaemenid . ولكن كان وصوله للحكم هو الذي سمح له أن يعيد تعريف معنى أن تكون أخميني Achaemenid . وفي نفس الوقت فإن إعادة التعريف لم تطمس المعنى السابق (الأول) ومن الواضح أن عشيرة الأخمينيين Achaemenid قد استمرت في وظيفتها كما كان في الماضي لكن من الواضح أن العضوية في هذه العشيرة ليست كافة لأن تعطيك أي نوع من الحق في السلطة. ولقد بقى القرار فقط في يد رئيس العائلة - أو بعبارة أخرى الملك الحاكم (السائد) وربما كانت هذه هي أسس الواقع الملكي الذي حول دارا DARIUS من القمة إلى القاع. مثل الموضوعات الخاصة بسلسلة النسب الملكي والتي استخدمها كثيرًا

ليخدعنا بدلاً من أن يردها إلى أصلها. وبالتالي فإنه الحكم على اعتلاء دارا DARIUS للعرش ليس له معنى كما إن حقه في الخلافة كان أمر مشكوك فيه لذا فقد سعى إلى اختلاق القصص وإعادة التعريف بنفسه بعد أن اعتلى العرش .

أسبقية دارا:

في هذه النقطة من النقاش كان من المفيد أن نترك وراء ظهرنا دائرة أو بؤرة سلسلة النسب والدعوة لها. ولكن أن نمنع النقاش في الموضوعات الخاصة بالذرية لدارا DARIUS فإننا نجد أنفسنا أمام نفس السؤال السابق الذي بدأنا به وهو لماذا من بين المتآمرين السبعة كان إبن هيستاسبيس Hystaspes هو الذي تم اختياره. إذا يبدوا من الصعب أن نضع كثيرًا من المصداقية لحكم قورش Cryus والذي سجله هيرودوت Herodotus والذي يتضمن أن في بداية عامة 530 عندما خاف قورش Cyrus من تمرد دارا DARIUS إبن هيستاسبيس Hystaspes .

(يوجد شيء مفقود هنا) إننا إذا تركنا التفكير في النبل (الشرف) في أصل دارا DARIUS فإن هناك تفسيرات أخرى. التي بها نجد اكتشافًا هام حيث إنه لا بد من المؤكد أن دارا DARIUS قد عمل ذلك من خلال موضع قوة سواء كان مفروضًا أو من خلال تفاوض. وحقًّا فإنه عكس الظاهر لم يضع هيرودوت Herodotus في منأى بعيدًا عما تضمنته العبارات الخاصة بدارا DARIUS في هذه النقطة. لذا فإن العبارات والقصة التي قالها هيرودوت Herodotus عن تكوين المؤامرة إنما تشير من البداية عن وجود شأن خاص لدارا DARIUS بين المتآمرين. فقبل مجيء دارا DARIUS كان الشكل التنظيمي للمتآمرين الآخرين يأخذ شكل هرمي. مرتبًا حسب ظهور كل من الست المتآمرين في المشهد كما يراه هيرودوت Herodotus .

ويبدو أن هذا النسق قد استبعد دارا DARIUS الذي أتى بعد ذلك

ويبدو أن دارا DARIUS كان مرتبطًا بالمؤامرة التي كونها رؤساء العـائلات السـت العظمى وبدون أن يتم دعمه إما بطريق مباشرة عن طريق أوتـانيس Otanes أو على المستوى الأقل عن طريق أسباثينيس Aspathines أو جوبريـاس Gobryas ، أو بعبارة أخرى أنه لم يكن معتمدًا على المتآمرين الآخرين. وخصوصًا على أوتانيس Otanes وبعبارة أخرى نقول أنه بمجرد ظهوره فقد شغل موقع قويًا مساويًا لموقع أوتانيس Otanes .

وملاحظة أخـرى هـي الأكـثـر أهمية هـي أن مـمـثـلـى أسرة دارا DARIUS كـانوا جـزءًا مـن دائـرة المقـربين لقـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses . وتبعًـا لهيرودوت Herodotus فإن هيستاسبيس Hystaspes وهو والد دارا DARIUS كان «حاكم فارس» Persia في عام 522 ولكن هـذا خطـأ بالتأكيـد: حيـث إن نـص بيهستون Behistun يقول أنه قد يشـغل منصـب عسـكري في بارثيـا Parthia في ذلك الوقت. وربما كان بسبب هذه الوظيفة أنـه أصـبحً في حاشـية قـورش Cyrus أثناء بداية حملته الأخيرة على آسيا الوسـطى كـما يـرى هـيرودوت Herodotus . وكانت مهنة دارا DARIUS نفسه شيقة إلى المدى الذي يجعلنا نعيـد فكـرة أنهـا قد تكون بعيدة عن ملاحظات المؤلفون القدماء. وطبقًا لمؤلف حديث ولكنه لديـه معلومات جيدة عن شؤون الفرس Persia فـإن دارا DARIUS قـد حمـل كنانـة قورش Cyrus . ونحن نعلم أنه قد صاحب قمبيز Cambyses أثناء حملتـه عـلى مصر .

ويؤكد هيرودوت Herodotus بأنـه في تلـك الأثنـاء لم يكـن لـدارا DARIUS أي أهمية معينة. وهذا التقييم ربما يتعارض مـع موقعـه كملـك وهـو الموقـع المكانـة التـي وصـفها بـه هـيرودوت Herodotus في بدايـة روايتـه، ويـذكر المؤلـف الـذي هـو مـن هاليكرناسوس Halicarnassus (هيرودوت) أن دارا DARIUS قد حصل في مصر عـلى لقب «دوريفـوروس» أو«حامـل حربـة» قمبيـز Cambyses . حيـث إن حامـل الحربـة وحامل الجعبة ليس لهما عوائد كثيرة حيث إنه لقب يسعى الملك عن طريقه أن يكـافيء

واحد من أمناءه. وربما كانت هذه هي العادة التي لاحظها دارا DARIUS عندما وضع أسباثنيس Aspathines وجوبرياس Gobryas بالقرب من مقبرته في نقسى روستام Naqs-i Rustam . وبعبارة أخرى نقول أن دارا DARIUS قد اكتسب صفة سياسية من الدرجة العالية عندما نال قوة/سلطة عالية وممتازة في 522. حيث إنه ولد عام 550 وقد كان قادرًا على أن يصنع لنفسه اسمًا في عصر (حكم) قمبيز Cambyses . ولكن المشكلة تبقى وهي أن دارا DARIUS لم يكن رجلاً عصاميًّا «لم يبنى نفسه بنفسه» هذا من ناحية وكونه أصبح ملكًا هذا أمر أخر. وفي تطور للموقف بشأن ذلك في ربيع عام 522 أنه كان من داخل مجلس السبعة الذي قد صنع القرار. ولكن بتتبع ما وراء هذه الملاحظة فإنه من المفيد أن نكون على دراية بالإدارة الداخلية لهؤلاء السبعة حيث إنهم قد أتوا معًا لغرض ما وهو قهر سمرديس Smerdis وقد كان واضحًا أنه كان هناك تماسك شخصي وعائلي بينهم. تماسكًا «تضامنيًّا» وكان دليلاً مقبولاً يسمح لنا بأن نلمح بأن هناك شيئًا خفيًّا في حالة واحد من المتآمرين وهو جوبرياس Gobryas . حيث إن العلاقة الممتازة بين دارا DARIUS وجوبرياس Gobryas قد وضحت من خلال المكانة التي وضعها له الملك الجديد في واجهة مقبرته الصخرية في نقسى روستام Naqs-i Rustam حيث يظهر هناك على أنه حامل الرمح الملكي وحقًّا فإننا نعلم من خلال هيرودوت Herodotus أن دارا DARIUS كان قد تزوج من ابنة جوبرياس Gobryas قبل أن يعتلي العرش. والتي أنجبت له 3 أبناء ذكور فالابن الأكبر كان يسمى أرتوبارزانيس Artobarzanes . وولد آخر يسمى أريابجنيس Ariabignes . وقد تزوج جوبرياس Gobryas من أخت دارا DARIUS في وقت غير معلوم والتي ولدت له ماردونيوس Mardonius . وربما تبادل الزوجات نتج عنه تحالف عائلي قوي. وربما نستنتج من ذلك أن في التسجيلات القديمة لهيرودوت

Herodotus أن جوبرياس Gobryas كان أكثر المقربين من دارا DARIUS والداعم القوي له وقد أخذ دورًا هامًا في تقديم المقترحات الأولى للملك دارا DARIUS . وقد ساهم بطريقة مباشرة في قتل الماجوسي Magus . وبالإضافة لذلك فإن جوبرياس Gobryas كان من بين الأربعة المتآمرين الذين وافقوا على المقترحات الدستورية لدارا DARIUS ويبقى في الذهن أنه من خلال تقارير هيرودوت Herodotus نفهم أن جوبرياس Gobryas والمتآمرون الثلاثة الآخرون (إنتافرنيس Intaphernes ، هيدارنيس Hydarnes وأردومانيس Ardumanis) كلهم قد دعموا (الادعاء) الملكي لدارا DARIUS من البداية. والاثنين الآخرين وهما أوتانيس Otanes وميجابيزوس Megabyzus لم يتدخلوا في الواقع وأراد أوتانيس Otanes أن يبعد نفسه عن المنافسة الملكية .

القضاء على بارديا

ولنستمر على الدرب فإننا يجب أن نكون على دراية بالأسباب والاعتبارات الفعلية التي أدت إلى مقتل سمرديس Smerdis . فكل المؤلفون القدماء يصرون على أن السبع قد نفذوا ذلك بمفردهم. حيث واجهوه بالأسلحة في أيديهم.. في الأول الحراس ثم سمرديس Smerdis ورفقاءه وهذا يبدوا غير محتمل وعلى أي حال فإن هذا يؤكد أن الملك كان محروسًا فقط من عدد قليل من الحراس عند البوابة وقليل من الطواشي. وهيرودوت Herodotus الذي قال أن مكان هذا الحدث كان في القصر في صوصا Susa يبدو أنه قد استوحى هذه الحكاية من الملامح البطولية التي قد كررها مرارًا في فقرته عن تمرد/عصيان إنتافرنيس Intaphernes . وهي تتماشى مع التمردات الأخرى بدلاً من أن يكون هناك أي معركة حامية. وهذا يتضمن أن السبع لديهم عساكر تحت أمرهم. والمقال الأخير لإنتافرنيس Intaphernes يقودنا إلى أن نعتقد أن كل واحد من السبعة قد جمع أفراد بيته وأولاده وأقاربه حوله. وافتراضي (نظرية) هي أن لهذه

الأسباب ترجع الاستعدادات الممتازة لدارا DARIUS حيث إن لديه العـدد الأكـبر ولديه أفضل فرقة جنود (كتيبة) .

وفي هذه النقطة من النقاش فإنه مـن المفيـد أن نـترك آراء المؤلفـون القـدماء ونتحول إلى نسخة/ نقل دارا DARIUS . لكي نكون متأكدين فإنه مـن العـدل أن نميز ونفرق بين جزء من نقش بيهستون Behistun والتي تشير إلى المعارك التسعة عشر مع الملوك الكاذبين الذين ادعى دارا DARIUS بأنه قد فاز بها في عام واحد. ومن ثم فإن جوماتا Gaumata قد انفصل عن باقي الملوك الذين يظهرون بحبـال حول أعناقهم قبل الملك ويبـدوا أن جوماتـا Gaumata يرقـد تحـت أقـدام الملـك الأعظم الذي يضع قدمه اليسرى وقوسه على جسم جوماتـا Gaumata ولم يظهـر شيء عنه بعد ذلك سوى أنه كان في القائم الذين هزموا في المعارك التسع عشر وقد كتب دارا DARIUS قائلاً «أنا ومعي قليلاً من الرجـال قـد ذبحنـا هـذا الجوماتـا Gaumata والذين كانوا من إتباعه» عند حصن باسم Sikayaunvatis وعند قسم (ناحية) باسم Nisaya وهناك ذبحته».

ويبدو أن قصـة دارا DARIUS مختلفـة إلى حـد مـا عـن قصـة هـيرودوت Herodotus الـذي قـال أن مشـهد الـذبح كـان في قصر صوصـا Susa . وكـذلك القصـة مختلفـة عـن قصـة ستيسـياس Ctesias الـذي قـال أن المتمـرد (جوماتـا Gaumata) كان في السرير مع أحد المحظيات البابليات في ذلك الوقت. فـإذا اتبعنا دارا DARIUS وصدقنا أن جوماتا Gaumata قـد اسـتمال مجموعـة من الناس لنفسه. فإننا لا بد أن نشك أن التخلص منه قد تم عن طريـق قتلـه في حجرة نوم القصر المحمي بطريقة غير جيدة. ويبدو أن التصـفية الجسـدية للمتمرد كانت نتيجة لمعركة خاسرة والتي بعدها التجأ جوماتا Gaumata إلى أحد الحصون في ميديا ولذلك نستطيع أن نتخيل سيناريو مماثلاً لسيناريوهات التمـرد الأخـرى: وهـو معركـة ثـم الهـروب والتخفـي في حصـن ثـم الـتخلص

من المتمرد ومجموعة معاونيه. ولو أن هذا السيناريو حقيقي فإن مجلس السبعة حدد مناقشاتهم هيرودوت Herodotus ولم يكن هذا المجلس سوى مجموعة عامة يعرفون كيف يعتمدون على جيش قادر على القيام بمعارك مع القوات التي لدى الملك بارديا Bardiya ولو كانت هذه هي القضية فإننا يجب أن ندرك أن بعد وفاة قمبيز Cambyses حصل دارا DARIUS على موقع متميز سمح له بأن يتولى قيادة فرق عسكرية معينة والتي سماه فيما بعد بـ«الجيش الميدي والفارسي الذي كان معي» ويشير هذا الافتراض إلى أن دارا DARIUS قد خطط لإنقلابه هذا بشكل جيد وعلى الأقل منذ وفاة قمبيز Cambyses قبل ذلك بعدة أشهر وربما كان من بين الأخمينيين Achaemenid الذين كانوا بجوار قمبيز Cambyses وهو على فراش الموت والذين سمعوا الملك المحتضر يحضهم على محاربة المغتصب. وقد كان من المحتمل أن القصة ضد بارديا Bardiya قد انكشفت. وحكاية أن بارديا Bardiya الذي حاول أن يقابلها باستباحة أملاك النبلاء ولسوء الحظ فإن ليس لدينا معلومات دقيقة حول الفترة ما بين موت قمبيز Cambyses وإقصاء جوماتا/ بارديا Bardiya/ Gaumata وجزء بسيط من التلميحات في أحد التسجيلات لـ أودجاهورسنت Udjahorresnet الذي قال أنه قد اصطحب دارا DARIUS معه إلى إيلام Elam ومن ثم فقد قام الملك الجديد بإرجاعه من إيلام Elam إلى مصر مرة ثانية ونفهم من أودجاهورسنت Udjahorresnet أنه بعد موت قمبيز Cambyses كان دارا DARIUS هو الذي يقود كل شيء ولكن يبدو من الصعب أن نعطي اهتمامًا كبيرًا لهذا التصريح .

ملاحظة على الأسلوب (الطريقة) المقارنة بين نظرية كل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS لا تبين لنا بصورة كاملة أن كل منهما أبسط من أن نصدقه. حيث إن التشويه في الرأي والدعاية للملك الجديد قد تم إظهارها حيث إن رؤيته (نقله) بعيدًا عن (نقل)

هـيرودوت Herodotus حيـث إن قصـة هـيرودوت Herodotus قـد تميـزت بمجموعة من الملامح التي نسجت في شكل مجموعة من الآراء الـدائرة في عصره في آسـيا الصـغرى أو حتـى في اليونـان. حيـث إن الإطـار العـام لنسـخه هـيرودوت Herodotus يمكـن تصـديقه بالكـاد. حيـث إن مـؤامرة السـبعة الأرسـتقراطيين والـتخلص مـن المـاجوس Magus عـن طريـق السـبعة والمناقشـات الدسـتورية وانتخـاب دارا DARIUS عـن طريـق اللجـوء إلى فروسـيتة. وبكـل هـذا فـإن ولا واحدة من العناصر القصصية تستطيع أن تحوذ على انتباه المـؤرخين لفـترة طويلـة وآراء جديـدة يمكـن أن تـأتي مـن خـلال التحليـل والفهـم الجديـد لعبـارات دارا DARIUS التي وردت في سياق تاريخ التوريث - الحكـم. الثـورات وإعـادة الفـتح «الغزو» .

الملوك الكاذبون

«ماذا فعلته بعد أن أصبحت ملكًا» هذه هي كيفيـة تقـديم دارا DARIUS بطريقته في إعادة الملك (الحكم) وقد لاحظ هيرودوت Herodotus قـائلاً «بهـذه الطريقة أصبح دارا DARIUS ملكا لـبلاد فـارس» وبعـد ذكـر الزيجـات أقـام دارا DARIUS تمثال للفروسية. وقد اتجه هيرودوت Herodotus مبـاشرة إلى أهميـة إصلاح الجزية التي أخذت قدر مكثف من النقاش عـلى امتـداد المقاطعـات التـي يحكمها ملـك الفـرس. وبعـد ذلــك ذكـر هـيرودوت Herodotus الـتخلص مـن إنتافرنيس Intaphernes ثم تمرد أوروتيس Oroetes وفي المقابل كان هيرودوت Herodotus صامتًا تمامًا عن الأحداث الأخـرى والتـي لهـا أهميـة عظمـى مثـل تمـرد الشعـوب الخاضعـة للحكـم والتـي أعطـى لهـا دارا DARIUS جـزء كبـير مـن عباراتـه عـلى مقبرتـه في بيهسـتون Behistun وفعـلاً لم يكـن هـيرودوت Herodotus عـلى درايـة بـأن ظهـور دليـل عـلى دارا DARIUS في «أوقـات الإضطرابات» ولكن لأسباب تغيب عنا فإنـه لم يـرى الحاجـة إلى إعطـاء الموضـوع حجم أكبر. فمن جانب قصة ثورة البابليين فقد أعطى لهـا فكـرة بسـيطة وكـذلك

تمرد الماجوس والمؤلفون الكلاسيكيين الآخرين كانوا صامتين وبالنسبة للنقش على مقبرة Behistun والتي أتجه إليها المؤرخون فإننا ليس لدينا نسخة واحدة ولكن أربعة، فبالإضافة إلى وجود نسخة باللغة الإيلامية Elamite (وهي أول نسخة تذكر) ونسخة باللغة البابلية Babylonian وثالثة باللغة الفارسية Persian يوجد أيضًا نسخة قد تعرضت لتلفيات كبيرة وهي النسخة الآرامية Aramaic التي وجدت في مصر. ومن خلال كل ما تقدم فإن النسخ كلها متفقة ولكن أيضًا توجد بعض الاختلافات. والمؤرخون محظوظون في أن يقارنوا بين هذه النسخة وتلك النسخة التي تشتمل على مجموعة من المعلومات لا توجد في مكان آخر. ومن ثم فإن النسختين البابلية والآرامية فقط يوجد فيهما عدد الأفراد الذين قتلوا وأخذوا سجناء من بين جيوش المتمردين .

وطبقًا لما يعرض دارا DARIUS فإن الثورات والتمردات الأولى كانت في إيلام وبابل فبعد التخلص من جوماتا Gaumata ففي إيلام قام أسينا Acina وهو ابن أوبادارما Opadarma بالاستيلاء على السلطة. أما في بابل فإن تشهد الألواح البابلية أن ثورة نيدينتو- بل Nidintue-Bel قد حدثت بحلول بداية شهر أكتوبر عام 522 حيث عرف بملك بابل وإتخذ الإسم الملكي نبوخد نصر Nebuchadnezzar وقدم نفسه على أنه ابن نابونيدوس Nabonidus وفي حين أن الثورة الأولى قد أخمدت بدون صعوبات كبيرة إلا أن ذلك لم يكن حال الثورة الثانية. وكان على رأس الجيش دارا DARIUS الذي عبر نهر دجلة ثم الفرات وألحق هزيمتين متتاليتين بالمتمرد نيدنتو- بل Nidintu-Bel قبل أن يأسره ويعدمه في 18 ديسمبر 522. وعند هذه النقطة قام دارا DARIUS بإحصاء البلاد التي تمردت أثناء إقامته في بابل وهي: فارس، إيلام، وميديا، آشور، مصر، وبارثيا، مارجيانا، ساتاجيديا، والساكا في آسيا الوسطى. وقد جاءت بعد ذلك قصص انتصارات دارا DARIUS وضباطه .

وقد استخدم المؤرخون نقش بهستون Behistun التي تقدم عدد من المشكلات فإذا تتبعنا قائمة البلاد المتمردة التي ذكرها دارا DARIUS فإن الثورات قد شملت الإمبراطورية بالكامل من المتوسط إلى نهر الإندوس Indus . ومن سير داريا Syr Darya إلى بابل وإيلام ولكننا لم يتم إخبارنا بكل الجبهات وقد تحدث دارا DARIUS في بادئ الأمر عن الاضطرابات في ثلاث أقاليم رئيسية وهي فارس، ميديا والهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى وإيلام وبابل وفي المقابل فإن ذلك لم يكن من خصائص الأقاليم الغربية. وقد تعلمنا من خلال هيرودوت Herodotus أنه كان هناك اضطرابات في آسيا الصغرى ولكنها كانت ناتجة عن عدم خضوع المرزبان الفارسي أوروتيس Oroetes وليس تمرد إقليم ليديا إذا أردنا إعطائه الوصف الصحيح وذلك على الرغم من أن إدارة المرزبان قد أثارت سخط جزء من السكان. وكان الملك صامتًا عن الثورة في مصر وعلى الرغم من أنه قد نوه إليها في إحصاءه ومن الممكن أن الحاكم المحلي بيتوباستس Petubastis قد تمرد في عام 521 واختفى بعد عدة أشهر ولا شك أنه دفع ثمن أخطاءه وقد قتل عن طريق المرزبان أرياندیس Aryandes . وقد كان يعتقد في بعض الأحيان أن الاضطرابات قد زادت في إقليم يهودا بالاتفاق مع الثورات البابلية ولكن النصوص التي قدمت يجب أن تقرأ بعناية فربما نعتقد اعتقاد بعيد الاحتمال أن اليهود بعد خمس عشر عام وأكثر من عودتهم الصعبة والقاسية ربما يكون لديهم من الرجال والقدرة الذي يدفعهم للتفكير جديا باستعادة المملكة القديمة لصالح زيروبابل Zerubbabel .

إنها الجوانب التاريخية هي التي تبقى محل نقاش فكل نصر محدد بالشهر واليوم والعام ولكن ليس من السهل أن نحدد العام. وفي مرات عديدة قد حقق دارا DARIUS تسعة عشر نصرًا في عام واحد. ومعنى هذا التعبير قد ظل محل نقاش. وهناك بالكاد شك أن تكرار هذا الموضوع الأيديولوجي إنما هو معروف في مكان آخر فالهدف منه هو تعظيم

الملك المنتصر وبالتأكيد فإن دارا DARIUS ليس متواضعًا نظر لما يدعيه قائلاً «هؤلاء الملوك السابقين وطول المدة التي عاشوها لم يفعلوا أي شيء مثلما فعلت أنا في عام واحد بفضل أهورا مازدا Ahura-Mazda » ولكن في نفس الوقت أنكر دارا DARIUS الحقيقة وزيف «الواقع» قائلاً:

اتجهت بنفس السرعة إلى أهورا مازدا Ahura- mazda وهذا حقيقي وليس مزيف والذي فعلته بنفسي وفي نفس العام وبفضل أهورا مازدا Ahura-mazda أشياء أخرى كثيرة فُعلت ولكن هذا لم يذكر ضمن التسجيلات ولهذا السبب فلم يتم تسجيل لمن يريد أن يقرأ وفيما بعد هذه التسجيلات حيث ما فعلته أنا ربما يكون زائد عن الحد ولا يقنعه ولكن سوف يعتقد أن ذلك خطأ .

ولأن العمليات العسكرية قد نفذت في جبهات عديدة في نفس الوقت. فإن جامعى النقش لم يتبعوا خطة محددة لتقديم تسلسل الأحداث. فقد صوروا المواجهات على أساس المنطقة المشتركة لحدوثها فنجد: إيلام وبابل، ثم ميديا وأرمينيا وساجارتيا Sagartia ، ثم بارثيا-هركانيا Parthia-Hyrcania ، ثم مارجيانا، ثم فارس، ثم أراخوسيا وساتاجيديا، ثم الملخص، وعلى الرغم من ذلك فإن الترتيب الذي تم به عرض الملوك الكاذبون في نقش بيهستون يبدو أنه يتبع التسلسل التاريخي للأحداث حيث إن جوماتا Gaumata يحكم فارس وأسينا Acina في إيلام ونيدينتو- بل Nidintu-Bel في بابل وفرافرتيس Fravartis في ميديا ومارتيا Martiya في إيلام وسيسنتاخما Cicantakhma في ساجارتيا وفاهيازداتا Vahyazdata في فارس وأرخا Arkha في بابل وفرادا Frada في مارجيانا ولكن بقيت هناك العديد من المناقشات وخصوصًا حول تاريخ التخلص من فرادا Frada هل هو ديسمبر 522 أم ديسمبر 521 .

انتصارات دارا DARIUS وضباطه:

إن التعدد في الجبهات قد أكد عليها دارا DARIUS نفسه. فإنه أراد أن

يفخر بجراءته في النصر الأخير. حيث قال «بينما أنا في بابليون Babylon في منتصف ديسمبر إلى منتصف يناير 521 وهذه هي المقاطعات التي تمردت ضدي. وبالتالي فإن قائمة من تسع بلاد قد تبعتها في هذا الإطار. وقد نفذت عمليات عسكرية على نطاق واسع على جميع الجبهات وأحيانًا على مسافات بعيدة عن بعضها وقد انتصرت جيوش دارا DARIUS في أيام قليلة أو في نفس اليوم ففي 15 يوليو 521 قام أحد القادة الميديين وهو تاخمسبادا Takhmaspada بالقضاء على التمرد في ساجارتيا وهي بالقرب من ميديا وهناك قائد آخر وهو أرتافارديا Artavardiya أعاد فتح وهي فارس بعد هزيمة فاهيازاداتا Vahyazdata . ومن ديسمبر 522 إلى يناير 521 احتاج دارا DARIUS وضباطه إلى إخماد مناوشات عديدة، وفي النصف الثاني من ديسمبر وحدة 522 كان هناك نصرين لدارا DARIUS في بابل حيث أخمد الثورة في إيلام ونصر آخر في آشور هذا بالإضافة إلى الانتصار على فرادا Frada في مارجيانا إذا كان فعلاً يرجع إلى ديسمبر 522 ومع ذلك فإن دارا DARIUS قد دخل في معارك حامية، وفي الحقيقة يجب أن نتصور أن هذه الحملات تميزت بسلسلة من المناوشات .

وحتى لو قدم كل هذه الانتصارات بنفسه [وبقوة من أهورا مازدا Ahuramazda فقد قضيت على جيش المتمردين]. إنه ومن الواضح إلى حد ما أن الملك لم يقود العلميات طول وقت .

ولقد تقدم ليخمد ثورة البابليين في ديسمبر 522. وقد كان واضحًا أنه قد أعطى أوامره بإعدام المتمرد الايلامى أسينا Acina وهو في بابل، وقد تسلم رسائل هامة في بابل من الجبهات المختلفة وأرسل رده عليها. حيث أرسل الأوامر إلى فيفانا Vivana وهو المرزبان الذي كان قد عينه على أراخوسيا بأن يهاجم الجنود الذين أرسلهم فاهيازداتا Vahyazdata إلى هناك وهو الذي إستولى على السلطة في فارس باسم بارديا Bardiya . وفي نهاية ديسمبر 522 إنتصر(ضابطه) فوميسا Vaumisa بمعركة في

آشور على المتمردين الأرمن. وفي 12 يناير التالي حقق فيدارنا Vidarna الفارسي والذي تم إرساله من بابل الانتصار في ميديا.

وفي منتصف يناير 521 ترك دارا DARIUS بابل وقرر أن يقيم مركز قيادة عامة للجيش في ميديا حيث كان يواجه ضباطه الكثير من الصعوبات هناك ومن الواضح أنه المتمرد الميدي فرافاتيس Fravatis قد حقق بعض النجاح هناك وكان يوسع من نطاق عملياته بإتجاه بارثيا-هركانيا وبعد فترة قصيرة حقق فيفانا Vivana النصر الثاني في اراخوسيا في 21 فبراير. وقد فتح هيستاسبيس Hystaspes أبو دارا DARIUS بهزيمة مناصرى فرافاتيس Fravatisis في بارثيا-هركانيا في 8 مارس. وقد واجه دارا DARIUS بنفسه المتمرد الميدي وانتصر عليه في 8 مايو. وبعد هذا الانتصار نصب دارا DARIUS نفسه على عرش إكباتانا Ecbatana وسرعان ما تم إحضار ملك الميديين المتمرد للمثول أمامه بعد أن تم أسره عند راجاي Rhagae في ميديا (في منتصف مايو) ولأشهر عديدة قام دارا DARIUS بتنسيق العمليات العسكرية على جبهات عديدة. ولقد كانت الثورة الأرمينية ما زالت مستمرة في يونيه 521 على الرغم من الانتصارات العديدة التي حققها بشكل متتالي كل من فوميسا Vaumisa ودادارسى Dadarsi مرزبان باكتريا Bactria . وبعد عدة أيام (في يوليو) تم إخماد ثورة ساجارتيا. ثم تم القضاء على آخر التمردات الباقية في بارثيا-هيركانيا، وخلال هذا الوقت تابع فاهيازداتا Vahyazdata هجومه في فارس وقد توقف في منتصف يوليو. ولم يتمكن دارا والذي كان قد عاد في هذه الأثناء إلى فارس من أن يخفف من حدة جهوده ففي أغسطس 521 تمرد البابليون مرة ثانية. تحت قيادة أرخا Arkha الذي أطلق على نفسه لقب ملك بابل. فأرسل دارا DARIUS جيشًا إلى بابل تحت قيادة هيدارنيس Hydarnes (في 1 سبتمبر) والذي انتصر في 27 نوفمبر، وفي النهاية إذا كانت ثورة فرادا Frada في مارجانيا Margania يرجع تاريخها إلى عام 521 وليس عام

522 فلقــد قضى عليهــا دادارسي Dadarsi في نهايــة ديســمبر. ولقــد أمــر دارا DARIUS بعد ذلك بعمل ذلك النقش البارز الموجود على سطح منحدر بيهستون حيث يفتخر بذلك قائلاً «هذا ما صنعته أنا بفضل أهورا مازدا Ahura-mazda في عام واحد، وفي نفس العام بعد أن أصبحت ملكًا ووقمت بأسر هؤلاء الملوك الأحـد عشر في هذه المعارك .

انتصارات دارا DARIUS تقييم عسكري:

على الـرغم مـن الشخصـية المنـتصرة حسـب ادعـاءات دارا DARIUS إلا أن هناك أزمة لها أهميتها ولا نبخسـها قـدرها. وهـي أن المحاولـة التـي قـام بهـا دارا DARIUS وأتباعه عملت على إظهار نقاط قوة وضعف الإمبراطوريـة التـي بناهـا قورش Cyrus وابنه. إذا ما نوع التقييم الذي يمكن أن يوضع لذلك؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليسـت بالمهمـة السـهلة وذلـك لأن طبيعـة الروايـة المنقوشة على سطح منحدر بيهستون تعوق أي محاولة للتحليل المفيد بسبب روايتهـا أحادية الجانب للانتصارات المتراكمة للملـك عـلى حسـاب أي ملحوظـة عـن الهـزائم. وبالتالي فإنه من الصـعب أن نؤكـد أن في نهايـة 521 انطفـأت شرارة الثـورة والتمـرد. وربما نلاحظ على سبيل المثال أن لا يوجد ذكر واضح وصريح للهزيمة المؤكدة لأرمينيـا Armenia وأورارتـو Urartu . حيـث إن دادرسي Dadarsi قـد هـزم الأرمـن ثـلاث مرات ولكن لم يكن أي مـن هـذه الانتصـارات قـوي أو حاسـم لأنـه انتظـر في أرمينيـا حتى يصل الجـيش الميـدي الملـكي وهـزم الأرمـن مـرتين ثـم انتظـر بـدوره الملـك دارا DARIUS حتى يصل من ميديا. وحيث إنها لم تذكر وحدها في قائمـة الـبلاد المتمـردة فإن ثورة أرمينيا كانت توصف على أنها أصلا مرتبطـة بتمـرد فرافـارتيس Fravatis في ميديا. ولم تذكر أرمينيا في الملخص العام ولم يتم ذكر أي أرمنى من بين الملوك الكـاذبين في نقش بيهستون. ويبـدو أنهـا مخـاطرة أن نأخـذ نتيجـة الهدنـة عـلى أنهـا نصر كـما

وصفه دارا DARIUS . وهو موقف محفوظ ومحقق لأنه في العام التالي 519 تمردت إيلام مرة أخرى. واضطر دارا DARIUS بنفسه لقيادة حملة ضد شعب الساكا في آسيا الوسطى. وهناك حقيقة بسيطة ويجب نذكرها في البداية: إن دارا DARIUS وقادته في غضون شهور قليلة قد أخمدوا نيران الثورة. وعلى مستوى النتائج المباشرة فإننا يمكن القول أن الجيوش الملكية قد أظهرت تفوقها وإن كانت هذه العبارة محل نقاش. وقد أكد دارا DARIUS مرات عديدة على أنه قد جمع وحدات عسكرية مختلفة من الجيوش الفارسية والميدية. وهذا بلا شك يشير إلى جيش قمبيز Cambyses الناقص الكتائب والتي أرسلت إلى مصر عن طريق البلاد التي تدفع الجزية ثم أن دارا DARIUS يستطيع أن يعتمد على عساكره لكي يبقوا وفي وكان هذا حقيقيًّا حتى في ميديا حيث إن جزء قليل من الجيش الفارسي والميدي رفضوا أن يدخلوا في التمرد فضلاً عن أنه كان قادرًا على أن يجمع جنودًا جدد من خلال انتصاراته .

والأشكال الأخرى التي تمتلكها هي أعداد خسائر المتمردين التي قد أعطيت في نسختين أحدهما باللغة البابلية والأخرى باللغة الآرامية .

وبعض هذه الأشكال مؤثرة ولكن المشكلة كما نرى هي أن قراءة هذه الأشكال (النماذج) بعيدة عن تفسيراتهم الصعبة التي تتسم بالمخاطرة. وفقط إحصاءً واحدًا عن الجيش قد أعطى في النسخة البابلية: وفيها أن الجيش قد قاده مرزبان أراخوسيا Archosia وهو فيفانا Vivana بعد الفوز بالمعركة الثانية ضد ضباط فاهيازداتا Vahyazdata والذي يعطي التقرير بأن عدد 4579 رجل. ونحن نعرف من مكان آخر أن الملك قد عهد إلى هيدارنيس Hydarnes بكتيبة (فصيلة) من الجيش لإخماد الثورة (التمرد) في ميديا وقد أخمدت هذه الكتيبة الثورة إلى أقصى حد. وبالطبع فإنه طبقًا للنسخة البابلية فإن خسائر الميديين بعد هذه المعركة قدرت بنحو عدد 3827 قتلوا وعدد 4329 تم أسرهم وهذا يوضح أن مجموع

الجيش المتمرد كان أكبر بكثير. وأفضل دليل أن هيـدارنيس Hydarnes منـذ ذلـك الحين قد فضل أن ينتظـر في تأهـب واسـتعداد يتسـم بالهـدوء. حتـى وصـول دارا DARIUS والذي قد ينضم إليهم بعد ذلك بالقرب مـن بيهسـتون. لـذا فلـم يكـن النصر الساحق شيئًا أكثر من اتخاذ/ارتباط غير محقق (أو حتـى هزيمـة) ولـذا فـإن الترجمة البابلية يجب أن نتعامل معها بحرص. وبأي معدل فإن التفسـيرين الاثنـين ليستا فقط لأن نتبادلهم. فمن الواضح أن نـذكر قصـة الدعايـة لـدارا DARIUS : حيث إنه يجب أن يكرر بأنه قد تغلب على قوى متمردة عديـدة (هائلـة) بجـيش قد وصفه في مرات عديدة بالصغير. ويبدو من الواضح أن الجزء الأكبر مـن الجـيش قد بقـى تحـت القيـادة المبـاشرة لـدارا DARIUS وأنـه قـد اسـتخدمه ليسـتعيد الحصول على بابل [من أكتوبر 522 حتى مطلع ينـاير 521]. وكنتيجـة لـذلك فقـد أرسل وحدات عسكرية من آلاف قليلة من الرجال تحت قيادة ضباطه. ولقـد كـان النصر على فرورتيس Phroartes في ميديا [مايو 521] له أهمية إستراتيجية كبيرة. ولمعرفة أثر هذه المعركة [معركـة كونـدوراس Kundurus] عـلى الجـيش الميـدي المتمرد أنظر الجدول. حيث إن تأمين الجبهة الشمالية في مايو - يونيه سمحت لدارا DARIUS أن يعيد نشر العساكر ضد فاهيازداتا Vahyzadata في فارس. وفي النهايـة فـإن دارا DARIUS قـد هـزم كـل الجيـوش التـي تحالفـت ضـد السـلطة الفارسـية Persian وقد كان ذلك ظاهرًا بسبب عدم وجود خطط محكمة لمواجهة الجيش الملكي وبسبب انعزال وانفصال بعض المتمردين الذين انهزموا بسرعة. فأول مـن تمـردوا إيـلام، أسينا Acina واستسلموا بعد استلام رسالة من الملك. أما التمرد الثاني فلـم يجـد لـه أي مساعدة محلية وبالتالي فإنهم خافوا وتأثروا بـاقتراب الملـك كـما يقـول دارا DARIUS قام الإيلاميون بالقبض على ملكه وأعـدموه بأنفسـهم. وعـلى العكـس مـن ذلـك فلقـد أظهرت الثورات الأخرى مقاومة عنيفة. حيـث إن متمـردي أرمينيـا كـانوا قـادرين عـلى

أن يخوضوا خمس معارك في ست شهور وقد قاوم فرافاتيس Fravartis في ميديا لمدة خمس أشهر وأيضًا فاهيازداتا Vahyazdata في فارس لم يتم أسره إلا بعد أن مرت سبعة أشهر وبعد معركتين وقعت في فارس نفسها.

وبهذا لا نستطيع أن نقول أنه ليس هناك تعاون إقليمي. وبالعكس إلى حد ما فقد كان هناك تعاون محكم والذي ساعد على توضيح الخطر الذي يأتي عن طريق ثورات الفرس والميديين. وأحد هذه المخاطر هي أن هذه الثورات قد منعت دارا DARIUS على الأقل في البداية من أن يزيد عدد الجنود الجدد في هذين البلدين التي قد شكلت قاعدة للتجنيد في العهد الأخميني فضلاً على أن فرارتيس قد أخذ قيادة جيش ميديا المستقر في البلد وقد حشد فاهيازداتا Vahyazdata الجيش الفارسي Persian الذي كان في القصر... بعد الهزيمة الأولى عند راخا Rakha وقد حشد فاهيازداتا Vahyzadata جيش جديد في بييوفادا Paisiyauvada بالقرب من باسارجاداى فماذا إذًا. لم يكن واحد من هذه التمردات مقيدًا بحدود فارس أو ميديا. حيث حاول فاهيازداتا Vahyzadata أن يسيطر على الجزء الشرقي من هضبة إيران عن طريق إرسال جيش ضد أراخوسيا Arachosia . وهذه الاضطرابات والهجوم في ساتاجيديا [وهو اقليم يقع بين أراخوسيا Arachosia وقندهار Gandhara] وهذه الاضطرابات قد هددت سلطة الأخمينيين على هضبة إيران الجنوبية وحتى كارمانيا Carmania [وفي أواخر عام 522 ومطلع عام 521] وحالة التمرد فرافاتيس Fravatis في ميديا كانت ظاهرة. وفي ساجارتيا زعم قائد التمرد مثله مثل فرافارتيس Fravartis بأنه ينتمي إلى عائلة سياكساريس Cyaxares ولقد أطلق دارا DARIUS على زعماء القبائل في بارثيا - هيركانيا «مناصرى فرافارتيس Fravartis ». ويبدو أيضًا كما رأينا أن طول الصراع في أرمينيا إنما يرجع إلى تمرد ميديا. وقد إستولى فرافارتيس Fravartis على الطريق الاستراتيجي من ميديا إلى آسيا الوسطى.. وبعد هزيمته قرر أن يزحف

ناحية الشرق ولذلك قام دارا DARIUS بارسال فصيلة صغيرة من جيشه والتي نجحت في اللحاق به وأسره عند راجاى Rhagae بالقرب من بوابات بحر قزوين ومن هنا تفهم دارا DARIUS الخطر جيدًا. وهذا هو السبب الذي دفعه إلى أن يستعيد قوته مرة ثانية في ميديا Media [21 يناير] لكي يستطيع أن ينظم دفاع مضاد ويمنع فرافارتيس Fravartis من أن يقطع اتصاله بآسيا الوسطى. وربما بسبب أهمية الثورة و(تمرد) فرافارتيس Fravartis فلقد جعل هذا هيرودوت Herodotus يلقي الضوء على ثورة الميديين عندما ناقش إخضاع Ecbatana على يد قورش Cyrus وفي وقت ما بعد ذلك رفضوا خضوعهم وثاروا ضد دارا DARIUS ولكنهم هزموا ورفضوا مرة أخرى».

2- الجوانب السياسية للثورات:

إن تعريف أسباب وأصول الثورات مبهم حيث الملاحظة التي تستحق الذكر هي أن كل زعماء الثورات كان لديهم طموح للحكم. فكل منهم أخذ لقب ملك. حيث إن أسينا Acina أعلن نفسه ملكًا على إيلام كم ان سيسانتاخما cicantakhma ملك ساجارتيا وفرادا Frada ملك مارجيانا... الخ.

وفي معظم الحالات أخذ المتمردون أسماء سائدة بينهم سمحت لهم بالاتصال بالحاكم المحلي والتي أزالها قورش Cyrus: في بابل أطلق نيدينتو-بل Nidintu-Bel على نفسه نبوخذ نصر Nebuchadnezzar ابن نابونيدوس Nabonidus . وأيضًا ادعى فرافارتيس Fravartis بأنه كان من عائلة سياكساريس Cyaxares [اوفاكسترا Uvaxstra] مثل المتمرد الساجرتى. حيث كانت الرغبة في تهييج الرأي العام واضحة حتى أن الأجانب مثل مارتيا Martiya الفارسي في إيلام أو أرخا Arkha الأرميني في بابل سعوا إلى التأكيد على استمرارية الحكم لمصلحتهم وهذا الاختيار إنما يعكس غرض سياسي واضح لكي يجملوا ويلخصوا التاريخ

المحلي ولينهوا ذلك الفاصل القصير من السيطرة الأخمينية، ففي بابل وكانت هناك وثائق لمدة سبعة أشهر ترجع تاريخها إلى عام اعتلاء العرش والعام الأول لحكم الملك نبوخد نصر Nebuchadnezzar ؛ وفترة حكم فاهيازداتا/بارديا Vahyazdata /Bardiya في فارس Persia (ولكن هذا ربما يشير إلى بارديا Pardiya الأول)

ولسوء الحظ فإنه من الصعب أن نقدر الصدمة الكبيرة للناس بسبب هذه الاحتيالات. وهذه الصدمة لم تكن ظاهرة في إيلام حيث إن هناك لم يكن أي من الملكين في وضع يستطيع أن يحشد القوات وعلى الجانب الآخر فإن عودة التمرد في نفس الإقليم على وجه الخصوص (إيلام وبابل] يؤكد على أن الترابط بين المقاطعات المقهورة (المفتوحة) داخل الإمبراطورية الأخمينية ما زالت غير مكتملة. وحتى دارا DARIUS فإن صوصا Susa ظلت ذات طابع إيلامي ولكن بصفة عامة فنحن نفتقر إلى معلومات عن عمق واتساع الثورات ويعتقد بعض المؤرخين أنه على أساس عدد الناس الذين قتلوا واسروا وهم نحو 100.000 ..فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى استنتاج بخصوص الشخصية القومية والشعبية للثورات العديدة .

ولنأخذ جانب من بعض القراءات غير المؤكدة حيث إن عدد الخسائر الكلية في ميديا Media بلغ نحو 000,50 وفي مارجيانا Margiana نحو 000,55 قتلوا و6972 أسروا. وطبقًا لبعض القراءات وهي كلها تستحق الذكر هل مقدار الخسائر يشير إلى الفتن/الثورات هي التي دفعت الشعب بالكامل أن يهب للحرب «و يتقلد السلاح» في ثورة شعبية ووطنية. أو هل هي انعكست على القمع الشديد لإبعاد السكان المدنيين الذين بقوا بعيدين عن هذه الحركة. ويوجد شك ضئيل في عودة هجوم الفرس على ضفاف دجلة Tigris والفرات Eupherates . وفي النهاية الحقيقة بأن القادة قد حشدوا القوات بين السكان ولم يقولوا أي شيء عن الشخصية القومية للحركة (الثورة) .

وطبقًا لدارا DARIUS فإن الثورات قد اندلعت بعد أن انتصر على جوماتا Gaumata 29 سبتمبر 522) ولكن للأسباب المعطاة فإن رواية الملك الجديد يجب أن نعرفها عن بعد، لأن عدم الرضا كان واضحًا بين السكان المقهورين. وأفضل برهان على ذلك هو المعايير التي أخذها سمرديس Smerdis لكي ينهي الجزية والضرائب العسكرية لمدة ثلاث أعوام. كما أن صعوبات الحكم في قلب الإمبراطورية إنما قد قدمت فرصة مثالية لمنافسة السلطة الأخمينية وبدون طرح فكرة معقولة بأن بعض البلاد قد تمسكت بذاكرة أو تراث الأجداد القدماء. لذا فإننا نستنتج حالة عدم الرضا القوية بسبب نظام الجزية. كما فهم سمرديس Smerdis وقد قاد الثورات الطبقات المتسلطة المحلية الذين كانوا حريصين على أن يستبقوا الفوائد (العوائد) التي جلبوها من تسخير الناس والأرض وأنفسهم بدلاً من الطبقة الفارسية Persian الجديدة المهيمنة. كما إن عدم رضاهم أيضًا إنما يرجع إلى العبء الزائد للضرائب كما وضح من خلال شكوى المصريين ضد حاكمهم أرياندیس Aryandes (بوليانوس Polyaenus، VII ، فقرة1*7). وأيضًا من المفيد أن نلاحظ أنه حتى في البلاد التي تحمل هوية ثقافية قوية فإن شيئًا لم يسمح لنا بأن نفترض بالإجماع الاتجاه المضاد للفرس .

وأثناء عهد كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses فإن الكثير من النبلاء المحليين قد اشتركوا بإرادتهم مع السلطة الفارسية. ودعنا نسترجع على سبيل المثال أن دارا DARIUS قد تم تدعيمه عن طريق جيش فارسي - ميدي لكي ينتصر على ثورة المتمرد الساجارتي الذي ادعى بأنه ينحدر من عائلة سياكساريس Cyaxares . وقد ذكر دارا DARIUS اسم دادارسي Dadarsi الأرميني الذي سانده في أرمينيا. وفي أي حال ما هو المغزى من الثورات في صوصا Susa وبابل التي قادها الفارسي مارتيا Martiya والأرميني أرخا Arkha على التوالي؟

دارا Darius وفياهيازداتا Vahyazdata :

ثورة واحدة كان لها أهمية خاصة بالاسم وهـي ثـورة فـارس حيـث إن رجـل اسمه فياهيازداتا Vahyazdata قد رفع راية الثورة مدعيًا أنه بارديا Bardiya هو ابن قورش Cyrus . وكما لاحـظ دارا DARIUS أنهـا كانـت الثـورة الثانيـة التـي أثيرت باسم عائلة قورش Cyrus وقد فاز فاهيازداتا Vahyazdata بتأييد الجـيش الذي وصل من أنسان Ansan وأصبح ملك الفـرس. ومـرة أخـرى نقـول أن وضـع الحكم غير المستقر كان أصل الثورة. وقد هزم فاهيازداتا Vahyazdata عن طريق أرتافارديـا Artavardiya الـذي أرسـله دارا DARIUS ولهـذا نجـح فاهيازداتـا Vahyazdata في حشد جيش ثاني وأرسل قواته إلى أراخوسـيا Archosia ولم يكـن حتى منتصف يوليو 521 حتى تم هزيمته بالكامل وفي نفس الوقت قد أخـذ أسـيرًا وأعدم في وجود دارا DARIUS في مكان مجاور مباشرة لبرسيبولس .

إن أصول وطرق هذه الثورات مبهمـة. هـل حصـل بارديـا Bardiya الجديـد مساعدة من عائلات نبلاء معينـين الـذين فزعـوا مـن جـرأة دارا DARIUS الـذي دعمه طبقة الفلاحون الذين تألموا من فقدان بارديا الآخر Bardiya .

ولكي نسأل سؤال سوف يفتح علينا موضوع سياسـة بارديـا الأول Bardiya . إذا كانت نظرية أن بارديا الأول هو المتحدث باسم طوائف معينة في المجتمع الفـارسي لم توجد هذه النظرية حتى الآن. ولا يوجد سبب لأن نقبل التفسيرات الاجتماعية للثـورة الحديثة بـدون تحفـظ. لأسـباب ترجـع إلى الثـورة المتواليـة للجيشـين في الفـرس التـي لا تعطينا مؤشر قوي لاتجاهـات وميـول سـكان الفـرس. وقـد اعتنـى دارا DARIUS بـألا يعطـي أي اهـتمام خـاص لثـورة فاهيازداتـا Vahyazdata . الـذي لاقـى نفـس الرعايـة مثـل الملـوك الكـاذبون الآخـرون. ولم يكـن لفاهيازداتـا Vahyazdata مكانـًا

خاصًا على نقش بيهستون ليس مثل جوماتا Gaumata . وقد أنكر دارا DARIUS موقفه الملكي الذي كان مهددًا فعلاً عن طريق ثورة فاهيازداتا Vahyazdata الذي لا يمكن تمييزه بأي طريقة عن الملوك الكاذبين الآخرين .

ونحن ربما نقترح أن وصف دارا DARIUS نفسه مشكوك فيه فما حدث قبل ذلك من حيث إنه قد كان قادرًا على جمع مناصرين له من نبلاء الفرس وإدارة أخمينية Achaemenid حوله. حيث إن فيفانا Vivana القائد في أراخوسيا وأيضًا دادارسي Dadarsi وهو القائد في باكتريا قد نفذوا أوامر دارا DARIUS بحزم وعزموا على صد الحملات التي قادتها قوات فاهيازداتا Vahyazdata في أراخوسيا وقوات فرادا Frada في مارجيانا. وربما كان ذلك نفس الشيء بالنسبة لأرياندس Aryandes في مصر. وقد كان والد دارا DARIUS وهو هيستاسبيس Hystaspes حاضرًا وقد قاد العمليات في بارثيا - هاركانيا. كما أن أربعة من الستة المتآمرين في 522 كانوا ضمن قائمة القادة العسكريين لدارا DARIUS حيث إن إنتافرنيس Intaphernes الذي أخمد ثورة أرخا Arkha في بابل (نوفمبر 521) وهيدارنيس Hydarnes الذي حارب ضد فرافارتيس Fravartis في ميديا (يناير 521) وجوبرياس Gobryas الذي تم إرساله لكي يقضي على التمرد الايلامى الجديد (في العام التالي). وأيضًا أوتانيس Otanes نفسه الذي بعد فترة قصيرة قاد الجيش لغزو جزيرة ساموس

ثورة أوروتيس:

مرزبان واحد هو الذي رفض أن يساعد دارا DARIUS وهو أوروتيس Oroetes والذي كان في فترة قورش Cyrus متقلدًا منصب حاكم سارديس. وهذا الشخص ذو المنصب الرفيع أصبح بالفعل مشهورًا عندما تخلص من بوليكراتيس Polycrates عن طريق الخيانة وكان ذلك في نهاية عهد قمبيز Cambyses . وقد ويمثل هيرودوت Herodotus مصدرنا

الوحيد للمعلومات عن التداعيات التـي أحـدثها تـولى دارا DARIUS الحكـم في الأراضي الغربية للإمبراطورية .

وبعد موت قمبيز Cambyses وخلال الفترة التي كانت تحكم فارس فيها من قبل الماجوس المدعى. عاش أوروتيس Oroetes في سارديس Sardis ولم يقـدم أي مساعدة لأولاد بلده في مقاومة اغتصاب ذلك الميدي للسلطة ولقد دبر خلال هـذه الفترة التي إتسمت بالاضـطراب مـوت متروبـاتيس Metrobates حـاكم داسـيليوم وأيضًا ابنه كراناسبيس Cranaspes وهو رجل لم يكن أكثر شهرة من والده ولم يكن مقتل هذين الرجلين هـو الجريمـة الوحيـدة التـي إرتكبهـا أوروتـيس Oroetes في خلال هذه الفترة .

لـذلك فقـد خـص بالـذكر أوروتـيس Oroetes الـذي قتـل أحـد رسـل دارا DARIUS على طريق العـودة لأن مـا أمـره بـه لم يعجبـه. ولقـد حـدثت الواقعـة لمصلحة معينة لأنها أول مثال مسجل لعدم خضوع الحاكم للملك .

وتواريخ هذه الأحداث محددة بدقة من جانب هيرودوت Herodotus فقـد كتب قائلاً ما زال القلق مستمر وبالفعل قد جاء دارا DARIUS للسـلطة. ونحـن الآن في أكـثر فـترات التمـرد (الثـورات) ويمكـن أن نـدعي أن دارا DARIUS في أكباتاتا Ecbatana (في بداية 521) قد أمر أوروتيس Oroetes بأن يسـير بمـا هـو متاح من عساكر ويعبر نهر The Halys ويقـدم المسـاعدة للقـوات الملكيـة التـي كانت تواجه صعوبات كثيرة في وجه الثورات الأرمينية والميدية معتمدًا على حراسة (1000) فارسي. وقد اختـار أوروتـيس Oroetes أن يتجاهـل الأوامـر وأن يتحـدى السلطة الجديدة لدارا DARIUS . ولم يريد أن يعيـد نشر الكتائـب عـلى الجبهـة الجديـدة. وتحـول دارا DARIUS إلى حاشـية مـن الفـرس. وقـد قـال هـيرودوت Herodotus أن 30 من الفرس اندفعوا وكان كل واحد منهم مشـتاق ليـؤدي دوره حيث تم اختيار باجيوس Bagaeus من قبل الكثيرين .

فعنـدما وصـل إلى سـارديس Sardis اخـترع حيلـة لـكي يختـبر وفـاء هـؤلاء

الحراس فقد رأى أنهم قد أظهروا قدرًا كبيراً من الوقار والاحترام لبعض الخطابات الملكية التي جعل السكرتير يفتحها واحد تلو الآخر. وقد فض باجيوس Bagaeus الختم لآخر خطاب وفيه رد الملك دارا DARIUS يأمر الفرس أن يقتلوا أوروتيس Oroetes وهذا ما فعلوه على الفور. وقد تم مصادرة أملاك المرزبان .

إن قصة هيرودوت Herodotus توضح العلاقة بين الملك الجديد وبين الفرس. ليس فقط الفرس هم الذين أحاطوا به ولكن أيضًا الفرس المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية المختلفة والذي شدد هيرودوت Herodotus على إخلاصهم. وقد افترى عليهم بأنهم هم الذين قتلوا الأرستقراطيين الكبار مثل متروباتيس Mitrobates وابنه. ولم يترك هيرودوت Herodotus لنا الفرصة بأن نعتقد أن أوروتيس Oroetes قد وجد الكثير من الفارسيين في سارديس Sardis الذين كانوا جاهزين لأن يتتبعوه في ثورته. وبالنسبة لهم فإن الإخلاص للملك يتكون من الرغبة في المحافظة على كل الامتيازات التي من حقهم على السلطة الإمبريالية. وحقًّا فإن رفض أوروتيس Oroetes لمساعدة دارا DARIUS والفرس الخاضعين له قد ساعد ذلك على وضع أوروتيس Oroetes تحت نظره، ليست فقط إدارة دارا DARIUS ولكن أيضًا الصرح أو البناء الذي أقامه قورش Cyrus وقمبيز Cambyses والذي يدل على وجود القوة والحيوية والسلطة الشرعية المركزية .

3- نتيجة الانتصار: القصة الرسمية

الجريمة والعقاب: الشهرة والدعاية

إن الإجراءات والتحركات التي أخذت ضد الملوك الكاذبين والتي صنعت من المخاطر التي تواجه دارا DARIUS إرادته القوية في مواجهتها من البداية. وبأمره قد أقام نيدنيتو-بل Nidintue-Bel عند بابل ولقد

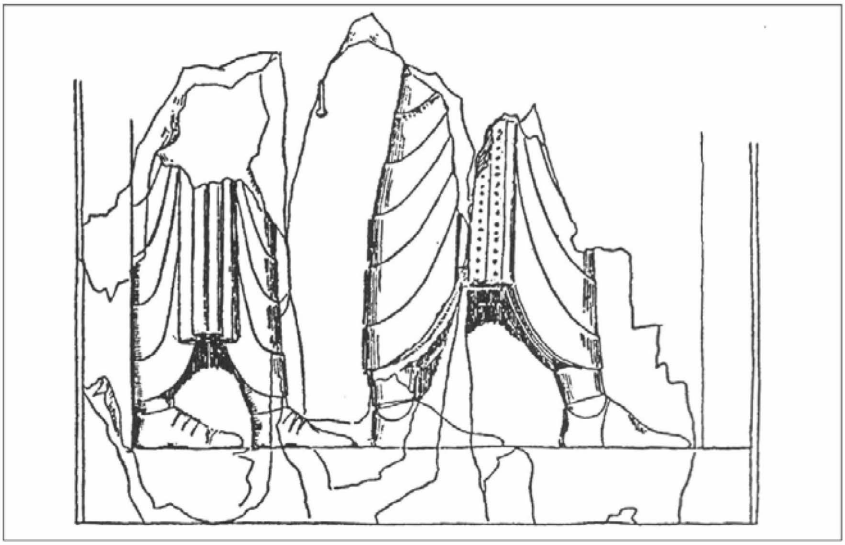
أحاطوها بسور ومعه 49-من اتباعه. وبعد نصر هيستاسبيس Hystaspes في باتيجرابانا قتل زعيم الثورة وعدد 80 من النبلاء الذين اصطحبوه. وأيضًا في مارجيانا فإن فرادا Frada قد أُعمل فيه السيف مع كل من تبعوه وفي بابل حيث أحاط هيدارنيس Hydarnes أرخا Arkha والنبلاء الذين كانوا معه وأيضًا فاهيازداتا Vahyazdata ومجموعة عديدة من المتحالفين المقربين إليه قد أُحيطوا في وجود دارا DARIUS . وكل من الثورتين قد لاقتا معاملة خاصة وحيث كانت الاثنتين عندما كان دارا DARIUS في ميديا. وقد تم إرسال المتمرد الساجرتي سيسانتاخما Cicantakhma إليه فقال دارا DARIUS «لقد قطعت كل من أنفه وأذنه وأخرجت إحدى عينيه وظل مربوطًا (مقيدا) على مدخل بوابة قصري وقد رآه كل الناس. بعد ذلك ثبته (صلبته) عند أربيلا Arbela . ولا يزال دارا DARIUS متحدثًا عن القدر الذي نزل بفرافارتيس Fravartis قائلاً «لقد قطعت أنفه، أذنه ولسانه وأخرجت عينه وقد شد بالسلاسل تحت الحراسة عند بوابة قصري ويستطيع أن يراه كل فرد هناك» ثم ثبته عند إكباتانا وكذلك أيضًا بالنسبة لضباطه الموثوق فيهم فقد علقتهم في القلعة عند إكباتانا وقد علقت رؤوسهم على حوائط القلعة، وقسوة العقاب لم تكن غريبة فقد كانت عادة في عهد الدولة الآشورية وفي عهد الدولة الأخمينية أيضًا. حيث كان قطع الأنف والأذن يشكل أسلوب طبيعي لتعذيب المتمردين والمغتصبين وهذا ما لاحظه مؤلفي اليونان. وقد دعي الناس بالكامل ليروا الملوك الكاذبين يعذبون على بوابات القصر وربما تستدعى أنه طبقًا لديودورس Diodorus فقد أنشأت أعمدة برونزية ارتفاعها حوالي 8 أمتار بالقرب من البوابات في برسيبولس حيث إنهم يريدون أن يجذبوا أنظار المشاهدين».

وهذه الإثارة لعواطف شعب الإمبراطورية قد تم مناقشتها مرة ثانية عن طريق الملك الجديد. وقد عمل نسخ من النقش الموجود في بيهستون لكي يتم إرسالها إلى كل البلاد في الإمبراطورية. ومن ثم فإننا نعرف الآن

أن الإرادة كانت لصالح الملك الذي لم يخفي كلمات. وفي بابل وجدت هناك أجزاء من النقش وأجزاء مما كان أساسًا بلاطة حجرية، على نص بيهستون وجدت على أوراق البردي وكان هذا في فيلة في مصر. وهذه ليست هي النسخة الأصلية التي أرسلها دارا DARIUS إلى مصر ولكنها نسخة للدراسة كتبت أثناء فترة حكم دارا DARIUS الثاني Darius II وقد ظل النص ينقل (يترجم) حتى في صيغة عمل مدرسي وقد تم اكتشاف نسخة من نقس بيهستون وأيضًا لوح آخر قد وجدت في صوصا ونحن ربما نفترض أن النقش البارز كانت موضوعة في مواقع بارزة في كل بلد. ولا شك أن الإصدارات الثانية قد تم حمايتها بنفس طريقة النسخ الأصلية وبالنسبة لمن يفحصون الآثار فقد ناشدهم دارا DARIUS بألا يحطموا المخططات التي على التماثيل فهو يمنح الرخاء لمن يحميها ويوقع المصائب بمن يحطمها. ومن الواضح أن عن طريق نشر هذه المخطوطات في كل مكان في الإمبراطورية والتي أراد دارا DARIUS أن يعرف كل فرد في كل مكان بأنه ملك لا غبار عليه. ومرة أخرى عرف الزائرون وأكد لهم على الحقيقة المطلقة لأعماله وإقراراته حيث قال «الآن دع ما قد فعل بواسطتي يقنعك حيث إن ما يعلمه الناس لا يمكن إخفاءه أو كتمه: إذا وأن لم يخفى عليك هذا فأخبر به الناس. فربما يكون اهورا مازدا Ahura-Mazda صديق لك وربما يكون عندك بركة (وفرة) في عائلتك وربما تعيش طويلاً».

حقائق وأكاذيب في بيهستون: دارا DARIUS واهورا مازدا

وبعد انتصاراته في 522-521 قرر دارا DARIUS على الفور بأن ينحت قصة ازدهاره وأعماله العسكرية الباهرة على الصخر وقد اختار لهذا سفح منحدر في بيهستون والذي يستحوذ على سهل كيمانشا Kemanshah . وهو على مسافة قصيرة من الطريق الرئيسي المؤدي من بابل إلى إكباتانا Ecbatana . وعلى هضبة ترتفع لأكثر من



الشكل 5

1000 متر. ولا بد أن هذا المنحدر كان مقدس لفترة طويلة. ومما لا شك فيه أن استخدام الفرس له كان لصالحهم حيث إن المؤلفون القدماء قد أكدوا أن الفرس قد عبدوا الآلهة في مكان مرتفع ومفتوح وبه هواء. ومن المحتمل لهذا السبب أن الجبل قد سمي باسم باجيستانا Bagistana وبالتالي فإن باجيستانا Bagistana الإيرانية هي معقل الآلهة. وطبقًا لستيسياس Ctesias فإن الجبل قد خصص لزيوس Zeus والذي يقصد به بالتأكيد اهورا مازدا Ahura mazda (أو) الآلهة الإيرانية والفارسية الأخرى. ونجد أن ستيسياس Ctesias الذي وصف رحلة سميراميس Semiramis من بابل إلى إكباتانا قد أضاف التفاصيل الآتية:

وعندما وصلت سميراميس Semiramis إلى الجبل المعروف باسم باجستانوس Bagistanus أقامت معسكر بالقرب منه وصنعت متنزه والذي له أبعاد 12 ستادس (2كم) واستقرت على الجبل وزرعت هناك حتى روت زرعها. وجبل باجستانوس Bagistanus يبدو مفزعًا وعلى الجانب المواجه

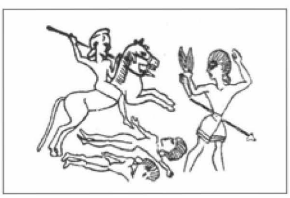
للمنتزه يوجد منحدرات ترتفع حتى ارتفاع سبعة عشر ستاويا (3000 متر) وفي الجزء المنخفض لهذه المنحدرات عملت على تسويتها ونحتت صورة لنفسها مع مائة من الرماحين (حاملي الرماح) بجانبها وهي أيضًا قامت بعمل هذه الحروف على المنحدر بالحروف السورية .



الشكل 6

ومـــن الواضـــح أن دارا DARIUS قد اختفى تحت هذا الوصف لسميراميس Semiramis وقـــد لمـــح ديـــودورس Diodorus بوضـــوح شـــديد (ولـــو أنـــه بطريقـــة خياليـــة) إلى الـــنقش البـــارزة في بيهســـتون Behistun . فعنـــدما قـــام الاسكندر Alexander برحلة خاصة لزيارة المكان، ذُهل هو وأصحابه من جمال وزهو السهل الواقع أسفل المنحدر «فهي بلـد بديعة تغطيها أشجار الفاكهة. وهي بلد غنـي في كـل شيء تجعلهـا صـالحة للحيـاة الطيبة» معلقًا ديودورس Diodorus .

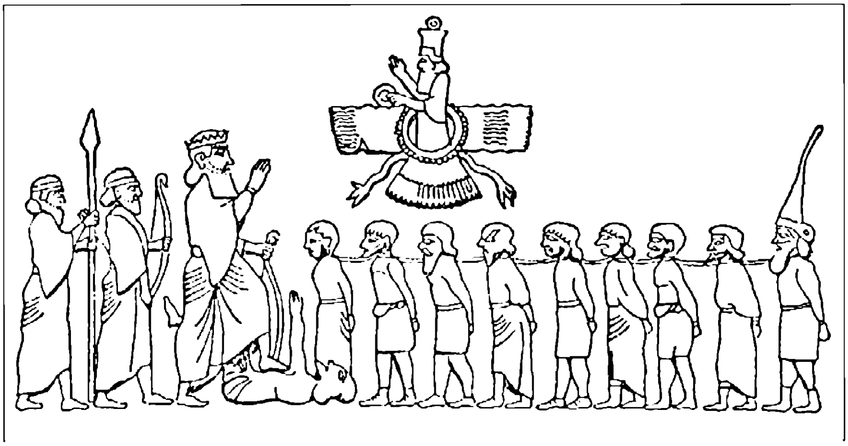
وربمـــا أن قـــورش Cyrus قـــد صـــنع جنـــة بالفعـــل في باســـارجاداي Pasargadae بأننـا نعتقـد وبشـدة أن الجنـة في بيهستون كانت من صنع وبنـاء دارا DARIUS نفسه الـذي أراد أن يضـيف إلى الأثـر الـذي تـم إنشائه لتمجيده أمجاده البيئة الذي إعتقد أنه يسـتحقها «. ونحـن نعـرف عـلى أيـة حـال



الشكل 7

أنه في بداية عام521 كان دارا DARIUS على هذا السهل حيث التقى بجيش هيدارنيس Hydarnes هناك. ويبدو أنه أثناء إقامة دارا DARIUS الطويلة في إقليم ميديا (يناير - يونيه 521) قد اهتم هو ومستشاريه بالتخطيط لهذا الأثر في هذا المكان ليستطيع أن يمجد الانتصارات السياسية والعسكرية الذي تمت على يده .

والاهتمام بذلك النقش إنما كان للإعلان عن ميلاد مملكة جديدة وللإشارة إلى إمبراطورية تولد من جديد. وبالتالي فإن دارا Darius ومستشاريه لم يعتمدوا على أثر موجود قبل ذلك بل الأثر الجديد كان نشأ جديدًا بالكامل وهو عمل فني جديد في خدمة السلطة والتي لم يذكر اسم أي مملكة قبلها. ولقد أخذ الأثر أهمية أكبر حيث إنها موضوعات روائية متفردة في كل الفنون الأخمينية حيث إنه أول عمل يقره دارا DARIUS بعد نصره. وهو منحوتًا على سطح أملس 3 × 5.5م الصورة البارزة لدارا DARIUS ووجهه ناحية اليمين ويرتدي رداء فارسي وتاج على رأسه وفي يده اليسرى يمسك قوس والذي يتكأ على قدمه اليسرى ويده اليمنى مرفوعة إلى مستوى وجهه وكفه للخارج. وفوق رأسه يوجد لوحة مستطيلة الشكل مكتوب عليها اسمه فقط «أنا دارا DARIUS الملك العظيم. ملك الملوك، ملك الفرس Persia ، ملك البلاد وابن هيستاسبيس Hystaspes وحفيد (من نسل) أرساميس Arsames الأخميني». وأمامه يوجد الـ 8 ملوك الكاذبين مقيدين بحبال حول أعناقهم وأيديهم مربوطة خلف ظهورهم وتم تصوير هؤلاء الملوك وهم مختلفون في ملابسهم ويوجد تسجيل قصير لأسمائهم والتي أيضًا كررها دارا DARIUS في الأسلوب الذي تبناه في تلخيصه: «هذا هو أسينا Acina . وهو الايلامي الذي كذب. ومن اليسار إلى اليمين نستطيع أن نعينهم وهم نيدينتو-بل Nidintu-Bel وفرافاريتس Fravartis ومارتيا Martyia وسيسنتاخما Cicantakhma وفاهيازداتا Vahyazdata وأرخا Arkha



الشكل 8

وفرادا Frada والوضع المخزي لهؤلاء الملوك لا يظهر فقط من خلال شكلهم (رسمهم) بل أيضًا من خلال أطوالهم حيث إن كلهم أطوالهم 1.17 متر على عكس دارا DARIUS الذي يكون طوله 1.72م. ولكن هناك أحد الملوك الثمانية الذي يظهر في وضع أكثر إهانة وهو جوماتا Gaumata والذي يضجع على ظهره ورافعًا يده بتضرع إلى دارا DARIUS والذي بدوره يقف فوقه بكل عظمته واضعًا قدمه فوق صدره .

ويوضح النقش على المنحدر في بأن الكل مرتب حيث إنها ليست واقعية على الإطلاق بالمعنى الصحيح. حيث يصور جوماتا Gaumata كما لو أن دارا DARIUS قد فاز باللقب الملكي قبل أن يقتله. ووجود الملوك الثمانية الكاذبين إنما يقصد به إظهار الملك على أنه الشخص المنتصر على كل منهم. وهذا لا يوحي بالواقع الموجود في التسجيلات. حيث إن مارتيا Martyia قد قتل عن طريق الايلاميين. وأيضًا فرادا Frada قد قتل عن طريق الحاكم فيفانا Vivana المرزبان كما أن أرخا Arkha قتل عن طريق فيدارنا/هيدارنس Vidarna/Hydarnes بأمر من الملك بالتأكيد.

ولكن فوق كل هذا فإن النقش البارز لم يشير إلى الطرق التي تم تعذيب الملوك الكاذبين بها. فالغرض الرئيسي هو إظهار مقدرة الملك على أنه الفاتح» في صيغة رسالة تعتمد على الاستعارة والواقع .

وكل هؤلاء الرجال قد تم وصفهم بأنهم «كاذبون» باضطجاعهم حيث إنهم قد خالفوا قوانين الملك دارا DARIUS والتي حددها عند الحديث عن الـ 23 بلد الخاضعة له والتي قد أحصاها:

هذه هي البلاد التي تؤل إليَّ وبفضل من أهورا مازدا Ahura-Mazda قد ضموا ليَّ. وقد دفعوا الجزية ليَّ. وما كان يقال لهم مني بالليل أو النهار كان يُفعل (يؤدى). ودارا DARIUS الملك: من بين هؤلاء الناس من كان وفيًا أكافأه، ومن كان سيئا أعاقبه. وبفضل اهورا مازدا Ahura-Mazda أظهرت هذه البلاد احترامًا لقوانيني وما كنت آمر به كان يُفعل .

وعلى النقيض كان كل هؤلاء الملوك المزيفين الذين كذبوا على الناس عن طريق ادعائهم بأنهم أبناء قورش Cyrus أو نابونيدس Nabonidus أو من نسل سياكساريس Cyaxares . وبالنسبة لمفهوم السلطة والذي قدم لأول مرة في بيهستون فإن «الكذب» متصل مباشرة بالتمرد (الثورة) ضد السلطة الشرعية. ومن ثم فإنه عندما ذهب قمبيز Cambyses إلى مصر أصبح الناس سيئين. وانتشر الكذب في الريف في فارس وميديا وفي كل المقاطعات الأخرى. وفي العمود رقم 6 (VI) كرر دارا DARIUS هذه هي المقاطعات التي أصبحت متمردة. فالكذب جعل منهم متمردين لذلك فإن هؤلاء الرجال قد خدعوا الناس» محذرًا: «أنتم يا من سوف تكونون ملوك فيما بعد وقدوة وسوف يكون عليكم معاقبة الكاذب والمخادع».

وقد قدم دارا DARIUS نفسه على أنه الرجل الذي لا يكذب والذي لم يكذب أبدًا وقد ضمن ذلك عن طريق الدعم من أهورا مازدا Ahura-Mazda . والكذب بلا شك هو مقابل الحقيقة وكل من المصطلحين ينتمي

إلى النطاق السياسي والديني وهذا إذا كان دارا DARIUS وشعبه قد ميزوا وفصلوا بين السياسية والدينية .

ويوجد شكل مكان فوق المشهد (المنظر) وهو يلعب دورًا عظيمًا. وهذا يجعل الفرد يظهر من خلال قرص جانبي. ويظهر مرتديًا ملابس في شكل فارسي ويرتدي غطاء رأس طويل وأسطواني الشكل وعلى قمة هذا الغطاء يوجد ستة نجوم ويمسك بخاتم في يده اليسرى ومن الواضح أنه يقدم لدارا DARIUS . وهذا يتم فهمه على أنه تقديم - عرض لأهورا مازدا وهو الإله الذي يضمن المملكة لدارا DARIUS بحمايته وبقوته والذي يرجع إليه كل الانتصارات وهذا ما يؤكده دائمًا دارا DARIUS وهو الشخص الوحيد الذي قد حاوره دارا DARIUS وفي الواقع فإن دارا DARIUS يرفع يديه إلى الآلهة كما لو كان سوف يتسلم الخاتم الذي في يد أهورا مازدا Ahura-mazda . وهذه هي إحدى ملامح الفن الملكي في الشرق القريب. وما نراه على هضبة بيهستون Behistun هو مشهد التنصيب ومن الواضح أن دارا DARIUS يدعي «شكرًا لأهورا مازدا Ahura-Mazda لأنني أنا الملك. إنه هو أهورا مازدا Ahura-Mazda الذي منحني المملكة وأعطى السلطة لي» وهذا التوضيح إنما يعبر بقوة عن الحقيقة بأنه بعيدًا عن كونه رب فإن الملك يستمد قوته وسلطته من الرب. ومن سيطرة أهورا مازدا Ahura-mazda على الأرض» وهي نتيجة لهذا الميثاق الذي انتهوا إليه ونجد أن أهورا مازدا Ahura-mazda هو إله الملك وهذه هي الحقيقة التي يؤكد عليها تمامًا دارا DARIUS بنفسه في مخطوطاته وقد ذكر اسم أهورا مازدا نحو 63 مرة ولكن الآلهة الأخرى الموجودة قد ذكرت مرة واحدة وفي شكل تضرع يقول» هذا ما فعلته في عام واحد وذلك بفضل أهورا مازدا Ahura-mazda الذي أمدني بالمساعدة والآلهة الأخرى». وقد كان واضحًا في تسجيلات (مخطوطات) دارا DARIUS أن الصلوات الملكية كانت لأهورا مازدا Ahura-mazda

لذلك فإننا نخضع لوساوس التحدث عن التقدم نحو نظرية الإله الأوحد. ويجب أن ندرك أنه في الديانة الرسمية التي وضعها دارا DARIUS أن أهورا مازدا Ahura-mazda كانت له مكانة سامية. ويبدو أن هذا التحالف المميز منح الملك السلطة المطلقة والتي لا يستطيع أحد أن يتسائل عن مدى شرعيتها دون المخاطرة بإغضاب الآلهة. وهذا في الواقع هو السبب في أن الكذب والحقيقة يقدمان ويظهران مفاهيم سياسية ودينية .

وحكم الملك للناس والأرض إنما يرجع إلى حماية أهورا مازدا ولذلك فيجب عليه أن يكون حكمه عادلاً وأن يقضي على الكذب بينهم وذلك بحكم القواعد التي تحكم العلاقة بين الرجال والآلهة .

ولكن ما تم معرفته من خلال هذا الأثر (البناء) ببساطة هو الحقيقة بأن اللغة الفارسية Persian كانت تكتب لأول مرة، وعلى الرغم من الجدل المستمر حول المعنى الدقيق للفقرة رقم 70، العمل المتمثل في ترجمة ونقل النص الذي كان مكتوب باللغة الإيلامية؛ هناك ميل هذا الأيام لإعتبار أن تلك الكتابة الفارسية قد شكلت أحد الإبداعات الكبيرة لدارا DARIUS والذي لم يتردد في استخدامها باسارجاداى Pasargadae لكي يستثمر مكانة قورش Cyrus لمصلحته». وحتى هذا الحدث فقد تم نقل (ترجمة) كل أفعال الملك إلى اللغة الفارسية من خلال خُطب أو أغاني. ومن المؤكد أن النقل الشفهي ظل مستمرًا عبر التاريخ الطويل للفارسيين، كما ظهر ذلك من خلال الدور البارز للكهنة المجوس بصفة عامة. ولكن هذه الملاحظات ما زالت مصدرًا كبيرًا للشهادة بوجود كتابات ملكية التي وُصفت في وجود الملك وكُتبت على قطعة من الورق أو الصلصال. وهو النموذج الذي قد اتبعه كل خلفاء (أحفاد) دارا DARIUS ولهذا فأن الملك الأعظم يستطيع أن يدعي بأنه بالتأكيد هو الأفضل بين الجميع. حيث أراد أن يتحكم (يسيطر) على التقليد الذي سوف يتم نقله إلى أجيال المستقبل: كلام الملك الذي تم نقشه لكل سلالته وقد وضعت

تحت رعاية لأهورا مازدا Ahura-mazda كحماية ممـن ربمـا يريـدون تحطيمهـا. وهذه هي الطريقة التي لم ينتقل بها فقط ذكرياته عن أعمالـه الفريـدة (المميـزة) بل أيضًا سلسلة نسبه. وقد اتخذ معايير مناسـبة لـكي يجعـل كلماتـه تنقـل في كـل أنحاء الأراضي التي يحكمها بهذه الطريقة».

فبعد أن يتم التصديق على هذه الكلمات وتصبح رسمية يتم قراءة النص عليه وأيضًا في نفس الوقت يتم التأكد من وجود ذكريات عـن إخلاصـه ووفـاءه الـذي لا يستطيع أحد ولا حتى خلفاءه أن يكون لهم الحـق في أن يسـألوا عـن ذلـك. وعـلى سفح الجبل في بيهستون Behistun نجد أن تاريخ المؤرخـون غـير موجـود في كـل الأوقات .

حملات جديدة، وإضافات جديدة (التوسع الإستعمارى والدين)

وسوف نتحول بالموضوع كله إلى جمع الأحداث التي لم تكن ظاهرة في الوقت الذي كان فناني الملك ما زالوا منشغلين بالعمـل في الجبـل المخيـف. وهنـاك عمـود جديد (عموده) كان لا بد من إضافته باللغة الفارسية القديمة فقـط (لعـدم وجـود حيز كافي). وبداية النص «سايس دارا DARIUS الملك: هذا مـا فعلتـه أنـا في كـل من العامين الثاني والثالث بعدما أصبحت ملكًا. فهناك مقاطعة باسـم إيـلام والتـي أصبحت متمردة. وللمرة الثالثة منذ أكتوبر 522 تمرد الإيلاميون وهذه المـرة تحـت قيادة أتاميتـا Atamita . وقـد قـاد جوبريـاس Gobryas أحـد القـادة المخلصـين للملك الحملة ضد ذلك المتمرد وانتصر عليـه وإسـتولى عـلى صوصـا Susa وأحضر المتمرد أتاميتا Atamita إلى دارا DARIUS الذي قتله بدوره. وربما بسـبب هـذه الظروف أو فيما بعد ذلك بفترة قصيرة عـزم دارا DARIUS عـلى إعـادة تخطـيط صوصا وإقامة مجمع كبير للقصور الأخمينية هناك .

وفي العـــام التـــالي قـــاد دارا DARIUS بنفســـه بقيـــادة الجـــيش الملـــكي

وزحف بإتجاه شعب الساكا Saka في آسيا الوسطى. وكان ملك ساكا Saka هو الملك سونخا Skunkha ولقد تم أسره واستبدله دارا DARIUS بملك آخر عينه هو ومن الواضح أن دارا DARIUS قد وضع شعب الساكا ضمن قائمة الشعوب المتمردة» والتي لم يستطع أن يقهرها مرزبان باكتريا Bactria فيفانا Vivana أو يحتمل أنه قد قتل أثناء المعركة مع الساكين؟ لا نعرف بالضبط، وفي الحقيقة فلقد عاد دارا DARIUS بعد هذا الإنتصار إلى إكباتانا وبيهستون. وتم إضافة اسم سونخا Skunkha إلى النقش البارز في بيهستون خلف الملوك الكاذبين الآخرين، ولقد تم تمييزه من خلال قبعته الطويلة التي يتميز بها شعب الساكا. وإضافة سونخا Skunkha اقتضى تدمير النص الإيلامي الأصلي الذي أعيد كتابته على يسار النسخة الفارسية. وهذا أيضًا هو السياق الذي تم فيه إضافة نص العمود الخامس والموضوع الذي يستحق الذكر أكثر في هذه الإضافات الفارسية هي بلا شك هو التبرير الديني والذي أرجع إليه دارا DARIUS الحملات ضد إيلام وشعب ساكا ويمكن فهم الحملة كالتالي «إن هؤلاء الايلاميين والساكين ملحدون وإنهم لا يعبدون أهورا مازدا بينما أنا عبدت أهورا مازدا وبفضل لأهورا مازدا وبرغبتي فعلت فيهم ذلك. وربما أدرك دارا DARIUS أنه بسبب ثقته في إيمانه بأهورا مازدا كان قادرًا على أن يغزو الناس الذين لا يعبدون إلهه وعلى أي حال فإن التضمينات والتشابكات السياسية والدينية كبيرة جدًّا، وعلى العكس من التأكيدات الملكية بخصوص المتمردين في الأعمدة من 1-4؛ نجد في العمود الخامس أن المتمردين لم يتم شجب تصرفاتهم فقط لأنهم كانوا يحملون صفة الكاذبين drauga ولكن تم وصفهم أيضًا بـ«أريكا» arika والتي تترجم عادةً إلى معنى «الكافر»، حيث إنهم يوصفوا بشكل حقير كعباد لآلهة غير الآلهة الفارسية؛وهذا الوصف أيضًا قد تم ذكره في أحد النقوش التي أمر بصنعها كسركسيس Xerxes والتي يدين فيها عبادة الآلهة المزيفة (فصل 13-6) .

وهذه التصريح لايعنى بأى حال من الأحوال أن دارا قد قام بإحداث تغيير جذري في الإستراتيجية الأيديولوجية التي إتبعها الملوك الذين سبقوه في البلاد المفتوحة. ولكن الشيء الواضح هو أنه في خلال عدد قليل من الأعوام وبمبادرة من دارا DARIUS منحت السلطات الملكية الفارسية أيديولوجية دينية - سياسية ثابتة ومترابطة. وصار الملك في أوقات الحرب والسلم وأكثر من أي وقت مضى هو نائب الإله أهورا مازدا Ahura-mazda على الأرض. وبالإضافة إلى ذلك فإن العمود رقم (5) ينتهي بالجملة التالية: «يقول الملك سيث دارا DARIUS إن من يعبد أهوار مازدا Ahura-mazda فإن بركة الآلهة سوف تنزل به أثناء حياته وبعد مماته» وبالنظر إلى السياق الكلى فإن هذه التصريح يعد برضى السماء لكل من يخدم الملك بإخلاص .

4- دارا DARIUS والستة:

ويجب علينا الآن أن نتحول للحديث بشكل مطول عن العلاقات بين دارا DARIUS وأصحابه الستة بعد اعتلائه للعرش. وعند قراءة رواية هيرودوت Herodotus بدون منظور يجعل الفرد فعلاً يحصل على انطباع بأن دارا DARIUS كان مرتبطًا بالإتفاقات التي توصل إليها مع الخمس المتآمرين الآخرين عندما أتى إلى السلطة (أوتانيس Otanes كان قد أبعد نفسه من المنافسة) وهي الإمتيازات التي جعلت الملك الجديد مقدمًا على باقي رفاقه. وطبقًا لجوستين Justin الذي كان قد قرأ رواية هيرودوت Herodotus بعناية فإنه ونتيجة لقيامهم بقتل الماجوسي كان الرجال الست العظماء متساويين في الجدارة وفي النبل»، ونجد هذه الرواية أيضًا في كتاب أفلاطون Plato (القوانين، 695ج) في فقرة مشكوك في صحتها إلى حد كبير: «عندما أتى دارا DARIUS وأمسك بزمام الأمور في الإمبراطورية بمساعدة الست الآخرين، قسم الإمبراطورية إلى

سبع أقسام والتي توجد والتي توجد لها رسوم تخطيطية غير واضحة باقية حتى اليوم، فهل نستنتج من ذلك أن دارا DARIUS قد اتفق على محددات لسلطته الملكية منذ البداية، وأنه قد قدم نفسه على أنه مجرد القائد الرئيسي الذي قاد مجموعة النبلاء الذين نجحوا في إستعادة السلطة من يد المغتصب والذين كانوا يهدفون في الأساس إلى وضع للحكم الملكي المطلق الذي وصل إلى أبعد مدى له على يد كل من قمبيز Cambyses وبارديا Bardyia .

ونحن نعرف أن لقب «السبعة» قد استمر يستعمل كدليل على الرفعة والتميز بين الأرستقراطيين الفرس إلى درجة أن تم جعله جزء لا يتجزأ من أصل بعض الأرستقراطيين والذين حددهم هيرودوت Herodotus . لذلك فنحن لدينا إشارات عن أوتانيس Otanes وجوبرياس Gobryas أو حتى زوبيروس Zopyrus «إبن ميجابيزوس الأول Megabyzus والذي كان أحد المتآمرين السبعة الذين قتلوا الماجوسي» (الكتاب الثالث، فقرة 153) الخ. ولقد ذكر ديودورس Diodorus الذي عاش في القرن الرابع أن المرزبان روساسيس Rhosaces «كان ينحدر من نسل أحد الفرس السبعة الذين خلعوا الماجوسي»، وكذلك أيضًا فقلد قدم لنا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius أورسينيس Orsines وهو شيخ قبيلة باسارجاداي Pasargadae والذي كان ينحدر من نسل أحد الفرس السبعة ويمكن تتبع سلسلة نسبه حتى «قورش Cyrus » (الكتاب الرابع، فقرة 12-8). وهكذا فإن دوام هذا المصطلح أصبح أمرًا مؤكدًا، ولكن هل هذا يعني أن السبعة كونوا كيانًا لديه القدرة على التحكم في أنشطة الملك؟

ولقد كان هيرودوت Herodotus ينادي السبعة غالبًا بكلمة بروتوى Protoi .ولقد كان الملك يدعو مجموعة البروتوى الصغيرة هذه للاجتماع في وقت السلم والحرب، ولكن من الخطأ أن نستنتج أن عضوية هذا المجلس كانت مفروضة على الملك، فما نسميه فقط عن طريق العادة بـ «مجلس الملك» لم يكن مؤسسة قائمة بذاتها على قواعد

وأسس لا يستطيع الملك أن يفرض قراره عليها، فاجتماعاته ومداولاته كانت تعتمد فقط على رضا الملك ومعظم القرارات كان يتخذها الملك بمفرده والذي كان يأخذ المشورة من هؤلاء الأشخاص الذين يثق فيهم والذين يدينون إليه بكل شيء .

ونحن لا نستطيع القول بأن النبلاء كانوا يجتمعون في المجلس لأنهم كانوا جزء من البروتوى. ومن الواضح أن الملك نفسه هو الذي كان يختار أعضاء المجلس من بين النبلاء: فلقد تم إدراج لقب مستشار ضمن ألقاب البلاط الملكي. ويعتمد هذا التفسير على عزرا Ezra وايستر Esther ، حيث يظهر أهاسويروس Ahasuerus «وهو يجتمع بالقادة السبعة لفارس وميديا الذين لديهم ميزة التمكن من مقابلة الملك والذين كانوا يشغلون مواقع قيادية في المملكة»، (إستر، الكتاب الأول، فقرات 13-14)، ولقد تم استنتاج غالبًا أنه كان هناك مجمع يضم سبع قضاة وهو نوع من المحكمة الملكية توجد في البلاط الملكي. ولكن هذه الفقرة مشكوك في صحتها إلى حد كبير بالنظر إلى الإشارات الكثيرة للرقم 7 الموجودة في نفس هذا العمل الأدبي: حيث نجد أن أهاسويروس Ahasuerus حكم ما يزيد على 127 إقليم، وكان عنده «(7) من الخصيان يقومون على خدمته»، ولقد حصلت Esther على «سبع وصيفات يعملون على خدمتها» ولا شك أن مؤلف الفقرة السابقة كان في الواقع على دراية بوجود سبع عائلات، ولكن هذه الملاحظة في حد ذاتها تمثل إعادة تفسير لا يستطيع المؤرخ المعاصر أن يستخدمه كدليل مضاد .

وتنطبق نفس هذه الملاحظة على فقرة زينوفون Xenophon والتي يتم الاستشهاد بها غالبًا في هذا السياق: إلى القاضي أورونتاس Orontas ، لقد اجتمع قورش Cyrus الأصغر في خيمته مع سبعة من أنبل الفرس الموجودين في حاشيته» ولقد أضاف إليهم كليرخوس Clearchus ، وكل ما نحتاج أن فعله هو جمع الأدلة الخاصة بالقضاة الملكيين لكي ندرك أنه

لم يكن هناك وجود لمجموعة القضاة الملكيين السبعة الذين كان يتم اختيارهم بشكل منتظم من بين «العائلات السبع» والذين والذين كانوا يعملون بشكل مستقل عن الملك. وقد حدد هيرودوت Herodotus وظيفتهم كالآتي: «هؤلاء القضاء الملكيين هم أشخاص مختارون بطريقة خاصة، والذين يتقلدون مناصبهم طوال حياتهم أو حتى تتم إدانتهم بإساءة التصرف بشكل ما، ولقد كانت واجباتهم تتمثل في البت في القضايا وتفسير قوانين الأرض القديمة وكان يتم تحويل كل أنواع الخصومات والنزاعات إليهم» (الكتاب الثالث، فقرة 31)، ولقد كانوا هم من حكم بالموت على المصريين الذين قتلوا الرسول الملكي، ولقد كان هؤلاء القضاة هم الذين لجأ إليهم قمبيز Cambyses لتحديد ما إذا كان يحق له أن يتزوج أخته. ومن المحتمل أنهم أيضًا كانوا القضاة السبع الذين قدمهم مؤلف كتاب إستر Esther: حيث إنه ليحكم الملك أهاسويروس Ahasuerus على سلوك الملكة فاشتي Vashti سأل أصدقائه «أن يقدموا حكمًا وقانونًا في ذلك»، وقد قدموا تقريرًا للملك يقترحون فيه إصدار مرسوم يعلن عن تطليق الملكة يتم نشره في جميع أنحاء المملكة، وهؤلاء الأصدقاء يطلق عليهم «أمراء (أي حكام) فارس وميديا السبعة».

إن العلاقة بين القضاة الملكيين والعائلات السبع ذات الشأن الرفيع الذين ساعدوا دارا DARIUS هي علاقة لا قيمة لها ولا تستحق الذكر. فعند ما قام أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes بإحضار تيريبازوس Tiribazus للحكم «اختار ثلاثة من أعلى الفرس منزلة كقضاة»، ومن الواضح أن تعيين أو طرد القضاة الملكيين كان من سلطة الملك وحده الذي يستطيع أن يكافئ من يريد بلقب قاضي ملكي حتى لو كان لرجل متدني المقام مثل الفلاح البسيط راكوكيس Rhakokes ، ولقد حكم على قضاة بالموت في مرات عديدة لأنهم أصدروا أحكامًا ظالمة وخصوصًا لمن يبيعون أنفسهم مقابل المال (هيرودوت Herodotus الكتاب

الخامس، فقرة 25): ففي هذه الحالة من يثبت عليه من القضاة أنه فاسد كان يتم سلخ جلده وهو حي، يتم شد هذا الجلد على مقاعد القضاة، والقضاة الذين يصدرون الأحكام وهم جالسون على هذا الجلد كانوا يضعون أمام أعينهم نموذج العقاب الذي يترتب على إصدار أحكام ظالمة مقابل الحصول على المال»، وحتى القرارات التي أصدرها قضاة أهاسويروس Ahasuerus السبع لم تكن أكثر من مجرد رأي: «فإذا حاذت على إعجاب الملك كان سيقوم بإصدار مرسوم ملكي»، وعلى الرغم من أن القضاة كانوا يشيرون إلى قوانين الفرس والميديين إلا أنه من الواضح أن قراراتهم كانت مبنية أساسًا على إرادة السلطة الملكية وحدها.

ولقد كان حرية القضاة في إصدار الأحكام مقيدة هي الأخرى لأنهم كانوا خاضعين لمراقبة الملك، وعلى الرغم من أن ديودورس Didorous ذكر أن أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes لم يكن حاضرًا أثناء محاكمة إبنه دارا DARIUS إلا أن هذا لم يكن القاعدة العامة، ويضيف بلوتارخ Plutarch قائلاً أن الملك «أمر كتابه أن يكتبوا رأي كل قاضي من القضاة وأن يعرضوه عليه».وبالمثل فلقد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes هذا نفسه بعد تبرئة تريبازوس Tribazus «باستدعاء القضاة فردًا فردًا وسأل كل واحد منهم عن أسس العدالة التي التي بنى عليها قراره بتبرئة هذا المتهم»، والأسباب التي أعطاها أولئك القضاة لقراراتهم تظهر بوضوح كبير أنهم قد وصلوا إلى استنتاجاهم على أساس الولاء والإخلاص الذي أظهره تريبازوس Tiribazus في السابق واهتمامه بكل ما يصب في مصلحة الملك .

وعلى الرغم من ذلك فغالبًا ما كان يقوم الملك بإدانة الأشخاص المتهمين دون أن يكونوا قد مثلوا أمام المحكمة، ومن المؤكد أن هذا كان ينطبق على القضاة الملكيين الذين أدانهم الملك مباشرة. ولقد كان

بإمكانه أيضًا أن يمنح الرحمة والعفو لمن يريد، وفي إحدى الحالات رأينا الملك يحكم بالإعدام على شخص متهم كان قد تم تبرئته من قبل القضاة، وهناك رجاحة في التفكير تظهر من خلال الرد الذي أعطاه القضاة الملكيون لقمبيز Cambyses عندما أراد أن يستوضح منهم بخصوص أحقيته في الزواج من أخته، «وقد نجحوا في إيجاد إجابة لا تخل بالحقيقة ولا تعرض رقابهم للخطر: حيث قالوا أنهم لم يكتشفوا أي قانون يسمح بزواج الأخ من أخته ولكنه بلا شك يوجد قانون يسمح لملك الفرس بأن يفعل ما يحلوا له». وقد فهم هيرودوت Herodotus أن القضاة قد فعلوا ذلك «حتى لا يعرضوا رقابهم للخطر»، وبعبارة أخرى أصبح الملك أصبح هو المصدر المتفرد للعدالة .

وجهة نظر دارا: النبلاء والملك في بيهستون .

من وجهة نظر دارا DARIUS لم تكن فكرة إنشاء مجلس إستبدادى من المستشارين مطروحة على الإطلاق، ففي الإضافة الموجودة في فقرة 68، كان دارا DARIUS متحفظًا وحذرًا للغاية في حديثه عن الدور الذي قام به النبلاء الست: «يقول الملك سيث دارا DARIUS : هؤلاء هم الرجال الذين كانوا هناك في الوقت الذي ذبحت فيه جوماتا Gaumata الماجوس الذي يطلق على نفسه بارديا Bardyia ، وفي ذلك الوقت تعاون معى هؤلاء الرجال في قتله كتابعين لي (أنوسيا)» ثم بعد أن أعطى دارا DARIUS قائمة بأسمائهم أضاف لمصلحة خلفائه: «أنت يا من سوف تكون الملك فيما بعد، احمي نسل هؤلاء الرجال» وفي النسخة البابلية Babylonian كانت الكلمات المستخدمة هي: «قوموا بحماية هؤلاء الرجال بصورة كاملة وإعتنوا بنسلهم» (فقرة 54)، ولكن هذا التصريح الملكي يفتقر إلى الكثير من الخصوصية عند مقارنته بالفقرات الأخرى في العمود الرابع، حيث يخاطب هؤلاء الذين يشاهدون النقش معلنًا: «الآن إقتنع بما فعلته، وأخبر به الناس لعل أهورا مازدا Ahura-Mazda يكون صديق لك ولعل

أسرتك تعيش في رخاء» (فقرة 60) أو حقًّا «إذا قمت بالمحافظة على هذا النقش ما دامت لديك قـوة فلعـل أهـورا مـازدا Ahura-mazda يكـون صـديق لـك وعسى أسرتك تعيش في رخاء وعساك تعيش طـويلاً ولعـل أهـورا مـازدا Ahura-mazda يكتب لك النجاح فيما تسعى لتحقيقه» (فقرة 66)، ولا تختلف هـذه التصريحـات كثيراً عن كلمات قمبيز Cambyses التي قالها وهو يحتضر في وجود «قادة الفرس» الذين اجتمعوا ليسـتمعوا إلى وصيته الأخـيرة: «إذا فعلـتهم مـا أمـرتكم بـه (خلـع الماجوس وإخضاع الميديين) فسوف أصلي لتكون الأرض مثمرة لكم، ولكي تلـد لكـم زوجاتكم الأطفال، ولكي تكثر قطعانكم ولكي تظلوا أحرارًا على الـدوام» (هـيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 65)، وفي الحقيقة فإن كلمات دارا DARIUS تبدو كإلتزام قطعه على نفسه وعلى خلفائه بالمحافظة على المكانة المميزة لعـائلات المتآمرين الذين إشتركوا معه، ولكن على العكس مـن الوعـود الأخـرى بالمكافـأة أو العقاب فإن هذه الكلمات لا تبتهل إلى الإله أهورا مازدا Ahura-mazda .

إنه لمن الصحيح أيضًا أن دارا DARIUS لم يكن الشخص الوحيد الـذي ظهـر مع الملوك الكاذبين على منحدر بيهستون Behistun ، حيث يظهر خلفه شخصـين (أصغر من الملـك ولكـنهم أكـبر مـن المتمـردين): ويحمـل أحـدهما قـوس في يـده اليمنى، بينما يحمل الشخص الآخر رمح بكلتا يديه يرتكز طرفها عـلى الأرض، ومـن الواضـح أنهـما اثنـين مـن نـبلاء الفـرس يحمـلان أسـلحة الملـك، ولم يـتم ذكـر أسـماءهم؛هل مـن الممكـن أنهـما كانـا أسـباثينيس Aspathines وجوبريـاس Gobryas كما هو مكتوب على مقبرة دارا DARIUS ؟ تنهار كل النظريـات أمـام حقيقة واضحة هي: إذا كانت أسماءهم لم يتم ذكرها على الرغم من أنـه تـم ذكـر جميع أسماء الملوك الكـاذبين فـإن هـذا يرجـع إلى أن دارا DARIUS قصد عـدم تحديـد هويـة هـذين الـرجلين، حيـث إنهـما يرمـزان مجـازًا إلى النـبلاء الـذين

ساعدوه، وعلى الرغم من أننا نقر بأن ألقاب «حامل الرمح» و«حامل القوس» يمكن أن تميز أحد النبلاء عن الآخر؛إلا أن كل ما نستطيع قوله هو أن هذه الألقاب كان يمنحها الملك للنبلاء إعترافًا منه بما قدموه من خدمات، وهكذا فنحن أقرب إلى حاشية نبلاء البلاط أكثر من نبلاء العشيرة .

الستة والبروتوكول الملكي: قضية إنتافرنيس Intaphernes :

بالطبع نحن نفترض أن تصريحات دارا DARIUS لم تكن سوى دعاية ملكية، ودعونا نتحول إلى نص هيرودوت Herodotus والذي يشرح بالتفصيل في الكلمات التالية الامتيازات التي اتفق عليها المتآمرون الست بالتبادل قبل اختيار الملك من بينهم:

يسمح لأي فرد من السبعة بأن يدخل القصر دون أن يعلن عن نفسه ماعدا عندما يكون الملك في السرير مع امرأة، ولقد اتفقوا أيضًا على أن الملك لا ينبغي أن يتزوج من خارج عائلات الحلفاء السبع .

وعلى الرغم من أن هذه القصة هي غير محتملة، إلا أننا نقبل بحقيقة الاتفاق بينهم. ويجب علينا أن نعمل على توضيح هذه ما تضمنه ذلك. دعونا نؤكد قبل كل شيء على أنه إذا كان ذلك فعلاً قد حدث، فإن التخفيف في صرامة التقاليد المتبعة في البلاط الملكي لصالح السبعة لم يستمر طويلاً، وهذا هو ما نعنيه بقضية إنتافرنيس Intaphernes والتي وقعت بعد ذلك ببعض الوقت، ولا يوجد شك في أن إنتافرنيس Intaphernes كان عضوًا هامًا في المؤامرة؛ ففي الحقيقة نجد دارا DARIUS قد على رأس قائمة هؤلاء الذين يسميهم مساعديه في قتل الماجوس، ولقد كان هو الشخص الذي أظهر ولاءًا دائمًا للملك الجديد. ونحن نعرف على سبيل المثال أنه هو الذي قاد الجيش لنصر عظيم على المتمرد البابلي في نوفمبر 521 .

وعلى الرغم من ذلك يقول هيرودوت Herodotus أن الملك الجديد قد أمر بإعدام إنتافرنيس Intaphernes (هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرات 118-119)، حيث أراد إنتافرنيس Intaphernes مقابلة الملك وهم بدخول القصر، وعند هذه النقطة يذكرنا هيرودوت Herodotus بأن السبعة كان بإمكانهم «زيارة الملك دون الإعلان عن أنفسهم بشرط ألا يكون في هذه اللحظة في السرير مع امرأة» وفي هذه الأثناء «أوقفه المسؤول عن حجرة نوم الملك وكان قد أخبره الحارس الموجود عند البوابة أن دارا DARIUS كان مع امرأة في هذا الوقت» وفي نوبة غضب شديدة «أضر إنتافرنيس Intaphernes بمصالحه الشخصية» ونتيجة هذه القصة التي رواها هيرودوت Herodotus على غرار إقتحام السبعة لقصر سمرديس Smerdis الملكي تقترح أن دارا DARIUS لم يكن متأكدًا بشكل كامل بعد من ترسخ سلطته: «حيث ظن أن الحلفاء الستة السابقين ربما يكونوا مشتركين معه في ذلك ولذلك فلقد أرسل لهم واحدًا تلو الآخر وسألهم عما إذا كانوا موافقين على ما فعله إنتافرنيس Intaphernes »، وعندما اقتنع بأن إنتافرنيس Intaphernes قد قام بذلك بمفرده؛ قام دارا DARIUS باتخاذ هذة الإجراءات الخطيرة: حيث حكم على إنتافرنيس Intaphernes بالموت هو وكل رجال بيته (أويكيوي) - أولاده وأقاربه (سيجينيس) ماعدا أحد أزواج أخواته والذي نجى من القتل بفضل أخته .

وتتميز القصة بسلسلة من الموضوعات الأدبية المتكررة وهكذا فهي تتحمل معنيين. فنحن ربما نقر بأن سلطة دارا DARIUS كانت لا تزال غير راسخة بسبب الامتيازات التي منحها للمتآمرين الآخرين، وبموجب البنود المعمول بها فإن الحراس كان بإمكانهم أن يرفضوا إدخال إنتافرنيس Intaphernes إلى القصر فقط إذا كان الملك مع واحدة من زوجاته. ولكن يجب أن نفكر في إحتمالية أن إنتافرنيس Intaphernes كان

يتفاخر بعدم خضوعه عندما قام بخرق القوانين الصارمة الخاصة بالبروتوكول المتبع في القصر والذي أعاد دارا DARIUS تطبيقه حتى ولو على رفاقه القدامى. وحتى بالنظر إلى الافتراض القائل بأن سلطة دارا DARIUS كانت لم تترسخ بعد، فإننا نميل إلى أن نستنتج أن الامتيازات الأولية قد ألغيت بسرعة، وفي الواقع فإنه لا يوجد نص آخر يشير إلى معافاة أشخاص محددين من النبلاء الفرس من صرامة القواعد المتبعة في القصر الملكي والتي من المحتمل أنه قد تم وضعها في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses والتي أعيد تعزيزها بعد ذلك في عهد دارا DARIUS وكسركسيس Xerxes على وجه الخصوص .

زيجات دارا DARIUS :

ومن الواضح أيضًا أن دارا DARIUS لم يعط أي اهتمام إلى الالتزام الذي يقضى بأن يتخذ زوجته من عائلات المتآمرين الآخرين:

وكانت أول السيدات التي تزوجها دارا DARIUS هم ابنتا قورش Cyrus أتوسا Atossa وأرتيستون Artystone . ولقد كانت الأولى في السابق زوجة لأخيها قمبيز Cambyses وأيضًا كانت زوجة الماجوس المدعى، أما الثانية فكانت لا تزال عذراء، وبعد ذلك تزوج دارا DARIUS من بارميس Parmys وهي إبنة سمرديس Smerdis إبن قورش Cyrus وبالإضافة لكل هؤلاء فقد تزوج أيضًا من فايديم Phaidime إبنة أوتانيس Otanes الرجل الذي فضح الماجوسي (الكتاب الثالث، فقرة 88) .

لقد كان الهدف والرسالة واضحيين: حيث ربط دارا DARIUS نفسه مباشرة بعائلة قورش Cyrus بزواجه من ابنتا قورش Cyrus أتوسا وأرتيستون (Atossa ، Artystone) وأيضًا حفيدته بارميس Parmys . وبالنسبة لزواجه من ابنة أوتانيس Otanes فإنه من الصعب أن نعتبر ذلك تنازلاً لأوتانيس Otanes ، فهذا الزواج كان قائمًا على العادة التي تقضى بأن

يتزوج الملك الجديد زوجات الملك السابق له (أتوسا وفايديم) (Phaidime، Atossa) مثلما قام سمرديس/بارديا Bardiya / Smerdis أيضًا بالزواج أتوسا Atossa ، والتي كانت الأخت الزوجة لقمبيز Cambyses . وفي الحقيقة فإن سياسة لدارا DARIUS فيما يتعلق بالزواج تشير إلى إنشغاله بالتواصل الملكي مع أسرة قورش (على الرغم من أنه كاذب) أكثر من رغبته في إستعادة الطبقة الأرستوقراطية. «لذلك فإن دارا DARIUS في الحقيقة قد دخل في روابط عائلية مع الملوك القدامى... وبذلك فإن السلطة لن تبدو أنها ذهبت إلى غريب بل ظلت في عائلة قورش Cyrus » (جوستين Justin ، الكتاب الأول، فقرات 10، 13-14) .

ومن الواضح أن دارا DARIUS قد طبق بصورة منتظمة سياسة سمحت له من ناحية أنه يربط نفسه بصورة مصطنعة بتسلسل نسب عائلة قورش Cyrus ومن ناحية أخرى قيدت عدد الأفراد الذين لديهم الحق في تولى السلطة بأن إشترطت فيهم الإنتساب المباشر إلى الأسرة الأخمينية بالمعنى الضيق للكلمة. وأخيراً فقد تزوج أيضًا واحدة من بنات إخوانه وهي فراتاجون Phratagune إبنة أخيه أرتانيس Artanes ، والاستثناء الوحيد المعروف لهذه السياسة هو زواجه من ابنة جوبرياس Gobryas ولكن هذا حدث قبل أن يعتلي العرش، ولقد أنجب منها ثلاثة أبناء قبل أن يتولى السلطة، ولكن المناقشات التي سجلها هيرودوت Herodotus حول مسألة خلافته في الحكم تبين أنه لم يكن لديه أي نية في نقل السلطة إلى إبنه الأكبر الذي تم إنجابه نتيجة زيجته الخارجية، وكما سنرى فورًا فإن سياسة الملك الأكبر تمثلت في توزيع بناته. وهي السياسة الزيجية التي كانت تحمل معنى مضاد تمامًا للمعنى الذي نسبه إليها هيرودوت Herodotus ، ولقد اتبع خلفاء دارا DARIUS نفس هذه السياسه بالإجماع حتى عهد دارا Darius الثاني وهو الوقت الذي أصبحت العائلة المالكة في عهده منفتحة على الزيجات الخارجية .

قصة الأعمال البطولية التي قام بها أوتانيس Otanes :

إن استخدام مصطلح «السبعة» يقتصر فقط على المؤلفين اليونانيين الذين أرادوا أن يحددوا هؤلاء الأشخاص في رواياتهم، وأرادوا في بعض الحالات أن يميزوا بين الأشخاص الذين يحملون نفس الاسم. وفي بعض الحالات كانوا يذكرون تقاليد بعض الأسر التي كانت تميل إلى المبالغة في تعظيم مكانة أجدادهم، وقصة أوتانيس Otanes وعائلته تم مراجعتها وتصحيحها في الفترة بين القرن الخامس والعصر الروماني ربما تكون توضيح لمثل هذا التشويه والخداع .

ونحن نعرف على الأقل تبعًا لما يقوله هيرودوت Herodotus أن أوتانيس Otanes قد لعب دورًا هامًا في المؤامرة في 522 وأنه قد حصل نتيجة لذلك على امتيازات له ولأحفاده، وفي الحقيقة فإن هيرودوت يقول أن أوتانيس Otanes قد رفض أن يشغل أي منصب ذو سلطة بشرط أن لا يخضع هو أو أحفاده إلى سلطة من سيصبح الملك وإلى الأبد، وبالإشارة لذلك الموقف كتب هيرودوت Herodotus

حتى هذا اليوم فإن عائلة أوتانيس Otanes لا تزال هي العائلة الوحيدة الحرة (إلويثري) في فارس، وحتى الآن فإنهم يخضعون للملك بالطريقة التي يختارها أعضائها فقط: ولكنهم ملتزمين بمراعاة القانون (نوموس) مثل أي شخص آخر. ولقد ناقش الست الآخرون بعد ذلك الطريقة الأعدل لاختيار من سيعتلي العرش، ولقد اتفقوا على أنه لو اعتلى أي واحد منهم العرش فإن أوتانيس Otanes ومن هم من نسله سوف يتسلمون كل عام بدلة من الملابس الميدية وهدايا أخرى ينظر إليها الفرس على أنها قيمة تقديرًا للدور الذي لعبه في المؤامرة ضد الماجوسي والذي كان أوتانيس Otanes هو المحرك الأساسي والمنظم الرئيسي لها.

وبعد ذلك روت لنا أسطورة بلاط كبادوكيا أصول العائلة والأسرة الحاكمة بهذه الطريقة:

يقـول ملـوك إقلـيم كبادوكيـا Cappadocia أنـه نسـبهم يعـود إلى قـورش Cyrus الفارسي، ويؤكدون أيضًا على أنهم ينحدرون من واحد مـن الفـرس السـبعة الذين تخلصوا من الماجوس، والآن وفـيما يتعلـق بصـلتهم بقـورش Cyrus فـإنهم يذكرون الآتى: إن قمبيـز Cambyses أبـو قـورش Cyrus كـان لـه أخـت مـن زواج شرعي وهـي أتوسـا Atossa . ولقـد تزوجـت مـن فارناسـيس Pharnaces ملـك كبادوكيـا وأنجبـت لـه ابـن وهـو «جـالوس» Gallus والـذي أنجـب سـمرديس Smerdis ، وأنجب سمرديس Smerdis كل مـن ارتـامنيس Artamnes وأنافـاس Anaphas ولقد كان أنافاس Anaphas هذا ذو شجاعة وجسارة غير عادية وكـان أيضًا واحدًا من الفرس السبعة. وهذه هي سلسـلة النسـب التـي تـربطهم بقـورش Cyrus وبأنافاس Anaphas والـذي حصـل عـلى حكـم مرزبانيـة كبادوكيـا بفضـل جراءته وشجاعته ومنح إمتيازًا بأنه لا يـدفع أي جزيـة للفـرس وبعـد وفاتـه تقلـد الحكـم ابـن لـه نفـس الاسـم، وعنـدما مـات تـرك ولـدين داتـاميس Datames وأريمنيوس Arimnaeus . ولقد خلف داتاميس Datamos والده على العرش، وهو رجل نال الثناء لما أبداه مـن تميـز في وقـت الحـرب وفي جميـع جوانـب الواجبـات الملكية الأخـرى والـذي إشـتبك مـع الفـرس في معركـة وقاتـل بشـجاعة حتـى قتـل وإنتقلت المملكـة إلى ابنـة أريـامنيس Ariamnes والـذي كـان لديـه ولـدين هـما أريارثيس Ariarathes وهولـوفيرنيس Holophernes . ولقـد حكـم أريـامنيس لمـدة 50 عـام ومـات بـدون أن يحقـق أي شيء يسـتحق الـذكر ثـم إنتقلـت السـلطة إلى أريارثيس الأول Ariarthes أكبر ولديه والذي قيل عنه أنه أحب أخيه حبًا فـاق الحـد وقـد العديـد مـن المناصـب البـارزة: ثـم أُرسـل إلى مسـاعدة الفـرس في حـربهم ضـد المصريين ورجع بالأوسمة والتشريفات التي منحه إياها ملك الفرس أوخـوس Ochus تقـديرًا لشـجاعته. ومـات في وطنـه الأصـلي تاركًـا ولـدين أريـارثيس Ariarathes

وأريسيس Aryses والآن لأن أخيه ملك كبادوكيا لم يكن لديـه ذريـة شرعيـة فقـد تبنى أريارثيس Ariarthes وهو الابن الأكبر لأخيه. وفي هذا الوقت قـام الاسـكندر المقدوني بقهر وهزيمة الفرس ثم مات. ولقد قام بيرديكـاس Perdiccas الـذي كـان يشغل منصب القائد الأعلى بإرسـال يـومينيس Eumenes ليكـون قائـدًا عسـكريًا على كبادوكيا. وقد هُزم أريارثيس الأول Ariarthes وقتل في المعركـة وقـد وقعـت كبادوكيا والأقاليم المجاورة لهما في أيدى المقدونيين .

وقد تتبع ديودورس Diodorus تاريخ الأسرة الحاكمة حتـى الـعصر الرومـاني وقدا استنتج قائلاً: «وهذا يكفي بالنسبة لملـوك كبادوكيـا الـذين يرجـع أصـلهم إلى قورش Cyrus »، ومن ثم فإننا يمكننا أن نرى أن هذه الرواية كانت موثقة بشـكل جيد في عهد ديودورس Diodorus . وقد تعرفنا فيها على العديد من الشخصـيات التاريخية بداية من عهـد قمبيـز Cambyses أبـو قـورش Cyrus حتـى ديـادوقي Diadochi ومن بعده بمـا فـيهم داتـاميس Datames المرزبـان المجـرم الـذي تـم درجه ضمن تسلسل النسب هذا. ولقد حظـى تسلسـل النسـب هـذا بنجـاح كبـير حيث قـام هولـوفيرنيس Holophernes بتوثيقـه وتقـديم الأدلـة عليـه في كتـاب جوديث Judith .

ومهما كانت الحقيقة التاريخية فإن هذه الرواية عن تسلسل نسـب العائلـة قـد إستغلتها ووظفتها لمصلحتها: حيث تم وصـف قـورش Cyrus بأنـه جـد العائلـة وأن أوتانيس Otanes (أنافاس) (Anaphas) كان من نسل أحد ملـوك كبادوكيـا، وخالـة قورش Cyrus أتوسا Atossa (التي تم الخلط سواء عن عمد أو لا بينها وبـين بنـت قورش Cyrus وأخت قمبيز الثاني Cambyses . وفي حين أن مؤرخ للرواية الشـفهية عن تاريخ هذه الأسرة قد يستفيد من هذا النص إلا أن الشخص المهتم بأصول ومصير الستـة/السـبعة لـن يسـتطيع الاسـتفادة منهـا. ولقـد كانـت إسـطورة الـبلاط معرفـة

بالفعل في وقت بوليبيوس Polybius والذي كتب عن مثراداتيس Mithradates حاكم بونتوس Pontus قائلاً: «أنه كان يتفاخر بأنه ينحدر من واحد من الفرس السبعة الذين قتلوا الماجوس وادعى بأن نسله قد إحتفظ منذ ذلك الوقت بحكم هذه المنطقة والتي كان قد حصل عليها جده في الأساس من دارا DARIUS » وفي مكان آخر يقدم لنا بوليبيوس Polybius تفاصيل أخرى عن هذه الأسطورة، ففي إستطراد خصصه للحديث عن كبادوكيا ذكر أن شخصًا فارسيًّا غير معروف اسمه قد قام بعمل رائع أثناء صيده مع أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes حيث هاجم أسد حصان الملك ولحسن الحظ فإن هذا الفارسي قد تمكن من قتل الأسد «وأنقذ حياة الملك من خطر عظيم»، ومقابل ذلك فقد أعطاه الملك هديه (دوريا) تتمثل في كل الأراضي التي يمكن أن يراها نظرة عندما يقف على جبل مرتفع، وهذه القصة تكرر موضوعات أدبية مشهورة جدًّا وخصوصًا صيد الملك للأسود. وتشبه هذه القصة قصة ديودوراس Diodorus عن عمل تيريبازوس Tiribazus في بلاط أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes والنتيجة البائسة لفعل مماثل لهذا الفعل والذي قام به ميجابيزوس Megabyzus لينقذ حياة أرتاكسركسيس الأول Artaxerxes . وويمكننا أن نفس هذه الحالة المتمثلة في تخصيص الأرض لمن يقوم بأعمال بطولية أشكال متعددة في التقليد اليوناني والفارسي. ولكن هذا التقليد هو أقدم من ذلك بكثير، حيث يذكر ديودورس Diodorus والذي قد اعتمد بلا شك على هيرونيموس Hieronymus حاكم كارديا Cardia (والذي كان معاصرًا لديادوكي Diadochi) أن مثراداتيس Mithradates الذي حكم كبادوكيا على الرغم من معارضة انتيجونوس Antigonus كان ينحدر من نسل واحد من الفرس السبعة الذين ذبحوا الماجوس وقد سمع أبيان Appian أن مثراداتيس Mithradates كان متصلاً بالعائلة المالكة الفارسية».

ونحن نعرف أن أوتانيس Otanes والذي كان واحدًا من السبعة قد قاد غـزو ساموس Samos في بداية عهد حكم دارا DARIUS ، ولكـن هـيرودوت لم يـذكر شيء عن حصوله على أراضي في كبادوكيا حيث إنه يؤكد مرارًا على أن أسرة أوتانيس Otanes بقيت حرة وأن أوتانيس Otanes كان يتسلم كل عام رداء ميـدي وهـدايا أخرى يقدرها الفرس كدليل على التشريف. كما أن إستقرارعائلة أوتانيس Otanes في كبادوكيا يُستدل عليه من خلال الأسطورة (والتي سجلها بكلـمات مختلفـة) كـل مـن ديـودورس Diodorus وبوليبيـوس Polybius . وهـذه الإفـتراض (والـذي لا يمكن أن يكون سوى ذلك) قائم على المقارنة مع أمثلة أخرى من تقـديم إمتيـازات في صورة أراضي لبعض الأشخاص «بدون الاضطرار لدفع جزية» مثل: الامتيـاز الـذي قدمه قورش Cyrus إلى بارديا Bardyia ، وذلك الـذي قدمـه دارا DARIUS إلى زوبـــيروس الأول Zopyrus ، والامتيـــاز الـــذي قدمـــه أرباســـيس Arbaces الي بيليسيس Belesys . وعلى أي حال فإنه ولأسباب عديدة نجد أن الحالتين الأخيرتين مشكوك في صحتهم تاريخيًّا إلى حد ما. فنحن نعرف أخيراً أنه في عام 515-514 كان مرزبان كبادوكيا يسمى أريـارامنيس Ariaramnes وأنـه هـو مـن عهـد إليـه دارا DARIUS في البداية بقيادة الحملة ضد سكان سكيثيا. هـل يجـب أن ننظـر إليـه على أنه أحد أبناء أوتانيس Otanes الذي سماه ديودورس Diodorus أريمنيـوس Arimnaeus ؟ ولكن ديودورس Diodorus حدد أنه عند وفاة أوتانيس Otanes إنتقل الحكم إلى إبنه الآخر المسمى داتاميس Datames .

ويظهر من كل هذا أنه لا يوجد مـا يـبرهن عـلى أن أوتـانيس Otanes قد حصل على حكم كبادوكيا من دارا DARIUS وهنـاك أدلـة أقـل لـدعم فكرة أن دارا DARIUS وافـق عـلى وجـود مملكـة مسـتقلة. ومـن ناحيـة أخرى فإنه من المحتمل أن يكون قد كوفئ بالهدية كما تم توضـيح ذلـك في

الرواية التي ذكرها بوليبيوس Polybius ولكن تكرار فكرة الصيد تجعلنا في شك. ومن المحتمل أن أسطورة السيادة على كبادوكيا قد قد تم نسجها حول القصة الأصلية، وبعد كل شيء فإن هذا لن يكون هو المثال الوحيد على سلاسل النسب الهيلينية التي تم نسجها بشكل مصطنع حول أحداث عام 522. ومهما كان الحال فإنه يبدو أن إستغلال الروايات التقليدية والتلاعب بها قد بدأ بالفعل في عصر هيرودوت Herodotus حيث قدم أوتانيس Otanes على أنه «ابن فارناسبيس Pharnaspes » وأنه أبو كاساندانى Cassandane التي هي أم قمبيز Cambyses . وفي الحقيقة فإن النقوش الموجودة في بيهستون Behistun قد برهنت على أن معلومات هيرودوت Herodotus مختلقة لأن اسم والد أوتانيس Otanes هو ثوكرا Thukra ، ومن المحتمل أن هذا التشويه الأصلي للمعلومات في رواية هيرودوت Herodotus كان المسؤول عن تأكيد ديودورس Diodorus على وجود روابط أسرية قوية بين عائلات أوتانيس Otanes وقورش Cyrus .

وإنه لمن الصحيح أنه طبقًا لستيسياس Ctesias فإن كسركسيس Xerxes قد تزوج أمستريس Amestris والتي تم تقديمها على أنها ابنة أونوفاس Onophas ولكن هل أونوفاس Onophas هو أوتانيس Otanes ؟ إن هذا يبدو افتراضًا كليًّا. وفي حالة واحدة ميز هيرودوت Herodotus بين أسماء أوتانيس Otanes وأونوفاس Onophas ، وحتى لو اتفقنا أن شخص واحد إسمه اوتانيس Otanes هو الذي يدور حوله الحيث هنا، فإننا يجب أن نؤكد على أن هذا الاسم كان شائع جدًّا، وقد ذكر هيرودوت Herodotus أن شخصًا إسمه أوتانيس Otanes والذي كان أبو أمستريس Amestris قام بقيادة إحدى الفرق الفارسية في عام 480 ولكنه وضع في القائمة العديد من الأشخاص الآخرون أيضًا، وكان أحدهم هو ابن سيسامنيس Sisamnes ، ولقد كان واحد آخر منهم (أو نفس الشخص

الأول) كان متزوجًا من واحدة من بنات دارا DARIUS والثالث كان هو والد أنافيس Anaphes وآخر هو أبو سمردومينيس Smerdomenes وشخص آخر هو والد باتيرامفيس Patiramphes . وسوف يكون من الغريب جدًّا أن يقبل دارا DARIUS بزواج إبنه كسركسيس Xerxes من إبنة أوتانيس الذي إشترك في مؤامرة عام 522، حيث إن الرابطة الوحيدة الأكيدة بين العائلتين هي زواج دارا DARIUS من فاديم Phaidime بنت أوتانيس Otanes والزوجة السابقة لقمبيز Cambyses وبارديا Bardyia . ولم يكن لهذا الزواج أي تشعبات سياسية فيما يتصل بالزواج المفترض بين كسركسيس Xerxes وبنت أوتانيس Otanes . حيث إنه بزواج كسركسيس Xerxes من بنت أوتانيس Otanes كان هذا سيعطى حقوق لأي حفيد من أحفاد أوتانيس Otanes للمطالبة بالسلطة (بينما رفض دارا DARIUS إعطاء هذه الحقوق لأحفاد جوبرياس Gobryas) ، وبالإضافة لهذا فإنه إذا كانت أمستريس Amestris هي بنت واحد من السبعة لكان هيرودوت Herodotus قد ذكر ذلك بالتأكيد لأنه يذكر بشكل متكررً مثل هذه الروابط الأسرية .

عائلة جوبرياس Gobryas :

دعونا الآن نتحول إلى جوبرياس Gobryas . لقد رأينا أنه قد لعب دورًا جوهريًّا في المؤامرة وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن جوبرياس Gobryas كان الداعم الأقوى لدارا DARIUS ، ونحن نعرف أيضًا أن تحالفه مع دارا DARIUS كان طويل المدى حيث إن تبادل الزوجات قد حدث بين الأسرتين قبل 522 وأن زوجة دارا DARIUS الأولى كانت إحدى بنات جوبرياس Gobryas ومن هذه الزيجة رزق دارا بثلاث أولاد منهم أرتوبارزانيس Artobarzanes . أما من ناحية جوبرياس Gobryas فقد تزوج إحدى أخوات دارا DARIUS ومن هذا الزواج وُلد ماردونيوس Mardonius وأرابيجنيس Arabignes . ولقد لعب

جوبرياس Gobryas دورًا أثناء ثورات الشعوب الخاضعة للحكم الفارسي. حيث تم إرساله منذ عام 520 لإخماد الثورة الإيلامية الجديدة وقد ظهر مرة ثانية في عام 513 في الحاشية المباشرة للملك الأكبر في سكيثيا ولقد نصح الملك بالإنسحاب .

وقد اختفى من المصادر القديمة ثم عاود الظهور في وثائق بيرسبولس في فبراير - مارس 498، حيث قام بإذن من الملك باستخدام الطريق الملكي بين صوصا وبرسيبولس وأخذ إمدادات السفر في محطتين قرب صوصا. ولقد إنضمت قافلته (أو مرت) بقافلة أخرى، وقد ذكرت الوثيقة أن «زوجة ماردونيوس Mardonius هي بنت الملك»، وبالمصادفة فإن هذا يتفق مع رواية هيرودوت Herodotus والذي قال أن ماردونيوس Mardonius ابن جوبرياس Gobryas وإبن واحدة من أخوات دارا DARIUS وصل إلى آسيا الصغرى عام 493 ليتولى القيادة، ولقد تزوج من أرتوزوسترا Artozostra وهي إحدى بنات دارا DARIUS وبذلك أصبح ابن عمة وصهر كسركسيس Xerxes ، وبعد حملته في طراقيا يبدو أن ماردونيوس Mardonius قد فقد رضى وتعاطف الملك، ولم يشارك مطلقًا في حملة عام 490، وبعد ذلك تقلد منصبًا رفيعًا يقربه من كسركسيس Xerxes ، ويحكم هيرودوت Herodotus عليه بقسوة، وقد لقى ماردونيوس Mardonius حتفه في معركة بلاتيا، ولم نسمع أي شيء عن عائلة ماردونيوس Mardonius بعد هذا الحدث .

ويتضح لنا مدى المودة والاستمرارية في الروابط الأسرية بين العائلتين من خلال الحظوة المستمرة التي إحتفظ بها جوبرياس Gobryas في عيون الملك دارا DARIUS والتي حصل عليها فيما بعد إبنه ماردونيوس Mardonius لدى كسركسيس Xerxes . والكميات الاستثنائية من إمدادات السفر التي حصل عليها جوبرياس Gobryas توضح منزلته الرفيعة في البلاط الملكي وهو ما يتضح لنا أيضًا من الطبيعة المفصلة

للختم المطبوع على أحد ألـواح برسـيبولس. ولكـن مشـاركته في مـؤامرة السـبعة لا يبدو أنها تعطيه أي حريات أكثر من الالإمتيازات التي تـم تقـديمها لعائلتـه، ولقـد كانت هذه المكانة راجعة إلى تحالفات زوجية عقدت قبل عام 522 وخصوصًا أيضًا لإخلاصه الثابت للملك. واختيار دارا DARIUS لكسركسـيس Xerxes (إبنـه مـن أتوسـا) Atossa عـلى حسـاب أرتوبـارزانيس Artobarzanes (ابنـه مـن بنـت جوبرياس) لكي يخلفه في الحكم يظهر أن تبادل الزوجات لم يكن سـوى في مصـلحة دارا Darius .

قصة الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Magabyzus

إن ميجابيزوس الأول Magbyzus هو الأكثر شهرة من بين المتآمرين الآخـرين لأن هيرودوت Herodotus وستيسـياس Ctesias قـد قامـا بسرد قصـص عائلتـه، وتبعًا لهيرودوت Herodotus فلقد حقق ابنة زوبيروس الأول Zopyrus تحولاً في ميزان القوى عندما إستولى على بابل تحت اسم دارا Darius . وربما نفصـل روايـة ستيسياس Ctesias : «فلقد ارجع النصر إلى ابنة ميجابيزوس Megabyzus الثـاني الذي تزوج من أميتيس Amytis ابنة كسركسيس Xerxes ولقد أنجب منها ثلاث أولاد هـم: زوبـيروس الثـاني Zopyrus وأرتيفيـوس Artyphius وأرتوكسـاريس Artoxares ، وتحليل الفترة التي قضاها ميجابيزوس Megabyzus في خدمـة كـل من كسركسيس وأرتاكسركسيس يشير إلى أنه عـلى الـرغم مـن سـمو نسـبه وبعـض النجاحات التي حققها إلا أنه تم طـرده مـن حظـوة الملـك لعـدة أعـوام، ولم يكـن أولاده أفضل حالاً منه حيث إنه بعد وفاة الوالد قـام الابـن الأكـبر زوبـيروس الثـاني Zopyrus بترك الملك والذهاب إلى أثينا أما الابن الثاني أرتيفيوس Artyphius فقد أُعدم بعد ثورة فاشلة ضد دارا DARIUS الثـاني. وهـذا السـلوك مـن الاثـنـين إنمـا يشير إلى أن المصالحة بين ميجابيزوس Megabyzus وأرتاكسركسيس Artaxerxes التي وصفها ستيسياس Ctesias لم تزيل سوء النية المتبادل بين العائلتين .

هيدارنيس Hydarnes :

ليس لدينا أي إشارة واضحة لهيدارنيس Hydarnes بعد عام 520، ولكن تشهد بعض ألواح برسيبولس على أنه كان مرزبان ميديا في عهد دارا DARIUS ومن الممكن أن ابن هيدارنيس Hydarnes إبن هيدارنيس Hydarnes الذي قاد فرقة الخالدين في حملة عام 480 كان هو ابن المتآمر الذي إشترك في مؤامرة عام 522 وربما تكون هذه هي الحال أيضًا بالنسبة لسيسامنيس Sisamnes ابن هيدارنيس Hydarnes ، ولكن العلاقة بين المرزبان تيسافرنيس Tissaphernes وهذه الأسرة يجب أن تظل مجرد إفتراضات، وتعاود أسرة هيدارنيس Hydarnes الظهور بعد تولي دارا DARIUS الثاني السلطة ولكن هل هو نفس الشخص؟ وهذا الأمر غير مؤكد إلى حد بعيد، وعلى أي حال فإن قصة هذه العائلة أدت إلى ظهور أسطورة البلاط في العصر الهيليني، وفي الواقع فلقد ذكر سترابو Strabo أن الأسرة الحاكمة في أرمينيا كانت تنحدر من أورونتيس Orontes والذي كان ينحدر نفسه من هيدارنيس Hydarnes «أحد السبعة»، ولكننا نعرف أن الروابط بين أورونتيس Orontes والعائلة الأخمينية المالكة ترجع في الواقع فقط إلى زواجه من بنت أرتاكسركسيس الثاني ArtaxerxesII مما يعني أن أحفاده يمكن أن يعدوا دارا DARIUS من بين أجدادهم في نيمرود داغ Nemrud-Dagh . ويثبت هذا المثال مرة أخرى أن القصص المتداولة عن عائلات السبعة قد تم استخدمها فيما بعد بشكل منتظم لإضفاء الشرعية على تولى أحد الأسر للسلطة .

ملخص المناقشة:

مما سبق يتضح لنا أن الملك الأكبر لم يقم بمنح أي من عائلات السبعة مكانة استثنائية بشكل دائم، حتى ولو قبلنا الافتراض القائل بأن بارديا/ جوماتا Gaumata/Bardiya قد سعى إلى إضعاف بعض عائلات النبلاء إلا أننا لا يجب أن نستنتج من ذلك أن الطبقة الأرستقراطية قد

إستعادت مكانتها السابقة عندما تم إزاحته من السلطة، وإفتراض أن بعض شيوخ العشائر كانوا يأملون ولو للحظة في موازنة قوى الملك هو افتراض مع أنه لا توجد عليه أدلة كافية إلا أنه ممكن. ونحن لا نزال نحتاج إلى تفسير كيف أن أوتانيس Otanes قد انسحب بهذه الدرجة من حسن النية. ولقد حاول واحد فقط من السبع هو إنتافرنيس Intaphernes أن يحرر نفسه من سلطة الملك، ولكن محاولته باءت بالفشل لأن دارا DARIUS كان قد حقق في هذه الأثناء إنتصارات باهرة وكان قادرًا على إجتذاب وفاء النبلاء الفرس. وقد أظهر دارا DARIUS مقدرة استثنائية على تولى السلطة والقيادة والتي يبدو أنه لم يكن هناك أحد من بين رفاقه الآخرين من ينافسه فيها.

وفي حين حصل بعض أحفاد السبعة على تكريمات وامتيازات الخاصة، إلا أنها لم تكن مختلفة بشكل أساسي عن التكريمات والامتيازات التي مُنحت لعائلات النبلاء الآخرين. ولقد عبر بلوتارخ Plutarch عن هذه الحقيقة: «بالنسبة للفرس السبعة الذين قتلوا الماجوس فقد منحوا امتياز هم وأحفادهم يتمثل في وضعهم لغطاء للرأس مائل للأمام على جباهم، لأن هذه كانت على ما يبدو هي إشارتهم السرية عندما شرعوا في تنفيذ مخططهم». ولقد عبر بوليانوس Polyaenus عن ذلك هو الآخر. وهذا التمييز والذي وجد بلوتارك Plutarch إشارة إليه ضمن أدلته كان مجرد هدية ملكية بسيطة والتي لم تكن ملزمة للملك على الإطلاق بل على العكس زادت من إعتمادهم عليه، ومن المحتمل أن هذا هو السبب في أن جوبرياس Gobryas وأسباثينيس Aspathines يظهران وهم يحملان أسلحة الملك على مقبرة ناقسى روستام Naqs-i Rustam : فلقد تم دمجهم في التسلسل الهرمي للمكانات داخل البلاط الملكي .

وأخيرًا فإن عبارة «العائلات السبع» بعد 520 هي في جانب كبير منها عبارة مضللة (يجب أن نتحدث عن العائلات الست بعد قتل

إنتافرنيس Intaphernes وجميع أهله). ويتعلق هذا الرمز بشكل أكبر بالقصص المتداولة حول عائلات الستة أكثر من كونها تتعلق بقصص عن أسر حاكمة والتي تميل على العكس من ذلك إلى حد ما إلى التعتيم على وإغفال ذكر هؤلاء الذين شاركوا في المؤامرة التي أوصلت دارا DARIUS إلى السلطة، وحتى إذا كانت عشيرة الأخمينيين جزءًا من المؤامرة، فلقد قام دارا DARIUS بوضع عائلته نفسها في منزلة أعلى من هذه الدائرة الصغيرة من النبلاء. ولقد كانت هذه طريقة أخرى لاستبعاد الأرستقراطيين الذين ساعدوا دارا DARIUS من المنافسة على الحكم.

5- الملخص والمنظورات المختلفة:

أساس جديد للإمبراطورية:

إن الطرق والأساليب التي تمكن بها دارا DARIUS من الوصول للسلطة- بقدر ما نستطيع إعادة تجميعها - تشهد على صرامة وحيوية هذا الملك الجديد. فلا يمكن أن ننكر أن دارا DARIUS كان ذا شخصية استثنائية، ولكنه أثبت أيضًا بأن لديه المقدرة التنظيمية. ففي نفس الوقت الذي كان يعيد فيه ترتيب نظام الجزية بالكامل، كان يقوم بتنفيذ مشاريع أخرى في أقاليم متنوعة: إنشاء عواصم جديدة، وغزو ساموس، والحملات الإستكشافية من نهر الإندوس Indus إلى نهر النيل. وفي عام 518 كلف الملك المرزبان أرياندیس Aryandes بالاجتماع بحكماء المصريين لجمع «القوانين المصرية» ولقد تم إتخاذ إجراءات أخرى تتعلق بالقدس في نفس هذا الوقت، والشيء الذي يبهرنا هو العناية التي خطط بها الملك لمشاريعه على المدى البعيد، ولقد أراد دارا DARIUS قبل كل شيء أن ينشيء سلالة حاكمة جديدة تمتد من نسله وحده. وللوصول إلى هذه الغاية إستغل ظروف الأسرة الحاكمة السابقة بقدر كبير من المهارة. وإعادة التعريف الذي قدمه لكلمة الأخميني Achaemenid سمح

له بأن يستثني ويستبعد هؤلاء الذين ينتمون إلى العشيرة التي تحمل نفس الاسم من سلسلة نسبه. ومن ثم فلقد إنتقلت السلطة من الأب إلى الابن في عائلة واحدة محدودة والتي وضعت تحت عناية وحماية البطل المؤسس الجديد أخمينيس، وقد تمكن دارا DARIUS ومستشاريه من القيام بعملية إعادة تفكير أيديولوجية وسياسية والتي لم تكن أقل إبهارًا، فمنذ البداية رأينا أن الملك كان منشغلاً بعمل قاعدة وأساس إيديولوجي لحكمه ولسلالته الحاكمة. ونجد أنه بداية من أواخر العقد الثامن من القرن السادس ق.م تم الإعلان عن الأيديولوجية الملكية الأخمينية إعتمادًا على قواعد وتبريرات تم فيها المزج بين الدين والسياسة في كل واحد يندر حدوثه. ومن ثم فإن سلطة الملك وحقوق عائلته كانت تحت حماية من أهورا مازدا Ahura-mazda الذي تم التضرع إليه على أنه الإله الأعظم للملك وللإمبراطورية. كما أن مفهوم أرتا Arta (الحقيقة) وعلاقته بالمعنى المتناقض له وهو دروجا Drauga (الكذب) هو المحور الحقيقي لأيديولوجيته، وهذا هو البرنامج الذي تم العمل به في المساكن الجديدة في صوصا وبرسيبولس كما هو في المقبرة الملكي في ناقسى-روستام Naqs-i Rustam .

وبدون أن ننتقص من قدر الإنجازات التي حققها الملوك السابقين له، إلا أننا نؤكد على أن قدوم دارا DARIUS إلى السلطة يمثل أساس نظام إمبراطورى وملكي جديد. حيث إن السنوات الأولى من حكمه بالتأكيد كانت فترة حاسمة في التاريخ الأخميني. ولكن في نفس الوقت اهتم دارا DARIUS بتعزيز حكمه على المدى الطويل، فالمشاريع التي شرع دارا DARIUS في تنفيذها في باسارجاداى Pasargadae هي دليل آخر على طموحه المتمثل في وضع التحول الكبير الذي أحدثه في سياق التاريخ الفارسي. وعلى النقيض مما كان معتقدًا لفترة طويلة فإن دارا DARIUS لم يسعى أبدًا إلى الإساءة إلى ذكرى مؤسس

الإمبراطورية. بل على العكس فقد نوى أن يكثف من دعايته الماهرة في باسارجاداى Pasargadae والتي ستسمح له بإنشاء صلة مصطنعة مع قورش Cyrus تمامًا كـما فعل في سياسته الزيجية .

التزامن واختلاف الزمن:

يجب أن أذكر بصورة عابرة بأن نشاط دارا DARIUS توجد شواهد عليـه في مجالات عديدة وفي مناطق عديدة. ولكن من المستحيل أن نقدم قصة متصلة حول ذلك بداية من عام 520 وحتى 486. ولقد وجدت نفسي منقاداً نحو تحليل كل غزو نـاجح للملـك الجديـد بصـورة مفـردة لأن هـذه الفتوحـات هـي التـي سـمحت للإمبراطورية الأخمينية أن تحقـق هـذا الامتـداد العظـيم. والجوانـب الأخـرى مـن إنجازاته الواسعة سوف يـتم تناولهـا في الفصـول مـن 5 - 12 الخاصـة بإنجازاتـه في الأقاليم، وهذه الدراسة سوف تساعدنا بصورة أفضل أن نعرف بالكامل كيف كانت الإمبراطورية عند وفاة الملك الأعظم وأيضًا سوف يؤدي ذلـك إلى أن نعـرف بصـورة جيدة الإنجازات الخاصة بكسركسيس Xerxes (فصل 13) .

الفصل الرابع

دار DARIUS الفاتح (520-496)

1- مواصلة التوسع الإقليمي (520-513):

لم يألُ دارا DARIUS جهدًا في مواصلة توسيع حدود إمبراطوريته، ومما لا شك فيه أنه بعد الفتوحات التي قام بها قورش Cyrus ، وحتى بعد الاستيلاء على مصر، كان الفرس يرغبون في توسيع ملكهم من القارة الآسيوية إلى جزء بحر إيجه، وفي هذا السياق -وعلى سبيل المثال- فإن هجوم أوروتيس OROETES على بوليكراتيس POLYCRATES حاكم جزيرة ساموس كان لا يتعارض مع أهداف الحكومة المركزية -سواء المعلنة أو الخفية- ولا توجد لدينا معلومات كافية عن بلاد آسيا الصغرى في الفترة ما بين إعدام أوروتيس OROETES حاكم سارديس SARDIS 522-520)) ، وأول هجوم مباشر يشنه دارا DARIUS على أوروبا عام 513، ونحن ندين لهيرودوت HERODOTUS بسبب التوضيحات العديدة التي قدمها حول السياسة التي اتبعها دارا DARIUS في بحر إيجة في البدايات الأولى لحكمه، ولسوء الحظ فإن ملاحظات هيرودوت HERODOTUS لا تزيد عن كونها مجرد قصة فرعية، والتي كما يمكن أن نقول تأتي في صورة سرد طويل نسبيًا ولكنه غير علمي لمغامرات ديموسيديس DEMOCEDES ، وهو طبيب من مدينة كروتون في إيطاليا،

والـذي قـام الفـرس بـأسره عنـدما قتـل أوروتـيس OROETES بـوليكراتيس POLYCRATES حاكم الولاية جزيرة ساموس، وبعـد أن تـم إحضـاره إلى الـبلاط الملكي بعد إعدام ذلك المرزبان الشرير، أصبح ديموسيديس DEMOCEDES أحـد المفضلين عند دارا DARIUS : «فلقد عاش في بيت كبير في صوصا SUSA ، وكان يتناول الطعام على مائدة الملك» (III.132) .

ولقد كان على ود أيضًا مع إحدى زوجات الملك، وهي أتوسا ATOSSA ابنـة قورش Cyrus ، والتي يحاول هيرودوت HERODOTUS أن يضفي عليها وضعًا سياسيًّا غير عادي، فبإلحاح من أتوسا ATOSSA أعلن دارا DARIUS عن رغبته في غزو بلاد اليونان، ولكن قبل شـن هـذه الحملـة قـرر دارا DARIUS أن يرسـل بعثة استطلاعية تحت توجيه ديموسيديس DEMOCEDES : «ولقـد طلـب منـه دارا DARIUS أن يقـدم لهـذه الفرقـة الاستكشـافية كـل مـا تحتـاج إليـه مـن المعلومات والإرشادات، وأن يعود بعد ذلك إلى بلاد فارس» (III.135) .

ولقد انطلقت هذه الفرقة الفارسية من صيدا، وقامت «بإعداد تقارير مكتوبة عن نتائج المسح الدقيق الذي أجرته لمعظم المعالم المشهورة على السـاحل اليونـاني، ولقد وصلوا في النهاية إلى تارنتوم» (III.137) .

ثـم يخبرنـا هـيرودوت HERODOTUS كيـف أن هـؤلاء الفـرس فقـدوا مرشدهم، وتحولوا إلى عبيد في ياباجيا في إيطاليا، والتي كانت تسيطر عليها اليونان آنذاك، وذلك قبل أن تتم إعادتهم إلى دارا DARIUS بواسطة جيلوس GILLUS ، الذي كان طريدًا للعدالة من تارنتوم، ثـم يسـتنتج هـيرودوت HERODOTUS أن هـؤلاء الفـرس كـانوا أول مـن قـدم عـلى الإطـلاق مـن آسـيا إلى بـلاد اليونـان» (III.138) .

ومـــن الصـــعب أن نفصـــل التـــاريخ عـــن الأســـطورة في روايـــة هيرودوت HERODOTUS ، ففي الأساس المنطقي الذي يقوم عليه

منظوره كان لقصة ديموسيديس DEMOCEDES هذه غرض معين، وهو توضيح أن الإمبراطورية الفارسية واليونانيين قد تعارفوا على بعضهم البعض قبل بداية الحروب الفارسية، وأنه ومنذ وقت مبكر كانت لدى دارا DARIUS أفكار حول القيام بفتوحات في الغرب .

دارا DARIUS ، سيلوسون SYLOSON ، وجزيرة ساموس:

بعد أن قام هيرودوت HERODOTUS برواية مغامرات ديموسيديس DEMOCEDES ، نجده يبدأ استطرادًا جديدًا بهذه الكلمات: «لقد أعقب هذه الأحداث قيام الفرس بالاستيلاء على جزيرة ساموس» (III.139) .

والسياق التاريخي المحتمل يجعلنا نعتقد أن دارا DARIUS قد قام باتخاذ قراره هذا بعد اعتلائه العرش بوقت قصير (520-519؟)، وعلى الرغم من ذلك، وكما عودنا هيرودوت HERODOTUS دائمًا، فإن الأسباب التي نعتبرها مهمة للحدث التاريخي نجده يعرضها في صورة قصة شخصية .

ولقد قام أحد إخوة بوليكراتيس POLYCRATES ، والمسمى سيلوسون SYLOSON بالمشاركة في غزو مصر، وحدث خلال هذه الغزوة أن أصبح دارا DARIUS مدينًا لسيلوسون SYLOSON بصنيع، حيث قام سيلوسون SYLOSON بتقديم رداء إلى دارا DARIUS كهدية، وعقب اعتلاء دارا DARIUS العرش قدم سيلوسون SYLOSON نفسه عند أبواب القصر الملكي مؤكدًا مكانته «كمحسن» إلى الملك، وهو المصطلح الذي كان يشمل كل شخص يحق له لأسباب معترف بها رسميًا أن يطلب صنيعًا من الملك (راجع فصل 8-1)، ولقد استأذن الملك في استرداد جزيرة ساموس التي كانت منذ وفاة بوليكراتيس POLYCRATES تحت سيطرة مندريوس MAEANDRIUS بن

منـــدريوس MAEANDRIUS «وهـــو الرجـــل الـــذي كلفـــه بـــوليكراتس POLYCRATES عند مغادرته الجزيرة بأن يتولى القيام بمهامه» (III.139-142) .

«ولقـد وافـق دارا DARIUS عـلى طلـب سيلوسـون SYLOSON ، وقـام بإرسال قوة تحت قيادة أوتانيس OTANES (وهو أحد النبلاء السبعة)، وأصـدر أوامر عليا إليه بأن يفعل كل ما يطلبه منـه سيلوسـون SYLOSON ، وبنـاءً عـلى ذلـك نـزل أوتـانيس OTANES إلى الشـاطىء ليقـوم باسـتكمال اسـتعداداته» (III.141) ، ويظهر هنا أوتانيس للمرة الأولى منذ خسـارته في «المسـابقة الملكيـة»، ومن الصعب معرفة لماذا تم اختياره لقيادة هذه الحملة بـدلاً مـن مرزبـان سـارديس SARDIS (وهو الذي لم نسمع عنه شيئًا منذ قيام دارا DARIUS بإعـدام أوروتـيس Oroetes)، وكما هو معتاد دائمًا، فقد تلقى قائد الحملة تعليمات مشددة ودقيقة من دارا DARIUS «بعدم قتل أو أسر أي شخص من سكان ساموس، وأن يقوم بتسـليم الجزيرة سليمة إلى سيلوسون (III.147) SYLOSON ».

ولكن قام أوتانيس OTANES بمخالفـة هـذه التعلـيمات -طبقًـا لهـيرودوت HERODOTUS - بسـبب أحـد الأعـمال الاسـتفزازية التـي قـام بهـا منـدريوس MAEANDRIUS ، وكانــت نتيجــة هــذه الحملــة أن تــم تنصــيب سيلوســون SYLOSON كحاكم الولاية في جزيرة ساموس .

وقد كانت هذه القضية مهمة، ففي الحقيقة ومن الناحية النظرية تـم تنفيـذ هذا الغزو لمصلحة سيلوسون SYLOSON ، ولكن سيلوسـون SYLOSON كـان في الواقع عميلاً أخمينيًا، حيث إنه تم تنصيبه بواسطة أحد الجيوش الفارسية، وبناءً على أمر من الملك الأكبر، ولقد جعله هذا التوريث الملـكي مـدينًا لـدارا DARIUS إلى الأبد، وهكذا فإنه يمكن أن نعتبر جزيرة ساموس أولى جزر بحر إيجه التي يقوم الفرس بغزوها، وفي الواقع فإن هـذه الجزيـرة كانـت ذات أهميـة كبـيرة جـدًا مـن

الناحيتين الاستراتيجية والتجارية؛ وذلك بسبب التغيرات التي أحدثها بوليكراتيس POLYCRATES ، وخلق هذه الطبيعة الروائية لقصة هيرودوت HERODOTUS ، ويمكننا أن نرى صياغة استراتيجية التزم بها دارا DARIUS لفترة طويلة بعد ذلك، ولا شك في أن هيرودوت HERODOTUS قد ارتكب مفارقة تاريخية عندما نسب إلى دارا DARIUS إعداده خطة لقيادة حملة ضد سكان منطقة سكيثيا في ذلك التاريخ المبكر، ومما لا شك فيه أيضًا أن دارا DARIUS -متبعًا لخطى أسلافه- قد أدرك مبكرًا أهمية السياسة الإيجية؛ وذلك نظرًا لقرب جزيرة بحر إيجه من مدن البر الرئيس التي كانت خاضعة للسلطة الأخمينية في ذلك الوقت، بالإضافة إلى العلاقات القوية التي كانت تربطهم بهذه المدن .

دارا DARIUS ، نهر الإندوس ونهر النيل:

يذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا أن دارا DARIUS قام بشن حملة بدأت من نهر الإندوس (IV.44) ، وأن هذه الحملة وصلت إلى مصر بعد ذلك بثلاثين شهرًا، وعلى الرغم مما يبدو من أن نص هيرودوت HERODOTUS هذا يقوم على المعلومات التي حصل عليها من مواطنه سكيلاكس SKYLAX ، إلا أنه ليس واضحًا بشكل كامل، وطبقًا لهيرودوت HERODOTUS يتضح أن دارا DARIUS كان يهدف إلى شيئين؛ فمن ناحية كان يريد أن يحدد ما إذا كان من الممكن ربط أطراف إمبراطوريته ببعضها البعض وبالمركز (إيلام)، ومن ناحية أخرى فلقد أراد تنظيم بعثة استكشافية تقوم بفتح الطريق لغزو وادي نهر الإندوس والذي تسميه النقوش الملكية (الهندوس)، ويشهد نص هيرودوت HERODOTUS على أن هذا الغزو قد تمت قيادته من قبل دارا DARIUS نفسه، أو أحد قادة جيوشه، ولكن لا يمكننا أن نحدد بشكل قاطع أيهم كان هذا القائد، وتاريخ هذا الغزو نفسه غير أكيد، ويحتمل أنه كان مباشرة بعد الحملة التي وجهت

ضد الساكنين سكان إقليم شونخا، أي حوالي عام (518؟)، وعلى أية حال، فلقد أظهرت أحدث الأبحاث أنه لا يوجد رابط تاريخي منطقي بين هذه الحملة وبين الأمر بحفر قناة تربط بين نهر النيل والبحر الأحمر .

أرياندس ARYANDES وبرقة:

تشتمل رواية هيرودوت HERODOTUS الطويلة على تاريخ أهل قورنائية وليبيا (IV ، الفقرات من 145-205) والتي تشتمل على بعض المعلومات عن العلاقة بين أرياندس ARYANDES والقادة اليونانيين لكل من بلدة برقة وبلدة قورنائية، فلقد قُتِل أحد حكام مدينة قورنائية وهو أرسيسيلوس ARCESILAUS (خليفة باتوس BATTUS) في الحرب الأهلية، وقد لجأت أمه «فريتيما PHERETIMA » إلى مصر، التي كان يحكمها في ذلك الوقت المرزبان الفارسي أرياندس ARYANDES ، ولقد استغلت فريتيما PHERETIMA حقيقة أن ابنها «كان قد قام بوضع قورنائية تحت سيطرة قمبيز CAMBYSES ، وأنه كان ملتزمًا بدفع قدر محدد من الجزية» وذلك في عام (525)، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS «فقد أظهر بذلك صداقته للفرس» (IV ، فقرة 165) .

ولقد قام أرياندس ARYANDES بعد استئذان دارا DARIUS بإرسال جيش قوي ترافقه قوة بحرية لمحاربة برقة، وكان هذا الجيش والأسطول تحت قيادة اثنين من نبلاء الفرس، وهم أماسيس AMASIS (مارافي) وبادريس BADRES (باسارجادي)، ولقد وافق البرقيون بعد مقاومة قوية على توقيع معاهدة مع أماسيس AMASIS ، ولكن أماسيس AMASIS لم يلتزم بكلمته، حيث «تم إرسال الأسرى البرقيين من مصر إلى الملك الفارسي دارا DARIUS ، والذي أعطاهم قرية في إقليم باكتريا ليعيشوا فيها، حيث قاموا بتسمية هذه القرية «برقة»، وظلت هذه القرية مأهولة بالسكان -على ما أذكر» (IV ، فقرة 204) .

ولم يقم هيرودوت HERODOTUS بتوضيح دوافع هذه الحملة

الفارسية ضد ليبيا وبلدة برقة بدرجة كبيرة، حيث إنه يسجل ما أخبره به بعض الذين كانوا يقدمون له المعلومات، قائلاً: «إن إيواء فريتيما PHERETIMA كان مجرد ذريعة، والهدف الحقيقي للحملة -على ما أعتقد- هو إخضاع ليبيا، فقد كان يسكن في ليبيا أجناس عديدة ومتنوعة من البشر، وكان عدد قليل منهم فقط هو الذي يخضع لسلطة الملك الفارسي، أما العدد الأكبر فلم يكن يأبه بدارا DARIUS ولو للحظة» (IV ، فقرة 167) .

ولكن، وعلى الرغم من ذلك لم يصل الفرس أبدًا لما هو أبعد من يوهيسبيريدس EUHESPERIDES بالقرب من برقة، ويقدم نص الاتفاق الذي تم بين البرقيين وأماسيس AMASIS سببًا جزئيًا «فلقد وعد البرقيون بدفع جزية مناسبة إلى الملك الأكبر»، وذلك في مقابل التزامه بترك المدينة وشأنها (وهو الالتزام الذي لم يحفظه أماسيس AMASIS)، ويشير هذا الوعد الذي قطعوه على أنفسهم إلى أنهم كانوا قد توقفوا عند دفع الجزية التي ينسبها لهم هيرودوت HERODOTUS في تقريره الذي أخبرنا به عن الجزيات، والتي كانت تدفع لدارا DARIUS : «فلقد كانت مصر بالإضافة إلى الليبيين الذين يسكنون على الحدود وبلدتي قورنائية وبرقة (كانتا ملحقتين بالإقليم المصري)، كانوا يدفعون جزية مقدارها 700 طالن» (III ، فقرة 91) .

وبمعنى آخر، فلقد استفاد أرياندیس ARYANDES من طلب فريتيما PHERETIMA هذه في محاولة زيادة سيطرته على بلدة قورنائية، والتي كانت في ذلك الوقت لا تزال خاضعة له بشكل جزئي فقط؛ ولأن أماسيس AMASIS قد قام بتذكير بادريس BADRES بأن «غرض الحملة كان محاربة مدينة واحدة فقط وهي برقة» (IV ، فقرة 203)، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أن هذه المدينة تم اختيارها لسبب معين، فبلدة قورنائية بداية من عهد أرسيسيلوس ARCESILAUS ، كان أهلها يقومون أيضًا -وبشكل

منتظم- بتسليم نصيبهم المحدد من القدر الكلي للجزية التي كان يقوم أرياندیس ARYANDES بتحصيله من مصر، بالإضافة إلى ذلك فلقد قام أرياندیس ARYANDES عند هذه النقطة بإصدار أمر إلى قادة الجيش بالعودة، وهكذا كان الغرض من التدخل نيابة عن فريتيما PHERETIMA هو إعادة بسط سيادتهم على بلدة قورنائية، ولكن وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن الفرس لم ينجحوا في إعادة بسط سيطرتهم على جميع الليبيين، حيث كتب هيرودوت HERODOTUS : «كان معظمهم لا يأبه على الإطلاق بملك فارس أكثر مما يأبه به اليوم» (IV ، فقرة 197) .

2- الفرس في أوروبا:

حملة دارا DARIUS على سكان منطقة سكيثيا (513):

بالبحث في الأدلة التي تعود لعامي (518-517)، يجد المؤرخون أنفسهم في موقف صعب، حيث إنه من المستحيل تقريبًا تشكيل رواية متصلة، وفي الحقيقة فإن رواية هيرودوت HERODOTUS في الكتاب الثالث، وبعد الملحق الذي يحكي عن ديموسيديس DEMOCEDES وسيلوسون SYLOSON نجدها تنتهي بقصة تتناول ثورة قامت بها بابل (الكتاب الثالث، فقرات 150-159) .

ولقد قام جوستين Justin أيضًا بتكرار هذه القصة (الكتاب الأول، فقرات 10، 15-22)، ولكن يصعب تفسيرها من حيث التسلسل التاريخي، ولا يعود أي من هيرودوت HERODOTUS وجوستين Justin ستيسياس CTESIAS إلى مجرى الأحداث إلا في عشية الحملة التي شنها دارا DARIUS على سكان منطقة سكيثيا، ويفتتح هيرودوت HERODOTUS الكتاب الرابع بهذه الطريقة: «بعد الاستيلاء على بابل قام دارا DARIUS بغزو إقليم سكيثيا» (الكتاب الرابع، فقرة 1، راجع جوستين Justin الكتاب الأول، فقرات 10-23) .

وتشرح هذه الفجوات لماذا ظل التسلسل التاريخي بعد الأحداث الأخيرة التي ذكرها دارا DARIUS في بيهيستون موضعًا لكثير من الجدل (وتقصد بذلك تاريخ حملة دارا DARIUS على مصر)، ويتكرر هذا الموقف نفسه مع حملة دارا DARIUS على سكان إقليم سكيثيا، والفجوات الموجودة في الأدلة تجعل من الصعب القيام بتحديد تاريخ هذه الحملة، ولكن يوجد الآن سبب جيد للاعتقاد بأنها كانت عام (513)، وهو تاريخ يتزامن تقريبًا مع الحملة الفارسية على ليبيا، وعلى الرغم من أن تحديد تاريخ الحملة لا يتسبب في مشكلات يستحيل تخطيها، إلا أن انقسام المؤرخين حول أسباب وأهداف ونتائج الحملة ما زال مستمرًا .

وطبقًا لهيرودوت HERODOTUS ، فلقد قام دارا DARIUS بتجهيزات مهولة لهذه الحملة «حيث أرسل مبعوثين إلى كل جزء من مملكته، ومعهم أوامر لحشد الجنود هناك، أو تجهيز السفن هناك، أو جمع العمال في مكان آخر، وذلك للعمل على بناء جسر عبر مضيق البسفور» (الكتاب الرابع، فقرة 83) .

وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS فقد بلغ عدد القوارب التي تم تجميعها (600) قاربًا (الكتاب الرابع، فقرة 87)، ولكن هنا -كما في أي مكان آخر- يجب ألا نثق في هذه الأرقام كثيرًا؛ وذلك لأن هيرودوت HERODOTUS كان مهتمًا دائمًا بالتأكيد على مدى ضخامة القوات الملكية (الكتاب الرابع، فقرة 87)، ويقدرهم هيرودوت HERODOTUS فيها بنحو (700 ألف رجل)، وذلك باستثناء القوات البحرية .

ومن المدن اليونانية التي شاركت في هذه الحملة -يذكر هيرودوت HERODOTUS على وجه الخصوص- المدن التي تقع على مضيق الدردنيل وبحر مرمرة، مثل: (أبيدوس، لامبساكوس، باريون،

سيزيكوس، بروكونيسوس، بيزنطة)، وأيضًا بعض المدن الأيونية، مثل: (كيوس، ساموس، فوكيا، ملطية)، ومن المدن الأيولية: (سايمي)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا شخصًا أثينيًّا اسمه «ملتياديس» Miltiades «والذي كان حاكمًا لشبه الجزيرة التي تقع على مضيق الدردنيل» (الكتاب الرابع، فقرة 137) .

وبعد خروجه من صوصا SUSA وصل الملك بجيشه إلى منطقة كالسيدون المتاخمة، ثم عبروا إلى أوروبا بعد أن ضموا إليهم الفرق العسكرية الأيونية، والتي كانت مع يونانيين آخرين من المدن الأيولية، والمدن التي تقع على مضيق الدردنيل كانت مسؤولة عن الأسطول، ولقد قاموا بالإبحار بالحملة في البحر الأسود حتى وصلوا إلى نهر الدانوب، حيث كان يفترض بهم بناء جسر على هذا النهر لتعبر من عليه الحملة، ثم انتظار عودة دارا DARIUS » (الكتاب الرابع، فقرة 89) .

ولقد توغل دارا DARIUS في أراضي طراقيا THRACE ، وهناك خضعت له بعض الشعوب بدون قتال، بينما لم ينجح في إخضاع شعوب أخرى إلا بعد مقاومة عنيفة (شعب الجيتاي) (الكتاب الرابع، فقرة 93)، وبعد أن ترك حكام الولاية الأيونيين لحراسة القنطرة التي تمت إقامتها على نهر الدانوب، قام الملك بالتوغل في أراضي سكيثيا، وهناك قابل تحالفًا حقيقيًّا من الشعوب، التي اشتبكت معه في معارك ضارية ومرتبة، ولقد وجد دارا DARIUS نفسه في موقف صعب، وعملاً بنصيحة قدمها له جوبرياس GOBRYAS قرر الانسحاب .

وعلى الرغم من مطاردة وتتبع سكان إقليم سكيثيا له، إلا أنه تمكن من الوصول إلى نهر الدانوب وعبوره، وعلى الرغم أيضًا من المناقشات الحامية التي دارت بين سكان سكيثيا وحكام الولاية الأيونيين لحثهم على التخلي عن دارا DARIUS ، إلا أنهم رفضوا أن يتركوا صف المعسكر الفارسي (الكتاب الرابع، 136-139)، ولقد كانت نهاية هذه القصة

مفاجئة «إذ توغل دارا DARIUS في أراضي إقليم طراقيا THRACE حتى وصل إلى سيستوس في شبه الجزيرة، وهناك ركب إحدى السفن متجهًا إلى آسيا تاركًا خلفه أحد قادة الفرس المميزين، والذي كان اسمه «ميجابازوس MEGABAZUS » لقيادة القوات الفارسية في أوروبا» (الكتاب الرابع، فقرة 143) .

ولقد أثارت حملة دارا DARIUS هذه العديد من التساؤلات، ونتج عنها الكثير من التفسيرات المتشعبة، ويرجع ذلك بشكل رئيس إلى أن مصدرنا الأساسي - هيرودوت HERODOTUS - قد قام بالتعامل معها بشكل سطحي للغاية، فلقد كان اهتمامه الأساسي منصبًا على القيام بوصف الشعوب المختلفة التي تسكن في إقليم سكيثيا، وبعد تقديمه للحملة الفارسية بشكل مختصر شرع هيرودوت HERODOTUS في تقديم أحد الاستطرادات التي يحبها كثيرًا (الكتاب الرابع، الفقرات من 1-40)، ويقود هذا الاستطراد إلى آخر، ثم قام بعد ذلك بتخصيص فصول عديدة لليبيا.

وقد كان الخيط المرشد لهذا التقدم هو استفسار حول حدود وشكل العالم المعروف في ذلك الوقت (آسيا، ليبيا، أوروبا) (الكتاب الرابع، الفقرات من 36-47)، ولم يعد هيرودوت HERODOTUS للحديث عن دارا DARIUS إلا في الفقرة (83)، وذلك بعد أن قام بإعطاء كمية كبيرة من المعلومات عن عادات أهل سكيثيا، وفي القصة ككل نجد أن الأجزاء التي تتناول حملة دارا DARIUS تركز على عرض الأسباب أكثر من تركيزها على مناقشة الحملة ذاتها.

وعلى الرغم من هذه الظروف، فإننا نستمر في التساؤل عن أغراض وأهداف دارا DARIUS من تلك الحملة، بالإضافة إلى ضخامة الهزيمة الفارسية، وهل كان الملك الأكبر يخطط لإخضاع شعوب منطقة سكيثيا، التي توجد في جنوب روسيا ودمجهم في إمبراطوريته، ليرجع

بعد ذلك إلى آسيا عبر القوقاز؟ أم هل كان التوغل إلى ما هو أبعد من نهر الدانوب يعتبر لازمة أو نتيجة طبيعية لهدف رئيس آخر تركز حول غزو أراضي طراقيا THRACE ؟ وسوف يحاول هيرودوت HERODOTUS أن يجعلنا نفهم أن دارا DARIUS قد حلم منذ وقت مبكر بغزو سكيثيا، وأن أتوسا ATOSSA -نتيجة لإلحاح ديموسيديس DEMOCEDES - قامت بحثه على تحويل اهتمامه نحو بلاد اليونان (الكتاب الثالث، فقرة 134، راجع صفحة 139 بالأعلى)، ولكن قصة ديموسيديس DEMOCEDES بأكملها هي قصة مشكوك في صحتها إلى حد بعيد، وحتى إذا كان غزو ساموس حوالي (519) يوضح بشكل فعال أن دارا DARIUS كانت لديه خطة فيما يتعلق ببحر إيجه، إلا أنه لم يثبت أن دارا DARIUS قد فكر في ذلك التاريخ في شن حملة على أراضي سكيثيا، أو أنه كان يعد لشن هجوم موسع ضد الجزء الأوروبي من أراضي اليونان، أما التفسير الآخر الذي يقدمه هيرودوت HERODOTUS فهو أن غرض دارا DARIUS كان يتمثل في الانتقام من سكان سكيثيا لقيامهم بغزو جزء من أراضيه في آسيا (الكتاب الرابع، فقرة 1، والكتاب السابع، فقرة 20)، فهذا التفسير لا يستحق لفت انتباه المؤرخين .

وأنا أيضًا لدي تحفظات حول رواية جوستين Justin عن أن دارا DARIUS قد بدأ الأعمال العدائية لمعاقبة ملك سكيثيا المسمى إيانثيروس IANTHYRUS لرفضه تزويج ابنته له (الكتاب الثاني، II ، فقرات 5، 9)، وفي الحقيقة فإن هذا موضوع أدبي متكرر، والذي نجده -على سبيل المثال- في إحدى الروايات الخاصة بحملة قمبيز CAMBYSES على مصر، ويضيف ستيسياس Ctesias بعض المعلومات التي لا توجد في رواية هيرودوت HERODOTUS ، فيسجل أن: «لقد أمر «دارا DARIUS » أريارامنيس ARIARAMNES » مرزبان كبادوكيا بالتوغل في أراضي سكيثيا، وأن يأسر بعض الرجال والنساء من

هناك، ولقد عبر المرزبان في ثلاثين سفينة شراعية كبيرة (خماسية المجاديف)، وقام بأخذ بعض الأسرى، حتى إنه أسر أخا ملك سكيثيا، والمسمى «مارساجيتيس Marsagetes »، حيث وجده مسجونًا بناءً على أمر من أخيه بسبب تصرف سيئ ارتكبه، ولقد سخط سكيثاربيس Scytharbes (ملك سكيثيا) على ذلك، وأرسل رسالة إلى دارا DARIUS شاكيًا مما حدث، ولقد رد دارا DARIUS عليه بالأسلوب نفسه» (الفقرتان 16-17) .

وهكذا بدا أن حملة دارا DARIUS قد سُبِقت بفترة من التوتر، وبحملة محدودة قادها مرزبان كباد وكيا ربما بغرض جمع المعلومات عن تلك المنطقة، ولكن من بين كل هذه القصص والاستطرادات لا نجد تفسيرًا واحدًا مرضيًا بالفعل؛ ولهذا السبب فإنه من الصعب جدًّا تقدير مدى ضخامة الهزيمة التي تعرض لها دارا DARIUS ، وإننا بالكاد يمكننا أن نثق فيما يرويه هيرودوت Herodotus ، والذي استقى معلوماته من اليونانيين وأهل سكيثيا.

وتزداد صعوبات التحليل بدرجة أكبر بسبب الأمور غير المؤكدة التي لا تزال تقابلنا في تحديد شعوب سكيثيا التي تحدث عنها هيرودوت HERODOTUS .والشيء الذي يبدو مفاجئًا في تلك الرواية هو أن دارا DARIUS قد ترك الأسطول اليوناني عند مصب نهر الدانوب، وتشير هذه الاستراتيجية إلى أن الأهداف الإقليمية لدارا DARIUS لا بد أنها لم تكن بعيدة بدرجة كبيرة؛ لأنها لو كانت كذلك لقام بتبني التكتيك التقليدي المتمثل في جعل الجيش والأسطول يتقدمان مع بعضهما، وذلك حتى تتمكن البحرية من تقديم الإمدادات للجيش، ولكن هل يمثل الأسطول الذي بقى عند مصب نهر الدانوب كل السفن التي قام الملك الأكبر بتخصيصها لهذه الحملة؟ ويمنعنا توجه هيرودوت HERODOTUS اليوناني الضيق من أن نكون على يقين من هذا الموضوع، ومهما كان الوضع فإنه من الأكيد أن انسحاب الجيوش الفارسية من أراضي سكيثيا

قد أضر بهيبة ووضع الملك الأكبر -علي الأقل في المدى القريب- وكذلك كما شاهدنا في الثورات التي اندلعت في المدن اليونانية وعلي وجه الخصوص المدن التي تقع على مضيق الدردنيل (الكتاب الرابع 1440، الكتاب الخامس فقرة 1)، ولقد كانت المدن التي أسهمت بفرق عسكرية بحرية في حملة دارا DARIUS هي من بين المدن التي خرجت على الفرس عند هذه النقطة (الكتاب الرابع فقرة 138)، ومن المحتمل أن هذه الفرق البحرية قد عادت بعد انتهاء الحملة إلى مدنها، وقامت بتمهيد الطريق للتمرد (راجع الكتاب الخامس فقرة 27)، ويمكن تفسير ثورة المدن على أنها كانت خداعًا، خاصة إذا وافقنا على أنه في البداية تلاقت مصالح بعض حكام الولاية الذين انضموا إلى قوات دارا DARIUS أملاً في أن الحملة على البحر الأسود سوف تمكنهم من الدخول مرة أخرى إلى منطقة كانوا قد أسسوا فيها مستعمرات فيما سبق، ولكن تزايد النفوذ التجاري الأثيني قد قلص من نفوذهم هناك .

الفرس في إقليم طراقيا THRACE :

سواء أكان هذا تخمينًا مشروعًا أم لا، فإنه من الواضح أن النتيجة الأخيرة للحملة كانت بعيدة عن أن تكون سلبية، وفي الحقيقة فسواء أكانت طراقيا THRACE هي الهدف الرئيس لدارا DARIUS (ومن المستحيل تحديد ذلك)، فلقد قامت بغزوها الجيوش الأخمينية، وكان دارا DARIUS قد تمكن بالفعل من إخضاع بعض شعوب طراقيا THRACE وهو في طريقه إلى نهر الدانوب، وقبل الإقلاع مرة أخرى عائدًا إلى آسيا الصغرى، ترك دارا DARIUS القائد ميجابازوس Megabazus في أوروبا وكلفه بمهمة، وهي القيام بغزو إقليم طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرة2)، ولقد بدأ أولاً بالاستيلاء على هذه المجتمعات التي تقع في المنطقة المجاورة لمضيق الدردنيل والتي قاومت القوات الفارسية (الكتاب الرابع فقرة 144)، فقام بالاستيلاء

على برنثوس (الكتاب الخامس فقرة 1) ثم توغل ميجابـازوس megabazus خـلال أراضي طراقيا THRACE ، وقام بإخضاع كل مدينة وكل شعب في ذلك الجزء مـن الإقليم لسلطة الملك الفارسي (الكتاب الخامس 2)، ولقد كان سكان بيونيا هم أكـثر الشـعوب تضررًا مـن هجـوم ميجابـازوس MEGABAZUS: فقـد اسـتولى عـلى مستوطناتهم الداخلية الرئيسة، وقام بترحيل بعضًا منهم إلى آسيا الصغرى (الكتـاب الخامس 15-16)، ولقد أكمل أوتـانيس OTANES هذه المهمة والذي عهـد إليـه دارا DARIUS قبل مغادرته لسارديس SARDIS مباشرة بقيادة قـوات السـاحل (حـوالي عـام 510 الكتـاب الخـامس فقـرة 25)، ولقـد قـام أوتـانيس OTANES بالاستيلاء على بيزنطـة وكالسـيدون (مفـاتيح مضـيق البسـفور)، ثـم أنتنـدروس في تروس، وأخيرًا جزر لمنوس وإمبروس (الكتاب الخامس فقرة 27)، وعلي العكس فإن المدن الأيونية لـم تشترك في الثورة، وبلا شك كـان سـبب ذلـك هـو أن حملـة دارا DARIUS مثلت نهاية مرحلة من الاستقلال والحكم الذاتي والذي كانت تتمتع به مدن بحر مرمرة، وهو الاستقلال التي كانت قد فقدته بالفعل المـدن الأيونيـة عنـد غزو ساموس حوالي عام 519، ومن الواضح أن معظـم حكـام الولايـة الأيـونيين قـد شاركوا هيستيوس HISTIAEUS حاكم ملطية في رأيه، فعندما طلب مـنهم أهـل سكيثيا أن يفصلوا أنفسهم عن دارا DARIUS أوضح لأهل سـكيثيا أن كـل واحـد منهم يدين بمركـزه كـرئيس دولـة إلى دارا DARIUS ، وأنـه في حالـة سـقوط دارا DARIUS سيكون هو نفسه غير قادر على المحافظة عـلى سـلطته في ملطيـة، وأن حكام الولاية الباقين كلهم سوف يجدون أنفسهم في مواقـف عـلى درجـة الصـعوبة نفسها (الكتاب الرابع فقرة 137) .

ملخص:

في الوقـت الـذي نعجـز فيـه عـن تقيـيم أهـداف حملـة دارا DARIUS ،

نجد أننا نستطيع تقييم النتائج التي حققتها هذه الحملة، فعلى الجبهة الشمالية لن يتعرض أبدًا جيش أخميني فيما بعد إلى تهديدات مما وراء الدانوب .

وربما كان دارا DARIUS يهدف ببساطة إلى حماية حدود الإمبراطورية ومنع تكرار غارات سكان سكيثيا على المناطق التي تقع بين نهر الدانوب وبحر إيجة (راجع الكتاب السادس فقرة 40) وعلي أية حال، وتبعًا لدينو فإن ملوك الفرس قد اعتبروا أن الدانوب هو نهاية حدود ملكهم (بلوتارك، الإسكندر 4036)، وهو ما يعني أن -علي الأقل في مخيلة أباطرة الفرس (راجع فصل 5)- كل مناطق إقليم طراقيا THRACE التي تقع جنوب النهر كانت تعتبر خاضعة لسلطة الملك الأكبر، بينما وفي الوقت نفسه كانت الأراضي التي تقع فيما وراء نهر الدانوب مطرودة من الأيكوميني ومن التاريخ .

ولقد كان الاستيلاء على طراقيا THRACE حدثا ذا أهمية كبيرة بالنسبة للسلطة الفارسية، حيث إن تلك المنطقة غنية بالمواد الاستراتيجية، ولقد قام دارا DARIUS بمنح هيستيوس منطقة في طراقيا THRACE بالقرب من مرسينوس في كانتون إدونيانس، وذلك كمكافأة له على ولائه، وقد نوى هيستيوس القيام بتشييد مدينة هناك (الكتاب الخامس فقرة 11)، وبعد ذلك بفترة قصيرة قام ميجابازوس MEGABAZUS بنقل مخاوفه إلى دارا DARIUS بشأن القوة المتنامية لهيستيوس، Hecataeus فلقد كان ذلك الموقع قيمًا للغاية لما يحتوي عليه من مناجم للفضة، ولوفرة الأشجار والأخشاب فيه، والتي يمكن استخدامها لبناء السفن وصنع المجاديف، ولقد كان يسكن المنطقة المجاورة له عدد كثيف من السكان من اليونانيين ومن شعوب أخرى، ولقد اقتنع دارا DARIUS بكلامه واستدعى هيستيوس إلى سارديس SARDIS وأحضره معه إلى صوصا SUSA ومنحه لقبي

«مستشار» و«رفيق مائدة» (الكتاب الخامس الفقرتان 23-24)، وفي الحقيقة فإن مناجم جبل بانجيوم في طراقيا THRACE كانت ذات شهرة (راجع الكتاب السابع فقرة 112)، حتى إنها كانت بشهرة المنجم نفسه في سكابتي هايلي بالقرب من ساسوس (الكتاب السادس فقرة 46)، وتشهد العملات المعدنية التي كانت تصكها شعوب بيونيا وطراقيا THRACE على وفرة المعادن النفيسة عندهم، وباختصار فإن هذه الشعوب والمدن كانت قادرة على دفع الجزية باستخدام الفضة إلى الإدارة الفارسية واتجاهًا نحو الغرب فلقد تأثرت مقدونيا منذ ذلك بالملك الفارسي (راجع الكتاب السادس فقرة 44)، وفي الحقيقة فقد أرسل ميجابازوس MEGABAZUS وفدًا إلى ملك مقدونيا أمينتاس Amyntas الأول وكان يحمل معه طلبًا للأرض والماء وعلي الرغم من الأساطير المحببة التي جمعها هيرودوت HERODOTUS فيما بعد عن البيت الملكي المقدوني (الكتاب الخامس فقرات 17-21)، إلا أن الحقيقة التي تظل باقية هي أن الملوك المقدونيين اضطروا للاعتراف بسيادة الملك الأكبر عليهم، فلقد كان هذا الأمر لا مفر منه إذا نظرنا للحاميات الفارسية القريبة للغاية منهم، والتي كانت أهمها وأقواها هي الحاميات الموجودة في إيون (عند مصب وادي نهر Strymon) ودوريسكوس على نهر Hebrus (الكتاب السابع فقرة 59 باسيليون/ الحامية)، والتي قام دارا DARIUS بتعيين قادة عليها (الكتاب السابع فقرة 105)، ولقد قامت كل البلاد هناك منذ ذلك الحين بدفع الجزية إلى الملك الأكبر (الكتاب السابع فقرة 108) .

ويجب أن نعترف من خلال ذلك بأن الأدلة التي تتعلق بالاستيطان الفارسي في ذلك الوقت هي أدلة غير كافية إلى حد كبير، وهناك اعتقاد شائع بأن البلاد الجديدة كان يتم ضمها أو دمجها في مقاطعة مرزبانية جديدة، ولكن هل كان ذلك هو الحال فعلا؟ وفي أثناء حديثه عن توغل كسركسيس XERXES من دوريسكوس في وسط اليونان في عام 480،

يذكر هيرودوت HERODOTUS أن المنطقة بأكملها حتى الوصول إلى ثساليا Thessaly قد تم إخضاعها بالقوة، وأجبرت على دفع الجزية للفرس من خلال تلك الفتوحات التي قام بها أولاً ميجابازوس MEGABAZUS ، ثم تلتها تلك التي قام بها ماردونيوس Mardonius (الكتاب السابع فقرة 108)، ومن الممكن أنه لم يتم إنشاء هذه المقاطعة إلا بعد الحملة التي قادها ماردونيوس Mardonius ؛ لأنه يبدو أن أعماله وإنجازاته في المنطقة قد تمت بإشراف وتخطيط أكثر دقة من السلطة الأخمينية، وبالإضافة إلى ذلك فإنه بعد حملة ميجابازوس MEGABAZUS استمر THASOS في إدارة وتشغيل المناجم الموجودة في ممتلكاته (الكتاب السادس فقرة 46)، بينما يذكر هيرودوت HERODOTUS أنه في عام 480 كان يتم إدارة وتشغيل المناجم الموجودة في جبل بانجيوم من قبل البيرين والأودومانتي و Satrae (الكتاب السابع فقرة 12)، وفي الحقيقة فإن هيرودوت HERODOTUS نفسه يحدد عددًا من الشعوب البيونية (التي تنتمي إلى جبل بانجيوم)، دوبري، أجرياني والأدومانتي (الذين يسكنون على بحيرة Prasias) ، ويقول: «إنها لم يتم إخضاعها من قبل ميجابازوس MEGABAZUS » (الكتاب الخامس فقرة 16) .

كذلك فإنه لا يوجد دليل قاطع على أن مقدونيا قد تم دمجها في مقاطعة فارسية، ولقد حظي أمينتاس Amyntas الأول بفترة حكم عادية حتى خلفه الإسكندر ALEXANDER الأول في عام 498، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS (الكتاب الخامس فقرة 21) فلقد زوج الاسكندر الأول أخته جيجاي Gygaea إلى شخص فارسي اسمه بوباريس Bubares ، والذي كان قد أتى للتحقيق في المذبحة التي تعرض لها الوفد الفارسي الذي أرسله ميجابازوس MEGABAZUS إلى بلاط أمينتاس Amyntas الأول (الكتاب الخامس فقرات 18-20)، ومما

لا شك فيه أن بوباريس Bubares هـذا هـو ابـن ميجابـازوس MEGABAZUS (الكتاب السابع فقـرة 22)، ومـن الواضـح أنـه بقـى في مقـدونيا لسـنوات عديـدة (جوستين Justin الكتاب السابع فقرة 1، 4)، ولقد ولد أمينتاس Amyntas الثـاني نتيجة زواجـه بجيجـاي Gygaea (هـيرودوت HERODOTUS الكتـاب الثالـث فقرة 136)، وطبقًا لما يقوله جوسـتين Justin فلقـد سـمح هـذا الـزواج لكـل مـن أمينتـاس Amyntas الأول والإسـكندر ALEXANDER الأول بالمحافظـة عـلى علاقـات طيبـة مـع دارا DARIUS وكسركسـيس (Xerxes) مـن بعـده (الكتـاب السابع فقرة 3-9، 4-1)، وسيكون من المخاطرة بالنظر إلى حالـة الأدلـة أن نسـتنتج أن بوباريس Bubares قد لعب دورًا يشبه دور المفوض السامي الفارسي في مملكة مقدونيا، والتي كانت نفسها جزءًا من مر زبانية طراقية-مقدونية، ولتلخـيص ذلـك فـإن مشروع دارا DARIUS في طراقيـا THRACE كـان مـن الواضـح أنـه لـيس هدفًا ثانويًّا أو مؤقتًا، فإنشاء الحاميات وفرض الجزية (التي كانت تـدفع في صـورة فضة ورجال)، والحماية التي فرضت عـلى مملكـة مقـدونيا، بالإضـافة إلى اسـتعادة المنطقـة التـي كـان قـد تـم التنـازل عنهـا مـن قبـل ولفـترة قصـيرة إلى هسـتيوس Histiaeus ، تشير كل هذه الأشـياء وبشـكل لا يقبـل الجـدل إلى أن هـذا المشروع من وجهة نظر الملك كان مرحلة إعداد أساسية للقيـام بفتوحاتـه الجديـدة، مـثلما كانت الحملات التي وجهت نحو وادي الإندوس وبلدة قورنائية، وسيكون من الجيـد القيـام بالتأكيـد عـلى جانـب مهـم مـن الاسـتراتيجية التـي اتبعهـا ميجابـازوس MEGABAZUS أولاً ثم أوتانيس OTANES من بعده، والتي تتمثل في السـيطرة بصورة قوية على الطريق الذي يربط آسيا الصغرى بالفتوحات الأوروبيـة الجديـدة، وفي الحقيقة فقد سيطر الفرس على المضايق، وعلى كل مـن البسـفور (بيزنطـة، كالسـيدون) والـدردنيل، وعـلي الجـزر التـي تـتحكم في مـدخلها (إمـبروس، لمنـوس) ولقـد كانـت

مدينـة لامبسـاكوس (عـلي الـدردنيل) تخضـع لسـيطرة حـاكم الولايـة هيبوكلـوس Hippoclus والذي كان الأقوى قبـل وصـول دارا DARIUS (ثيوسـيدس الكتـاب السادس فقرة 59-3)، ولقـد ظلـت جزيـرة سـيجيون الواقعـة عـلى مـدخل مضـيق الدردنيل لفترة طويلة جزءًا من الممتلكات الملكية لطغاة أثينا، وفي عام 513 لم يكن أمام ميلتياديس Miltiades الأصغر ممثل العائلة الملكية الأثينية سوى الاشتراك في حملة دارا DARIUS على أراضي سكيثيا، وبعد ذلك بسنوات قليلـة عنـدما نجـح كليـومينيس Cleomenes الأول حـاكم إسـبرطة في طـرد حـاكم الولايـة هيبيـاس Hippias من أثينا، لجأ هيبياس إلى أرتافرنيس Artaphernes ، ولقد حـرك الأرض والسماء ليخضع أثينا لسلطته ولسـلطة دارا DARIUS (الكتـاب الخـامس الفقـرة 96) .

ولقد قام دارا DARIUS قبل مغادرته سارديس SARDIS بتعيين أرتافرنيس Artaphernes مرزبانًا عليها، ولقد كان أرتافرنيس Artaphernes هـو أخـوه مـن الأب (الكتاب الخامس فقرة 25)، ولقد حصل على سلطات موسـعة وانطلـق -كـما يقول أرسـتاجوراس Aristagoras وتحـت قيادتـه- إلى المقاطعـة السـاحلية لآسـيا بأكملهـا أو بـانتوى هـوى إبيثالاسـيوي وهـو الوصـف الـذي نقلـه لنـا هـيرودوت HERODOTUS في (الكتاب الخامس فقرة 30) .

ولقـد تـم مـنح أوتـانيس OTANES قيـادة السـاحل (هـوى باراثـالا سـيوي أندريس) (الكتاب الخامس فقرة 25)، ومن الواضح أنه حصل على جزء مـن سـلطات أرتافرنيس Artaphernes والذي قام بتنسـيق عمـل القـوات الفارسـية الموجـودة في المنطقة بأكملها وحتى نهر The Halys (الكتاب الخامس فقرة 102)، ومـن الصـعب التـيقن مـما إذا كـان أرتـافرنيس Artaphernes هـو الـذي أشرف عـلى الفتوحـات الأوروبية أم لا، ويشير هيرودوت HERODOTUS في سياق الثورة الأيوينة (الكتـاب السادس فقـرة 33) إلى حـاكم داسـيليوم وهـو أوبـاريس Oebares ابـن ميجابـازوس

(الكتاب السادس فقرة 33)، ومهما كانت درجة عدم التيقن التي عندنا حول المضمون الإداري المتغير للكلمة «هيبارخوس» فإنه توجد أسباب كثيرة تدفعنا للاعتقاد بأن أوباريس Oebares هذا كان مرزبانًا على داسيليوس، ومما لا شك فيه أنه كانت له مسؤوليات بهذا الخصوص، ولو فقط بسبب الموقع الاستراتيجي للمرزبانية التي يحكمها، والتي كان يؤهلها وبشكل رائع لأن تعمل كجسر بين آسيا وأوروبا، وأخيراً فلقد كانت مدينة سيستوس في شبه جزيرة طراقيا THRACE مدينة محصنة، وذات أهمية حاسمة، ولقد كان الجسر الذي عبر عليه دارا DARIUS عقب عودته إلى طراقيا THRACE هو ذلك الجسر الذي بناه ماندروكليس Mandrocles حاكم ساموس قبل عام 513، والذي كان يؤدي إلى إحدى المناطق المتاخمة لسيستوس، ولقد قام أرتايكتيس بالاستيلاء على سيستوس والمنطقة المجاورة عام 480 وذلك بناءً على أوامر من مرزبان داسيليوم أو ساردیس SARDIS أو بأمر مباشر من الملك .

3- الثورة الأيونية:

خيط الأحداث والمشكلات التي يثيرها:

توقفت القلاقل لبعض الوقت قبل أن تعاود الاندلاع مرة أخرى في أيونيا، ولقد كان مصدر الاضطرابات هذه المرة مدينتي ناكسوس وملطية (الكتاب الخامس فقرة 28)، إن هذه هي الطريقة التي يبدأ بها هيرودوت HERODOTUS فقرة طويلة حول ثورة إقليم أيونيا، وبدون أن يذكر أي شيء إضافي عن الفترة بين الفتوحات التي قام بها أوتانيس OTANES (الكتاب الخامس فقرة 27: حوالي عام 510)، ومقدمة هذه الثورة (449)، وهذه هي رواية هيرودوت HERODOTUS عن تسلسل تواريخ وقوع الأحداث .

ففي حوالي عامي (500-499) تقدم أرستاجوراس Aristagoras


Perinthus
Byzantium
Chalcedon
Greek fleet
498
Doriscus
Thasos
Samothrace
Artacus
Chios
Sestos
Imbros
Lampsacus
Cyzicus
Dascylium
Dardanus
Sigeion
Daurises, 497/496
Hymaees, 497?
Ilium
Hymaees, 497/496
Lemnos
Assos
Antandrus
Adramyttium
PHRYGIA
Halonnesos
MYSIA
Lesbos
Ikos
Skyros
Artaphernes and Otanes, 497/496
Cyme
Phocaea
EUBOEA
Chios
Erythrae
Clazomenae
IONIA
SARDIS
LYDIA
ATHENS
Colophon
Ionians, 499
Lebedos
Ephesus
Meander
Andros
Samos
Daurises, 497/496
Keos
Tenos
Ikaria
Lade
Miletus
494
Mykonos
Labraunda
CARIA
Delos
Didyma
Pedasus
Mylasa
Leros
Paros
Naxos
Siphnos
Caunus
Cos
Ios
Melos
Datis
Nisyros
Rhodes
Thera
Lindos
Carpathos
Kasos
Crete
0
100 km
Salamis
Artybius, 497?
Cyprus
0
100 km
Site of battle

خريطة رقم 1

حاكم الولاية ملطية وابن أخو هستيوس Histiaeus (الذي ظل منذ عامي 511-510 في بلاط دارا DARIUS (الكتاب الخامس فقرة 24) إلى أرتافرنيس Artaphernes باقتراح سوف يعود بالنفع على الاثنين، حيث إن بعض أثرياء من ناكسوس قد طردهم الشعب من تلك الجزيرة، ولقد لجأ هؤلاء الأثرياء إلى أرستاجوراس Aristagoras طلبًا لمساعدته، واعتمادًا على العلاقات الطيبة التي كانت تربطهم بهستيوس Histiaeus ؛ ولأن أرستاجوراس Aristagoras لم تكن لديه القوات اللازمة للدخول في مثل هذه المغامرة فلقد لجأ إلى أرتافرنيس Artaphernes موضحًا له مميزات وفوائد شن مثل هذه الحملة بأنها سوف تضيف إلى ممتلكات الملك ليس فقط ناكسوس نفسها ولكن أيضًا جزر أخرى في Cyclades مثل باروس وأندروس التابعة لناكسوس، وحينئذٍ، وعندما يتخذ من Cyclades قاعدة له فإنه لن يجد أية صعوبة في مهاجمة يوبيا (الكتاب الخامس فقرة 31)، ولقد قام أرتافرنيس Artaphernes بعد حصوله على موافقة دارا DARIUS بجمع قوة كبيرة، وعهد إلى ميجاباتيس Megabates بقيادتها (والذي كان ابن عم له ولدارا DARIUS) ، ولقد دب الشقاق بسرعة كبيرة بين ميجاباتيس Megabates وأرستاجوراس Aristagoras ، وأقصى ما تمكنا من تحقيقه هو أنهما تركا أثرياء ناكسوس المنفيين في حصن وعادا إلى البر الرئيس، فقد منيت هذه الحملة بالفشل (الكتاب الخامس فقرات 30-35) .

وخوفًا من أن يتم طرده من جزيرته، ومن رسالة وصلت إليه من هسيتوس قرر أرستاجوراس Aristagoras إعلان التمرد على دارا DARIUS ، وذلك على الرغم من معارضة المؤرخ الملطي هيكاتيوس Hecataeus لهذه الفكرة، ولقد عزم أرستاجوراس Aristagoras بعد تغلبه على حكام الولاية الذين شاركوا في حملة ناكسوس على القيام بتمرد علني للإضرار بمصالح دارا DARIUS بكل الطرق التي يمكن تخيلها

(الكتاب الخامس فقرة 37)، ولقد كان من أول الأفعال التي قام بها أنه ادعى التنازل عن سلطته لصالح الحكومة المنتخبة ديمقراطيًا (إيسونومي)، ثم أخذ يعمل على تحقيق هذا الشيء نفسه في المدن الأيونية الأخرى (الكتاب الخامس فقرة 38) .

ونتيجة لإدراكه مدى ضعف القدرات العسكرية له رحل إلى اليونان، وفي إسبرطة رده الملك كليومينيس Cleomenes الأول بلطف، وذلك على الرغم من الغنائم المغرية التي وعده أرستاجوراس Aristagoras بالحصول عليها بعد هزيمة هؤلاء الهمجيين، والذين لم يكونوا على دراية بالحرب (الكتاب الخامس فقرة 49)، ومن إسبرطة اتجه أرستاجوراس Aristagoras إلى أثينا (الكتاب الخامس فقرة 55)، وعندما اقتنعوا بقبول طلب أرستاجوراس Aristagoras أصدر الأثينيون مرسومًا يقضي بإرسال 20 سفينة حربية إلى أيونيا (الكتاب الخامس فقرة 97) وتبعتهم إرتريا بـ5 سفن حربية أخرى بعد ذلك بوقت قليل (الكتاب الخامس 98) .

وقد بدأت الأعمال العدائية بغارة شنها الأيونيون على ساردیس SARDIS نفسها (499؟)، وعندما عجز الأيونيون عن الاستيلاء على القلعة (الأكروبوليس) في ساردیس SARDIS والتي كان يتولى أرتافرنيس Artaphernes بنفسه الدفاع عنها «قاموا بإحراق الجزء السفلي من المدينة وانسحبوا بعد ذلك، ولقد قامت القوات الفارسية بمطاردتهم وأنزلت بهم هزيمة كبيرة بالقرب من إيفيسوس، وقام الأثينيون عند هذه النقطة باستدعاء سفنهم (الكتاب الخامس الفقرات 99-103)، وعلى الرغم من ذلك فقد امتدت الثورة بعد ذلك بقليل من بيزنطة في الشمال إلى كاريا في الجنوب (498-497)، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الدويلات القبرصية باستثناء أماثوس، ولقد نزلت القوات الفارسية من سفنها على الجزر وفاز الأيونيون في معركة بحرية، ولكن الفرس انتصروا بريًا، وتمكنوا بعد عدة شهور من الاستيلاء على آخر المدن المقاومة (الكتاب الخامس

فقرات 104-116)، وعلي أرض القارة واصل القادة الفرس هجومهم البري، وذلك حتى قيام إقليم كاريا بإعلان الحرب عليهم، مما دفعهم إلى إرسال جنودهم إلى هناك، وبعد تحقيقه انتصارًا أوليًّا، وقع الجيش الفارسي في كمين لقي فيه قادته مصرعهم (الكتاب الخامس فقرات 116-122)، وعلي الرغم من ذلك واصل القادة الفرس الباقون عملية متصلة ومنظمة لإعادة غزو المدن التي تقع على مضيق الدردنيل والمدن الأيونية (497)، وعندما أدرك أرستاجوراس Aristagoras استحالة هزيمة القوات الفارسية قام بالتنازل عن السلطة إلى بيثاجوراس Pythagoras ، ثم أبحر متجهًا إلى مرسينوس (والتي كانت فيما سبق هدية من دارا DARIUS إلى هستيوس Histiaeus ، ولقد فقد بعد ذلك في إحدى المعارك غير المعروفة التي شنها ضد طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرات 122-126) .

وكما يقول هيرودوت HERODOTUS ، فإن هذه الظروف كانت هي السائدة في وقت عودة هستيوس Histiaeus إلى ساردیس 496) SARDIS ؟)، ولقد أمر أرتافرنيس Artaphernes بقتله بعد ذلك بفترة قصيرة، وكان الأسطول الأيوني متمركزًا في لادي Lade ، ولقد أصابه الضعف جراء ارتداد بعض المدن الأيونية إلى صف الفرس سواء بشكل معلن أو خفي، وقد انتصر الفرس في Lade وبناءً عليه تمت محاصرة ملطية برًا وبحرًا، مما اضطرها إلى الاستسلام (الكتاب السادس الفقرات 1-22 سنة 494)، ولقد أعقب هذا الانتصار على مدينة ملطية انتقام لا رحمة فيه (الكتاب السادس الفقرات 22-41، سنة 493)، وينهي هيرودوت HERODOTUS روايته بوصفه للإجراءات التي اتخذها أرتافرنيس Artaphernes لاستعادة القانون والنظام (الكتاب السادس الفقرتان 42-43) .

وهذا هو الإطار المختصر لما يرويه هيرودوت HERODOTUS ، ومن الواضح أن الأهمية التي يعطيها هيرودوت HERODOTUS لهذه

الأحداث لا تتناسب مع الاهتمامات الكبرى لدارا DARIUS ، حيث إنه كان يدير إمبراطورية أصبحت تمتد -منذ ذلك الحين- من مقدونيا حتى نهر الإندوس، وبالإضافة إلى ذلك فإن الملك الأكبر كان في الفترة ما بين عامي (500-493) مشغولاً بعدد من المشروعات الأخرى التي لم يكن للموقف الأيوني أدنى تأثير عليها، وبلا شك فإن هذه الملاحظات تشتمل على جانب من الحقيقة التاريخية، ولكنها أيضًا تثير بعض التحفظات فيما يتعلق بطريقة الوصول إليها أو تكوينها، حيث تقوم ضمنيًّا على صمت كل من المصادر اليونانية والفارسية وعدم ذكرها شيئًا حولها، وبالتأكيد فإن هذا الصمت لا يعني شيئًا؛ وذلك لأن النقوش الملكية ليست نصوصًا روائية، وبالمثل فإننا لم نكن لنحصل على أية معلومة عن المدى الذي وصلت إليه السياسة التي اتبعها دارا DARIUS في وادي النيل لو لم تكن لدينا الوثائق المصرية، ولا توجد إشارة واحدة للثورة الأيونية التي كانت في أحد الألواح من Persepolis (1809Q) ، حيث تشير في الحقيقة إلى أن داتيس Datis (انظر: ص 158) قد عاد من ساردیس SARDIS حاملاً معه تخويلاً ملكيًّا، ونميل إلى افتراض أنه قدم من عند دارا DARIUS ليقوم بجولة تفقدية لآسيا الصغرى عشية الهجوم الأخير (والذي من المؤكد أنه كان بناءً على أمر من الملك شخصيًّا ومستشاريه)، ولا يوجد شك بعد ذلك في أن القوات الفارسية المتمركزة في كيليكيا كانت تتلقى أوامرها مباشرة من الإدارة المركزية؛ وذلك للقيام بشن هجوم واسع على جزيرة قبرص في عام 497 (8، 1، 7)، وما يرويه هيرودوت HERODOTUS عن اللحظات الأخيرة في حياة هستيوس Histiaeus يوضح أيضًا أن دارا DARIUS أراد أن يتصرف أرتافرنيس Artaphernes بناءً على التعليمات الملكية له (الكتاب السادس فقرة 30) بالطريقة نفسها التي تصرف بها عندما قام بالحصول على إذن الملك أولاً قبل شنه الحملة على ناكسوس (الكتاب

الخامس فقرات 3-31)، وفي حين أنه من المحتمل أن دارا DARIUS في البداية (كان كما يسجل هيرودوت HERODOTUS في إحدى الفقرات المثيرة للشكوك: الكتاب الخامس فقرة 105) لم تكن تساوره مخاوف كبيرة، حيث إنه كان واثقًا من التفوق العسكري لقواته، إلا أنه من المؤكد بدرجة أكبر أن المسار الذي اتخذته العمليات العسكرية قد تسبب بالتأكيد في إثارة قلقه، وفي رغبته بألا يتم تنفيذ أي شيء إلا بناءً على قرار منه، ويروي لنا هيرودوت HERODOTUS في هذا السياق كيف أن هستيوس Histiaeus قد أقنع الملك الأكبر بأن يسمح له بالعودة إلى ملطية ليحاول إقناع مواطنيه بالكف عن القتال، وفي الحقيقة فإن الاستراتيجية الغريبة لدارا DARIUS قد تطلبت منه القيام بمجهودات كبيرة وقوية لاستعادة ساحل آسيا الصغرى؛ لأنه لو خسرها في ذلك التوقيت لكان رأى عددًا لا يمكن حصره من الإخفاقات الخطيرة، والتي ستكون أخطر من تلك الهزائم التي تعرض لها في السهول الأوكرانية، بالإضافة إلى ذلك، فإن الثورة الأيونية تثير عددًا من المشكلات التاريخية التي تتخطى أهميتها الحيز الجغرافي المحدود لساحل آسيا الصغرى، وفي الواقع فإن تحليل هذه الأحداث يمكن أن يرشدنا إلى الوضع السياسي والعسكري للإمبراطورية بأكملها عند بداية القرن الخامس، بالإضافة إلى طبيعة الروابط التي كانت تربط السلطات المحلية والمرزبانية بالسلطة المركزية، وللإجابة عن هذه التساؤلات قام المؤرخون -وبدون توقف- بتحليل رواية هيرودوت HERODOTUS ؛ لأنه باستثناء عدد قليل من الإشارات المختصرة الموجودة في مصادر أخرى (مثل ديودورس Diodorus الكتاب العاشر فقرة 25)، وبالرغم من النقد والهجوم الذي شنه بلوتارك Plutarch عليه (مال. هير. 240 مور 861) إلا أنه لا يزال يمثل مصدر المعلومات الوحيد لدينا.

وبالنسبة لهيرودوت HERODOTUS فإن قيامه بوصف الثورة يرتبط

بشكل وثيق بهدف تاريخي وجغرافي أشمل وأعم، وهو شرح أسباب اندلاع الحرب بين الفرس واليونانيين، وفي اعتقاده، فإنه من الواضح أن الأيونيين الذين لا يكن لهم أي تعاطف قد لعبوا دورًا حقيرًا فلقد جلبت ثورتهم الخراب والدمار (الكتاب الخامس فقرة 28)، ولقد أعطى حرق سارديس SARDIS الذريعة للفرس لشن حرب للثأر من كل من أثينا إرتريا (الكتاب الخامس فقرة 102)، وكان إرسال التعزيزات إلى أثينا إرتريا هو بداية القلاقل والاضطرابات ليس فقط بالنسبة لليونان ولكن بالنسبة لباقي العالم أيضًا: (الكتاب الخامس فقرة 97)، ولقد تم تقديم أرستاجوراس Aristagoras كرجل مجنون يقوده ويوجهه في البداية الخوف من فقدان السلطة في ملطية، وكان مستعدًا لتوريط اليونانيين في ثورة لا أمل في نجاحها (الكتاب الخامس فقرة 35)، وعندما حث البيونيين الذين تم إبعادهم إلى آسيا على العودة واستعادة السيطرة على بلادهم لم يكن ذلك من أجل تحقيق أية فائدة للبيونيين، ولكن فقط ليضايق دارا DARIUS (الكتاب الخامس فقرة 98)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا (وبشكل ينم عن الخبث والمكر) أن أرستاجوراس Aristagoras نفسه لم يشترك في الغارة على سارديس SARDIS (الكتاب الخامس فقرة 99)، وفي النهاية، وعندما عجز عن مواصلة العمليات الحربية التي كان قد تسبب في اندلاعها ترك «هذا المخلوق الجبان» آسيا الصغرى متجهًا إلى طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرة 124-126) .

كارثة اقتصادية:

من الواضح أن المشكلة تتمثل في أن هيرودوت HERODOTUS لا يقوم بشكل واضح بتوجيه أسئلة يسعى المؤرخون للوصول إلى إجابات لها، ولا يزال يوجد العديد من الأمور غير المؤكدة، بما فيها تلك الأمور التي تتصل بالتواريخ المحددة للأحداث وتسلسلها، وهذه أكثر الأشياء التي تسبب حيرةً وإرباكًا لهؤلاء الذين يحاولون إعادة بناء سلسة

الأحداث التي تقوم على السبب والنتيجة، ولكن أسباب اندلاع هذه الثورة وطريقة تطورها خلال مثل هذه الفترة الطويلة هي من الأشياء المحيرة على وجه الخصوص، وقد تساءل العديدون عما إذا كان الغزو الفارسي قد تسبب في حدوث كارثة اقتصادية في آسيا الصغرى، ولا يزال يتم تقديم إجابات متناقصة تمامًا، والوثائق المتوافرة متفرقة ومتناثرة للغاية، ويتم الاستشهاد غالبًا بتقييم هيرودوت HERODOTUS والذي يقول فيه: لقد بلغت مدينة ملطية خلال هذه الفترة أوج ازدهارها، وكانت مصدر إجلال لأيونيا كلها (الكتاب الخامس فقرة 28)، ولكن يجب أن نضع هذه العبارة في سياقها، ويسجل هيرودوت HERODOTUS أنه قبل ذلك ببعض الوقت كانت هذه المدينة في الحقيقة ممزقة بسبب الاضطرابات المدنية، وقد تمت تسوية هذه الخلافات بواسطة المحكمين، وتظهر المناقشة بوضوح أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS (الكتاب الخامس فقرة 29) كان هذا الثراء الافتراضي يرجع فقط إلى زراعة المحاصيل مرة أخرى في الأراضي التي كانت قد تحولت إلى أراضٍ جدباء، ولا شيء أكثر من ذلك، وإذا كان أرستاجوراس Aristagoras طلب من أرتافرنيس Artaphernes أن يعينه قائدًا على حمله يتم توجيهها ضد ناكسوس، فإن ذلك يرجع إلى أن بلدة ملطية لم تكن قادرة على تحمل نفقات هذه الحملة بمفردها (الكتاب الخامس فقرات 30-35)، فمن الواضح أن ملطية لم يكن عندها الثراء الكافي الذي يمكنها من انتهاج سياسة مستقلة، وبمجرد أن عاد هستيوس Histiaeus إلى ملطية (كما يذكر هيرودوت HERODOTUS)، شرح لمواطنيه لماذا حث أرستاجوراس Aristagoras على مواصلة الثورة كما يلي: «لقد كان دارا DARIUS يخطط لتنفيذ عملية نقل السكان، وكان ينوي توطين الفينيقيين في إقليم أيونيا، وأن ينقل الأيونيين إلى إقليم فينيقيا» (الكتاب السادس فقرة 3)، ويتم الاستشهاد أحيانًا بهذه الفقرة لادعاء أن الفرس بعد

قيامهم بغزو جبهة البحر المتوسط كانوا يفضلون وبشكل منظم البلاد الفينيقية التابعة لهم على البلاد اليونانية، وأن هذه السياسة أدت إلى الدمار التجاري للمدن الأيونية، ولكن هذا التفسير لا يقوم على أية مصادر أخرى مستقلة، فمن ناحية لا يخفى هيرودوت HERODOTUS حقيقة أنه يعتقد أن هذا التفسير غير صحيح، ومن ناحية أخرى فإنه يمكننا أن نفترض بسهولة أن القصور المرزبانية في آسيا الصغرى قد خلقت سوقًا استفاد منها الحرفيون في المدن الأيونية (انظر على سبيل المقارنة هيرودوت HERODOTUS الكتاب الثالث فقرة 105)، ويبدو من المحتمل أيضًا أن جزءًا كبيرًا من الأواني الخزفية اليونانية التي كان يتم توريدها إلى الشرق الأدنى في ذلك الوقت كان يأتي من مدن آسيا الصغرى، ولا يجب أن يتم التضخيم من حجم المنافسة التي كانت بين اليونانيين والفينيقيين مهما كانت أهمية الصراعات السياسية التي كانت موجودة بينهما ودورها في كسب رضاء الملك الأكبر (راجع الكتاب الثامن فقرة 90)، فلم يحدث أبدًا أن اختار الملك طرفًا أو آخر كشريك تجاري مفضل، وتشهد إحدى الوثائق الآرامية البارزة التي نشرت مؤخرًا (تاداي C 7030) ، والتي تعود إلى عهد كسركسيس 475) XERXES) على أنه كان من الممكن أن نجد التجار الفينيقيين واليونانيين جنبًا إلى جنب في أحد الموانئ المصرية، وأنه في مواقع عديدة كان يتم المزج بين نماذج الآنية الخزفية اليونانية والفينيقية، بالإضافة إلى ذلك واجهت الأيونيين منافسة شديدة في العالم اليوناني، وخاصة من جانب الأثينيين الذين تمكنوا خلال القرن السادس -وبشكل متنامي- من الفوز ببعض التجارة الإيجية في المناطق الشمالية على حساب الأيونيين، ولكن من غير الممكن تحليل تأثير نتائج هذه المنافسة بأي قدر من الدقة على الوضع الاقتصادي لكل من ملطية والمدن الأيونية الأخرى .

التوترات المدنية والسلطة الأخمينية:

إن الشيء المفاجئ للغاية هو أن الاضطرابات نشأت حوالي عام (500) في حين أن الظروف كانت مواتيه بدرجة أكبر لحدوث ذلك في أوقات سابقة، على سبيل المثال من خلال التحولات الكبيرة التي حدثت في الفترة (522-520) عندما جاء دارا DARIUS إلى السلطة، أو خلال الحملة على أراضي سكيثيا (503) كمثال آخر، في حين أنه من الصحيح أن سلطة أوروتيس OROETES خلال فترة تولي دارا DARIUS السلطة لم توفر الظروف التي تسمح بمحاولة المدن اليونانية الانفصال عن الفرس في آسيا الصغرى، فإن هيرودوت HERODOTUS يقرر وبوضوح أنه من خلال حملة دارا DARIUS على سكيثيا كان لدى حكام الولاية الأيونيين - والذين تعرضوا إلى ضغط كبير من أهل سكيثيا للتخلي عن دارا DARIUS - كل ما يلزمهم لاختيار طريق الانشقاق على دارا DARIUS ، ولكن هذا كان هو المسار الذي اقترحه ملتياديس الأثيني، «يا سيد شبه الجزيرة التي تقع على الدردنيل والقائد... يجب أن يعملوا بنصيحة أهل سكيثيا، وهكذا سيحررون أيونيا» (الكتاب الرابع فقرات 137-138)، ولقد حاول هستيوس الملطي (ومازلنا نتحدث تبعًا لهيرودوت) HERODOTUS أن يستخدم حجج الديمقراطية لإقناع زملائه بالانفصال «كل واحد منهم كان يدين بمنصبه كرئيس دولة إلى دارا DARIUS ، وفي حالة سقوط دارا DARIUS فهو نفسه لن يكون قادرًا على المحافظة على سلطته في مدينة ملطية، وسوف يجد الباقون أنفسهم في مواقف مماثلة، ومن المؤكد أن كل مدينة من المدن الأيونية سوف تنقلب ضد الحكومة الاستبدادية التي تحكمها، وسوف تهيج الرأي العام من أجل الديمقراطية (الكتاب الرابع فقرة 137)، ولا تخلو رواية هيرودوت HERODOTUS هذه من عدم الدقة (دور ميلتياديس Miltiades على سبيل المثال)، أو الاشتمال على مفارقات تاريخية، ومن الواضح أنه يذكر هنا -علي لسان هستيوس Histiaeus -

مناقشة أو حجج كان قد استخدمها أرستاجوراس Aristagoras في بداية الثورة، وهذا يشير على الأقل إلى أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS كانت المدن اليونانية تواجه مشكلات سياسية داخلية في ذلك الوقت، والتي كانت ذات صلة وثيقة بالعلاقة التي كانت تربطهم بالسلطة الفارسية، وتلقى هذه المناظرة بصيصًا من الضوء على طبيعة التناقضات التي وجد حكام الولاية اليونانيون أنفسهم فيها عالقين بين مطمحين لا يمكن التوفيق بينهما، وهما التحرر من الحماية الفارسية، واستعادة سلطاتهم الخاصة .

ويقدم هيرودوت HERODOTUS الإجراءات التي اتخذها أرستاجوراس Aristagoras في بداية التمرد المعلن كما يلي: فبعد أن قام بالقبض على القادة الذين شاركوا في حملة ناكسوس، اتخذ القرار التالي (الكتاب الخامس فقرات 37-38): «ليحرض أهل ملطية على مساندته (هيكونتيس)» بدأ في الادعاء بالتخلي عن مركزه لصالح حكومة ديمقراطية (إيسونومي)، ثم مضى ليفعل الشيء نفسه في الدويلات الأيونية حيث تخلص من القادة السياسيين بطرد بعضهم، وتسليم البعض الآخر كل إلى المدينة التي ينتمي إليها، آملاً بذلك أن ينال رضاء مواطنيهم السابقين، وفي مدينة Mytilene وبمجرد أن أصبح كوس Coes في قبضتهم أخذوه إلى الخارج ورجموه حتى الموت، ولكن في مدينة Cyme تركوا أرستاجوراس Aristagoras حرًا، ولقد أظهرت غالبية المدن الدرجة نفسها من اللين والتسامح تجاه حكامهم.

ومباشرة نجد أن هيرودوت HERODOTUS يصدر حكمه بدون شفقة على أرستاجوراس Aristagoras ، حيث إنه لم يصدق -ولو للحظة- حماسته هذه للديمقراطية (بدأ في الادعاء)، ولكن بغض النظر عن هذا فإن طريقة تقديمه للمواقف التي حدثت في عامي 513، 499 تقوم على اقتناعه بأنه كانت هناك رابطة مطلقة بين حكام الولاية والسلطة الأخمينية،

ومنذ ذلك الحين الذي استولى فيه الأخمينيون على السلطة، كان طرد حكام الولاية أحد المتطلبات اللازمة لاندلاع الثورة، ومن الصعب عدم الاتفاق مع هيرودوت HERODOTUS حول هذه النقطة، وبالتأكيد لم يتم طرد جميع حكام الولاية عن طريق التدخل الأخميني، فعندما رحل هستيوس Histiaeus إلى صوصا SUSA ، كان من تولى السلطة من بعده هو زوج ابنته وابن عمه أرستاجوراس Aristagoras (الكتاب الخامس فقرة 30) .

وهذا يوضح حقيقة أن تناقل وظيفة حاكم الولاية كان يتم في المقام الأول خلال الأسرة نفسها، وفي الوقت نفسه، وكما يقول هستيوس Histiaeus فإنه يبدو واضحًا أن السلطان الذي كانوا يمارسونه كلٌّ على المدينة التي يحكمها كان مرتبطًا وبشكل مباشر بالدعم الذي كانت تقدمه لهم السلطات الأخمينية .

وعلي أية حال، فإن معظم حكام الولاية الذين تم طردهم نتيجة لأفعال أرستاجوراس Aristagoras قد تحولوا على الفور إلى المعسكر الفارسي (الكتاب السادس الفقرتان 9-10)، وهناك قاموا بتزويد الفرس بمعلومات داخلية عن المدن التي كانوا يحكموها (راجع الكتاب السادس فقرة 13)، ومن وجهة نظر الأيونيين كان السلطان الذي يخضعون له يمارس عليهم بصورة مشتركة من قبل كل من الفرس وحاكم الولاية الذي يحكمهم (الكتاب السادس فقرة 21)، ولقد حدث هذا الوضع نفسه في قبرص، فبمجرد أن استولى أخوه أونيسيلوس Onesilus على السلطة، وثار ضد الفرس، قام جورجوس Gorgus ملك سلاميس بنقل ولائه إلى بلاد فارس (الكتاب الخامس فقرة 104)، وعندما يكتب هيرودوت HERODOTUS قائلاً إنه بعد انتصار الفرس أعاد الشعب (شعب سلاميس) المدينة إلى حاكمها السابق جورجوس Gorgus (الكتاب الخامس فقرة 115) فإنه بذلك يقول إن سلطة جورجوس

Gorgus كانت شرعية (بـالنظر إلى التقاليـد الملكيـة لسـلاميس)، ولكنـه يوضـح في الوقت ذاته أن هذه الشرعية لا يمكـن أن تـتم اسـتعادتها بـدون القـوة العسـكرية الفارسية .

وبالتأكيد فإننا لا يمكننـا أن نـرى أي تفضـيل أيـديولوجي ضـمني مـن جانـب الفرس والذين قرروا ببسـاطة خـلال إحـدى الفـترات في تـاريخ المـدن اليونانيـة أن التحالف مع حكام الولاية هو أفضل طريقة لتثبيت ملكهم هناك .

ومن هذا المنطلق، فإن السياسة التي اتبعها الفرس في آسيا الصغرى لا تختلف اختلافًا جذريًّا عن السياسة التـي اتبعوهـا في الـبلاد الأخـرى التـي فتحوهـا، والتـي تتمثل في مساندة القادة المحليين طالما وافقوا عـلى أن يلعبـوا مـع الفـرس لعبـتهم، ولكن عند أول مخالفة لهم يستطيع الملك أن يطـردهم، ويـأتي بقـادة غـيرهم أكـثر خضـوعًا، بالإضـافة إلى ذلـك فـإن سياسـة دارا DARIUS فـيما يتعلـق بالمعابـد الموجودة في آسيا الصغرى لم تختلف اختلافًا جوهريًّا عن سياسته في بابـل، مصر، أو في إقليم يهودا (فصل 12) .

ويُظهِر ما حدث في ناكسوس أن سلطة الأسر العريقة التي انحدر منها حكام الولاية في آسيا الصغرى كانت مهددة بسبب الضغط الشعبي، والذي حدث بعـد ذلك هو أن شعب ديموس (الكتاب الخامس فقـرة 30) قـام بإزاحـة ممـثلي هـذا الحزب العريق، ومهما كانت الحقائق الاجتماعية التي تعكسها كلمات هيرودوت HERODOTUS فإنه من الواضح أن ناكسوس قـد مـرت بثـورة ديمقراطيـة (أو أيسونومية، لا يوجد بينهما فرق مهم)، ولم تظهر هذه الاتجاهات الديمقراطيـة أو الأيسونومية في آسيا الصغرى فجأة، حيث -علي سبيل المثال- تشهد النقوش التي تعود للفترة ما بين عامي (575-550) على وجـود حكـام ومجلـس محـلي في كيـوس (Ml8) ، ومـن المحتمـل أيضًـا أن نمـوذج أثينـا المجـاور (الثـورة

الكلستينية) قد حفز إرادة الشعب للتخلص من استبداد الأسر العريقة، وقد أدرك أرستاجوراس Aristagoras في ظل هذه الظروف أنه حتى تكون عندهم فرصة في النجاح، فإنه يقع لزامًا عليهم توسيع القواعد الاجتماعية للثورة؛ ولتحقيق ذلك كانوا مضطرين للاستسلام للضغط الأيسونومي (والذي من الواضح أن ملطية قد شعرت به هي الأخرى كما يقترح هيرودوت HERODOTUS في الكتاب الخامس الفقرتان 28-29)، ولقد سمحت هذه السياسة أيضًا لأرستاجوراس Aristagoras بأن يتولى قيادة العمليات حيث طلب من كل مدينة أن تسمي بعض القادة (ستراتيجوي) الذين سوف يعملون منذ ذلك الحين تحت توجيهه .

ويشهد هذا القرار على براعة أرستاجوراس Aristagoras السياسية فقد قام حكام الولاية الذين كانوا موجودين في عام 513 بتبني الخيار الأفضل فيما بين التبعية الخارجية أو الديمقراطية الداخلية، وفي ذلك الوقت أي عام (513) كان شعار تحرير أيونيا هو الشعار الذي كان ميلتياديس (Miltiades) يزعم الدفاع عنه، وعلي الرغم من أننا لا نعرف من حفزه على هذا القول فإن هذا لم يكن بالتأكيد شعارًا فعالاً في تعبئة الجماهير أكثر مما كانت عليه الحال في عام (500)، وبمعنى آخر فإنه من غير الممكن أن نشرح أسباب نشأة الثورة الأيونية من خلال وعي قومي (غير موجود أساسًا)، أو من خلال عدو وراثي (ونقصد بذلك «لقد كان الفرس أعداءنا دائمًا»)، وهما المفهومان اللذان تمت صياغتهما فيما بعد في بلاد اليونان بواسطة مناظرين مثل أيسوقراط .

ولم يتم تحديد الموقف الأيوني تجاه السيطرة الفارسية فقط من خلال النظر إلى الفرس على أنهم مختلفين ثقافيًا، وبدلاً من ذلك وبشكل أكثر أهمية فقد كان الموقف الذي يتخذه الأيونيون تجاه الفرس يتحدد تبعًا لمكانة كل مجموعة في إطار المدينة اليونانية التي تعيش فيها، وبالجهود التي كانت تبذلها كل جماعة لتحقيق مصالحها، ولقد استطاع

أرستاجوراس Aristagoras أن يصل بهذه الفكرة إلى نهايتها المنطقية لشن الحرب على الفرس، وكان ذلك يستلزم أن يتم إشراك فئات المجتمع التي ظلت مستثناة حتى الآن من السلطة، ومن الملائم أيضًا أن نقوم بإضافة ملاحظة أخيرة والتي ستسمح لنا بإنشاء رابطة أخرى بين التوترات الداخلية والثورة ضد بلاد فارس، ولقد تعززت هذه الملاحظة بالإجراءات التي اتخذها أرتافرنيس Artaphernes عند نهاية الثورة، ويقرر هيرودوت HERODOTUS بشكل واضح جدًّا أن هذه الإجراءات أدت إلى السلام (الكتاب السادس فقرة 42)، وبالنظر إلى أنها كانت تتصل في الأساس بمسألة الجزية وليس فقط بمقدارها: فصل 12- 5، فإن هذا يدفعنا للاعتقاد بأن انتزاع الجزية داخل كل مدينة قد أثار أو بشكل أدق كشف عن الاضطرابات الداخلية الاجتماعية، ولقد كان هذا هو أيضًا الوضع في إقليم يهودًا بعد ذلك بخمسين سنة (نهيميًّا 5: 1-3 انظر بالأسفل فصل 14-5)، حيث إن انتزاع الجزية بشكل ينم عن عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء ربما يكون قد لعب دورًا في تسريع وقوع الاضطرابات الاجتماعية والسياسية، وعلى أية حال فإن تأييد الثورة في حالة الأيونين قد عزز الأمل في وضع نهاية لهذا الضغط الخارجي، وما سيلي ذلك من ضغط داخلي اجتماعي وسياسي .

استراتيجية أرستاجوراس Aristagoras بداية الثورة:

إذا افترضنا أن التفسيرات السابقة تعكس بشكل كلي أو جزئي الحقيقة، فإننا ما نزال في حاجة لأن نفهم لماذا قام أرستاجوراس Aristagoras في هذه اللحظة بالذات برفع راية الثورة؛ ولتحقيق ذلك فإننا يجب أولاً أن نرجع إلى قصة الحملة على ناكسوس، فمنذ وقت مبكر لم تكن هناك فرصة لعدم التعاون مع أرتافرنيس Artaphernes مرزبان ساردیس SARDIS ؛ ولأن كل السفن كانت تحت قيادة القادة الفرس، فقد كانت الخطوة الأولى لأرستاجوراس Aristagoras هي

السعي للحصول على مساعدة أرتافرنيس Artaphernes ، ولقد وعد أثرياء ناكسوس الذين تم إبعادهم عن الجزيرة بتقديم مساهمات مالية، ولقد كانت هذه هي الشروط التي قام أرستاجوراس Aristagoras بناءً عليها بالتقدم إلى أرتافرنيس Artaphernes ومفاتحته، وعقب صدور إعلام بالتعبئة طلب من بعض المدن الأخرى إرسال مجدّفين إلى الأسطول الملكي، وبالتأكيد فإنه منذ البداية كانت للأطراف المتحالفة أهداف متناقضة، فقد كان أرستاجوراس Aristagoras يأمل أن ينال المزيد من المكانة بسبب هذه الحملة، أما أرتافرنيس Artaphernes على الجهة الأخرى فكان يعلم أن هذه الحملة هي حملة فارسية أمر بها الملك، وأن لها هدفًا أخمينيًّا حقيقيًّا هو السيطرة على جزيرة صورها له أرستاجوراس Aristagoras على أنها المفتاح للسيطرة على The Cycldes (الكتاب الخامس فقرة 31) ولكن سرعان ما دب الشقاق وعدم الثقة بين أرستاجوراس Aristagoras والقائد الفارسي للأسطول المسمى ميجاباتيس (Megabates) ، ولقد ازداد هذا الشقاق فيما بعد عندما وجد الفرس أنفسهم في حاجة إلى المال (الكتاب الخامس فقرة 34)، وفي الحقيقة فإنه من المحتمل -وكما كان من المعتاد- أن أرتافرنيس Artaphernes قد تلقى أوامر مشددة من السلطة المركزية بمنح قدر محدود من التمويل للحملة، والذي كان يتم حسابه اعتمادًا على عدد السفن والجنود الذين تم تجنيدهم، والمدة المتوقعة للحملة .

وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS فمنذ هذه اللحظة اتخذ أرستاجوراس Aristagoras قراره بالتمرد والثورة، ويقوم هيرودوت HERODOTUS بتقديم تفسيرات ذات طبيعة شخصية لذلك القرار، ويضيف أن أرستاجوراس Aristagoras قد تلقى تعليمات بإعلان الثورة صدرت إليه من هستيوس (Histiaeus) في قصره الذهبي في صوصا SUSA ، ولكن القصة التي قدمها مشكوك في صحتها إلى حد كبير

(الكتاب الخامس فقرة 35)، فلم يكن أرستاجوراس Aristagoras بأي شكل من الأشكال غافلاً عن تفوق الفرس، ولقد كان الأمل الوحيد لليونانيين -كما يصفه لنا هيكاتيوس (Hecataeus) - والذي من المؤكد أن أرستاجوراس Aristagoras كان يدركه جيدًا يتمثل في نقل المعركة إلى البحر، ولقد «نصح هيكاتيوس (Hecataeus) بالسيطرة على البحر»، وكان الحل الوحيد هو الاستيلاء على الأسطول الفارسي الذي كان قد رسى للتو في ميوس عقب عودته من الحملة الفاشلة على ناكسوس، ولقد تم إرسال أرستاجوراس Aristagoras إلى ميوس للقبض على قادة السفن (وهم حكام الولاية الذين ساهموا في الحملة على ناكسوس)، وبالتأكيد أيضًا للاستيلاء على السفن عن طريق شن هجوم جريء على القاعدة البحرية، ولكن كان على اليونانيين بعد استيلائهم على الأسطول الملكي أن يقوموا بتسوية وحل الأزمة المالية التي كان يعاني منها، ولقد كان الاحتفاظ بأسطول ضخم كهذا، والذي من المحتمل أن عدد سفنه كان يبلغ 200 سفينة أمرًا مكلفًا للغاية، ويمكننا أن نقدر التكلفة على الأقل بـ(60 طالن) في الشهر، وذلك بدون حساب تكاليف الصيانة والإصلاحات، وقد حل الفرس تلك المشكلة عن طريق التجنيد والجزية، وكانت التكاليف هي السبب الذي جعل أرستاجوراس Aristagoras يقترح قيامهم بالاستيلاء على خزائن ديديما: «إذا تم تنفيذ ذلك فسيكون لديهم أمل كبير في نجاحهم في السيطرة على البحر» (الكتاب الخامس فقرة 36)، ولقد تم رفض اقتراحه -كما يقول هيرودوت - HERODOTUS «فلقد قرروا على الرغم من ذلك التخلص من سيطرة الفرس واستعبادهم لهم».

وعلي الرغم من أن استراتيجية أرستاجوراس Aristagoras تبدو منطقية حتى الآن (أو على الأقل، إذا كان المؤرخ المعاصر يستطيع أن يعطيها معنى!) إلا أنه من الصعب إدراك لماذا قرر عقب عودته من أوروبا (حيث نجح هناك في الفوز بدعم مشوب بالحذر من كل من أثينا

إرتريـا) بـدء حملـة ضـد سـارديس SARDIS بعـد أن جعـل الأسـطول يرسـو في إيفيسوس، ولقد نجح اليونانيون في الاقـتراب مـن سـارديس دون أن تـواجههم أيـة مشكلات؛ وذلك بفضل المرشدين من مدينة إيفيسـوس الـذين قـادوهم عـبر طـرق متعرجة، وعلى الرغم من ذلك فقد أثبتوا عجزهم عن السيطرة على قلعـة المدينـة، والتي قامت جميع المصادر القديمة بالتأكيد على مدى حصانة موقعهـا، وعـلى أيـة حال كان من المستحيل بالنسبة لهذا العدد الضئيل من القوات الـذي تنقصـه آلات الحصار، والذي واجهته مقاومة كبيرة أن يتمكن من اقتحام هذا الحصن، ولا بـد أن أرسـتاجوراس Aristagoras كـان مـدركًا لحقيقـة أن أرتـافرنيس (Artaphernes) سوف يكون قادرًا في وقت قصير جدًّا على جمع قـوات مـن الفرسـان، وكـل الفـرس المتمركزين غرب نهر The Halys (الكتاب الخامس فقرة 102)، أي أنه من المؤكـد أن احتياطي الجيش سوف يتقدم من الأراضي الممنوحة للنبلاء الفـرس المتفـرقين في أرجاء الإمبراطورية، وبالفعل فـإن هـذا الاحتيـاطي قـد اسـتجاب لما حـدث، ولقـد اضطر اليونانيون إلى الفرار في حالة من عدم النظام نحو إيفيسوس قبل أن يـتمكن الناجون من القتال من التفـرق (الكتـاب الخـامس فقـرة 102)، وسرعـان مـا تخـلى الأثينيون والإرتريون عن الأيـونيين وتركـوهم يواجهـون الفـرس بمفـردهم (الكتـاب الخامس فقرة 103) .

وإذا قمنـا عـلى العكـس مـما يقولـه هـيرودوت HERODOTUS بـافتراض أن أرستاجوراس Aristagoras لم يكن مجنونًا، فإننـا يجـب أن نقـر بأنـه كانـت لـه أسـباب وجيهة لفعل ما فعله، فمن ناحية يجب أن نذكر أنه لم يضع في المواجهة سـوى جـزء ضـئيل للغاية من قواته، فلقـد ظـل الأسـطول والجنـود الـذين كـانوا عـلى متنـه سـالمين كـما هـم، ومستعدين لخوض معارك أخرى، هل يمكن أن يكون السبب من وراء الهجوم على سارديس SARDIS هو إعطاء إشـارة إلى سـكان آسـيا الصـغرى؟ فقـد كـان مثـل هـذا الهجـوم غـير

المسبوق سيؤدي إلى إثارة إعجابهم، حيث إنه لا يوجد له مثيل في تاريخ السيطرة الفارسية على آسيا الصغرى باستثناء المحاولة التي قام بها أجيسيلوس Agesilaus بعد ذلك بقرن من الزمان، أو المحاولة الأخرى التي قادها الإسكندر ALEXANDER بعد ذلك بأكثر من 160 عامًا (وفي ظل ظروف مختلفة تمامًا) .

وبمعنى آخر فإن ما نقترح قوله هو أن أرستاجوراس Aristagoras لم تكن عنده أية طموحات حول مدى الفاعلية العسكرية لتلك المغامرة، ولكنه كان يأمل من ورائها وقبل كل شيء أن ينال بعض المكاسب السياسية، وتظل الحقيقة هي أن الأسطول اليوناني قد قام سريعًا بعمل جولة دعائية حقيقية حول ساحل آسيا الصغرى من الدردنيل وحتى إقليم كاريا، ولقد انضم جزء كبير من شعوب ومدن هذه المنطقة إلى الثوار (الكتاب الخامس فقرة 103)، وكان هذا أيضًا هو ما فعله جميع الملوك القبارصة باستثناء ملك سلاميس الذي هرب إلى الفرس، وملك أماثوس الذي سرعان ما حاصرته القوات القبرصية الأخرى (الكتاب الخامس فقرة 104)، ولقد حقق الفرس بعد ذلك بفترة قصيرة نصرًا بريًّا على قبرص (ساعدهم في ذلك ارتداد بعض الفرق العسكرية القبرصية)، ولكن تعرض الأسطول الملكي الفارسي الذي كان عماده أساطيل المدن الفينيقية لهزيمة على يد الأسطول اليوناني (الكتاب الخامس الفقرات 108-114)، والتي قام الأسطول الأيوني بعدها باستعادة أيونيا (الكتاب الخامس فقرة 115)، ومن المحتمل أيضًا أن أرستاجوراس Aristagoras كان يأمل من وراء القيام بهذه الغارة الإضرار بهيبة وسلطة أرتافرنيس Artaphernes ، ويتحدث هيرودوت HERODOTUS عن حدوث انشقاق في بلاط سارديس SARDIS في سياق التسلسل التاريخي للعودة الغامضة لهستيوس Histiaeus مباشرة بعد الهجوم الذي شنه أرستاجوراس Aristagoras على سارديس SARDIS (الكتاب الخامس 105-107)،

ولكن التاريخ الذي ذكره هيرودوت HERODOTUS مشكوك فيه، ويحتمل أن ما قاله عن الوضع السياسي في ساردیس SARDIS له صلة وثيقة بإدراك دوافع أرستاجوراس Aristagoras من وراء شن هذا الهجوم، فلقد قام هستيوس Histiaeus بإرسال رسائل إلى رجال من الفرس كانوا موجودين في ساردیس SARDIS يفهم من مضمونها أنها كانت مرسلة إلىٍ أشخاص قد أجرى هستيوس Histiaeus معهم محادثات حول موضوع الثورة، ولقد اكتشف أرتافرنيس Artaphernes هذه المؤامرات وقام هذه المرة بإعدام عدد كبير من الفرس (الكتاب السادس فقرة 4)، وبغض النظر عن الشكوك التي تحيط بهذه الأحداث، إلا أنها تفسر الانشقاقات التي أحاطت بأرتافرنيس Artaphernes ، ويحتمل أنه على الرغم من كون أرتافرنيس Artaphernes أخًا للملك، إلا أن الرسائل التي استقبلها منه كانت تشير إلى عدم رضا الملك عنه، ولم يعد كل الفرس يثقون فيه ثقة كاملة، والذين لا بد أنهم كانوا بالفعل قد أصابهم الإحباط نتيجة تلك الغارة الأيونية والتي كانت تشير إلى فشل الأجهزة الاستخبارية، وعلى أية حال، فإن هذا هو أول دليل من هذا النوع على المناخ الذي ساد الدائرة القيادية في المرزبانية عقب قضية أوتانيس OTANES ، وإعدام عدد كبير من الفرس هو دليل على الخلافات العميقة التي نشأت حول الاستراتيجية التي يجب إتباعها.

الانتصار الفارسي:

ويمكن أن نفترض أن خطط أرستاجوراس Aristagoras -مهما كانت تلك الخطط- تم تنفيذها بشكل جيد نسبيًا حتى الآن، ولكن المشكلات التي ذكرناها بأعلى ظلت باقية، ومن ناحية أخرى فباستثناء الهزيمة السريعة في كاريا، ظل الفرس محتفظين بالسيادة المطلقة على البر .

ولقد تحركت العديد من الكتائب باتجاه المدن الساحلية وتمكنت بسرعة من الاستيلاء على الموانئ المهمة (ميناء واحد في كل يوم!) مثل

أبيدوس، لامبساكوس، كلازوميناي، سايمي، وأخرى (هيرودوت HERODOTUS الكتاب الخامس فقرات 16- 17، 123)، ولقد حرم هذا اليونانيين من الموانئ المفتوحة الضرورية للأسطول، والذي كان لزامًا عليه أن يجد الماء والإمدادات، بالإضافة إلى أحواض السفن لإجراء الإصلاحات (راجع أريان، أناب، الكتاب الأول الفقرتان 18-19)، ولم يتمكن اليونانيون مطلقًا بعد ذلك من أن يطأوا القارة الآسيوية، ولقد حاول هستيوس Histiaeus أن ينزل من السفن عندما غادر لسبوس؛ وذلك للحصول على القمح من أراضي أتارنيوس الغنية به، ولكنه تعرض للهزيمة على يد «هارباجوس Harpagus والذي كان موجودًا في المنطقة المجاورة على رأس جيش كبير» (الكتاب السادس فقرة 28)، ولقد كان تفوق خيالة الفرس ساحقًا، والوحيد الذي تمكن من تحديهم كان Agesilaus أجيسيلوس بعد ذلك بقرن من الزمان -ولو أن ذلك لم يدم طويلاً- عن طريق جمع الفرسان الموجودين في المدن اليونانية، وهكذا أصبحوا «غير مضطرين للاعتماد على أسلوب الكر والفر في الحرب» (زينوفون (Xenophon) ، هل، الكتاب الثالث الفقرات 4، 15) .

وكما ذكرنا بالأعلى، فإن مواصلة العمليات البحرية كانت تتطلب أن يتم تسوية المشكلات المالية أولاً، وكما يقول هيرودوت HERODOTUS فلقد قام أرستاجوراس Aristagoras لهذا السبب بعقد مجلس: «لقد أدرك أنه لا توجد أمامه أية فرصة في مواجهة دارا DARIUS »، ويستغل هيرودوت HERODOTUS هذه المناسبة لمتابعة هجومه على أرستاجوراس Aristagoras ، والذي يتهمه بتمهيد الطريق لهروبه (الكتاب الخامس فقرة 124)، وفي الحقيقة فقد اقترح حاكم الولاية أن يستولي على مرسينوس في إقليم طراقيا THRACE ، وهي المكان الذي قام دارا DARIUS بمنح بعض الأراضي فيه إلى هستيوس Histiaeus في عام 513، ولقد ركب هستيوس

Histiaeus البحر على خلاف ما نصحه بـه هيكـاتيوس (Hecataeus) ومـات بعـد معركة بحرية خاضها ضد الطراقيين الذين قام بمحاصرة مدينتهم (الكتاب الخـامس فقرة 126)، ومما لا شك فيـه أن أرسـتاجوراس Aristagoras كـان يبغـي مـن وراء ذلك وضع يديه على مصـادر جديـدة للخشـب والمـال، والتـي كانـت ستسـمح لـه بتمويل الحرب البحرية (راجـع الكتـاب الخـامس فقـرة 23)، أيضًـا فـإن هـذا هـو المنطق الذي تبناه هستيوس Histiaeus عندما عزم عـلى مهاجمـة ثاسـوس خـلال إعداده للعودة إلى ملطية، حيـث كانـت ثاسـوس هـي الأخـرى مشـهورة بمناجمهـا الغنية (الكتاب السادس فقرة 28)، ومن الواضح أنـه قـد حـاول أن يسـتعيد قوتـه البحرية عن طريق مصادرة السفن التجارية التـي كانـت تجـوب مضـيق البسـفور (الكتاب السادس فقرة 5)، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS فـإن الشيء الـذي لا يـزال أكثر روعة هو أن اليونـانيين في عـام 494 كانـت لا تـزال لـديهم القـدرة عـلى حشـد 353 سفينة ثلاثية المجاديف، وعلى الرغم من ذلك فإنه بحلول ذلك الوقت قد توفرت للفـرس الوسائل الكافية لإعـادة بنـاء أسـطول يتكـون مـن 600 سفينةـ وذلـك بمسـاعدة الفـرق البحرية التي أرسلها الفينيقيـون والقبارصـة والكيليكيـون والمصريـون (الكتـاب السـادس الفقرات 6-9)، وعلى الـرغم مـن أننـا لا يجـب أن نصـدق كـل الأرقـام التـي يقـدمها لنـا هيرودوت HERODOTUS إلا أنها على الأقل تعكس عـدم التكـافؤ بـين القـوتين، ومـن الواضح أن اليونانيين قد ألقوا بآخر ما لديهم من مـوارد في معركـة واحـدة؛ وذلـك لأنهـم كانوا يعرفون جيدًا أن نتيجتها سوف تحـدد نتيجـة الحـرب (الكتـاب السـادس الفقـرات 6-9)، ولم يكن لدى الأيونيين موارد مالية كافية، ولم يكونـوا موحـدين أيضًـا، وذلـك عـلى الرغم من الجهود التـي بـذلها أرسـتاجوراس Aristagoras في بدايـة الثـورة لبنـاء قيـادة موحـدة للمـدن الأيونيـة (الكتـاب الخـامس فقـرة 38)، ومـن الواضـح أن الأيـونيين قـد

حاولوا في مرات عديدة وبشكل مصطنع إحياء الرابطة الأيونية السابقة، وذلك كما يظهر من اجتماعاتهم في The Panionion (مهرجان المدن الأيونية)، ومن الواضح أن ذلك لم يحظَ بنجاح كبير، ولم يقتنع به الأيونيون، ولقد كان ذلك راجعًا بشكل رئيس إلى أنه من ناحية لم تكن جميع المدن الأيونية مشتركة في أعمال القتال، ومن ناحية أخرى لأن بعض المدن الأيولية والكارية كانت تشارك هي الأخرى في هذه الاجتماعات، وقد أظهرت المعارك التي تم خوضها في قبرص أن كل مدينة كانت مسؤولة عن نفسها، وأظهرت أنهم غير متحدين، فمثلاً لم يتردد ستيسينور Stesenor حاكم مدينة Curium في التحول إلى جانب العدو في وسط المعركة (الكتاب الخامس فقرة 113)، وعندما قرر الفرس في نهاية العمليات تركيز جهودهم للاستيلاء على مدينة ملطية، اجتمع اليونانيون مرة أخرى في « The Panionion »، وقرروا هناك التخلي عن البر الرئيس (وترك سكان ملطية ليدافعوا عن أسوار مدينتهم بمفردهم)، وأن يجمعوا الأسطول عند جزيرة لادي Lade المواجهة لملطية، وقد تهاوت سريعًا هذه الواجهة الموحدة أمام تهديدات قادة الجيش الفارسي، وأمام تأثير من صاحبهم من حكام الولاية، وسرعان ما خمدت الروح القتالية التي حاول القائد ديونيسوس Dionysius أن يثيرها في جنوده، ورفض الجند الخضوع للانضباط الشديد الذي حاول فرضه عليهم (الكتاب السادس فقرة 12) .

وفي ظل هذه الظروف، ونتيجة لهذا التفرق المتزايد قامت القوات المشاركة من جزيرة ساموس بالإصغاء بودّ إلى إيسيس Aeaces حاكم الولاية الذي كان يحكم جزيرتهم في السابق، والذي خلعه أرستاجوراس Aristagoras وتمكن حاكم الولاية هذا من إقناعهم بأنهم لا يستطيعون هزيمة الفرس، وتشهد الشكاوى التي يذكرها هيرودوت HERODOTUS على لسان الجنود على الإحباط الشديد الذي كانوا

يعانون منه (الكتاب السادس فقرة 12)، ويجب أن نلاحظ أن الشعب -وبهذا الخصوص- ربما كان مرهقًا بالنظر إلى ترك الحقول (والتجنيد المتكرر للرجال ليكونوا جنودًا ومجدفين)، وأعمال السلب الناشئة عن الحرب (حيث استولى الفرس على كل الأراضي المنبسطة: الكتاب السادس فقرة 28)، وبلا شك أيضًا الضغط المالي (حاجات تمويلية ضخمة)، والتي بالتأكيد لم تكن واقعة -بأي شكل- على عاتق الجزية الفارسية، وخلاصة ذلك كله يذكره هيرودوت HERODOTUS في أن سكان جزيرة ساموس فضلوا العودة إلى السيادة المشتركة عليهم من قبل كل من حام ولايتهم إسيس Aeaces والفرس، ويذكر هيرودوت HERODOTUS من جهة أخرى أن سكان مدينة ملطية فيما بعد كانوا معارضين للرجوع إلى سيطرة حاكمهم السابق هستيوس Histiaeus : «لقد تذوق الناس هناك طعم الحرية، وكانوا سعداء للغاية لنجاحهم في التخلص من أرستاجوراس Aristagoras ، ولم يكن عندهم أي استعداد للترحيب بحاكم آخر على الشاكلة نفسها» (الكتاب السادس فقرة 5)، وتظل الحقيقة أنه خلال المعركة التي دارت بين الأسطولين بالقرب من بلدة ملطية، قامت أعداد كبيرة من سفن جزيرة ساموس بمغادرة المياه اللادية، وتبعها آخرون: «لقد ارتد معظم الحلفاء» وهذه هي رواية هيرودوت HERODOTUS -على الأقل- (الكتاب السادس الفقرات 9-15)، والذي كان من المؤكد أنه لا يكنّ أي تعاطف تجاه الأيونيين .

وسرعان ما جاء دور مدينة ملطية في الاستسلام، حيث إنه عندما تمت محاصرتها برًا وبحرًا، لم يكن لسكانها أية فرصة في مواجهة تلك الجيوش، وهم الذين لطالما كانوا أساتذة في فن الحصار (الكتاب السادس فقرة 18)، وكما تجلى ذلك توًا من حصارهم لمدينة برقة (الكتاب الرابع فقرة 200)، ومدن قبرص (الكتاب الخامس الفقرتان 115-116): «وتمكن الفرس بعد خمس سنوات من ثورة أرستاجوراس

Aristagoras من فرض سيادتهم على المدينة بأكملها» (عام 493، الكتاب السادس فقرة 17)، ولقد تم التخلص من آخر جيوب المقاومة في وقت قصير نسبيًّا، ولقد انهارت بعض مدن إقليم كاريا التي كانت لا تزال تحمل السلاح تحت وطأة الجيوش الفارسية (الكتاب السادس فقرة 25)، وفي بداية عام 493 نزل الأسطول الملكي إلى البحر مرة أخرى، وقام بإخضاع آخر معاقل المقاومة الواحد تلو الآخر: «وكما يشير هيرودوت HERODOTUS ، فإنه بهذه الطريقة تم استعباد الأيونيين للمرة الثالثة، حيث كان الليديون هم من استعبدوهم في المرة الأولى، ثم استعبدوا مرتين من قبل الفرس» (الكتاب السادس فقرة 32)، وسرعان ما اتخذ الفرس إجراءات في المدن الخاضعة لسلطانهم لإعادة الاستقرار إليها، مع المحافظة على مظهرها المستقل (فصل 12-5) .

4- من طراقيا THRACE إلى منف MEMPHIS :

مهمة ماردونيوس Mardonius في طراقيا THRACE:

يسجل هيرودوت HERODOTUS أنه في ربيع عام 492 قام الملك باستدعاء القادة الذين كانوا يتولون قيادة القوات في آسيا الصغرى، وأرسل إلى هناك زوج ابنته ماردونيوس Mardonius والذي هو ابن جوبرياس GOBRYAS ، ولقد أبحر ماردونيوس Mardonius من كليكيا قاطعًا الطريق حتى وصل إلى أيونيا، بينما اتجه الجيش برًا إلى مضيق الدردنيل، وعندما تجمعوا مرة أخرى عبرت القوات الفارسية الدردنيل، وسرعان ما توغلت في طراقيا THRACE ، وبعد عدة أشهر عاد ماردونيوس Mardonius إلى آسيا الصغرى؛ وذلك كنتيجة لحملة يعتبرها هيرودوت HERODOTUS كارثية: حيث إن أسطوله قد تحطم نتيجة لعاصفة بالقرب من جبل آثوس، وتعرضت قواته البرية لخسائر فادحة على يد سكان إقليم بريجيا، حتى إن هيرودوت HERODOTUS يذكر لاحقًا أن دارا DARIUS

قد أعفى ماردونيوس Mardonius من مهام القيادة؛ لأن حملته هذه لم تلاقِ سوى نجاح محدود (الكتاب السادس فقرة 94)، ولكن يجب أن نذكر أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS فإن المهمة التي عهد بها دارا DARIUS إلى ماردونيوس Mardonius كانت تتمثل في الاستيلاء على أثينا إرتريا، ويرجع ذلك بشكل واضح إلى المساعدة التي قدموها إلى الأيونيين في عام 499، وفي إطار هذه الخلفية فإن النتائج التي حققها ماردونيوس Mardonius لا يمكن أن تكون سوى محطًا للسخرية والاستهزاء، وهذا هو التفسير الشخصي لهيرودوت HERODOTUS: فلقد كان مشتاقًا إلى دمج حملة ماردونيوس Mardonius في نظرته الواسعة والشاملة عن الحروب الفارسية، ويضيف هو نفسه مباشرة بعد ذلك أن هذه لم تكن سوى ذريعة «فلقد كان ينوي الفرس إخضاع أكبر عدد ممكن من المدن اليونانية» (الكتاب السادس الفقرات 43-45)، ولفهم استراتيجية دارا DARIUS من المهم وضعها في الإطار الأوسع للأحداث التي وقعت في الفترة ما بين عامي (513-492)، فلقد كانت الفتوحات التي قام بها بالفعل كل من ميجابازوس MEGABAZUS وأوتانيس OTANES في طراقيا THRACE كبيرة وملموسة -وذلك كما رأينا- ولكن ظلت هذه الفتوحات هشة نسبيًّا؛ لأنه باستثناء المناطق التي كانت تسيطر عليها الحاميات القوية ظلت العديد من الأراضي فعليًّا خارج الممتلكات والسلطان الفارسي، وعلى الرغم من أنه لا يوجد لدينا دليل قاطع إلا أنه من المؤكد أن طراقيا THRACE -وربما مقدونيا أيضًا- قد استغلتا الصعوبات التي واجهها الفرس في الفترة ما بين (499-492) في محاولة لإضعاف أو التملص من سيطرة الفرس عليهما، ومن هذا المنظور فإن المهمة التي أوكلت إلى ماردونيوس Mardonius لم تكن في البداية سوى إعادة فتح المدن الواقعة على الدردنيل وعلى بحر مرمرة في عامي (493-492)، وبمجرد تمكنه من إعادة بسط سيطرته على المضيق،

فإنه سيكون قادرًا على استعادة وفرض الوجود الفارسي في أوروبا بشكل أكثر قوة .

وعلى الرغم من بعض الانتكاسات العرضية (وإصابة ماردونيوس Mardonius نفسه بجرح خلال المعارك)، إلا أنه لا يجب الاستخفاف بنتائج تلك الحملة، فقد نجح الجيش الفارسي في ضم المقدونيين إلى لائحة رعايا دارا DARIUS » (الكتاب السادس فقرة 44)، وهكذا لم تعد مقدونيا مجرد محمية أنشأها ميجابازوس MEGABAZUS ، ولكنها أصبحت بلدًا مفتوحة، وفي الحقيقة فإن الإسكندر ALEXANDER الأول احتفظ بعرشه، لكنه أصبح الآن ملكًا خاضعًا للفرس، وملزمًا بدفع جزية لهم، بالإضافة إلى الضرائب الأخرى، وتفسر الفتوحات التي تم تحقيقها فيما وراء نهر The Strymon الموقف الذي أصبح واقعًا في عام 480، وهو كما يصفه هيرودوت HERODOTUS : «لقد تم إخضاع البلد بأكملها وصولاً إلى إقليم ثساليا Thessaly ، وأصبحت تدفع الجزية لبلاد فارس في البداية عن طريق الفتوحات التي قام بها ميجابازوس MEGABAZUS ، ثم فيما بعد كنتيجة لفتوحات ماردونيوس Mardonius » (الكتاب السابع فقرة 108)، ولكن وفي حين أن هيرودوت HERODOTUS كان يأمل في عرض القتال الذي دار بينهم وبين سكان بريجيا على أنه كان هزيمة لماردونيوس Mardonius ، إلا أنه لا يخفي حقيقة أن الواقع كان مختلفًا عن ذلك: فعلى الرغم من النجاح الذي حققوه في البداية، إلا أن البريجيين لم يستطيعوا تفادي ضربة ساحقة من الفرس» (الكتاب السادس فقرة 45)، ومضمون ذلك هو أنه قد تم إخضاع الشعوب الطراقية الأخرى لاحقًا، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أخيراً أن مدينة ثاسوس قد استسلمت بدون قتال (الكتاب السادس فقرة 44)، ويؤكد هيرودوت HERODOTUS ذلك أثناء حديثه عن

حمله كسركسيس XERXES ، والذي يذكر في سياقه أن شعب Satrae كان هو الوحيد من بين شعوب المنطقة الداخلية الذي لا يزال حرًا في ذلك الوقت، أما باقي الشعوب الأخرى فقد أرسلت فرقًا عسكرية للإسهام في تلك الحملة (الكتاب السابع الفقرتان 110-111)، ومن المحتمل أن الحكام الفرس الذين كانوا يشغلون مناصب في مدن طراقيا THRACE وفي المدن التي تقع على الدردنيل» (الكتاب السابع الفقرة 106- قبل عام 480) ربما كانوا يعودون إلى هذه الفترة، وبعد الإعدادات التي قام بها الفرس لحمله كسركسيس XERXES في عام 480، تمكنوا من تشييد مخازن للغلال والقمح في أماكن عدة: في Leuce- Acte الواقعة في إقليم طراقيا THRACE ، وفي Tyrodiza (الواقعة في إقليم برنثوس)، وفي دوريسكوس وإيون ومقدونيا (الكتاب السابع فقرة 25)، ولا يوجد ما يشير إلى أن الفرس قد واجهتهم أية ثورات في تلك المنطقة خلال هذه الفترة .

ولقد تمكن دارا DARIUS خلال السنة التالية من إكمال الغزو الذي كان ماردونيوس Mardonius قد بدأه، وبدون أن يحتاج إلى إرسال جيش، حيث قام دارا DARIUS بإرسال رسالة إلى سكان ثاسوس الذين اتهمهم جيرانهم سكان Abdera بالتمرد والثورة «وكانت هذه الرسالة تقضي بأن يقوموا بتفكيك دفاعات الجزيرة، وأن يحضروا أسطولها إلى Abdera » (الكتاب السادس الفقرة 46)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS بهذه المناسبة أن شعب جزيرة ثاسوس قد قام ببناء هياكل العديد من السفن، وذلك بفضل الموارد التي توفرت لديه من ممتلكاته على البر الرئيس ومن مناجمه: 200 طالن في السنة في مجمله، «ولقد أطاع سكان الجزيرة أمر دارا DARIUS وقاموا بتفكيك تحصيناتهم، وأرسلوا أسطولهم بأكمله إلى Abdera » (الكتاب السادس الفقرة 47)، ولقد كان سكان Abdera من الرعايا المخلصين للملك الأكبر (الكتاب الثامن الفقرة 120)، وأيضا

كانت Abdera قاعدة بحرية فارسية، وتؤكد هـذه الحادثـة العرضـية أن السـلطان والسيطرة الفارسية كانا قد ترسخا في هذا التاريخ: ومن الواضـح أنـه لم يخطـر أبـدًا ببال سكان جزيرة ثاسوس عدم الإصغاء إلى أمر الملك، وبهذه الطريقة تمكن الفـرس من الوصول إلى مناجم ثاسوس (إما بشكل مباشر أو عن طريق الضرائب المفروضـة عليها) .

من كيليكيا إلى ماراثون:

كان هذا الأمر الصادر إلى جزيرة ثاسوس ينسجم أيضًا مع الاسـتعدادات التـي بدأها الملك الأكبر في السنة التالية (491)، وفي الوقت الذي تـم فيـه إرسـال الرسـل الملكيين لطلب «الأرض والماء» من المـدن اليونانيـة، شرع دارا DARIUS في تعبئـة قواته البحرية مصدرًا تعليماته إلى رعاياه الذين يقطنون في المناطق الساحلية ببناء سـفن طويلـة ومراكـب للنقـل (الكتـاب السـادس الفقـرات 47، 95)، ولقـد تمركـز الأسطول والقوات البريـة في كليكيـا تحـت قيـادة كـل مـن داتـيس Datis ، وأرتـافرنيس Artaphernes ، وهـو ابـن أرتـافرنيس Artaphernes مرزبـان سـارديس SARDIS ، وهكذا فهو ابن أخي دارا DARIUS (الكتـاب السـادس الفقرتـان 94-95)، حيـث أبحـر الفرس بعد مغادرتهم لجزيرة ساموس عبر الجزر الإيجية حتى وصلوا إلى إرتريا فاسـتولوا عليها (الكتـاب السـادس الفقـرات 95-102)، ثـم نـزولهم بعـد ذلـك إلى سـهل مـاراثون فهزيمتهم وعودتهم إلى دارا DARIUS (الكتاب السادس الفقـرات 102-119)، هـذا هـو مختصر القصة التي يحكيها لنا هيرودوت HERODOTUS عما يعـرف في العـادة (مـن وجهة نظر اليونـانيين) بـالحرب الفارسـية الأولى، ويسـجل هـيرودوت HERODOTUS الأوامـر التـي صـدرت إلى كـل مـن داتـيس Datis وأرتـافرنيس Artaphernes كـما يـلي: «اسـتعباد الآثينـين والإرتـريين، وإحضـار هـؤلاء العبيـد إلى الملـك» (الكتـاب السادس فقرة 94)، ويختـتم قصـته بشـكل منطقـي بعـودة داتـيس Datis وأرتـافرنيس

Artaphernes أمام دارا DARIUS وهم يسوقون الإرتريين «مهزومين» أمامهم (الكتاب السادس الفقرة 119)، إن رغبة الملك في الانتقام من أثينا إرتريا هي إحدى الأفكار المتكررة عند هيرودوت HERODOTUS) والعديد من الكتاب القدامى ممن تبعوه، ويرجع هيرودوت HERODOTUS هذه الرغبة إلى اللحظة التي علم فيها دارا DARIUS بالغارة اليونانية على سارديس SARDIS (الكتاب الخامس الفقرة 105)، وطبقًا لروايته فإن الانتقام أصبح هاجسًا حقيقيًّا بالنسبة لدارا DARIUS (الكتاب السادس الفقرة 94 راجع أثينيوس Athenaeus ، الكتاب الرابع عشر 652 ب-جـ؛ بلوتارك Plutarch ، مور 173 جـ)، وإذا أضفنا إلى هذا التمجيد والتفخيم الذي قام به الكتاب اليونانيون فيما بعد في القرنين الرابع والخامس لمعركة ماراثون، فإننا نرى من ذلك كيف أن هذا التفسير الذي قدمه هيرودوت HERODOTUS قد لعب دورًا كبيرًا في ترسيخ فكرة أن الهدف الأساسي لدارا DARIUS في عام 491 كان يتمثل في تدمير المعابد اليونانية (وخاصة قلعة أثينا)، والتي تم توصيفها بأنها أعمال انتقامية لقيام اليونانيين بتدمير معابد ساردیس SARDIS في عام 499 (الكتاب الخامس الفقرة 102)، أو فقط كنتيجة ثانوية لغزوهم اليونان .

غزو الجزر:

للتوضيح، يكفي أن نسرد الأحداث بالترتيب، وكالمعتاد، فإن تحيز هيرودوت HERODOTUS يتجلى في إعادة سرده للتاريخ، حيث يشعر أنه مضطر إلى شرح لماذا اختار الفرس التوجه من ساموس إلى ناكسوس بدلاً من الإبحار إلى مضيق الدردنيل وطراقيا THRACE (كما فعل كسركسيس XERXES فيما بعد)، حيث إنه كان من الصعب التوفيق بين رغبة الفرس في غزو اليونان وبين هذا الطريق، ويكتب هيرودوت HERODOTUS أن «ناكسوس أصبحت الآن هدفهم الأول في الحرب»، ويقول هيرودوت HERODOTUS إنه كان من الضروري بالنسبة للفرس القيام بغزو تلك

الجزيرة التي فشلوا في غزوها قبل ذلك في عام 500 (الكتاب السادس الفقرة 96، راجع الكتاب الخامس الفقرة 34)، وإنه من الضروري عند هذه النقطة أن نسترجع الحوار الذي وجهه أرستاجوراس Aristagoras إلى أرتافرنيس Artaphernes في ذلك الوقت (وهو تبعًا لهيرودوت HERODOTUS): سوف يكون الفرس قادرين انطلاقًا من ناكسوس على القيام بغزو الجزر الأخرى وجزر The Cyclades (جزيرة باروس، جزيرة أندروس، وجزر أخرى)، وسيكونون قادرين على التوغل حتى يوبيا بدون أن تواجههم أية صعوبة (الكتاب الخامس الفقرة 31)، وهذا بالضبط هو البرنامج الذي عهد دارا DARIUS بتنفيذه إلى كل من داتيس Datis وأرتافرنيس Artaphernes في عام 490، وعلى الرغم من إنكار بلوتارك Plutarch لذلك (هير. مال. 36 [مور 8690])، فإنه قد تم الاستيلاء على جزيرة ناكسوس دون مواجهة أية صعوبة، ولقد تم إحراق مدينتها ومعبدها، وتم أيضًا أخذ سكانها كأسرى (الكتاب السادس فقرة 96)، ثم انتقل الأسطول بعد ذلك من جزيرة إلى أخرى مارًا بديلوس، تاريستوس، وباقي أجزاء يوبيا (الكتاب السادس الفقرات 97-101)، ولقد تم إنزال عقاب قاس بالمدن التي قاومت الفرس مثل مدينة كاريستوس، وعلى الرغم من مساعدة المستعمرين الأثينيين لها، اضطرت إرتريا هي الأخرى للاستسلام: «ولقد قام الفرس هناك بنهب المعابد وإضرام النيران فيها، وذلك انتقامًا من مشاركة الإرتريين في حرق معابد سارديس SARDIS وبالتوافق مع الأوامر التي صدرت إليهم من دارا DARIUS » (الكتاب السادس الفقرة 101)، وهكذا فإنه على العكس من الإيحاء الذي سيعطيه لنا هيرودوت HERODOTUS ، فإن الرحلة مرورًا بناكسوس لم تكن اتفاقًا، ولكنها كانت المقصد الأول في طريق غزوهم للجزر، ومن الواضح أن غرض دارا DARIUS من وراء ذلك هو التخلص من أية مقاومة لهم في البحار، ونحن لا نعرف الوضع الدقيق

لهذه الجزر التي تم غزوها في خلال هذه الحملة، ولكن ومما لا شك فيه أنه قد طُلب منهم دفع جزية معينة، وأن يقوموا بإرسال فرق عسكرية (راجع الكتاب السادس فقرة 99) .

وباختصار فإن دارا DARIUS كان ينوي في عشية النزول إلى أتيكا (وهزيمة ماراثون لم تفعل شيئًا لتغير ذلك)، اتباع مخطط استراتيجي معين، والذي كان سيؤدي إلى نهايته المنطقية، وهو المخطط الذي ابتدأ بغزو ساموس مباشرة عقب اعتلاء دارا DARIUS العرش، ولقد كانت الحملة على كل من طراقيا THRACE وسكيثيا في عام 513 (والسنوات التالية لها)، وزيادة السيطرة البحرية للفرس عقب الثورة الأيونية، وحملة ماردونيوس Mardonius بعد ذلك في عام 492؛ كل هذه الأحداث كانت تمثل مراحل إضافية في مشروع ضخم، الهدف من ورائه ضمان السيطرة الفارسية على بحر إيجة وليس فقط الشواطئ، ولكن الجزر أيضًا .

ومن وجهة نظر ثيوسيديدس Thusydides فإن هذا الغزو كان يمثل خطوة ضرورية، فيكتب: «لقد أخضع قورش Cyrus مدن القارة؛ ولكن دارا DARIUS كان في موقف يسمح له بالاستيلاء على الجزر؛ وذلك بفضل قوة أسطوله» (الكتاب الأول: الفقرات 16-1)، وكما فعل بوليكراتيس POLYCRATES (حاكم ولاية ساموس)، والذي خلفه دارا DARIUS في أخذ مكانة «ملك البحار» (الكتاب الأول الفقرات 13-6، 14-2)، ولقد عبر دارا DARIUS عن سلطته وقوته هذه عن طريق التصرف كحامي حمى ديلوس، وفي الحقيقة، فلقد أصدر دارا DARIUS أوامر مشددة لداتيس Datis أن يحاذر من الرسو في ديلوس نفسها، وأن يرسو بدلاً من ذلك في ريناي، وبالنسبة لسكان جزيرة ديلوس الذين هربوا إلى جزيرة تينوس عندما علموا بنبأ وصول داتيس Datis ، كانوا على ثقة من أنهم سيتمكنون من العودة إلى منازلهم أحياء سالمين ومعافين: «فلقد نفذ داتيس Datis ما تقوله الرسالة وقام بجمع زنة 300 طالن من البخور على

المذبح، وأحرقها كقربـان» (هـيرودوت HERODOTUS الكتـاب السـادس الفقـرة 97)، ولقد كانت حملة داتيس Datis أيضًا بمثابة جولة دعائيـة، كـان الهـدف مـن ورائها إظهار أنه لا يوجد ما يخشاه سكان تلك الجزر من السيد الجديـد، ويسـجل هـيرودوت HERODOTUS نفسـه أن داتـيس Datis في أثنـاء عودتـه «أبحـر في سفينته الخاصة إلى ديلوس»؛ ليعيد تمثالاً ذهبيًا لأبوللو كان قد سرقه بحار فينيقـي من أحد المعابد في بلدة طيبة (الكتاب السادس الفقرة 118)، وهنا يمكننـا أن نـرى الجانبين المتكاملين للاسـتراتيجية الأيديولوجيـة الفارسـية، والتـي تتمثـل في الرعايـة الممنوحة للمعابد، ولكن، وفي الوقت نفسه الاضطهاد الذي لا شـفقة فيـه في حالـة رفض الخضوع، ولقد تم تدمير المعابد فقط في حالة المدن المتمردة .

الغزو الفارسي وميدية اليونانيين:

تمكن الفرس من الحصول على معلومة أخرى، أو بمعنـى أدق تأكيـد آخـر مـن حملتهم عـلى الجـزر الإيجيـة، ولقـد كـان هـذا التأكيـد يتمثـل في أن اليونـانيين في مواجهـة الاعتـداء الفـارسي لم يكونـوا موحـدين مـن حيـث كـراهيتهم الوطنيـة «للهمجيين»، ولقد كانت هذه ملاحظة حقيقية مؤكدة أدركوها منـذ وقـت طويـل مـن خلال خبرتهم عن اليونانيين في آسيا الصغرى، ولقـد أثبـت اليونـانيون مـن سـكان جـزر بحر إيجة أنهم غير موحدين تمامًا كما هو الحال مع رفاقهم الذين استقروا عـلى سـاحل آسيا الصغرى، ويسجل هـيرودوت HERODOTUS أنـه بعـد سـتة أيـام مـن حصـار مدينة إرتريا، قام كل من يوفوربوس وفيلاجروس -وهـما شخصـان معروفـان- (ونقصـد بـذلك أصـحاب ثـروات) مـن تلـك المدينـة، «قامـا بخيانـة مـدينتهم (بـرودي دوسي) وتسـليمها للعـدو» (الكتـاب السـادس الفقـرة 100)، ولقـد قـام الملـك بمكافـأة هـذين الشخصين، وأعطاهما قطعـة مـن الأرض كانـت -بـلا شـك- في آسـيا الصـغرى (بلوتـارك Plutarch ، مور 510 ب، بوسـانياس الكتـاب السـابع، 10، 2)، ولقـد كـان هـذا نمـوذج

آخر على مبادلة الهدايا مقابل الخدمات التي كان يقدمها اليونـانيون للملـك وهـو التقليد الـذي بـدأ في عهـد قـورش Cyrus (أثينيـوس Athenaeus ، الكتـاب الأول الفقرة 30 أ)، والذي تكرر عدة مرات بعد ذلك .

ومن الواضح أن داتيس Datis هو الآخر كان يعول على ميدية بعض الأثينيـين في إنجاح مخططاته، وفي الحقيقة فإن مناقشة هيرودوت HERODOTUS تقودنا إلى الاعتقاد بأن النزول في أتيكا كان له غرض سياسي، وهو تنصيب حاكم على أثينـا يكون متفانيًا في خدمة مصالح الفرس، وقبل راتيس كان الدور الذي لعبـة هيبيـاس (Hippias) ابن حاكم الولاية بسستراتوس جديرًا بالذكر إلى حد ما في هذا الخصوص، فلقد كان هو من دلهم على سـهل مـاراثون (الكتـاب السـادس الفقـرة 102)، ووجـه عمليات الإنزال وإقامة المعسكرات (الكتاب السادس الفقـرة 107)، ومـن الواضـح أن السبب من وراء ذلك هو أنه كان في وضع يؤهله للعب دور مستشار عسكري، ولقد كان ذلك راجعًـا أيضًـا إلى أنـه قـد أصبح عـلى مـر السـنين واحـدًا مـن المستشـارين السياسيين الأكثر نفوذًا بين الفرس، ويصوره هيرودوت HERODOTUS وهو يحرض المرزبان أرتافرنيس Artaphernes ضد أثينا (الكتـاب الخـامس الفقـرة 96)، ومـما لا شك فيه أن مشاركته في هذه الحملة كانت راجعة إلى أنـه قـد أقنـع دارا DARIUS بأنه يمكنه إعادة تشكيل حكومة استبدادية موالية للفرس في أثينـا، ومـن المؤكـد أنـه كـان يـدرك أنـه يسـتطيع الاعـتماد عـلى حلفائـه في المدينـة، ويـرفض هـيرودوت HERODOTUS بشدة أن يكون هذا الطرف المذنب منتميًا إلى الأسرة الكميونيـة، ويسجل أنه بعد معركـة مـاراثون تـم إرسـال إشـارة مـن أثينـا إلى الفـرس تفيـد بـأن الطريق إلى المدينة كان مفتوحًا (الكتاب الرابع الفقرة 115)، وبالتأكيد فإن من أرسـل هذه الإشارة هم أثينيـون كـانوا مؤيـدين لعـودة هيبيـاس Hippias (الكتـاب الرابـع الفقرة 121)، ولا توجد أسـباب وجيهـة تـدفعنا لـرفض هـذه الإفـادة، ونحـن نعـرف

من مصادر متعددة أنه كان هناك «أصدقاء لحكام الولايات» في أثينا، ولقد تم انتخاب أحدهم لشغل منصب الأرخون (الحاكم الأول في أثينا) عام 496 (أرسطو Aristotle ، أ ث. بول. 22-4)، بالإضافة إلى ذلك فإن الحديث الذي يذكره هيرودوت HERODOTUS على لسان ميلتياديس Miltiades (الذي قاد القوات الأثينية) يشير إلى حالة الشك الأخلاقي والسياسي التي كان يمر بها الأثينيون/ فلقد استمر ميلتياديس Miltiades في تحريضه للأثينيين على الدخول في المعركة دون أي تأخير؛ لأنهم إذا تأخروا في فعل ذلك، فسوف يواجهون خطر «هبوب رياح الفرقة والتي سوف تقذف بالأثينيين تجاه الميديين») ولقد حرضهم أيضًا على عدم الانتظار «حتى لا تفتر عزيمتهم» (الكتاب السادس الفقرة 109)، ويصف هيرودوت HERODOTUS أيضًا الرعب الذي كان يلقى به في القلوب مجرد ذكر اسم الميديين؛ وذلك بسبب شهرة انتصاراتهم العديدة (الكتاب السادس الفقرة 112) .

ماراثون:

لقد تذكر داتيس Datis أوامر دارا DARIUS ، وعملاً بنصيحة هيبياس (Hippias) ، وبثقة كبيرة أمر داتيس Datis قواته بالنزول إلى سهل ماراثون، حيث إن هذا السهل كان هو أقرب جزء من أراضي أتيكا لمدينة إرتريا، ولقد كان أيضًا أصلح مكان يستطيع الفرسان المناورة فيه، وبمجرد أن علم الأثينيون ومعهم أهل بلاتيا بهذه الأخبار، غادروا إلى ماراثون (الكتاب السادس الفقرتان 102-103)، وعلى الجبهة الأخرى فإن الإسبرطيين -وعلى الرغم من الطلبات الملحة التي قدمت إليهم- أجابوا بأن أحد الأعياد الطقسية تمنعهم من مغادرة أراضيهم، وأنهم لن يصلوا إلى ماراثون إلا بعد المعركة بعدة أيام (الكتاب السادس الفقرتان 105-106) .

ويخصص هيرودوت HERODOTUS عددًا قليلاً فقط من الصفحات

القصيرة جدًّا للمعركة الفعلية؛ ولهذا السبب قام بلوتارك Plutarch بتوبيخه «للتقليل من أهمية هذا الانتصار» (هير. مال. 26 [= مور، 862 ب])، وفي الحقيقة فإن الرواية مزدحمة للغاية لدرجة أنه تظل هناك بعض الشكوك الأساسية بخصوص القوات التي شاركت في تلك المعركة، والأرقام التي قدمها هيرودوت HERODOTUS مشكوك فيها بشكل كامل، حيث إنها تتعلق بعدد سفن الأسطول الملكي: (600) سفينة (الكتاب السادس الفقرة 90)، وعدد الجنود الذين لقوا حتفهم في المعركة: (192) أثينيًّا و(6400) من جنود داتيس Datis (الكتاب السادس الفقرة 117)، وتتعلق واحدة من أهم التفاصيل بغياب الخيالة الفرس، حيث إنهم بلا شك كانوا ضمن تشكيلة قوات هذه الحملة التي قادها داتيس Datis (الكتاب السادس الفقرات 48-95، راجع بوسنياس الكتاب الأول الفقرة 32-7)، والدخول إلى The Suda (خوريس هيبايس) يشير إلى أن الخيالة كانوا متمركزين في مكان منفصل، هل نستنتج من ذلك أنه قد صدرت إليهم تعليمات بالسيطرة على الطريق المؤدي إلى أثينا؟ من الصعب تحديد ذلك، وإلا فكيف يعقل أن داتيس Datis قد أغفل هذا العامل الذي أعطى السيادة والتفوق للجيوش الأخمينية، خاصة وأن هيرودوت HERODOTUS يقول إنه قد تم اختيار سهل ماراثون خصيصًا؛ لأنه يمكن أن يتم نشر الخيالة فيه بسهولة .

ومن الصحيح أن قوات المشاة الأخمينية كان لا يمكن إهمالها، وكما كان معتادًا، فلقد قام داتيس Datis بوضع خيرة جنوده وهم الفرس والساكيين في قلب تشكيلة الجيش (الكتاب السادس الفقرة 113)، وكما يذكر هيرودوت HERODOTUS فإنه على الجانب الآخر «كان الأثينيون -على حد علمي- هم أول من استخدم أسلوب الهجوم عن طريق العدو باندفاع باتجاه العدو» (الكتاب السادس الفقرة 112)، وفي الحقيقة فإن هذه كانت هي الطريقة الوحيدة للحد من القوة المدمرة لرماة الفرس،

حتى ولو استلزم الأمر مصرع بعض الجنود أثناء تنفيذ الهجوم، ولقد انتصر الفرس في القلب ولكن تم اختراق صفوفهم عند الأجنحة، ولقد أُجبروا على الصعود إلى سفنهم مرة أخرى، وقد حاول داتيس Datis الإبحار مسرعًا للرسو في فليروم، ولكن الأثينيون كان لديهم الوقت الكافي لتجهيز المدينة للدفاع عن نفسها، ولم يواصل داتيس Datis هجومه، ولكن قفل عائدًا إلى آسيا الصغرى، ويؤكد هذا القرار المفاجئ حقيقة أن دارا DARIUS في ذلك الوقت لم يكن ينوي فرض سيطرته وسيادته على بلاد اليونان بشكل دائم، فلقد تم ببساطة تكليف داتيس Datis بشن غارة، وتدمير المعابد والمنازل، وأخذ بعض الأسرى، ثم الإبحار عائدًا إلى سواحل آسيا الصغرى، وباختصار، فإنه من وجهة نظر الفرس لم تكن معركة ماراثون سوى اشتباك محدود، وأنه لم يكن له أي تأثير على الاستراتيجية الإيجية كما حددها دارا DARIUS ، ومن المؤكد أن هذه هي الرواية التي كانت موجودة في الدعاية الأخمينية (راجع ديو كريس الكتاب الحادي عشر الفقرة 148) .

ومن السهل إدراك لماذا وكيف حول الأثينيون معركة ماراثون إلى انتصار بارز، ولقد اكتسب هذا الانتصار في الفترات التي تلت ذلك قوة أسطورية حقيقية في الوعي الجماعي للمدينة، ولقد مثل انتصار جنود الهبليت المواطنين في عام 490 تعزيزًا لديموقراطية تم الحصول عليها حديثًا بصعوبة، ولقد عزز هذا الانتصار أيضًا من الهيبة والوضع السياسي والعسكري للمدينة في أعين إسبرطة ومدن الرابطة البلوبونيزية الأخرى، ولكن الفرس كانوا ينظرون إليه بطريقة مختلفة نسبيًا، وكما ذكرنا للتو، فلقد حقق دارا DARIUS أهدافه الأساسية، وعلى أية حال، فإن تداعيات هذا الانتصار لا يبدو أنها قد وصلت لما هو أبعد من المنطقة المحلية، ومن المؤكد أن يونانيي آسيا الصغرى والذين كانوا قد نجوا بالكاد من اضطهاد فظيع، لم يروا في معركة ماراثون أية إشارة على ضعف السلطة

الفارسية، بل على العكس من ذلك، فلقد كانوا يدركون جيدًا أن قوة دارا DARIUS لم يسبق أن كانت بهذه الدرجة من قبل، ولقد تم ذكر الإشارة الوحيدة على عدم التبعية في المقال الذي تم الاستشهاد به بالفعل في The Suda: حيث يفترض إن الفرق الأيونية التي كانت ضمن الجيش الفارسي قد أبقت الأثينيين على اطلاع متواصل بالميول والاتجاهات التكتيكية لداتيس Datis ، وإذا كانت هذه المعلومة صحيحة، فمن الواضح أنها كانت تشير فقط إلى مجموعة صغيرة تعمل في أقصى درجة من السرية، فلم يحدث أبدًا أن تم ذكر أي شيء حول وجود أنشطة مناهضة للفرس في صفوف الفرق العسكرية الأيونية والأيولية التي جلبها داتيس Datis معه (الكتاب السادس الفقرة 98) .

من ماراثون إلى منف MEMPHIS :

طبقًا لهيرودوت HERODOTUS ، قام دارا DARIUS على الفور بالتخطيط لحملة جديدة، والتي كان سيقودها بنفسه ضد بلاد اليونان، ولتحقيق هذا الهدف، تم إرسال أوامر التعبئة إلى كل جزء في الإمبراطورية «ولقد كانت الفرقة العسكرية بأكملها في حالة استنفار لمدة دامت ثلاث سنوات» (الكتاب السابع فقرة «1»)، وفي هذه الأثناء (486) وصلت أنباء التمرد المصري إلى البلاط، ولقد كان دارا DARIUS يعد للقضاء على هذا التمرد عندما نزل به المرض في نوفمبر (الكتاب السابع الفقرة 4، ستيسياس CTESIAS 19)، ولسوء الحظ، فإنه لا توجد لدينا أية معلومات حول أسباب أو قوة انتشار هذه الثورة (لم يذكر ستيسياس CTESIAS شيئًا عنها)، وتذكرنا إشارة هيرودوت HERODOTUS المختصرة هذه أن التاريخ الأخميني في هذه الفترة لا يمكن أن يتم اختزاله في صورة المشكلة اليونانية فقط، ولكنها تؤكد أيضًا -وهو الشيء الذي يحبط المؤرخين- أن الشيء المهم من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS كان يتمثل في المنظور اليوناني للحروب الفارسية .

ومهـما كانـت الحـال، فإنـه عنـد وفـاة دارا DARIUS ، فـإن الإمبراطوريـة الأخمينية كانت قد وصلت إلى أقصى اتساع لها: مـن The Iaxartes حتـى الخلـيج الفارسي والشلال الأول في مصر، ومن نهر الدانوب حتى نهـر الإنـدوس، وفي الوقـت نفسه الذي كان يواصل فيه الملك الأكبر فتوحاتـه وغزواتـه، كـان يكـثر ويزيـد مـن الإصـلاحات والإجـراءات ذات الصـلة بتنظـيم السـلطة الفارسـية في كـل مـن مركـز الإمبراطورية والبلاد المفتوحة .

فهرس المحتويات

فهرس محتويات

المجلد الأول